تاريـــــخ الموصـــل

سعيد الديوه جي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

الموصل إحدى قواعد بلاد العرب والاسلام، ولها تاريخ حافل بالمآثر في اختلاف العصور. وإني مذ نشأت عكفت على تتبع تاريخ بلدتي وتراثها، ووفقني الله عز وجل أن أساهم في الكتابة عنها، فنشرت عدة كتب وأبحاث في تاريخها وتراثها وأعلامها، ورأيت من المفيد أن أكتب تاريخاً جامعاً لها، يكون في متناول من يريد الاطلاع على تراثها المجيد، وماضيها الغني بالمفاخر والعلوم والفنون.

والمتتبع لتاريخ أم الربيعين يجد المصادر التي تبحث عنها – في بعض الفترات – قليلة، كما أن اهتمام بعض المؤرخين القدامى في الحروب والمنازعات كان أكثر من اهتمامهم بالتراث، وقد اختصرت الحوادث السياسية والحروب والمنازعات، وذكرت منها بصورة مجملة ما له أثر في المدينة، وركزت جهدي في إبراز مآثرها في العلم والأدب والفن والاقتصاد، ومن قام فيها من أعلام الفكر – ومع هذا فإني أعترف بأن كتابي لم يوفِ تاريخ أم الربيعين وحضارتها العريقة بصورة مفصلة، وقبل أن أقدم كتابي أقول ما قال العماد الاصفهاني:

"اني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.".

أقول هذا وأحمد الله عزّ وجلّ الذي وفقني بالكتابة في تاريخ بلدتي الطيبة، التي نشأت في ربوعها، وتفيأت ظلالها، واستفدت من مدارسها وخزائن كتبها.

بحثت في هذا الجزء – عن نشوء المدينة وسكانها، والفتح الاسلامي، وما كانت عليه من التوسع والتقدم في العهد الأموي، حتى صارت قاعدة بلاد الجزيرة، ومركز تجمع عربي كبير، يوم تسلط الديالمة والأعجام على الخلفاء العباسيين، وجردوهم من كل سلطة، وتحكموا في البلاد والعباد، فكانت الموصل ملجأ العرب والخلفاء، ومصدر تموين العراق كلما قلّ عندهم القوت. تقدمت فيها الصناعة

والتجارة والعلوم، وهي معتزة بعروبتها، صامدة بوجه الدخلاء، كبحت جماحهم، وانتصفت للعرب من أعدائهم، كما صدت الروم عن بلاد الجزيرة.

وبحثت فيه عن الدور السلجوقي (487 – 521هـ) وحالة البلد فيه، ومالاقته وعن الدولة الاتابكية التي انسلخت عن السلاجقة (521 – 660هـ) وكانت من اعظم الدول في الشرق الأوسط، صدت الصليبيين ونشرت الامن والعلم والرخاء في البلاد، فكانت الموصل على عهدهم ثالثة بلاد الدنيا العظام، كما قال عنها ياقوت.

وبحثت في الجزء الثاني من تاريخ الموصل (660 – 1337هـ)، ما لاقته من مصائب ونكبات، من الدخلاء الذين سخروا الشعب لمطامعهم، وعن نهضتها في القرن الثاني عشر للهجرة، وما كانت عليه من التقدم في العلم والصناعة والتجارة.

أقدمه الى محبي أم الربيعين، أم الأبطال، وأم رجال العلم والأدب والفن.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

سعيد الديوه جي

الموصل: 12 ربيع الاول 1395 هـ

23/ نيسان 1975 م

الموصل قبل الإسلام

سكن العرب الهلال الخصيب قبل الميلاد بقرون، فالبادية والهلال الخصيب امتداد لأرض جزيرة العرب، والهجرة إليها قديمة قدم وجود الانسان في هذه المواقع: فسكان الجزيرة العربية كلما امحلت ديارهم، أو حدث نزاع بين قبيلتين،

نزحوا الى الشمال طلباً للمرعى والماء، فيجدون أرضاً خصبة، ومياهاً ثرة، ومناخاً جميلاً.

وكانوا يتولون حراسة القوافل والمنازل التي تمر بها طرق التجارة، فإن آنسوا ضعفاً من أهل البلد الذي نزحوا إليه، فرضوا عليهم الضرائب وتولوا حمايتهم، فتمكنوا في الهلال الخصيب، وشيدوا المدن وأقاموا لهم دولاً صغيرة، تولوا الحكم في بعضها مثل سنجار، حران، حمص، الرها، المدن، وغيرها من البلاد.

وكانت صلاتهم بقومهم في جزيرة العرب مستمرة، وهذا ما حمل القبائل أن تتوارد على الهلال الخصيب، وأخبارهم مع الآشوريين وغيرهم، وما كان لهم معهم من صلات وحروب، كثيرة[1].

ومن ديار الجزيرة التي سكنها العرب خلال هذا الزمن هي: (مدينة الموصل) – المقابلة لمدينة نينوى – والتي تقع في ملتقى عدة طرق تجارية، وتشرف على سهول واسعة ترويها مياه دجلة والأمطار، فكانت الموصل من المواطن القديمة التي حل بها العرب مع الآشوريين.

وفي سنة 1080 ق.م، اتخذ الآشوريون مدينة نينوى عاصمة لهم، وأقاموا حولها قلاعاً، أودعوا فيها العَدد والعُدد، ومنها: القلعة التي شيدوها فوق التل الذي يعرف اليوم بـ (تل قليعات) على شاطىء دجلة، فتجمع الفلاحون وأصحاب المواشي حولها، وشيدوا الدور والمنشآت، فكانت قلعة مدينة الموصل[2].

فالآشوريون استفادوا من موقعها المنيع وسهولها الواسعة، والطرق التي تمر بها ومن العوامل التي أدت الى توسيعها:

– موقعها المنيع على دجلة يقابل مدينة نينوى، ويشرف على السهول الغربية التي تمر بها عدة طرق تصل بين جناحي الهلال الخصيب، فشيدوا الحصن في هذا الموقع، واتخذوا به حامية تتولى الدفاع عن نينوى، وحماية طرق المواصلات.

---

(1) – (2) جواد علي 1: 169–171، طه باقر: 2: 187–190–194، الحضر: 17 – 19، تاريخ كلدو وآثور: 1: 92، 108، الرافدان: 101.

– السهول الواسعة التي تزرع بها الحبوب والبقول، وتربى الأغنام والمواشي في مراعيها، فشجع الآشوريون الفلاحين وأصحاب المواشي، وأسكنوهم بجانب الحصن، فكانوا يعملون في الزرع والرعي، وهذا ما أدى الى توسع العمارة في مدينة الموصل.

– وجود الرخام بكثرة في شمال مدينة الموصل وفي غربيها، واستخدم الآشوريون الرخام في بناياتهم: صوروا عليه معاركهم الحربية، وما قاموا به من أعمال عمرانية، كما صوروا عليه مظاهر حياتهم الاجتماعية والدينية، ونحتوا منه التماثيل المختلفة التي زينوا بها معابدهم ومنشآتهم، وكان العمال الذين يعملون في استخراج الرخام ونقله ونحته، عاملاً آخر في توسع العمارة.

ولم يظهر اسم الموصل كمدينة مدة ازدهار (نينوى)، وهذا شأن كل ضاحية تكون بجانب مدينة كبيرة – خاصة كنينوى في ذلك الوقت – فطغت أخبارها على أخبار الضاحية.

وفي سنة 612ق.م دمر الميديون والكلدانيون مدينة نينوى، وأعملوا فيها القتل والحرق، ولم ينجُ من سكانها إلا القليل، وأصاب الحصن الغربي والموصل ما أصاب نينوى.

وبعد أن هدأت الأحوال، رجع فلول من السكان ممن سلم من فتك الأعداء، وشيدوا لهم حصناً على الشاطىء الغربي من دجلة، على أنقاض الحصن القديم – فوق تل قليعات – فكان هذا أول ذكر الموصل بهذا الاسم موسيلا[1] Museila.

كما شيد بعضهم حصناً آخر فوق تل توبة، فكان الحصن الشرقي، ونجد الكتبة بعد هذا إذا ما تكلموا عن الموصل أردفوها: بالحصنين – الشرقي والغربي، وبسقوط نينوى وزوال الكيان الآشوري، زادت هجرة القبائل العربية إلى بلاد الجزيرة وبادية الشام، ثم امتدت إلى نصيبين وديار بكر، وإلى ماوراء مدينة الرها – أوديسا – أورفة الحالية – والى سهل أنطاكية، فطغت موجات القبائل العربية على هذه البلاد، وصارت تعرب باسم (عَربايا) أي بلاد العرب. وأقدم ذكر لاسم عربايا

(1–2) الرافدان: 101 – 121، جواد علي: 1: 170.

يرجع الى أواخر القرن السادس قبل الميلاد في كتابة "حجر بهستون" ضمن الأقاليم المؤلفة لامبراطورية الملك الاخميني دارا الكبير[1].

قال الأصمعي: "كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا، وهي الموصل، لقدرها عندهم، وعن ريف الجزيرة، وما يليها لأنها تعدل في الخصب باعربايا"[2].

ومن الدول التي كان لها شأن في بلاد الجزيرة هي: مدينة الحضر العربية، سكنها كثير من تنوخ وقضاعة وغيرهما، وكانت نقطة اتصال على الطريق التجاري الذي يربط بين جناحي الهلال الخصيب[3].

فشيد العرب عدة مدن لهم، استطابوا جمال مواقعها، وخصب أراضيها، ووفرة حاصلاتها، ومنها مدينة الموصل على غربي دجلة، سكنها العرب في هذه الفترة كما سكنوا غيرها من المدن. وظهر اسم الموصل عوضاً عن اسم نينوى، وأخذت تتوسع باستمرار الهجرة اليها.

واهتم الاخمينيون الذين حكموا هذه البلاد 550 – 331 ق.م في توطين العرب والفرس فيها، وصارت الموصل مدينة ذات شأن.

والموصل اسم أطلقه عليها سكانها العرب الذين استوطنوها، فهو مشتق من الوصل، لأنها – كما قدمنا – تقع على ملتقى عدة طرق تصل بين الشرق والغرب، وتلتقي فيها طرق التجارة في اختلاف العصور. وفي أخبار هذه الفترة خلط بعض المؤرخين أخبار الموصل وأخبار نينوى، فاذا تكلموا عن الموصل ذكروها باسم الموصل تارة، ونينوى أخرى. كما أن بعضهم يذكر أخبار نينوى وما كانت عليه في العهد الآشوري باسم الموصل، وهكذا تداخلت أخبار المدينتين.

ومهما يكن من أمر فان الموصل خلال حكم الاخمينيين كانت تتسع وتزدهر إذا ما استقر الأمر في البلاد: تكثر خيراتها، وتنشط تجارتها، ويتسع عمرانها. ولم

---

(3) البلدان لابن الفقيه: 35، يسمي الموصل باعربايا، أي بيت العرب.

(4) مقدمة كتاب الحضر مدينة الشمس.

تخلص من نكبات لاقتها من الجيوش التي كانت تمر بها، سواء كانت منتصرة أو منخذلة، شأن الجيوش المحاربة في ذلك العهد.

وبعد حادثة سيل العرم 450م زادت هجرة القبائل العربية، فنزحت القبائل القحطانية الى مشارف جزيرة العرب، وامتدت منها الى بلاد الجزيرة والشام، وما جاورهما من البلاد، وصارت تعرف بأسماء القبائل التي استوطنتها. فكانت المصادر الفارسية تطلق على منطقة نصيبين وما جاورها من البلاد اسم (عربستان) أي بلاد العرب.

كما أطلق استرابو اسم (بلاد العرب) على منطقة الجزيرة الواقعة جنوبي المنطقة الكردية وتمتد حتى الصحراء[1].

ومما يؤيد لنا قدم العرب في الموصل وبلاد الجزيرة ماذكره صاحب التاريخ السعرتي عند كلامه عن الحصن الغربي – الموصل – قال: "كانت تسكنه منذ القدم قبائل عربية"[2].

فظهور الموصل كمدينة ذات شأن كان على أيدي العرب الذين سكنوا هذه المنطقة منذ القدم.

ولو أن الموصل سلمت من الحروب التي كانت بين الشرق والغرب، لكانت من أعظم البلاد، ولكن كثرة الحروب التي دامت قروناً في بلاد الجزيرة، واتخاذ الموصل نقطة ارتكاز وتجمع للجيوش والذخيرة، مما سبب نكبتها عدة مرات[3].

---

(1) السامر: 165. هذا ما ذكره الدكتور السامر ونقلته عنه – ولم يتيسر لي الوقوف على المصدر الذي أشار إليه.

(2) تاريخ الموصل: 3: 93.

(1) لم تنقطع الحروب بين الشرق والغرب، فكانت بين الاخمينيين والفرس: 539 – 330 ق.م.

ثم بين الساسانيين والرومان: 227 ق.م – 627م الموصل في العهد الاتابكي: 5 – 7.

ومن ذلك أن أولغاش الرابع 191 – 208م أغار على بلاد حدياب، فنهبها ودمرها وفتك في أهلها لأنهم لم يساعدوه في حربه مع بلاد فارس، وكان نصيب الموصل كنصيب غيرها من البلاد الأخرى[1].

كان الساسانيون يحرصون على تصحين الموصل، واتخذوها مركزاً حربياً، فيها العُدد والعَدد، ومن ذلك: فإن أردشير الاول 224 – 241م جدد عمارتها، واتخذها مركزاً حربياً عندما حارب الامبراطور اسكندر سفيروس، فأطلق عليها الفرس اسم "نواردشير".

واستمر النزاع بين الطرفين، فكان يشتد تارة ويهدأ أخرى، وفي القرن الخامس للميلاد اشتد النزاع بين الرومان والساسانيين، فعزز الساسانيون قلاعهم، وحصنوها وحشدوا فيها الجيوش والعتاد.

ومن ذلك: فإن قباذ الأول 488 – 531م حارب أنستاسبوس، ثم بليزاريوس، فأنشأ عدة قلاع ومواطن سكنية في الموصل والعراق، وحشد فيها العرب والفرس، وأمرهم بالعمارة والزراعة.

وفي عهد كسرى الأول أنو شروان 531 – 579م تجددت الحرب بين الطرفين، فأغار الروم على الموصل، وتقدموا في البلاد يقتلون ويأسرون، فنكبت الموصل.

وفي عهد كسرى ابرويز بن هرمز 590 – 628م بذل عناية في عمارة الموصل، وجعلها من المعاقل الكبيرة لصد الهجوم الروماني.

ففي سنة 616م قام كسرى أبرويز بحملة قوية على بلاد الروم، وتوغل في الشام. وأرسل حملة الى الأنضول، بلغت سواحل البسفور، وسار هو الى بيت المقدس، فنهب المدينة ودمرها، وأحرق قبر السيد المسيح وكنيسة القيامة، وأخذ ما فيها من تحف وهدايا، كما حمل خشبة الصليب إلى بلاده.

وبينما كان كسرى في لهوه وفخره بنشوة الانتصار، جاءه رسول يحمل اليه كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعوه إلى الإسلام. كما أن هرقل كان آخر عهده وعهد الرومان ببلاد الشام، وفتح المسلمون الهلال الخصيب.

---

(2) تاريخ الموصل، 1: 43.

وبلغ خبر انتصارهم بلاد العرب، ففرح المشركون من أهل مكة، لأن الفرس مجوس لا كتاب لهم، والروم أهل كتاب، وشمتوا وقالوا للمسلمين: "أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارس أميون، وقد ظهر اخواننا على اخوانكم، ولنظهرن نحن عليكم" فنزلت الآية الكريمة تبشرهم بالنصر لأهل الكتاب، ثم للمسلمين:﴿ 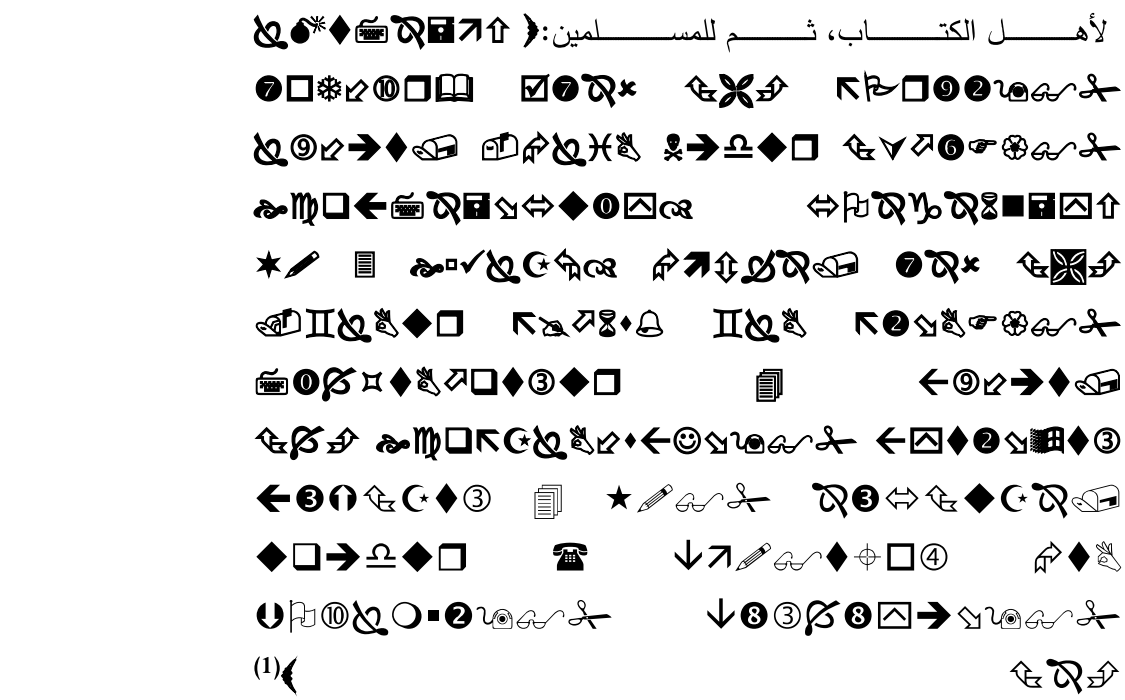 ﴾[1]

فقال لهم أبو بكر (ﷺ): "والله ليظهر الروم على فارس بعد بضع سنين – ما بين الثلاث الى العشرة – وراهن أبيْ بن خلف على عشر قلانص، والأجل ثلاث سنين، وأعلم أبو بكر النبي (ﷺ) بهذا، فقال له عليه السلام: "زد في الحظ، وأبعد في الأجل"، فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين، وظهرت الروم على فارس، فأخذ أبو بكر الحظ من ذرية أبي، فأمره عليه السلام أن يتصدق بها.

---

(1) سورة الروم الآية 1–4.

هذا الاندحار الشديد حمل هرقل أن يستنفر النصارى الى الذود عن مقدساتهم، واقترض أموالاً من الكنائس وجمع الحشود، وانتصر على فارس سنة 622م – وهي السنة التي هاجر بها المسلمون الى المدينة[1].

واستمر هرقل في زحفه الى الشرق، وكان له معهم أقوى معركة حاسمة سنة 627م، قرب الموصل، وفتك فتكاً ذريعاً، وساق الأسرى الى بلاده – وفيهم صهيب بن سِنان[2] – واستمر في زحفه إلى "دستجرد" مما اضطر كسرى أن يهرب مع بعض جواريه الى طيسفون – المدائن – وتنازل عن عرشه، وكان هذا آخر مجد للدولة الساسانية، فكانت الموصل وتكريت تحت حكم الرومان عندما فتحها المسلمون، هذه نبذة عن نشوء الموصل حتى دخلت في ظل الاسلام.

---

(1) انظر ابن العبري: 155 – 157، التمدن الاسلامي: 1: 36 – 41. الرافدان: 177 – 184 الأخبار الطوال: 105 – 111، تاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي: 2: 490 – 508.

(2) انظر: مجلة: المجلة: السنة الاولى 1938 (ص: 666 – 670).

سكان الموصل

العرب

الاكراد

الآشوريون

الآراميون

الجرامقة

طرق المواصلات بين الموصل والاقطار التي تؤدي اليها.

ومن القبائل العدنانية التي سكنت الموصل:

أياد: نزحت الى الفرات، واستمروا بزحفهم الى أرض الجزيرة، وكانوا كالليل في الكثرة، وكانت لهم حروب مع الفرس في زمن "سابور الثالث بن سابور" 383 – 388م، فقال شاعرهم:

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب أياد حولها الخيل والنعم

ولهم حروب مع "كسرى أنو شروان" – ومنهم كاتب كسرى وترجمانه في العربية "لقيط بن يعمر الأيادي" الذي حذر قومه من بطش كسرى بقصيدته التي أرسلها اليهم، والتي أولها:

سلام في الصحيفة من لقيطٍ إلى من بالجزيرة من أياد

وفتك فيهم كسرى، فلحق بعضهم بأرض الروم.

وساعدوا المسلمين في فتح تكريت والموصل، أنفوا من دفع الجزية، فرحل كثير منهم الى أرض الروم، وصاروا يؤرخون بعام الانتقال، ثم أرسل اليهم الفاروق جماعة من المسلمين وعرضوا عليهم القرآن الكريم، فأسلم منهم أربعة آلاف، وعادوا الى ديار الجزيرة[1].

النمر: لما كانت الحرب بين بكر وتغلب، وتفرقت قبائلهما في البلاد، انحازت النمر الى اطراف الجزيرة منذ القرن الثالث للميلاد.

وكانت قبيلة النمر عزيزة الجانب في الموصل، يستعين الفرس برجالها في الادارة والحرب، فكان "سنان بن مالك" – والد صُهيب – من أهل الموصل، عاملاً لكسرى على الأبلَّة.

(1) اليعقوبي: 1: 185 – 186، البكري: 1: 69 – 76، 341 التنبيه والاشراف: 175 – 176. معجم البلدان: 3 : 97. جواد علي: 4 : 93.

وفي الفتح الاسلامي لهذه البلاد، انضموا الى جيش المسلمين وساعدوهم في فتح تكريت والموصل[1].

تغلب: من القبائل العدنانية التي كان لها شأن في بلاد الجزيرة والعراق، وعرفت بلادهم – بديار تغلب – وساعدوا المسلمين في حادثة فتح الموصل. وعظم نفوذهم في الاسلام، واشتهر منهم عدة أسر كان لها شأن في ادارة البلاد مثل: العدويون والحمدانيون والعقيليون. وكثر عددهم في الموصل. ويذهب البعض أنهم سكنوا قرب باب العراق، فكانت المحلة تسمى محلة التغالبة.

كانوا يعتنقون النصرانية، وأنفوا من دفع الجزية، ونظراً لكثرة عددهم فان الفاروق ضاعف عليهم الصدقة، وكان يقول عنهم: "أنهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب، ولعلهم يسلمون" وشرط عليهم أن لا يُنَصِّروا اولادهم. وبعد هذا اعتنقوا الإسلام، وكانوا مع الجيوش الإسلامية التي دافعت ضد الروم[2].

قضاعة: لما تفرقت قضاعة، في البلاد سار "عمرو بن مالك التزيدي" ومعه من قضاعة الى أرض الجزيرة، وخالطوا قراها، وغلبوا على طائفة منها، وكانت بينهم وبين الأعاجم وقعة، هزموا الأعاجم فيها، فأصابوا فيهم، فقال شاعرهم جُدَي بن الدلهاث بن عشم العُشمي:

صففنا للأعاجم من معدٍ ... صفوفاً بالجزيرة كالسعيرِ
لقيناهم بجمع من علاف ... ترادى بالصلامة والذكورِ
فلاقت فارس منّا نكالا ... وقاتلنا هرابز شهرزورِ

وفي عهد الملك "سابور الثاني" – ذو الاكتاف – 310 – 370م حاربهم وقتل جماعة منهم، فلحق بعضهم بالشام، فكانوا مع "تنوخ".

---

(1) أنساب الاشراف: 1: 180 – 181، البكري: 1: 85 – 86، طبقات ابن سعد: 3: 162 – 164.

(2) المعارف/ 41 ومن ثقيف اللبو وهم بالموصل، البكري: 1: 120 – 123، الخراج: 143 – 144، (185 – 186 فتوح الوفد العام).

والى قضاعة تنسب "الزرابي العبقرية"، فكان نساؤهم ينسجنها من الصوف، وعملوا البرود التي يقال لها "التزيدية" نسبة الى تزيد[1].

ثقيف: من قبيلة "هوازن"، سكنت الموصل بعد الفتح الاسلامي في المحلة التي تسمى اليوم "محلة باب المسجد"، وكانت دورهم حول المسجد، وأمامها حضيرة تسمى "حضيرة ثقيف" ويلفظها أهل الموصل "حضيرة الشِگيف".

وأما باب المسجد فان أهل هذه المحلة يبدلون الجيم ياء، فيقولون "محلة باب المسيد" وبعضهم يكسر حرفي الميم والسين، ويحذف الياء، فيقولون "باب المسد"[2]. واشتهرت المحلة بين العامة بهذا الاسم.

بنوشيبان: بطن من "بكر بن وائل"، القبيلة التي انتشرت الى ديار بكر التي عرفت بها، وسكن بنو شيبان الجزيرة والموصل، وكانت لهم كثرة شرقي دجلة في جهات الموصل – في صدر الاسلام – وأكثر أئمة الخوارج منهم يقول "مقصلة بن عتبان الشيباني" منوهاً برجال الخوارج:

فمنا سُوَيد والبُطين وقعنب ومنا أميرُ المؤمنين شبيب
غزالة ذات البدر منا حميدة لها في سهام المسلمين نصيب

---

(1) الطبري: 2: 66 – 67، الكامل: 1: 157، جواد علي: 4: 240، 260، 261، معجم البلدان: 3: 96 – 97، البكري: 1: 22.

(2) جوامع الموصل: 165 – 166.

جاء في كتاب المدخل الى تقويم اللسان – لابن هشام اللخمي المتوفى سنة 577هـ عند كلامه عن لفظ مسجد: فيه لغتان، مسجد وهو أفصح، ومسيد وهو أضعف، حكاها غير واحد، الا أن بعض العامة تكسر الميم، والصواب فتحها. وهو ما عليه أهل باب المسجد، حتى عرفت محلتهم بين العامة في الموصل باسم محلة باب المِسدْ وثقيف هو: هوَازن بن مد (المورد: 10: 2: 53).

أما ثقيف: فهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن حضفة بن ثقيف فولده قسى: وهو ثقيف وثقيف قاتل ابي رغال، وكان مصدقاً فمر به ثقيف فقتله. فقيل قسا عليه، فسمى قسياً قال شاعرهم نحن قسى قسا ابونا ومن ثقيف اللبو وهم بالموصل المعارف لابن قتيبة: 41.

سكن بنو شيبان في الربض الأعلى من الموصل، ولهم خطة ومسجد فيه، وكان المسجد يعرف "بمسجد ابن أكمه القطران الشيباني". أمير الموصل سنة 128هـ[1].

وسكن من قريش في الموصل بعد الفتح:

– **الأمويون:** وكان لهم خطة ومسجد، وبعد انقراض دولة بني أمية، طمس العباسيون أخبارهم، ولم يبقَ لهم ذكر الا قليلاً، ومنهم أبناء الحر ابن يوسف، ولم يزل في الموصل بعض الأسر ينتهي نسبها إلى الأمويين.

– **العباسيون:** سكنوا الموصل بعد الفتح، وخاصة بعد أن تأسست دولتهم، وبقى منهم إلى القرن الرابع الهجري، ذكر أبو زكريا الأزدي عند كلامه عن "اسماعيل بن علي" الذي تولى الموصل: ومن بالموصل من الهاشميين من ولده، من ولد "أحمد بن اسماعيل"، وله فندق اسماعيل، وحمام اسماعيل، وسوق اسماعيل، ومسجد أبي حاضر.. وغيرهم. ولم يزل في الموصل بعض الأسر ينتهي نسبها بالعباسيين[2].

– **العلويون:** سكن العلويون في أواسط القرن الرابع للهجرة الموصل، ولم يزل العلويون الذين في الموصل ينتهي نسبهم بالعلويين الذين سكنوها.

– **العمريون:** لا ندري متى سكنوا الموصل، ولهم ذكر في القرن الرابع للهجرة. ويذكر العمريون الذين في الموصل أن بعضهم يتصلون بهم[3].

– **بنو سعد بن لؤي:** بطن من "لؤي بن غالب" من قريش، كانوا يسكنون في البادية مع بني شيبان وكتابتهم في قريش، ومنهم نفر في الموصل[4].

– **بنو عبادة بن عقيل:** بطن من "عقيل بن كعب" سكنوا الموصل بعد فتحها وفي غربي الموصل محله تسمى "محلة تل عبادة" وفيها مسجد يسمى "مسجد تل

---

(1) الازدي: 68 – 69، معجم القبائل العربية: 2: 622، مجلة الجزيرة: 1: 227.

(2) الازدي: 197.

(3) جوامع الموصل: 129 – 131.

(4) انساب الاشراف: 1: 44 – 45.

عبادة" والذي نراه أنهم سكنوا في هذه المحلة فنسبت اليهم، ومنهم بنو عقيل الذين تولوا الحكم بعد الحمدانيين[1].

وذكر ابن سعيد – القرن السادس – ومنهم الى الآن بقية بين الخابور والفرات، يقال لهم "عرب شرف الدولة" في تجمل وعز، ولهم عز من صاحب الموصل، وهم في عدد قليل نحو مئة فارس[2].

ومن القبائل القحطانية التي سكنت هذه البلاد هي:

الأزد: [3] نزحت من اليمن بعد حادثة "سيل العرم"، وانتشرت في البلاد، وهي من أعظم القبائل العربية، وأشهرها، نزحت الى الموصل في خلافة عثمان ابن عفان ((ﷺ))، فإنه أرسل الى الموصل "عرفجة بن هرثمة البارقي" في أربعة آلاف من الازد وطي وكندة وعبد قيس[4].

وزادت هجرتهم إليها في خلافة الإمام عليّ (كرم الله وجهه). وفي ولاية "محمد بن مروان" سنة 75هـ، نقل إلى الموصل من البصرة الأزد وشيبان وسلول والخزرج، وكان للأزد شأن في الموصل في القوة والعلم، فنجد الكثير من محدثي الموصل وأدبائهم كانوا من الأزد. ومنهم مؤرخ الموصل "أبو زكريا الازدي".

وكانت لهم أيام مع بني الحسن الهمدانيين، وانتصروا عليهم، ومنهم السيد بن أنس "الذي تولى الموصل"[5].

الفراهيد: وهم من بطون الأزد، ويذكر أبو زكريا الأزدي أن الفراهدة نزحوا من عمان إلى الموصل. ومنهم بالموصل "عمرو بن مالك" وكان بالموصل منهم

---

(1) انساب الاشراف: 1: 44– 45.

(2) القلقشندي، نهاية الأرب: .

(3) معجم قبائل العرب:2: 270.

(4) انظر عن الازد: مجلة المجمع العلمي العراقي 3 – 4: 32: 460 – 51.

(5) انساب الاشراف: 5: 186، الاصابة: 4: 235، اليعقوبي: 3: 17، الازدي: 173.

جماعة انقرضوا وبقي بقية من مواليهم، وذكر عدة أشخاص منهم عرفوا بالعلم والشجاعة[1].

عنزة: وهم من الأزد، كانوا يسكنون بين الزابين، ومنهم بالموصل، وجرى بينهم وبين الازد قتال[2].

الخزرج: وهم من الأزد، تفرقوا بعد حادثة "سيل العرم" وبعضهم استمروا في زحفهم الى بلاد الجزيرة. ومنهم من نقلهم "محمد بن مروان" إلى الموصل، وسكنوا في المحلة التي تعرف بهم (محلة خزرج) ولهم جامع فيها[3].

كندة: من القبائل القحطانية التي نزحت الى الموصل في خلافة ذي النورين، وهم من حضرموت، وربما سكنوا المحلة التي كانت تدعى "حضرموت"[4].

طي: وسكنوا الموصل في خلافة ذي النورين، وجاء عنهم في القرن الثالث للهجرة: كانوا كالرعايا لبني حمدان يؤدون اليهم الأتاوات، وينفرون معهم في الحروب[5].

همدان: وهم من القبائل الكبيرة التي كانت في بلاد الجزيرة والموصل، واكثرهم حارثيون، وكان لهم شأن في القرن الثاني والثالث للهجرة، فكانوا أكثر القبائل نفوذا فيها، وهم الغالبون على البلد، واليهم أمرها سنة 198 – 202هـ، ثم قضى على نفوذهم السيد بن أنس، وقد أفاض الازدي في أخبارهم[6].

سليمة: نزحت من البصرة الى الموصل، وسكنوا قرب باب سنجار، ومنهم "أبو الأشهل بن الحكم بن سلمان السليمي"، كان من فرسان العرب، بعثه أبو جعفر

---

(1) الازدي: 93.

(2) الكامل: 7: 63 – 64.

(3) جواد علي: 4: 253. مجموع الكتابات: 35، البكري: 342 منهل الاولياء: 1: 57.

(4) الاصابة: 4: 235. يذكر ان حضرموت محلة بالموصل.

(5) أسد الغابة: 1: 401. معجم قبائل العرب: 2: 691.

(6) البكري: 146. جواد علي: 4: 266. تاريخ الازدي: حوادث سنة 193 – 202هـ. احسن التقاسيم: 146.

المنصور في ألف فارس من رجال الموصل مدداً ليزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب لما ولاه أفريقية سنة 154هـ[1].

وذكر "ابن حوقل" عند كلامه عن الموصل: "وأهلها عرب، ولهم بها خطط، وأكثرهم ناقلة البصرة والكوفة، ولها بواد وأحياء كثيرة، تصيف في مصايفها، وتشتو في مشاتيها، من أحياء العرب، قبائل ربيعة ومضر واليمن، وأحياء الأكراد، كالهذبانية والحميدية واللارية، وكانت بها بيوت فاخرة، وقوم أهل مروءة ظاهرة، ولهم بها من التناية يسار، وبأملاكهم ويسارهم على الأيام استطالة واقتدار، كبني فهد، وبني عمران من وجوه الأزد وأشراف اليمن، وبني سحاج، وبني أود، وبني زبيد، وبني الجارود، وبني أبي خداش، والصداميين والعمريين، وبني هاشم وغير ذلك[2].

وسكن في المدينة وما حولها الأكراد: انتشروا في الجبال، وفي بعض السهول، فعاشوا مع العرب في اتفاق ووئام، خاصة بعد اعتناقهم الدين الاسلامي، فاندمجوا في المجتمع الاسلامي، وساهموا في العلم والأدب والحرب.

والآشوريون: الذين نزحوا من جزيرة العرب، وكان لهم شأن في التاريخ، وبعد انقراض دولتهم، اندمجوا مع اخوانهم العرب بالزواج والثقافة، واعتنقوا الدين الاسلامي – بعد الفتح –.

والجرامقة: وقد اختلف المؤرخون في أصلهم: فيذكر الجواليقي عنهم: قوم بالموصل اصلهم من العجم[3] ويذكر ابن العبري[4] أن أصلهم من الفرس، بينما يذكر ابن سعيد المغربي: أنهم من بقايا الاشوريين[5]. ولم يبق لهم ذكر بعد الفتح الاسلامي، اعتنقوا الدين الحنيف، وتكلموا العربية.

---

(1) الازدي: 86 – 93.

(2) صورة الارض: 195.

(3) المعرب من الكلام الاعجمي – مصر 1389 (ص: 94).

(4) تاريخ مختصر الدول: 131.

(1) صبح الاعشى: 1: 367.

إن أكثر هذه الاقليات: اعتنقوا الاسلام، وأقبلوا على اللغة العربية واستعملوا كتابتها، وشاركوا في النهضة العلمية، بما أَلَّفوه في التراث العربي.

اسمها

سكن العرب الموصل وبلاد الجزيرة قبل الميلاد – كما قدمنا – واقدم ما وقفنا عليه عن اسمها ما ذكره زنفون 444 – 493 ق م باسم موسيلا Muselio وهو

اسم عربي مشتق من الوصل، أطلقه عليها سكانها الذين مصروها، ذلك لوقوعها على ملتقى طرق تصل بين اقطار مختلفة[1].

وكان العرب يطلقون اسم الموصل على الحصنين – الشرقي والغربي – قال عبدالله بن سيده الحرشي[2]:

أو جَرمْقيـــان باتـــا يرطفـــان لـــه أدنـــى ديارهمـــا الحصـــنين أو بلـــد

كما كانوا يقولون عن الموصل وبلاد الجزيرة – الموصلان – قال رجل من طي:

وبصـــرة الأزد منـــا والعـــراق لنـــا والموصـــلان ومنـــا الحـــل والحـــرم

كما قالوا البصرتان عن البصرة والكوفة[3].

وتسمى الموصل: أم الربيعين، لأن فصل الخريف فيها يشبه الربيع.

ويقول ياقوت: وتسمى الموصل الحدباء، لاحتداب في دجلتها، واعوجاج في جريانها[4] ونجد ذكر هذا في أقوال الشعراء. قال أبو الحزم مكي بن ريان الماكسيني الموصلي المتوفى سنة 603هـ[5]:

وقد أضحت لي الحدباء داراً وأهـــل مـــودتي بلـــوى العقيـــق

ويقول ابن عنين المتوفى سنة 630هـ:

سقى الله صوب الغوطتين ولا ارتوت
من الموصل الحدباء إلاّ قبورها

---

(1) طه باقر: 2: 242، معجم البلدان: 8: 196.

(2) البكري: 71، 341

(3)، (2) تاريخ الازدي: 226 – 227، معجم البلدان: 8: 196.

(4) ابن خلكان: 1: 123، 2: 121.

(5) معجم البلدان: 8: 197، الحوادث الجامعة: 414.

(1) تاريخ الازدي: 332 – 333

وتسمى أيضاً الفيحاء: لجمال ربيعها وكثرة أزهارها، قال السري الرفاء الموصلي المتوفى سنة 360هـ:

سقى ربا الموصل الفيحاء من بلد جود من المزن يحكى جود أهليها

ويقول ابن أبي الحديد المدائني المتوفى سنة 655هـ[1].

والموصل الفيحاء مات جماعة فيها مع الغرباء في إطلالها

ويسميها بعضهم البيضاء: لأن دورها مبنية بالجص والرخام. قال الشاعر يرثى مالك بن أشقر الازدي الذي قتل في وقعة الميدان في الموصل سنة 198هـ مع تغلب[2]:

أليس أبو الصخر فتى الموت مالك فتى الرمح والسيف الحسام المصلب
عن الموصل البيضاء قد رَدَّ تغلباً وقد أشرفوا منها على شر مرقب

ويذكر المقدسي أن العرب كانوا يسمون الموصل "خولان" ولم نعثر على ذكر لهذا في غير كتابه.

وكان الفرس يسمونها "نواردشير" ذلك لأن أردشير الاول 224 – 241م جدد عمارة الحصن[3].

ويسمي بعض الكتبة من النصارى الحصن الغربي "حصنا عبرايا" أي الحصن العبوري تمييزاً له عن الحصن الشرقي – فوق تل التوبة – الذي كانوا يعبرون منه الى الحصن الغربي.

الموصل

---

(2) أحسن التقاسيم: 136.

(3) جاء في الاخبار الطوال: أن أردشير شيد في بلاده ست مدائن ومنها الموصل ويسميها "خرزا اردشير".

في عهد الخلفاء الراشدين

16 – 40هـ

637 – 660م

موقعة تكريت، فتح الموصل، تمصيرها، هجرة القبائل العربية اليها، ولاة الموصل في هذا الدور

في سنة 16هـ = 637م، انتصر سعد بن أبي وقاص على الفرس في القادسية، وداوم في زحفه الى المدائن، ودخل عاصمتهم، فلاذوا بالفرار الى الجبال الشرقية، ورأى سعد بعد هذا:

1- أن يعقب فلول الفرس ويقضي على نفوذهم في العراق قبل أن يتجمعوا ويعيدوا الكرة على المسلمين، ومن الحزم أن يستولي على النقاط الاستراتيجية والطرق المهمة التي تؤدي الى العراق، فيقطع صلتهم مع هذه البلاد.

2- أن يحتل بلاد الجزيرة ومجرى الفرات، ويضم العرب – سكان البلاد – الى جيش المسلمين، لأن المستعمرين كانوا يجندونهم ويسخرونهم في حروبهم التي كانت في الجزيرة وسورية والعراق، وباستيلائه على هذه البلاد يكون قد كسب قوة جديدة، وأضعف جيش العدو في الهلال الخصيب.

وعلى هذا فانه جهز أربع حملات لهذه الغاية:

1- حملة تتوجه الى قصر شيرين – جلولاء – بقيادة هشام بن عتبة، وكان الفرس قد جمعوا ما أمكنهم من جيش، وخندقوا فيها، فباغتهم المسلمون بقيادة "القعقاع بن عمرو" مع ثلة من الجيش، وفتكوا بهم وعقبوهم إلى حلوان، فتركها الملك "يزدجرد وبذا سيطر المسلمون على طريق رئيسي يؤدي الى أذربيجان والجبال وإلى بلاد فارس، وقطعوهم عن العراق[1].

2- حملة ثانية بقيادة "ضرار بن الخطاب" تزحف على "ماسبذان" فسار اليها وافتتحها وأمن أهلها، وعزل الفرس عن العراق، فكان تحت أيدي المسلمين المواقع الحصينة والطرق المهمة التي تؤدي اليه[2].

3- حملة تذهب إلى هيت بقيادة "عمرو بن مالك" فسار إليها وافتتحها، وداوم في سيره الى قرقيسيا"، فكان مجرى الفرات تحت حكم المسلمين.

4- حملة تتوجه إلى تكريت ومنها الى الموصل، وكانت بقيادة "عبدالله بن المعتم" وتتألف من خمسة آلاف مقاتل.

كان على مقدمة الحملة "ربعي بن الافكل العنزي"، وعلى ميمنتها "الحارث بن حسان الذهلي" وعلى ميسرتها "فرات بن حيان العجلي" وعلى ساقتها "هاني بن

---

(1)، (2) معجم البلدان: 7: 102، 363 – 364.

قيس" وعلى الخيل "عرفجة بن هرثمة البارقي"، ووصل الجيش تكريت بعد مسير أربعة أيام من المدائن[1].

وكان "الانطاق" قائد الروم قد خرج من الموصل إلى تكريت ليصد المسلمين عنها، وجمع ما أمكنه من الروم ومن القبائل العربية: أياد وتغلب والنمر والشهارجة، وخندق بجيشه في تكريت.

التقى الجيشان... فلمن ستكون الغلبة؟ جيش المسلمين قائدهم الايمان، ورائدهم الصدق، وهدفهم إعلاء كلمة الله، ونشر الحق والاسلام بين الناس، ولا يصدهم عن إيمانهم القوي أحد، فهم يطلبون الشهادة أو نصرة الحق.

أما جيش الروم فكان يتألف من الروم وبعض القبائل العربية خرجت معهم إما راغبة في غنيمة أو راهبة من بطشهم.

أرسل عبدالله بن المعتم العيون، يستطلع حالة العدو، ولما علم بالقبائل العربية التي معهم، أخذ يستميلهم ويمنيهم، وقد أفلح في هذا، فأقبلت جماعة منهم وأخبروه بصدقهم معه ومساعدتهم لاخوانهم، وطلبوا منه الأمان لهم وللعرب القاطنين في هذه الديار، وأراد عبدالله أن يتأكد من صدقهم واخلاصهم، فقال لهم: إن كنتم صادقين فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقروا بما جاء به من عند الله، ثم أعلمونا رأيكم.

رجع الرسل إلى قبائلهم، وعرضوا عليهم الأمر، فقبلوه وأعادوا رسلهم الى عبدالله يؤكدون له إخلاصهم وصدقهم، ويرحبون بقدومهم وتخليصهم مما هم عليه، وصاروا يطلعون المسلمين على أمور جيش العدو.

بعد أن تأكد عبدالله من صدق القبائل العربية، دبر معهم خطة الهجوم على جيش الروم: يهجم المسلمون على المدينة من جهة البر، وتهجم القبائل العربية من جهة النهر. وتحفظ الأبواب، وتمنع الروم من الإفلات. وكان المسلمون قد أحاطوا بالمدينة من جهة البر، وشددوا الخناق عليها مدة أربعين يوماً، تزاحفوا بها 24 زحفة، وكانت كفة المسلمين هي الراجحة وأضعفت قوة الروم.

---

(1) أنظر عن فتح تكريت والموصل: الطبري: 4: 186 – 187، الكامل: 2: 221 – 222.

هجم عبدالله بن المعتم على جيش الانطاق من جهة البر، ورأى الروم أن لا قدرة لهم بمقاومة جيش المسلمين، وكانوا معتمدين على الطريق النهري للخلاص بأموالهم وأنفسهم عند التقهقر، فعزموا على النزول إلى النهر، والانحدار بسفنهم، ولكن القبائل العربية كانت قد وقفت من جهة النهر، ولزمت الأبواب التي تؤدي اليه، ولما كبروا إيذاناً بالهجوم – وذلك على إثر تكبير المسلمين – ظن الروم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم، فذعروا وارتبك أمرهم فانهزموا إلى جهة الأبواب التي عليها المسلمون، فاستقبلهم جيش المسلمين بسيوفهم، كما أن القبائل العربية كانت تضربهم من الوراء. وقضوا عليهم، فكانت تكريت بيد المسلمين سنة (16هـ = 637م). وغنم المسلمون من الروم مغانم كثيرة، فكان نصيب الفارس منهم 3000 درهم، ونصيب الراجل ألف درهم.

وبعد هذا سير عبدالله بن المعتم جيشاً إلى الموصل بقيادة "ربعي بن الأفكل العنزي"، ومعه القبائل العربية التي انضمت إلى المسلمين في تكريت، وذلك لما لاقوه من حسن معاملة المسلمين الفاتحين، وطمعاً في تخليص إخوانهم من حكم الروم.

وأوصى عبدالله بن المعتم قائد الحملة التي أرسلها مع ربعي بن الأفكل العنزي، أن يجد السير ويسرع في احتلال الموصل.

ولم يلاقِ هذا الجيش مقاومة في طريقه، لأن سكان البلاد كانوا مع الجيش الفاتح، وسارت القبائل العربية: تغلب وأياد والنمر، أمام الجيش يمهدون له الطريق.

ومن زعمائهم الذين اشتركوا في الحملة: (عتبة بن الوعل) أحد أبناء سعد بن جشم، و (ذو القرط) و (أبو وداعة بن أبي كرب)، و (ابن ذي السنية قتيل الكلاب)، و (ابن الحجير الأيادي)، و (بشر بن أبي حوط)، فكانوا يسيرون متساندين.

دبر ربعي خطة الفتح مع القبائل العربية: بأن يسبقوا الجيش ويذهبوا الى أهل الحصنين، يظهرون لهم انهزام المسلمين وظفرهم عليهم في تكريت، ولما يدخلوا الحصنين يلزمون أبوابها، فيدخل المسلمون من غير مقاومة.

وأول من دخل الحصن الغربي (الموصل) هو: عتبة بن الوعل، فادعى بالظفر والنفل والقفل – الرجوع – ثم ذو القرط، ثم ابن ذي السنية، ثم ابن الحجير الأيادي ثم بشر بن أبي دوط، ووقفوا بالأبواب وقد أخذوا بها، ثم أتت سرعان خيل ربعي، فاحتلوا الحصن من دون مقاومة.

ثم جاء (عبدالله بن المعتم) إلى الموصل، فأقر الصلح مع الذين صالحهم (ربعي بن الافكل العنزي)، ودعا من هرب منهم، فرجعوا إلى ديارهم آمنين مطمئنين، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة، وولي على الموصل ربعي بن الأفكل العنزي، وعلى حربها عرفجة بن هرثمة البارقي[1].

وتولى الموصل بعد ربعي (عتبة بن فرقد السلمي)[2]، وكان من الولاة المحبين للاصلاح، فبنى المسجد الجامع سنة (17هـ = 638م)، وبنى الى جانبه دار الإمارة، وعين منازل لبعض العرب النازحين الى الموصل.

وفي سنة (22هـ = 642م) سار إلى أذربيجان وفتحها، وتولى أمرها.

وعين الفاروق (عرفجة بن هرثمة البارقي) على الموصل سنة (22هـ = 642م)، وكان هذا من رجال الحرب[3]. والادارة، ونزح معه إلى الموصل من القبائل: الأزد، وطي، وكندة، وعبد قيس، وصارت الهجرة إلى الموصل مستمرة، فخطط عرفجة منازل العرب المقيمين فيها والنازحين اليها، وثبت خطط القبائل فيها، فتوسعت المدينة، وكثر سكانها، وضاق المسجد الذي بناه عتبة بن فرقد بالمصلين، فوسعه عرفجة بن هرثمة.

واستمرت الموصل بالتوسع بنزوح القبائل العربية اليها، وما لاقاه سكانها – العرب وغيرهم – من حسن معاملة المسلمين الفاتحين.

وفي خلافة ذي النورين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) تولى الموصل (حكيم ابن سلام الحزامي) سنة (34هـ = 654م)، وسار على خطة عرفجة في توطين العرب

---

(1) الخراج لأبي يوسف: 49، الكامل: 2: 222، الاصابة: 4: 235.

(2) الطبري: 4: 255، الاصابة: 4: 216، أسد الغابة: 3: 401.

(1) الاصابة: 4: 435، الكامل: 3: 16. جمهرة انساب العرب: 367.

النازحين[1]، ولما تولى الخلافة الامام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ولى على الموصل (معقل بن قيس الرياحي) فوطد له الأمر في بلاد الجزيرة، وزادت هجرة القبائل إلى الموصل من الكوفة والبصرة[2].

ثم سار إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي قبل معركة صفين – التي كانت سنة (37هـ = 657م) – فاستولى على بلاد الجزيرة والموصل وديار بكر وهيت وعانات وبعض بلاد الشام[3].

وفي سنة (39هـ = 609م) ولي الإمام علي (كرم الله وجهه) عبدالرحمن الخثعمي على الموصل، فتصدى له التغلبيون وقتلوه، قبل أن يدخل الموصل[4].

وفي سنة (40هـ = 610م) قتل الإمام علي (كرم الله وجهه) وانتهى دور الخلفاء الراشدين، والموصل في توسع وازدهار، لما لاقته من اهتمام الخلفاء بها، وخاصة الفاروق (ﷺ)، فإنه رأى ما للموصل من موقع خطير، فهي تقع على ملتقى طرق تصل بين جناحي الهلال الخصيب، ومنها الى أرمينية وأذربيجان، فجعلها من ثغور الكوفة الأربعة: حلوان، وماسبذان، وقرقيسيا، والموصل، واتخذ فيها احد الاجناد الستة التي جندها في البلاد المهمة، وكانت تابعة للكوفة[5]. ومنها خرجت الجيوش الى أذربيجان وأرمينية وشهرزور، والصامغان، كما خرجت منها الجيوش إلى بلاد الجزيرة والشام، وساعدت المسلمين في فتح البلاد، وفي خلافة عثمان بن عفان (ﷺ) عزز جند الموصل، فأضاف إليه (4000 مقاتل) وجعل عليهم عرفجة بن هرثمة البارقي الذي كان يتولى الموصل – حربها وخراجها – ونظم إدارتها وخططها[6].

إن المسلمين كانوا محررين للبلاد التي فتحوها ومنها الموصل، فإنهم لم يعاملوا السكان معاملة الغالب للمغلوب – كما كان عليه القياصرة والأكاسرة –

---

(1) الكامل: 3: 61، ابن خلدون: 2: 392.
(2) الاخبار الطوال: 169، مسكويه: 1: 571.
(3) الاخبار الطوال: 156.
(4) الكامل: 2: 193.
(5) – ابن خلدون: 2: 342، أسد الغابة: 3: 366.
(6) – الاصابة: 4: 435، أسد الغابة: 3: 401.

فأزالوا نظام الطبقات بين الناس، وجعلوهم طبقة واحدة، لا فرق بين سيد ومسود، كلهم شركاء في البلد، ولهم حرية العمل والتصرف بما يملكون وما يعبدون.

وكانت الضرائب التي وضعوها على السكان زهيدة، فقد عين (عياض ابن غنم) ما يدفعه الفرد من أهل الجزيرة – ومنها الموصل – فعلى كل جمجمة: دينار، ومداً قمح، وقسطاً زيت، وقسطاً خل[1].

ولما زرع المسلمون وكثرت خيراتهم، فإن الفاروق خفف عن أهل الجزيرة، واقتصر على أن يدفع الغني 48 درهماً في السنة، ويدفع متوسط الحال 24 درهماً، ويدفع دون هذا 12 درهماً[2].

كان الروم والفرس يجندون أهل البلاد، ويرسلونهم الى ميادين القتال، يقتل بعضهم بعضاً، لا لغاية سامية وإنما لتثبيت عرش كسرى أو قيصر، وأن المسلمين لم يقسروا أهل الكتاب أو غيرهم على الجندية، بل اكتفوا منهم بجزية سنوية تؤخذ من البالغ القادر على الكسب وهي: مداً قمح[3]، وقسطان[×] من زيت، من البالغ القادر على الكسب – وهذا شيء زهيد بجانب ما كانوا يلاقونه من ويلات الحرب والقتل – فهم معفوون من الخدمة في الحرب، ولهم المنعة والذمة[4].

ولما رأى السكان حسن معاملة المسلمين، وسماحة دينهم الحنيف، وعنايته في معاملة الضعيف ورفع مستواه، وبإزالته نظام الطبقات، ليس لأحد فضل على أحد إلاّ بالعمل النافع، فأقبلوا يدخلون في هذا الدين السمح، ويسعون في نشره وتحرير إخوان لهم ذاقوا مرارة حكم جائر – قبل هذا – وانضموا إلى صفوف المسلمين الراغبين في أعلاء كلمة الله، واحقاق الحق، ويدافعون عن حقوق نبيلة اكتسبوها بعد عسف وذل كانوا عليه.

(1–4) الخراج لأبي يوسف: 49، فتوح البلدان: 182، معجم البلدان: 3: 99.

(×) المد: رطل وثلث الرطل، والرطل، اثنا عشر اوقية، والاوقية اربعون درهماً والدرهم يساوي 287 غرام والقسط نصف صاع، والصاع اربعة امداد (القاموس المحيط).

ولاة الموصل في عهد الخلفاء الراشدين
16 – 40هـ

سنة/ هـ		سنة/ هـ	في عهد
16	ربعي بن الأفكل العنزي (فتحها وتولى حربها)	13 – 23	الفاروق
	عرفجة بن هرثمة البارقي (على خراجها)		
17	عتبة بن فرقد السلمي (على الحرب والخراج)		الفاروق
22	عرفجة بن هرثمة البارقي (خطط الموصل) ثم أرسله الفاروق الى البصرة لمساعدة عتبة ابن غزوان		الفاروق
34	حكيم بن سلامة الحزامي	23 – 35	عثمان
	عرفجة بن هرثمة البارقي أعاده عثمان مع القبائل العربية		عثمان
35	معقل بن قيس الرياحي	35 – 40	علي
37	ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي		علي
39	عبدالرحمن الخثعمي (قتله التغالبة قبل ان يصل الموصل		علي
39	قيس بن سعد بن عبادة الانصاري		علي

الموصـــل

في العهـــد الامـــوي

40 – 132هـ

660 – 749م

Bulletin
Tome xx ll 1969

توطيد الحكم فيها، اشهر الولاة واصلاحاتهم: محمد بن مروان بن الحكم، سعيد بن عبدالملك، يحيى بن يحيى الغساني، الحر بن يوسف الاموي، مروان بن محمد

من القواد العظام عبدالله بن الحجاب الموصلي
انظر عن النقود التي ضربها (ص: 77...)

1- المسجد الجامع ودار الامارة	14- تل الكناسة
2- تل قليعات وفوقه بيعة بارقسرى	15- تل بني عبادة وفوقه مسجد عبادة
3- سوق سعيد ومسجد سعيد	16- سوق الطعام
4- قصر المنقوشة	17- التغالبة
5- سوق القتابين	18- حي خزرج
6- سوق الشعارين	19- حي ثقيف ومسجدهم
7- سوق الاربعاء	21- باب الجسر
8- سوق الحشيش	22- محلة اليهود
9- الجسر	23- باب القصابين
10- سوق الجسر	24- باب سنجار
11- مقابر قريش	25- شارع النهر
12- مقبرة عمرو بن الحمق الخزاعي	
13- مقبرة الخثعمي	

بعد مقتل الامام علي (كرم الله وجهه)، أرسل معاوية جيشاً إلى الجزيرة بقيادة (قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري)، وأقبل معاوية بجيش إلى الموصل، وكانت

كفته هي الراجحة فيها، خاصة بعد أن تنازل الإمام الحسن عن الخلافة سنة (40هـ = 660م)، فكانت الموصل تخضع لمعاوية[1].

وممن تولاها في عهد معاوية سنة (51هـ = 671م): عبدالرحمن بن عثمان الثقفي، ويعرف بابن أم الحكم – وهو ابن أخت معاوية – وكان من رجال بني أمية، ومنها غزا بلاد الروم في سنتي 53، 57هـ، ثم ولي الكوفة وبقي فيها إلى سنة (59هـ = 678م)[2]، وكانت الموصل في توسع لكثرة من هاجر إليها من القبائل، فنشطت فيها التجارة والزراعة والعمران، وبلغ خراجها أربعة ملايين درهم في السنة، وخراج الموصل وما يضاف إليها ويتصل بها (45) مليون درهم في السنة[3]، وهذا يدلنا على ما كانت عليه المدينة من التفوق في الإقتصاد، وما يتمتع أهلها من عيش رغيد، وسعة وأمن في الحياة.

وبعد وفاة معاوية تولى ابنه يزيد الخلافة (60 – 64هـ = 679 – 683م) على كره من بعض أبناء الصحابة، وكانت ثورة الإمام الحسين ابن الإمام علي (كرم الله وجهه) سنة (61هـ = 680م) ومصرعه في كربلاء، وثورة المدينة المنورة، ووقعة الحرة سنة (63هـ = 682م)، ثم ثورة عبدالله بن الزبير، وتوفي يزيد، وحركة ابن الزبير في توسع.

وفي خلافة مروان بن الحكم سنة (64 – 65هـ = 683 – 684م) وابنه عبدالملك من بعده (65 – 86هـ = 684 – 705م)، كثرت الثورات والمطالبة بالخلافة، فثار المختار بن أبي عبيد الثقفي في كربلاء سنة (66هـ = 685م)، وولي على الموصل (عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني)، وكان على الموصل إذ ذاك (محمد بن الاشعث) – عامل

ابن الزبير –، فانحدر إلى تكريت، فكتب إليه ابن الزبير يعنفه، ثم جاءه ابنه

---

(1) اليعقوبي: 2: 91.

(2) الكامل: 3: 164، 206، 211، 219، اليعقوبي: 2: 206.

عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، ونصحه بأن ينحدرا الى الكوفة، وانضما الى المختار الثقفي[1].

-2-

وفي سنة (67هـ - 686م) تنازع على الموصل المختار وعبيدالله بن زياد بن أبيه – عامل عبدالملك- فسير المختار إلى الموصل جيشاً بقيادة (يزيد بن أنس بن كلاب الأسدي) ومع أنه كان مريضاً فإنه كان يحرض جيشه على القتال، ويبعث فيهم الحماسة في الحرب، وانتصر على جيش ابن زياد الذي كان بقيادة (عبدالله بن حملة بن عبدالرحمن الخثعمي) في معركة باتلي - برطلة[×] – ومات يزيد الأسدي بعد المعركة، وخلفه في جيش المختار، ورقاء بن عازب الأسدي، وكان جباناً، فسحب جيشه ورجع الى المختار[2].

فأرسل المختار جيشاً بقيادة (إبراهيم بن مالك الاشتر النخعي) ، والتقى مع جيش عبدالملك بن مروان الذي كان بقيادة عبيدالله بن زياد في قرية (بار بيثا)[3] على الخازر، وكان جيش ابن زياد مؤلفاً من (80) ألف مقاتل.

واستمال ابن الاشتر (عمير بن الحباب السلمي) – وهو قيسي – كان قد خذل قومه في مرج راهط – فانضم اليه، وأعلمه بضعف جيش ابن زياد وتخاذله.

وكان ابن الاشتر من رجال العرب دهاء وتدبيراً واحكاماً في الحرب، شجاعاً لا يرهب أحداً، يهجم أمام جيشه.

وفي صباح احد الايام، علم أن جيش ابن زياد على غير استعداد فعبأ جيشه، وخطب فيهم، وحثهم على الهجوم، وهجم أمامهم، وفتكوا بجيش ابن زياد في عاشوراء سنة 67هـ، وقتل ابن زياد، وأرسل رأسه إلى المختار في الكوفة، ثم

---

(1) اليعقوبي: 2: 208.
(2) أنساب الاشراف: 5: 229 – 233 – 250.
(×) تبعد عن شرقي الموصل قرابة عشرين كيلومتراً وهي قصبة كبيرة.
(3) في الاخبار الطوال (ماريثا).

زحف الى الموصل واستولى عليها، وأقام والياً على الموصل وأرمينية. وانفذ عماله الى البلاد التي استولى عليها[1].

- 3 -

وفي سنة (67هـ = 686م) ولي عبدالله بن الزبير أخاه مصعباً على البصرة، وكان من أبطال المسلمين ورجالهم، فزحف إلى الكوفة وقتل المختار في حروراء[×] في (14 رمضان من سنة 67هـ) وقضى على حركته، وصار العراق كله تابعاً لابن الزبير[2].

وأراد مصعب ان يستفيد من ابراهيم بن الأشتر، فكتب إليه يدعوه إلى طاعته، ومبايعة أخيه عبدالله بن الزبير، فقدم إليه ابراهيم إلى الكوفة، وولّى مصعب مكانه (المهلب بن أبي صفرة سنة 68هـ 687م).

ثم استدعى المهلب لحرب الأزارقة، وأعاد ابراهيم بن الأشتر إلى ماكان عليه في الموصل وأرمينية، ولما علم مصعب أن عبدالملك بن مروان يريد العراق، استقدم ابراهيم بن الأشتر وولاه مقدمة جيشه[3] وكان عبدالملك بن مروان قد أرسل لحرب مصعب بن الزبير أخاه (أبا عبدالرحمن محمد بن مروان بن الحكم)، وهذا من أشد ولد مروان وأشجعهم في حسن الخلق، ومع أن عبدالملك كان يحسده ويحذر منه، فانه كان يستعين به في الملمات، فضرب بن مصعب بن الزبير، ولما سيره اليه قال عبدالملك للجيش: "قد استعملت عليكم سيد الناس محمد بن مروان أخي ونصيحي". فسار محمد، وقتل مصعب بن الزبير وابراهيم بن الأشتر في واقعة (مسكن)[×] في جمادى الاولى سنة 72هـ = 691م[1].

(1-2) الاخبار الطوال: 289، 296 – 300، التنبيه والاشراف: 270، انساب الاشراف 5: 255. الكامل: 4: 108، 112، 217.

(×) تبعد عن شرقي الموصل قرابة عشرين كيلومتر وهي قصبة كبيرة.

(3) أنساب الاشراف: 5: 186، 335، 351.

(×) موضع قريب من اوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، فيها قبر مصعب بن الزبير (معجم البلدان: 8: 54).

وفي سنة (73هـ = 692م)، قضى الحجاج بن يوسف الثقفي على ثورة عبدالله بن الزبير وقتله، فصار العراق والحجاز لعبدالملك بن مروان.

– 4 –

تولى محمد بن مروان: الجزيرة، وأرمينية وأذربيجان، وكان أحد أركان دولة عبدالملك، ولما أراد الوليد عزله، طلب من يسد مكانه، فلم يقدم عليه أحد إلاّ مسلمة بن عبدالملك.[2].

وبعد أن انتهى محمد بن مروان من توطيد الأمر في العراق بقضائه على مصعب بن الزبير، عزم على غزو بلاد الروم، وفاتح أخاه الخليفة عبدالملك بن مروان بالأمر، ولكن عبدالملك أراد أن يستفيد منه في توطيد حكمه في بلاد الجزيرة ومايجاورها، فولاه الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية، ولم يكف محمد عن غزو بلاد الروم، فبعد أن وطّد الحكم في البلاد التي تولاها غزا بلاد الروم سنة 75هـ = 694م) وفتك بهم، وصار يعرف بصاحب الجزيرة والثغور.

ومن اصلاحاته في الموصل، وسع سور الموصل في الأماكن التي امتدت اليها العمارة، وذلك في سنة (80هـ = 699م)، ونقل إلى الموصل الأزد وربيعة من البصرة، وعين خططهم ومنازلهم[3].

– 5 –

وتولى الموصل سعيد بن عبد الملك، وذلك عندما كان عمه يتولى البلاد الجزرية والثغور، وتفرغ سعيد لادارة الموصل والعناية بها، وكان محباً للخير والاصلاح، عفيفاً عن أموال الناس، متألهاً زاهداً، فكانوا يسمونه (سعيد الخير).

---

(1) وفي هذه المعركة غنم محمد جارية كردية كانت لابراهيم بن الاشتر النخعي، فتزوجها فولدت له مروان بن محمد – آخر خلفاء بني أمية، فكانوا يسمونه: ابن أمة النخع – انساب الاشراف: 5: 351.

(2) الكامل: 5: 28.

(3) انظر عن محمد بن مروان: أنساب الاشراف: 5: 185 – 186، اليعقوبي: 3: 17، المعارف 175، جمهرة أنساب العرب: 186.

ولما تولى الموصل سعى في تنظيم خططها وشوارعها، فرصف طرقها بالحجارة، وبنى بها سوقاً عرف بـ (سوق سعيد)، كما أنشأ مسجداً عرف بـ (مسجد عبيدة) نسبة الى مؤذن فيه اسمه عبيدة، واهتم في إكمال بناء سور الموصل وتوسيعه، وهو الذي هدمه هارون الرشيد سنة 177هـ (793م).

ومن اثاره ظاهر الموصل، بنى (دير سعيد لطبيبه النصراني الذي كان قد عالجه من مرض أصابه، وينسب اليه (نهر سعيد) دون الرقة من ديار مضر، كان محله غيظة ذات سباع، فأقطعه اياها اخوه الوليد بن عبد الملك فحفر النهر وقطع ماحوله، وعمر ماهناك، فكان من اقصى مناطق الزراعة، وسكن فيه بعد اعتزاله ادارة الموصل.

– 6 –

كانت ولاية سعيد الخير على الموصل كلها خيراً ورفاهاً وبقي فيها الى أن عزله عنها عمر بن عبدالعزيز عندما تولى الخلافة سنة 101هـ 719م، فكتب اليه: سلم الموصل الى يحيى بن يحيى الغساني وأقدم[1].

وسكن الموصل من الخلفاء الأمويين هشام بن عبدالملك – قبل ان يلي الخلافة – فاشترى في قطائع بني وائل جزيرة كانت لقوم يعرفون ببني (بريضة) "لما ولاني عمر بن عبدالعزيز الموصل، قدمتها، فوجدتها من أكبر البلاد سرقاً ونقبا، فكتبت إلى عمر، أعلمه حال البلد واسأله آخذ من الناس بالمظنة، وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة، وما جرت عليه عادة الناس، فكتب إليّ: أن آخذ

---

(1) انظر عن سعيد، فتوح البلدان: 183 – 328، المعارف: 157، نسب قريش: 165، الكامل: 6: 50 – 55، تاريخ ابن عساكر: 6: 153 – 154، معجم البلدان: 8: 341، المشترك: 426

انظر عن نهر سعيد: الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر ص: 116، 315، 382.

نهر سعيد بن عبدالملك الذي على الفرات، وكان عنفته فيها سعانج فاعطاه اياها فغمرها فهي نهر سعيد (284. الاموال).

الناس بالبينة، وما جرت عليه السنة، فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله، قال: ففعلت ذلك، فما خرجت من الموصل حتى كانت أصلح البلاد سرقاً ونقبا[1].

وفي سنة (102هـ = 720م) ولى الخليفة يزيد بن عبدالملك مروان ابن محمد الموصل، وسبب ذلك على ما ذكره الازدي:

– 7 –

"أن يزيد بن عبدالملك عزل مسلمة بن عبدالملك عن الجزيرة وأذربيجان، وولى مكانه عمر بن هبيرة الفزاري، فغزا هذا أرمينية، وفتح فتحاً عظيماً، ووجه البشارة والرسالة مع مروان بن محمد إلى الخليفة يزيد، فغضب بنو أمية وقالوا: فزاري يحمِّل البشارة والرسالة رجلاً منا؟ فولاه يزيد مكانه الموصل فعاد أميراً.

وبقي مروان بن محمد يتولى الموصل وأعمالها والجزيرة بأجمعها إلى سنة (105هـ = 723م) وهو ما كان يتولاه أبوه محمد بن مروان في خلافة عبدالملك وابنه الوليد من بعده[2].

– 8 –

ومن الولاة الذين خدموا الموصل "الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموي" كان يتولى مصر، وعلى خراجها عبيدالله بن الحبحاب السلولي الموصلي، ووقعت مغاضبة بينه وبين ابن الحبحاب الذي كان ينظم خراج مصر، فسافر الحر إلى الخليفة هشام بن عبدالملك، يشكو إليه أمر ابن الحبحاب، والخليفة هشام يعلم دهاء ابن الحبحاب وحسن تدبيره، فأبقاه في مصر، وولى الحر الموصل سنة (106هـ = 724م) وكان الحر من أجل امراء بني أمية، شجاعة وكرماً وسؤدداً، فاستقلت أخت الحر (أم حكيم) زوجة الخليفة هشام بن عبدالملك إمارة الموصل، وقالت لزوجها تعاتبه: تولي أخي الموصل؟، وهشام – كما نعلم – كان قد سكن الموصل، ويعلم أهميتها وما فيها من قبائل عربية كريمة، فقال لزوجته: يا بنت

---

(1) الخراج لابي يوسف: 49، تاريخ الازدي حوادث سنة 101، حلية الاولياء: 5: 271 وتوفي يحيى في الموصل سنة 135.

(2) تاريخ الازدي حوادث سنة 102– 105، جمهرة أنساب العرب : 101، الكامل: 5: 53، 95.

يحيى، أما يرضى أخوك أن يصلي خلفه الهراثمة؟ أي أولاد عرفجة بن هرثمة البارقي.

وأول عمل قام به في الموصل: بنى قصراً جميلاً، اتخذه داراً لسكناه، ودار إمارة، وعني في زخرفتها وتزويقها، فكانت تسمى المنقوشة[1]، وكانت كبيرة واسعة، تقع في سوق القتابين إلى الشارع المعروف بالشعارين إلى سوق الأربعاء، الى سوق الحشيش[2]، وكانت منقوشة بالفصوص الملونة والفسافس والساج المزخرف، وبلط مرافقها بالرخام، ابتدأ بعمارتها سنة (106هـ = 724م)، وسكنها سنة 107هـ على ماجاء في سبب حفر النهر المكشوف في الموصل، وبقيت آثارها شاخصة الى القرن السابع للهجرة.

ذكر عنها ابن الأثير المتوفى سنة 630هـ: "أما الآن فهي تجاور سوق الأربعاء[3]،" وكانت المنقوشة ظاهر السور الذي بناه سعيد بن عبدالملك في الموصل.

ذكر أبو زكريا الأزدي في حوادث سنة 133هـ = 750م عند كلامه عن قتل العباسيين أهل الموصل، قال: "وفيها قلد أبو العباس السفاح أخاه يحيى بن محمد الموصل، وقدمها من الكوفة، وكان محمد بن صول والياً قبله، فأقام معه، وقدم الموصل ومعه اثنا عشر ألف فارس، فنزل قصر الأمارة الملاصق للمسجد الجامع، وأمر محمد بن صول فنزل قصر الحر ابن يوسف – وهو المنقوشة – ونهاه عن النزول في نفس المدينة، ودخول سورها، وعلى هذا فقد كانت المنقوشة ظاهر سور الموصل.

ومن أعماله الجليلة التي انعش بها الموصل، وقدم لها أجل الخدمات، هو توفير الماء للسكان، بأن شق نهراً من دجلة، وأجرى ماءه الى الموصل.

---

(1) انظر عنها: تاريخ الموصل للأزدي، حوادث سنة 106هـ، 107هـ، 135هـ، الكامل: 5: 53 النجوم الزاهرة: 1: 259، مختصر تاريخ العرب: 168، سومر: المجلد السابع العدد الثاني: 229 – 230.

(2) سنعرض للتعريف بها بعد هذا.

(3) الكامل: 5: 53.

كان نهر دجلة بعيداً عن المدينة، يجري تحت سور نينوى[×] ويلاقي السكان مشقة في نقل الماء. وفي أحد الأيام من سنة 107هـ، كان الحر جالساً في قصره المنقوشة، ينظر في مناظر له، فرأى امرأة تحمل جرة فيها ماء، وهي تحملها ساعة وتضعها ساعة تستريح قليلاً، لبعد الماء عن البلد، فسأل عنها، فقيل: امرأة حامل وقد جاءت بها من دجلة، وقد أجهدها حملها، فاستعظم ذلك وآثر في نفسه.

فجمع أهل الخبرة والهندسة، وكلفهم بدراسة شق نهر يأخذ ماءه من دجلة، ويجري إلى الموصل، وبعد دراسة الموضوع أعلموه أن مثل هذا العمل يكلف نفقة باهظة وعملاً متواصلاً يستغرق عدة سنين، فرفع الأمر إلى الخليفة هشام، وأعلمه مايعانيه أهل البلد من مشقة في نقل الماء، وأنه يمكن شق نهر يأخذ ماءه من دجلة إلى البلد، فيستريح السكان، وبين له ما يحتاجه النهر من نفقة ومدة طويلة، والخليفة هشام كان قد سكن الموصل، وتمتع بخيراتها الكثيرة، ومناخها الجميل، فدفعه حنوه على أم الربيعين أن يوافق على هذا المشروع، وأن ينفق عليه ما يحتاجه من خراج الموصل، وأن لا يحمل إليه شيئاً من خراجها حتى يتم حفر النهر.

وفي سنة (108هـ = 726م) ابتدأ الحر في حفر النهر، جمع الصناع وأهل الهندسة، واتخذ الآلات اللازمة للعمل[1]، وهو لا يستكثر شيئاً إلا أطلقه فيه، وذكروا أنه كان يعمل في النهر خمسة آلاف رجل، وبقي العمل مستمراً بجد ونشاط الى سنة (113هـ = 731م)، والحر ينفق واردات الموصل على هذا المشروع، وحفر القسم الكبير منه. وفي هذه السنة كتب إليه الخليفة هشام أن يضاعف الجهد في حفر النهر، وألاّ يقصر في النفقة عليه مهما كلف الامر،

(×) وأن أحد أبواب مدينة نينوى هو باب مشكى أي باب المسقى او السقاة: وقد استظهرته مديرية الاثار العامة سنة 1968م وصانت جوانبه والابراج التي كانت قريبة منه.

(1) انظر عن نهر الحر: تاريخ الموصل للازدي، حوادث سنة 108 – 121هـ، أحسن التقاسيم: 139 صورة الارض: 194، الكامل: 5: 70، 95 – 96.

ولكن المنية عاجلت الحر قبل ان يتم العمل، فتوفي في آخر هذه السنة[1]، فتولى الموصل ابنه يحيى، ولم يحسن ادارتها فعزله الخليفة هشام، وعين على الموصل الوليد بن تليد العبسي سنة (114هـ = 732م)، وأمره ان يجد في حفر النهر، وأن يزيد في العمل وصرف الاموال، واستمر العمل به الى سنة (121هـ = 738م) حيث فرغ الوليد بن تليد من حفره، وبلغت النفقة عليه ثمانية ملايين درهم.

وكان الخليفة هشام قد أمر الوليد بن تليد سنة (115هـ = 733م) أن يعمل على النهر عشرين رحا، يوقف ريعها على نفقة النهر، ولكن الوليد جعل عليه ثمانية عشرة رحا للطحن[2]، ثم أنهم وزنوا سرعة جريان الماء الى الارحاء، ووزعوها على اشخاص يتولون إدامتها وصيانتها، وجمع وارداتها لصالح كري النهر وما يحتاجه: قعد الأشخاص في زورق، وطرحوا أمامهم في النهر لكل رجل جوزة، والجوازات تسير امامهم في سيب النهر، حتى خرجوا الى آخره، فجاءت كل جوزة ودخلت في سيب الرحا التي عملت لها. فتأكدوا من سرعة جريان ماء النهر وتوزيعه على سيب كل رحا، وتخليداً لذكرى من كان له الفضل في جريان هذا النهر أطلقوا عليه اسم "نهر الحر بن يوسف"، واتخذوا شارعاً على شاطىء النهر، غرسوا على جانبيه الأشجار والرياحين، فكان أهل المدينة يقصدونه في الأماسي، يتمتعون برؤية النهر، وما يحف بجانبيه من أشجار، وسموا هذا الشارع "شارع النهر" – وهو أول كورنيش كان في الاسلام – ولما تولى العباسيون الموصل حاولوا أن يطمسوا آثار بني أمية وما قاموا به من أعمال، فأطلقوا على النهر "نهر زبيدة" لأن زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور ولدت في الموصل، في قصر أبيها جعفر المشرف على الربض الاسفل من المدينة، وبقي هذا النهر الى القرن الرابع الهجري على ماذكره المقدسي وابن حوقل.

أما مجرى النهر، فالذي نراه: أنه كان ينفصل عن دجلة قرب دير مار ميخائيل، ويجري محاذياً للتلول المشرفة على السهل المعروف بـ "حاوي الكنيسة" ويستمر إلى عين كبريت، فيأخذ مجراه الذي عليه دجلة اليوم، ويجري تحت البلد.

---

(2) توفي في ذي الحجة، ودفن بمقابر قريش، بأزاء داره المنقوشة.

(3) في الكامل: 5: 96: ثمانية أرحاء.

وفي سنة (122هـ – 739م) تولى الموصل أبو قحافة المزني – ابن أخي الوليد بن تليد العبسي – ولاه الخليفة هشام بن عبدالملك صلاة الموصل وحربها، وبقي فيها الى سنة 126هـ[1].

وفي سنة (126هـ – 743م) ولى الخليفة الوليد بن يزيد، مروان بن محمد بن مروان الموصل وأحداثها، والجزيرة وأرمينية وأذربيجان – وخليفته على أرمينية وأذربيجان عاصم بن عبدالله – وكان مروان قد اتخذ الموصل قاعدة لبلاد الجزيرة، ونقل إليها الدواوين، وجعلها من الامصار العظام، لتوسعها وكثرة سكانها، ووفرة خيراتها واهمية موقعها.

ولم يكن في الموصل جسر يسهّل الاتصال بين الجانبين، فيلاقي السكان مشقة في نقل حاصلاتهم وتجارتهم، فمد مروان جسراً على النهر، وكان هذا من الأعمال التي سهلت اتصال الجانبين مع بعضهما، فنشطت تجارتها، ووفرت حاصلاتها.

ونظر مروان في تخطيط المدينة، فنظّم طرقها ورصفها، كما وسع السور في المواقع التي امتدت اليها العمارة في البلد، وجدد ماكان قد تداعى منه.

وكان الجامع الذي بناه عتبة بن فرقد هو الجامع الوحيد في المدينة، والموصل في توسع مستمر، وكان يضيق بالمصلين، فهدم مروان الجامع ووسعه، وبناه جامعاً كبيراً، يتسع لأكثر من أحد عشر ألف شخص، وبنى فيه منارة، واتخذ فيه مقصورة يصلي بها أمير البلد. وبنى بجانب الجامع مطابخ يطبخ بها للفقراء في شهر رمضان – وهذا ماحمل بعض المؤرخين أن يقول: إن مروان بن محمد استحدث هذا الجامع، والحقيقة أنه لم يستحدثه، بل وسعه وجدد بناءه.

الخوارج

من القبائل التي تقطن بلاد الجزيرة والموصل هم بنو شيبان، كانوا يرون رأي الخوارج الصفرية، واستمرت ثوراتهم حتى القرن الثالث للهجرة. ومن بني شيبان

---

(1) تاريخ الازدي، حوادث سنة 122 – 126هـ، الكامل: 5: 129.

(شبيب بن يزيد الخارجي) نشأ بين قومه في مضارب الكوفة، فكان خطيباً مفوهّاً، بليغاً متفوقاً في الفروسية والكر والفر، وعلى جانب كبير من الشجاعة.

أمه جهيزة، من علماء الخوارج، فشب على هذه المبادىء، وكانت أمه ترافقه في حروبه، وتشترك معه في الكر والفر، قال الشاعر:

أم شـــبيب ولـــدت شـــبيبا هـــل تلـــد الذيبـــة إلاّ ذيبـــا

وكانت زوجته غزالة من مجتهدي الخوارج وأبطالهم، هجمت على الحجاج في إحدى المعارك، ففر أمامها، وكانت هذه الحادثة، مما يعير بها.

ومن ذلك ماقالته أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبدالملك: قاتل الله القائل حين نظر إليك، وسنان غزالة بين كتفيك:

اسد عليَّ وفي الحروب نعامة فدعاء تفزع من صفير الصافر
هلاّ كررت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس تركت مدابره كأمس الدابر[1]

انتقل شبيب إلى الموصل، وأخذ يبث دعوته بين قومه بني شيبان، وله من فصاحة لسانه، وقوة جنانه، وزهده في الحياة، وإيمانه بمبادئه خير مساعد، فلاقت دعوته نجاحاً كبيراً في بلاد الجزيرة.

وفي سنة 76هـ = 695م قصد مكة المكرمة ليؤدي فريضة الحج، ويجتمع بزعماء الخوارج، واتصل بصالح بن مسرح، وكان هذا قد تبعه أهل دارا[×] واتفقا على الثورة.

وكان الخليفة عبدالملك بن مروان في مكة المكرمة يؤدي فريضة الحج، فهم شبيب بقتله، ولكن الخليفة كان محتاطاً بحرس قوي، فكتب الى الحجاج – عامله على العراق – يأمره بأخذ شبيب عند عودته.

---

(1) الابيات لعمرو بن حطان الخارجي المتوفى سنة 89هـ.

(×) بلدة في لحف جبل نصيبين وماردين: (معجم البلدان: 4: 5).

اما شبيب فانه رجع الى بلاد الجزيرة، واتصل بصالح بن مسرح، وأعلنا الثورة، فجهز والي الموصل والجزيرة محمد بن مروان جيشاً لحربهم بقيادة عدي بن عدي، فهجموا على الجيش وفتكوا به، ثم أعقب هذا بجيش آخر، ولم يتمكن من القضاء عليهم، فانسحب الخوارج الى الموصل وتحصنوا فيها.

ثم أرسل الحجاج جيشاً قوياً بقيادة الحارث بن عميرة، سنة 76هـ (695م) وحاصرهم في قرية (المدبج)[1] فقتل صالح بن مسرح – رئيس الخوارج – وجرح شبيب، فانسحب الخوارج إلى حصن لهم، وحملوا معهم شبيباً – زعيم الحركة بعد صالح – وشدد جيش الحجاج عليهم الحصار، فاضطر الخوارج الى مهاجمته وفتكوا به، وغنموا كل ماكان معه.

لمع اسم شبيب في الحروب، وانضم اليه سلامة بن سنان التميمي الموصلي، وصار شبيب ينتقل مابين الموصل وبلاد الجزيرة واذربيجان، يبث دعوته[2].

أرسل الحجاج اليه ثلاثة جيوش، كان نصيبها الفشل والاندحار، لدهاء شبيب وجرأته واقدامه، وانه يكون أمام جيشه في المعارك، فقالوا عنه:

ان صاح يوماً حسبت الصخر والريح عاصفة والموج يلتطم

ثم بدا لشبيب ان يزحف الى الكوفة، ويهاجم الحجاج في عقر داره، فاستعد الحجاج كل الاستعداد، ولكن شبيباً دخل الكوفة غير هياب ولا وجل، فتحصن الحجاج منه في قصر الامارة، فتقدم شبيب الى باب القصر، وضربه ضربة تركت فيه اثراً بالغاً، وقال:

عبدٌ دعيٌّ من ثمود اصله لا بل يقال ابو ابيهم يقدم

---

(1) قرية بين الموصل والعراق (معجم البلدان: 7: 415).

(2) انظر عن شبيب: البيان والتبيين: 1: 99، العقد الفريد: 1: 60 – 61، الطبري: 7: 218 – 223، 245، 357، مروج الذهب: 2: 140، 173 – 174، عيون الاخبار: 1: 116، 169 – 170، الكامل: 163 – 179، ابن خلكان: 1: 223 – 224، النجوم الزاهرة: 1: 195 – 196، مجلة الجزيرة الموصلية: 1: 191 – 194، 226 – 230.

وحلفت غزالة – زوجة شبيب – أن تصلي ركعتين في مسجد الكوفة، تقرأ في الأولى سورة البقرة، وفي الثانية آل عمران، فبرت بقسمها، ودخلت الكوفة وصلت، فقالوا:

وفـــــت الغزالـــــة نـــــذرها يـــــا رب لا تغفـــــر لهـــــا

علم الحجاج أن معنويات جيشه قد خذلت أمام قوة شبيب، فكتب الى الخليفة عبدالملك يطلب جيشاً من الشام، وتولى قيادته بنفسه، فعبأ الجيش، وأوصاهم أن لا يهاجموا الخوارج، وأن يحذروا مباغتتهم، وقال لهم: "غضوا البصار، واجثوا على الركب، واستقبلوهم بأطراف الأسنة".

رتب شبيب أصحابه، ووقف هو في القلب، وهاجموا جيش الحجاج، فلم ينالوا منه شيئاً، وكانت غزالة بين المهاجمين، فقتلت في المعركة، فأمر الحجاج أن يطاف برأسها على جيشه – تشجيعاً لهم – ولكن شبيب هجم على جيش الحجاج، وأخذ رأس غزالة، وغسله ودفنه.

كان جيش العراق قد سد على الخوارج طرق الانسحاب، وأحاط بهم جيش الشام، فضاق الأمر بالخوارج، فأمرهم شبيب بالعبور إلى الجانب الثاني، وتخلف هو يحمي جيشه، ولما عزم على العبور زلق حصانه، فسقط شبيب في النهر وقال: "ليقضي الله أمراً كان مفعولا" – ولم يكن يحسن السباحة، فغرق ومات سنة (77هـ = 696م)، فاستراح الحجاج منه، على أن شبيباً وإن كان قد مات فإن الثورة لم تهدأ عند أتباعه، فكانوا يترقبون زعيماً يجمعهم ويسير بهم الى ساحة الجهاد.

وفي سنة (119هـ = 637م) خرج بهلول بن بشر الملقب "كُثارة" – وهو موصلي من قبيلة شيبان – سافر إلى الحج، واجتمع برؤوساء الخوارج ممن يرون رأيه، ولما عادوا اجتمعوا في إحدى قرى الموصل، وبايعوا بهلول، وكانوا يريدون الفتك بخالد القسري، فتوجه الى الكوفة وفتك بجيش خالد، ثم انسحب الى الموصل، فكتب الوليد بن تليد العبسي – عامل الموصل – الى الخليفة هشام بن عبدالملك، يستنجده، فأجابه الخليفة: بأن يسير اليهم كُثارة بن بشر، فأعلمه الوليد أن الخارج هو كُثارة – البهلول – فأرسل الخليفة جيشاً من الشام، وسير عامل

الجزيرة جنداً من الجزيرة، والتقوا مع الخوارج "بكحيل"[×] دون الموصل، ودافع الخوارج دفاعاً مجيداً، فقتل البهلول وخلفه عمرو اليشكري، فقتل فتولى أمرهم البختري – صاحب الأشهب – فوجه إليه خالد القسري جيشاً، فأسره ثم قتله[1].

وفي سنة (127هـ – 744م) بويع مروان بن محمد بالخلافة، فاستخلف أخاه عبدالعزيز بن مروان على الجزيرة، وأرسل القطران بن أكمه الشيباني والياً على الموصل.

وكانت البلاد في ثورات: في حمص وفلسطين، وسليمان بن هشام بن عبدالملك مع الضحّاك الخارجي، الذي استولى على الموصل. وبعد أن أخمد مروان ثورة حمص، قصد الضحّاك، والتقى معه في (كفر توثا)[××] فقتل الضحّاك، وتولى زعامة الخوارج (الخيبري) فقتله مروان، فولى الخوارج عليهم شيبان بن عبدالعزيز اليشكري، فقصد الموصل، وتحصن بها، ومعه أهل الموصل، وسليمان بن هشام بن عبدالملك، وتقاتلا على الموصل شهراً واحداً، ثم رحل عنها شيبان، وكانت الجيوش تطارده فقتله جلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي الأزدي سنة (134هـ = 751م)[2].

أما مروان فانه سار من الموصل إلى حران، ومنها إلى الزاب، وكانت نهاية خلافته في هذه المعركة.

هذه نبذة عن الخوارج – في الجزيرة والموصل – تكلمنا عنهم باختصار فيما له علاقة بتاريخ الموصل. فكانت دعوتهم تنشط كلما وجدت لها متنفساً، فيحاربون

([×]) الكحيل: مدينة على دجلة بين الزابين فوق تكريت كانت موجودة سنة 271، وذكر ياقوت عنها اما الآن – القرن السابع – فليس لهذه المدينة اثر ولا خبر، والكحيل موضع بالجزيرة (معجم البلدان: 7: 22).

(1) الكامل: 5: 82 – 84.

([××]) ذكر عنها ياقوت (7: 263) قرية كبيرة من اعمال الجزيرة، وهي بين دارا ورأس عين وذكر عنها الهروي في الزيارات: 64: بها شهداء لا يعرفون، وقرأت على منارتها مكتوباً سورة الاخلاص وتاريخ بنائها سنة 155هـ.

(2) الكامل: 5: 130، 142 – 143.

الدولة ويقلقون راحتها، ولكن كانت العقلية البدوية تسود هذه الجماعة، فهم سريعو الانقسام فيما بينهم، ولم يتمكنوا من ترسيخ دعوتهم في هذه البلاد.

خطط المدينة

كانت خطة العرب إذا مافتحوا مدينة أنشأوا دار إمارة، والى جانبه المسجد الجامع، وهذا مافعله عتبة بن فرقد السلمي سنة 17هـ، فإنه بنى دار إمارة فيها، والى جانبه مسجداً جامعاً، ولما تولى الموصل (عرفجة ابن هرثمة البارقي) سنة 22هـ وسّع الجامع، ثم هدمه ووسعه مروان بن محمد – كما تقدم[1].

فان العرب لم يهتموا بإنشاء القلاع للحكام والجيش في المدن التي فتحوها – كما كان يفعل الفرس والروم – فكانوا يكتفون بدار الإمارة بجانب الجامع، يسكن فيه الأمير الذي يتولى إدارة المدينة، ويؤم المصلين في الجامع.

كانت دار الإمارة في الموصل على سفح تل قليعات، ثم وسّعها عرفجة ابن هرثمة البارقي، ثم وسعها مروان بن محمد وجعلها تناسب مابلغته الموصل في عهده من التوسع والتنسيق – قاعدة بلاد الجزيرة.

ذكر (غرس النعمة الصابي): أن دار الإمارة بقرب الجامع، وبينها وبين الجامع باب في ممر طويل، قد فرش بالبلاط، وفي نهاية البلاط ستر، يحجز المصلين عن دار الامارة، وإذا ماوصل الأمير إلى المصلى، رفع المكبرون الستر[2].

أما الحر بن يوسف فانه عندما تولى الموصل بنى المنقوشة، واتخذها دار امارة ومسكناً له ولأسرته، وبعد وفاته بقي أولاده فيها إلى أن أخرجهم منها اسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس سنة 135هـ.

---

(1) وفي كتابنا: جوامع الموصل: ص: 3 – 17، بحثنا عن الجامع في اختلاف العصور.

(2) الهفوات النادرة: 100 – 101.

أما الأسواق في الموصل فكانت قرب الجامع ودار الامارة، لأن الأسواق تكون في المواقع التي يزدحم بها السكان، وما يحتاجه الجيش من لوازم الخيل والإبل، ويعرض بها ما ينفق من طعام ولوازم وحاجيات. وأهم الاسواق التي وقفنا عليها:

1) **سوق الشعارين:** ولم يزل يعرف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، كما يباع به مايتخذ من الشعر والصوف مما يحتاجه الجيش والسكان، وهو يمتد من جامع النبي جرجيس إلى شارع نينوى.
2) **سوق القتابين:** وكان يتخذ به اقتاب الابل، ويقع شرقي سوق الشعارين، ويعرف اليوم بسوق النجارين قرب مسجد الخلال، ويتخذ فيه اليوم المهود والمراجيح للأطفال والاسرة وصناديق الموتى، وغير ذلك.
3) **سوق السراجين:** كانت تقع جنوب المسجد الجامع، تقابل باب جابر أحد أبواب الجامع، هدمها المهدي سنة 167هـ (783م) وأضافها الى المسجد الجامع عندما وسعه.
4) **سوق البزازين:** وتعرف بسوق الداخل أيضاً، أضافها المهدي إلى الجامع.
5) **سوق الطعام:** تقع بالقرب من سوق الحشيش، أنشأ فيها اسماعيل بن علي العباسي فندقاً عرف بـ (فندق اسماعيل)، وحماماً (حمام اسماعيل)[1].
6) **سوق الحشيش:** كانت تقع جنوب الحصن الغربي، في موقع سوق باب السراي الحالية.
7) **سوق الدواب:** وكانت تقع ظاهر المدينة، قريبة من مقابر قريش – جنوب غربي جامع النبي جرجيس. جاء في حوادث سنة 113هـ (731م): "وفي أواخر هذه السنة توفي الحر بن يوسف في الموصل، ودفن في مقابر قريش، كانت بأزاء دورهم المنقوشة، وهي بين سوق الدواب وسدة المغازلي".
8) **سوق السقط:** كانت تقع قبلي المسجد الجامع، هدمها المهدي وأضافها إلى المسجد الجامع عندما وسّعه.

---

(1) وجدت حاشية في تاريخ الازدي عن الحمام المذكورة: واظنها حمام شقاقين الفرش.

9) **سوق سعيد بن عبدالملك:** أنشأها عندما كان والياً على الموصل، وبنى بها مسجداً، والذي نراه أن مسجد الرحماني هو المسجد الذي بناه سعيد في السوق الذي انشأه.

10) **سوق الاربعاء:** كانت تقع على الأرض التي بين باب الجسر وسوق القتابين وبقيت تعرف بهذا الاسم الى القرن السابع الهجري[1].

11) **سوق الجسر:** يستدل مما ذكره أبو زكريا الأزدي في حوادث سنة 148هـ أنه كان يقع في الجانب الشرقي من النهر، يقصده أهل هذا الجانب فيبتاعون منه، ويبيعون ماحملوه معهم. وقد أدركنا هذا في أوائل القرن العشرين، فكانوا يقيمون سوقاً في صباح كل يوم من أيام الصيف والخريف، تباع فيه المخضرات والقثاء والبطيخ، ومايحمله القرويون، ويسمى سوق الگب[2].

ان أكثر أسواق الموصل كانت قرب دار الإمارة والمسجد الجامع، وفيها مايحتاجه الجيش والسكان من حاجيات وطعام، ولوازم الخيل والابل والحيوانات الاخرى، فتكون الأسواق عادة في كل بلد قرب مركز الحكم والقيادة، ليسهل الاتصال بمن فيها، يؤيد هذا ماذكره أبو زكريا الأزدي في حوادث سنة 137هـ: أن أسواق الموصل كانت حول جامعها، فنقلها اسماعيل بن علي أمير الموصل الى مقبرة أهل الموصل. وكان في الأسواق حمامات وخانات وفنادق لنزول التجار ومن يقصد البلد، ومنها فنادق بناها الحر بن يوسف وابنه يحيى من بعده، وفندق جد مساور الخارجي، وفندق دار الحواكين في سوق الحشيش وغيرها.

ومن حماماتها التي وقفنا عليها: حمام الجدالَّين التي استحم بها الخليفة مروان بن محمد.

فللعرب الفضل في تخطيط الموصل وتنسيقها، وتمصيرها وتعيين منازل القبائل والأسواق ومافيها من مساجد وحمامات وخانات وفنادق وطرق واسعة، كما

---

(1) الكامل: 5: 53.

(1) الگب: الارض التي ينحسر عنها ماء دجلة في اوائل الصيف. وفي القاموس المحيط (1: 121) الكُباب: الكثير من التراب والطين اللازب وتكبب الرمل: انظر عن اسواق الموصل: سومر: 7: 2: 227 – 229، لنا بحث عنها.

زينوها بشارع النهر الذي هو أول كورنيش وقفنا عليه في الاسلام، وحفوها بسور منيع، وكانوا يوسعون السور كلما توسعت المدينة[1]، ونشطت فيها الصناعات كالحياكة والسراجة والبناء والخياطة وغيرها[2]، فكانت الموصل على عهد الامويين من أهم قواعد بلاد الاسلام سعة وتنظيماً وتنسيقاً، ومن مدن العرب التي يقصدها التجار من اختلاف الاطراف.

– 3 –

أما مساجدها في هذا الدور:

1. **المسجد الجامع:** تقدم الكلام عنه.
2. **مسجد سعيد بن عبدالملك:** وقد تقدم الكلام عنه.
3. **مسجد خزرج:** يذكر بعض المؤرخين أنه أول مسجد بني في الموصل، بناه خالد بن الوليد بعد فتحها، وسكنت قبيلة خزرج حوله – وهذا خطأ –[3].

   إن أول مسجد بني في الموصل هو المسجد الجامع – كما قدمنا عنه – وأن مسجد خزرج بني بعد ذلك، ولربما بني في القرن الأول للهجرة، أو بعده، وليس هو أول مسجد بني في الموصل.
4. **مسجد ثقيف:** سكنت قبيلة ثقيف في الموصل في المحلة التي تدعى اليوم (محلة باب المسجد) وشيدوا لهم مسجداً عرف بالمسجد، وهو قريب الى جامع السلطان أويس. وقد تقدم الكلام عنه، عند كلامنا عن قبيلة ثقيف.
5. **مسجد جابر بن جبلة:** جاء في تاريخ الأزدي عن جابر بن جبلة أنه موصلي، وهو أول من نزل الموصل من سليمى، وله في السكة الكبيرة مسجد وزقاق يعرف بزقاق جابر، والمسجد يعرف بالمعافى ابن عمران، وجابر جده – وغلب أسم المعافى بن عمران على هذا المسجد فيما بعد فصار يعرف به.

---

(2) سنعرض لسور الموصل في اختلاف العصور – في بحث خاص.

(1) سنتكلم بصورة مفصلة عن صناعات الموصل في اختلاف العصور.

(2) منهل الاولياء: 1: 56، 57 منية الادباء: 33، وهما قد نقلا عن كتاب فتوح الشام المنسوب للواقدي: 2: 117.

6. **مسجد باب سنجار:** جاء في تاريخ الأزدي في حوادث سنة 129هـ–746م: "وممن قدم الموصل من أخوة سليمى معن بن مالك، ومنازلهم في الموصل باب سنجار، والمسجد الذي فيه مسجدهم، وكان باب سنجار بأيديهم".

وبالقرب من باب سنجار مسجد قديم يقع على تل عبادة، يسمى مسجد تل عبادة، يدعي أهل المحلة أنه من أقدم مساجد الموصل، ولربما كان هذا هو مسجد باب سنجار.

7. **مسجد ابن أكمه القطران:** كان في الربض الأعلى من الموصل، جاء عنه في تاريخ الأزدي في حوادث سنة (127هـ–744م: "بعث مروان بن محمد القطران بن أكمه الشيباني أميراً على الموصل، وللقطران هذا خطة ومسجد في الربض الأعلى يعرف بمسجد ابن أكمه القطران"[1].

لاقت الموصل عناية خاصة من الامويين: حفوها بسور. وبلطوا طرقها بالحجارة، وشقوا لها نهر الحر، ونصبوا لها جسراً. وشيدوا فيها القصور الجميلة ومتنزهاً على شاطىء النهر.

---

(1) انظر عن مساجد الموصل: سومر: 7: 230– 231.

ولاة الموصل في العهد الاموي

40 – 132هـ

سنة/ هـ		سنة/ هـ	
75	محمد بن مروان بن الحكم	65 – 86	عبدالملك
	سعيد بن عبدالملك (في خلافة أبيه)		عبدالملك
101	يحيى بن يحيى الغساني	99 – 101	عمر بن عبدالعزيز
102 – 105	مروان بن محمد	101 – 105	يزيد الثاني
106 – 113	الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموي	105 – 125	هشام بن عبدالملك
113 – 114	يحيى بن الحر (فلم يحسن ادارتها)		هشام بن عبدالملك
114 – 122	الوليد بن تليد العبسي		هشام بن عبدالملك
123 –	أبو قحافة المزني (ابن أخي الوليد ابن تليد)		هشام بن عبدالملك
126	مروان بن محمد	126	يزيد الثالث
127	القطران بن أكمه الشيباني	127 – 132	مروان الثاني
129	هشام بن عمرو الزبيدي (التغلبي) – تولى الصلاة والحرب		مروان الثاني
	بشر بن خزيمة الازدي – الاسدي – الخراج		مروان الثاني

الموصـــل

في العهــد العباســي

1- دور الولاة العباسيين 132 – 291هـ

749 – 903م

2- الدولة الحمدانية 291 – 381هـ/ 903 – 991م

3- الدولة العقيلية 381 – 486هـ/ 991 – 1093م

درهم من الفضة وزنه 2.47جم، قطره: 28م مكتوب على مركز الوجه:
لا اله الاّ الله وحده لا شريك له.

ومكتوب في الهامش:
بسم الله ضرب هذا الدرهم سنة اثنتين وثمانين.
ومكتوب على مركز الظهر:
الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد.
ومكتوب على هامش الظهر:
محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
وهو مضروب في خلافة عبدالملك بن مروان
اقتبسنا الصورة من مجلة "الريان" التي يصدرها متحف قطر الوطني في الدوحة (ص: 61)

كانت حياة مروان بن محمد كلها قلاقل وثورات، وانقسام في البيت الأموي، بينما كانت دعوة العباسيين قوية تبشر بالنجاح، وهذا ما كان في وقعة الزاب –

قرب تل كشاف –[×] سنة 132هـ، فإن مروان بن محمد كان في جيش يزيد على مائة ألف، بينما كان جيش عبدالله بن علي لا يتجاوز عشرين ألفاً، ودبّ النزاع والفوضى في جيش مروان، بعد أن كان منتصراً أول أمره، فهجم عليه العباسيون وشردوا جيشه قتلاً وغرقاً.

فتوجه مروان إلى الموصل، وعليها هشام بن عمرو الزبيدي، وعلى خراجها وحربها بشر بن خزيمة الأسدي، فوقف مروان على الجسر، واستفتح بابه، فأبوا أن يفتحوه له، وقطعوا الجسر، فسار الى بلد[1] وعبر إليها من مخاضة بقربها، ومازال ينتقل من بلد إلى بلد، حتى قتل في بوصير من أعمال مصر في 25 ذي الحجة سنة 132هـ[2] (749م).

سار عبدالله بن علي الى الموصل، فاستقبله عاملها، وفتح له أبواب المدينة والجسر، وأخذ ماكان فيها من أموال مروان – وكانت كثيرة – ثم ولّى عليهم محمد بن صول.

ظلت بلاد الجزيرة أموية، وفي أول خلافة السفاح سنة 132هـ حدثت عدة ثورات في بلاد الجزيرة والشام. فثار أبو محمد السفياني – وهو يزيد ابن عبدالله بن معاوية بن أبي سفيان – بما لديه، وثار محمد بن مسلمة بن عبدالملك في حَرَّان [×] وبيضوا وخلعوا طاعتهم[3].

وكانت ثورة الموصل سنة 133هـ على واليها (محمد بن صول مولى "خثعم") لأن الموصل من أكثر البلاد حباً لبني أمية، فأخرجوا ابن صول من المدينة وقالوا: "لا يلي أمرنا مولى لخثعم" بعد أن كان يتولاها أجل أمراء بني أمية.

وكان السفاح قد ولى أرمينية رجلاً من الأزد من آل المهلب، فوافى الموصل، فاجتمع اليه المواصلة، وطلبوا منه أن يتولى أمرهم، فأجابهم الى ذلك.

(×) يقع جنوب الزاب الاعلى، عند مصبه في نهر دجلة.

(1) وتسمى ايضاً "بلط" وتعرف اليوم "باسكي موصل" أي الموصل القديمة، تقع على دجلة شمال الموصل. وقد اصدر عنها السيد عبدالله امين اغا كتاباً.

(2) الكامل: 5: 169 – 174.

(3) اليعقوبي: 3: 91 – 93، الكامل: 5: 176 – 177.

فكتب ابن صول إلى السفاح يعلمه بالأمر، فكتب السفاح الى ابن صول: "أن أقم بمكانك إلى أن يأتيك أمري"، وكتب السفاح الى المهلبي: "أن خلف أصحابك وثقلك بالموصل وانحدر"، فانحدر المهلبي، انفذ السفاح جماعة الى المهلبي ثقبوا الزورق الذي كان فيه وغرقوه.

وعزم السفاح على أن يفتك بالموصل قبل أن يتفاقم الأمر بها، بعد أن قضى على ثورات الجزيرة والشام، فولى أخاه يحيى بن محمد عليها، فسار هذا إليها في اثني عشر ألف فارس من الموالي والخراسانيين، فنزل دار الامارة المجاور للمسجد الجامع، وأمر ابن صول أن ينزل المنقوشة قصر الحر بن يوسف، ونهاه عن النزول في نفس المدينة، وإدخال سورها.

كان يحيى مقداماً، ناقص العقل، متخلفاً في جميع أموره، وكان يفعل أشياء غير مشاكلة لشرفه وأبوته، فوجه معه السفاح جماعة من مشائخ الدعوة، يقومون امره، ويسددونه، ويكاتبون الناس عنه[1].

وأقام يحيى بن مروان وابن صول شهراً لا يظهران للناس شيئاً ينكرونه، ولا يعتب عليهم فيما فعلوه، وأخذوا يترقبون الفرصة للفتك بأهل المدينة[2].

وكان الجيش من الخراسانيين والموالي، قد غرتهم نشوة الانتصار والقضاء على الأمويين، فلم يحسنوا معاملة الناس، وصادف أن إمرأة من أهل الموصل أراقت خطمية في طست وهي على سطح لها، فوقعت على رأس رجل من أهل خراسان من العجم، كان ماراً في شارع من شوارع الموصل، فتعتب الجندي واجتمع معه أصحاب له، واجتمع قوم من الموصل، فجر ذلك الى القتال بينهما، فقال ابن صول ليحيى: إني لا آمن من وثبة أهل الموصل، فلو بادرناهم فذاك الصواب.

قال ابو زكريا الازدي: وكان في أهل الموصل – إذ ذاك – عز ومنعة، وكان البلد أموياً، فخاف وثوب أهل البلد به، فأشار عليه ابن صول بمبادرتهم، فوجه

---

(1) انظر عنه: الهفوات النادرة: 100 – 101.

(2) انظر ثورة الموصل: تاريخ الموصل للازدي، حوادث سنة 133هـ، اليعقوبي: 3: 94، الكامل: 5: 180، منهل الاولياء: 1: 75.

إلى وجوه منهم على جهة البر والتكرمة، ودعاهم الى المنقوشة، فلما اجتمعوا عنده أخذ يدعوهم إلى غرفة، وقتلهم واحداً بعد واحد، ووضع رؤوسهم في أطباق ومكاب[1] وأرسلها الى يحيى بن محمد، وأهل البلد لا يعرفون.

ولما علم أهل البلد بالأمر، نفروا وخرجوا بالسلاح، فأعطاهم الأمان، ونادى المنادي: من دخل المسجد فهو آمن بأمان الله وأمان رسوله، فأتى الناس الى المسجد يهرعون، فأقبل الرجالة على أبواب المسجد وغلقها، وأحاطت الخيل والرجالة بالمسجد، فأقبل ابن صول يخرج الرجال ويقتلونهم قتلاً ذريعاً، فأول من اخرج معروف بن ابي معروف العابد ومعه ابنه، فقال له ابن صول: امدد عنقك فقال معروف: ما كنت بالذي أعينك على معصية الله، فقتله وقتل ابنه، وأخرج أبان وكان إمام المسجد، فضربت عنقه وعنق ابنه، وهكذا مازالوا يخرجون الرجال ويقتلونهم حتى قتلوا أحد عشر ألفاً ممن له خاتم، وممن لا خاتم له خلق كثير.

فلما كان الليل سمع يحيى بن محمد صراخ النساء اللواتي قتل أزواجهن، فقال ماهذا الصراخ يابدر – لغلام له – قال بدر: هذا صراخ النساء اللاتي قتل أزواجهن، قال يحيى: فاذا كان غداً فلا تدعوا امرأة ولا صبياً إلا قتلتموه، فقتل الرجال والصبيان والنساء ثلاثة أيام تباعاً، وأتى الجند بأعمال منكرة، وذكروا أنهم قتلوا ثلاثين ألف شخص، ويذكر اليعقوبي أنه قتل ثمانية عشر ألفاً من صلب العرب، ثم قتل عبيدهم ومواليهم وأفناهم، وفتك جند راسان بها فتكاً حتى قتلوا النساء والأطفال ونهبوا المدينة ثلاثة أيام[××]. ويذكر الأزدي أن الزنج جمعوا ثلاثين ألف خاتم بعد قتل أهل الموصل.

إن ابن صول خدع الناس ودعاهم الى أمان الله ورسوله، فاستجابوا له ظناً منهم أنه يصدق بقوله، حتى قال بعضهم لبعض: قوموا إلى أمان الله ورسوله، ولكن بعد أن غص المسجد بالناس حصرهم وفتك بهم. ولولا هذا للقي من أهل

---

(1) جمع مكبة: اناء واسع يتخذ من أغصان الطرفاء. وأدركنا استعمالها في الموصل.

(××) هذا مانقله المؤرخون – ولا شك ان فيه شيئاً من المبالغة – ولكن القتل كان كثيراً حتى ان اسواق الموصل بقيت معطلة عدة سنين – كما نقلنا.

الموصل مقاومة، ومع انهم كانوا في المسجد عزلاً عن السلاح، فان اربعمائة رجل منهم صدموا الجند فأفرجوا لهم.

وإن بعضهم لم يستسلم إلى رجل خان امانة الله ورسوله، فخلع أحدهم عمود المنبر وهاجم الجيش، وجاهدهم حتى قتل. وإن ابنة الصباح بن الحصين المزني تحزمت بازار وعمامة، وسيف أبيها في يدها، وهاجمت العلوج الذين اجتازوا داره، وقاتلتهم، فقتلت أربعة منهم، ثم ضربوها على رأسها وخاصرتها وماتت، وكان أبوها من رجال الموصل، ممن قتلهم ابن صول في المنقوشة. وإن الخراسانية دخلوا داراً ليقتلوا من فيها، فوجدوا فيها امرأة عربية، فقال أحدهم: هذه نسبيها. فأجابته: كذبت يا ابن اللخناء مثلي لا يسبى.

كانت هذه الفاجعة بتدبير مولى خثعم بن صول، وفتك الموالي الخراسانية بمدينة تعتز بعروبتها ومنعتها.

ولما كان في اليوم الرابع من قتل أهل الموصل، ركب يحيى بن محمد وبين يديه الحراب والسيوف المسللة، فاعترضته امرأة من دار الحرث بن الجارود، فأخذت بالشكيمة، وقالت له: "أما أنت من بني هاشم؟ أما أنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أما تأنف للعربيات المسلمات" وكان معه قائد في أربعة آلاف زنجي – فلما كان من غد أمر بجمع الزنج في جدة بني الحبحاب للعطاء، وأمر قواده أن يقتلوهم، فقتلوهم أجمعين، وطرحوهم في الجدة، وهذا نموذج آخر من نقصان عقله وسوء تصرفه.

كان السفاح ومواليه قد دبروا لهذه الفاجعة، ولما عزم على الفتك بالموصل، أرسل أخاه يحيى – وهو من علمنا قلة عقله – ومعه ابن صول، فدبروا ماكان في الموصل من قتل ذريع، لم يخلص منه حتى النساء والأطفال، وبقيت أسواق الموصل معطلة عدة سنين، بعد ذلك عزل السفاح يحيى عن الموصل، لكي يظهر للناس أن مافعله لم يكن بعلمه وتدبيره، وتدبير رجاله الذين أرسلهم مع أخيه. ويذكر المؤرخون أن أم سلمة المخزومية – زوجة السفاح – سألته: يا أمير

المؤمنين فيم قتل أخوك أهل الموصل؟ قال لها السفاح: لا وعيشك لا أدري. ولم ينكر الأمر[1].

فهل يعقل أن ماكان من قتل وتدمير في الموصل من غير علم الخليفة؟ فإذا كان هذا بغير علمه، يكون خليفة مستضعفاً مغفلاً لا يعلم من أمور بلاده شيئاً، ولا يهتم بمجزرة كانت في مدينة عربية مسلمة.

كان لهذا وقع سيء في البلاد، ومن ذلك: لما سمع عويمر الأعرابي بما جرى في الموصل – وهو من المحدثين – صار يبكي ويقول: كذب والله من زعم أن هؤلاء مسلمين. وثار شريك بن شيخ المهري ببخارى على أبي مسلم وما يأتيه من قبيح الاعمال وقال: ما على هذا اتبعنا آل محمد أن تسفك الدماء، وأن يعمل بغير الحق[2].

وفي سنة (134هـ = 751م) عزل السفاح أخاه يحيى عن الموصل، لقتله أهلها، كأن قتلهم لم يكن بعلمه وتدبيره، وقلدها عمه اسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس، فقدمها، ونزل قصر المارة، ووجد الموصل معطلة الأسواق، خالية من الرجال، وقد رحل عنها من سلم من القتل، وأذن بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد الجامع وخطبهم، ومما قاله: "لولا أنا أهل بيت مغفور لنا لحقت على يحيى بن محمد النار لما صنع بكم، ولكني سأرد المظالم عليكم، وأحسن السيرة فيكم[3]".

وهي خطبة غريبة كأن ما جرى في الموصل من قتل ألوف الأبرياء رجالاً ونساءً وأطفالاً لا يؤاخذ عليه يحيى بن محمد لأنه من أهل بيت مغفور لهم – حاشا لله أن يغفر لمن قتل نفساً واحدة بغير ذنب.

وكتب اسماعيل بن علي إلى السفاح يعلمه بحال البلد وخرابه، فكتب إليه السفاح: "ارفق بالناس وتألفهم".

---

(1) جمهرة انساب العرب: 21.

(2) الكامل: 5: 182.

(1) انظر عن ولاية اسماعيل: تاريخ الازدي، حوادث سنة 134 – 142هـ، الكامل: 5: 180، 195، 206.

ورأى اسماعيل بن علي أن يحيى بن الحر بن يوسف يسكن قصره "المنقوشة" وله ضياع في البرية، وقد سلم من قتل يحيى بن محمد، فلم يرق له بقاؤه، وكان يحيى بن الحر يركب في غلمانه ومواليه في نحو مائة فارس، ومعه الفهود والصقور والبزاة، يخرج إلى الصيد في ضياعه.

وجه اسماعيل بن علي قائداً من قواده إلى الوادي المعروف (بالمقلوب) من طريق (المرج)[1] يتربص ليحيى إذا صار إلى المقلوب يريد ضياعه فيقتله، فقتله القائد، فنكب اسماعيل أسرة الحر بن يوسف، ولم يبق منهم من يعولهم، فأشفق عليهم (عبيد) مولى الحر، فحوى قصره ودوره وفنادقه، وجمع عياله وقام بأمرهم، وزوج بناتهم ببنيه، فسعى به قوم من أهل الموصل إلى إسماعيل بن علي، وقالوا: إن عبيداً – وهو مولى الحر – قد زوج بنيه بنات الحر، فبعث اليه اسماعيل وأراد قتله، فقال عبيد: "أصلح الله الأمير: قتل الرجل واصطفي ماله، وبقي حرمه حيارى لا شيء لهم، فجمعتهم وحصرت عليهم وأنا مولاهم، والذي بلغك غير هذا باطل، فان رأى الامير ان يأمر بمسكن فيسكنونه، فأمر لهم بدار الحاكمة، فاعطوهم اياها.

كتب اسماعيل بن علي بعد أن قتل يحيى بن الحر إلى المنصور يخبره بما فعل، وأن يحيى كان في عدة وكان يخشى جانبه، واستوهب من الخليفة ضياعه، فوهبها له، وأخرج آل الحر منها.

وبقيت الموصل مضطربة وأعمالها منتقضة وعمارتها ناقصة، لقلة الأيدي العاملة فيها، وأن اسماعيل كتب إلى المنصور يصف له حال الموصل، وما هي عليه من الاختلال، فكتب إليه المنصور يأمره بحسن السيرة والإحسان إلى أهلها، فلم يرفع إليه طول ولايته الموصل درهماً، بل انفقه على إصلاح المدينة وعمارتها.

ومن أعمال اسماعيل العمرانية في الموصل: إن أسواق الموصل كانت حول جامعها، وفي سنة (137هـ = 754م) نقل اسماعيل الأسواق إلى مقبرة أهل

---

(2) ويعرف بمرج ابي عامر، ومرج الموصل: وهو السهل الممتد من سفوح التلال المجاورة لجبل مقلوب الى قرب عقرة (معجم البلدان: 8: 16) اما وادي المقلوب فهو جنوب جبل مقلوب وفيه يمر الطريق الموصل الى المرج.

الموصل، ونقل المقبرة الى الصحراء[×] خارج الدروب، وابتنى المسجد المعروف بـ (ابي حاضر) الذي في وسط الأسواق[1]، وتراجع الناس إلى الموصل، وأصلح اسماعيل حالها، وأنشأ في سوق الطعام فندقاً عرف بفندق اسماعيل، وحماماً عرفت بحمام اسماعيل.

فكان اسماعيل من الولاة الذين نفعوا المدينة، فسعى في عمارتها، وأمن السكان، فتراجع الناس إلى البلد، بعد أن كانت أسواقها معطلة، فأحبه اهل البلد، وحج بالناس سنة 137هـ، وهو أمير الموصل[2].

– 3 –

وفي سنة (142هـ = 759م) عزل المنصور عمه اسماعيل بن علي عن الموصل، وولى امرها (مالك بن الهيثم الخزاعي).. وكان أحد نقباء بني العباس ودعاتهم – فأبى اسماعيل أن يسلمها، وأمر (زياد بن مشكان) – وكان مرابطاً بالموصل في الفين – أن يقاتل مالك بن الهيثم الخزاعي، فلم يقاتله مالك، وكتب الى المنصور يعلمه بالأمر، فكتب المنصور إلى ابن مشكان: "إن كنت سامعاً مطيعاً فسر الى مالك بن الهيثم"، فلم يعلم اسماعيل إلا وابن مشكان قد صار إلى مالك، وكان مالك في الجانب الشرقي من المدينة، واسماعيل في الموصل، وقد منع من العبور وقطع الجسر، فانكسر اسماعيل، وبعث إلى السفن فنقل متاعه

(×) ولم يزل اهل الموصل يستعملون لفظ صحراء على المقابر فيقولون: نذهب الى الصحراء (بالسين).

(1) ويعرف اليوم بمسجد الشالجي (جوامع الموصل: 50 – 51).

(2) كان المنصور يعتمد عليه وانابه عنه في امارة الحج، ولما كان في مكة توفي اميرها العباس بن عبدالمطلب بن معبد، فضم اسماعيل اعمال مكة الى امير المدينة المنورة (زياد بن عبدالله) واقره المنصور على هذا (الطبري: 9: 169).

اليها وانحدر الى بغداد، ودخل مالك بن الهيثم الموصل، وقد اثنى المؤرخون على مالك فقالوا: "كان خير أمير وأنصفه"[1].

– 4 –

وفي سنة (145هـ = 762م) ولى أبو جعفر المنصور ابنه جعفر الأكبر، وسيّر معه (حرب بن عبدالله الرويدي) وكان هذا من أكابر قواد المنصور، وهو صاحب الحربية ببغداد، فبنى حرب بأسفل الموصل قصراً جميلاً سكن فيه جعفر بن المنصور، وفيه ولدت زبيدة بنت أبي جعفر المنصور وزوجة الرشيد.

ويذكر ابن الأثير عن قصر حرب أنه كان ملكاً لأبناء الأثير، فيقول: "وعنده يومنا هذا قرية كانت ملكاً لنا، فبنينا فيها رباطاً للصوفية، وقفنا القرية عليه، قد جمعت كثيراً من هذا الكتاب – الكامل في التاريخ – في هذه القرية في دار لنا بها، وهي من أنزه المواضع وأحسنها وأثر القصر باقٍ إلى الآن[2].

تسلم العباسيون الموصل، ومالها كثير، وأعمالها واسعة، وقد ازدهرت المدينة بعمرانها وتجارتها، فكانت قاعدة بلاد الجزيرة، ومن المدن الكبيرة في الشرق، لما لاقته المدينة من عناية الأمويين في عمارتها وتقدمها.

– 5 –

أما في عهد الولاة العباسيين فكانت حالة المدينة، غير مستقرة:

1– سياسة الشدة التي اتبعها العباسيون مع أهل الموصل، وكانت باكورة أعمالهم المذبحة التي دبرها ابن صول – مولى خثعم – وقتل عشرات الألوف من سكانها، مما جعل الموصل ناقمة على العباسيين، كلما وجدت متنفساً ثارت بوجه الولاة الذين لم يحسنوا سياستها، ولم يسلكوا معها سياسة اللين والمداراة – كما كان يفعل الأمويون – بل استعملوا القوة والعنف والشدة، فكانوا يرسلون اليها أعنف الولاة وأقساهم – إلا قليلاً منهم – كما كانوا يرهقون الناس في جمع الضرائب، وأرسلوا إليها أشد الجباة قسوة: كمنجاب والحرسي وغيرهما، وفي سنة 217هـ طولب أهل

---

(1) تاريخ الازدي: 177 – 178، الكامل: 5: 206.

(2) تاريخ الازدي: 194 – 197، الكامل: 2315. عقائل قريش: 64.

الموصل بأداء الخراج في يوم واحد[1] وغير ذلك، فكان هذا سبباً في استفزاز أهل المدينة ونفورهم من الحكم العباسي، وبلغ من قسوة جباة الضرائب أن كثيراً من سكان الموصل وأعمالها اضطروا إلى الهجرة إلى أذربيجان، وغيرها من البلاد، فخربت القرى الكثيرة[2].

ولو أن العباسيين أحسنوا سياسة أهل الموصل، وولوا عليها من كان حسن السيرة، رفيقاً بالناس، لكان خيراً لهم ولأهل المدينة، وقد رأينا هدوء المدينة عندما تولاها اسماعيل بن علي العباسي، وكذا في ولاية خالد بن برمك وكان هذا عاقلاً، حسن السيرة مع اهل البلد، رفيقاً بهم فأحبوه واحترموه من غير خوف منه، ولو أن من أعقبه من الولاة ساروا على ماسار عليه ابن برمك لهدأت الأحوال فيها وانصرف الناس إلى أعمالهم، ولكن من أعقبه لم يتبع هذه السياسة، فكان الناس معهم في ضيق وعناء.

وبلغ من عنف الخلفاء العباسيين مع أهل الموصل أن المنصور اخذ عليهم عهداً إذا ماخرجوا عليه، حلت له دماؤهم وأموالهم، وهو شرط مجحف، يمليه قوي متحكم على أناس عزل من السلاح، ولولا موقف الإمام أبي حنيفة مع المنصور لفعل في المدينة مافعل.

كما أن الرشيد نفسه عامل أهل الموصل بنفس الشدة التي سار عليها جده المنصور، ولما ثار أهل الموصل سنة 180هـ قصد المدينة وأقسم أن يقتل أهلها ويخرب سورها، فلولا تدبير أبي يوسف القاضي لأعاد الرشيد مجزرة ابن صول في الموصل.

وفي سنة 194هـ وثب أهل الموصل بابراهيم بن العباس الذي لم يحسن إدارة البلد، فأرسل الأمين "الحسن بن عمران الطائي" لينظر بين إبراهيم وبين أهل الموصل، فنظر في الأمر، وأقاموا عليه الحجة مع أن إبراهيم بذل للحسن بن

---

(1) تاريخ الازدي: 410.

(2) تاريخ الازدي: 287.

عمران مائة ألف على أن يزوي الحجة عنه، فتنزه عن ذلك، وقال: لو بذلت لي في بيت الموصل ماقلت إلاّ الحق، فعزله الأمين[1].

2- استياء العرب من العباسيين الذين قدموا الأعاجم، وعزلوا العرب عن الدولة، فكان الأعاجم هم المتحكمين في سياسة الدولة، وهذا ما لم يرض به سكان الجزيرة والموصل وغيرهم.

فثورة الموصل على ابن صول لأنهم لم يرضوا أن يتولى مدينتهم مولى لخثعم، بعد ان كان يتولاها أجل الولاة من البيت الاموي وغيره، وهو ماحمل السفاح ان يسرف في قتل اهل الموصل على يد مولى خثعم – ابن صول – الذي اخرج الناس من المسجد الجامع وقتلهم واحداً بعد الآخر، بعد ان اعطاهم يحيى بن محمد امان الله وامان رسوله.

وفي سنة 198هـ (813م) خرج (نصر بن شبث العقيلي) في بلاد الجزيرة على المأمون، وقوى أمره، واستولى على عدى بلاد، ولما عوتب على خروجه قال: "وانما محاربتي إيّاهم – بني العباس – محاماة عن العرب، لأن بني العباس يقدمون عليهم العجم"[2]، وكان هوى نصر مع الأمين، لميل الأمين إلى العرب[3].

ومن ذلك أيضاً أن الخليفة المعتمد على الله استعمل على الموصل (اساتكين) وهو من أكابر قواده، فأناب عنه ابنه (اذكوتكين) فسار إليها في جمادى الأولى سنة 259هـ (872م)، وكان هذا سيء السيرة مع أهل البلد، لا يتقيد بشعائر الدين، يظهر الفسق والشرب أمام الناس، وحدث في عهده ما استنفر أهل البلد وأخرجوه منها، ومما قام به من سيء الأعمال:

1. لما كان يوم النوروز، دعا اذكوتكين وجوه أهل البلد إلى قبة أقامها في الميدان[4]، واحضر انواع الملاهي وشرب الخمر ظاهراً.

---

(1) ابو زكريا الازدي: 322.

(2) انظر ماقاله في تاريخ الازدي: 334.

(3) تاريخ الازدي: 328 – 344، الكامل: 6: 109: 134.

(1) الارض التي ظاهر المدينة في الشمال منها. تمتد من ساحل دجلة الى مدفن الفتح الموصلي – وسنعرض لها عند كلامنا عن خطط المدينة.

2. كان يصادر ما يستحسنه من اموال النس، فلا يسمع بفرس جيد عند أحد إلاّ صادره.
3. كان في السنة برد شديد، أهلك الأشجار والثمار والحنطة والشعير، فطالب الناس بالخراج على الغلات التي هلكت، فاشتد ذلك عليهم.
4. إن اتباعه كانوا يتجاهرون بالفسق وفعل المنكرات، ووثب رجل من أتباعه على امرأة فأخذها من الطريق، فامتنعت واستغاثت، فقام رجل يدعى ادريس الحميري – وهو من أهل القرآن والصلاح – فخلصها من يده، فذهب الجندي إلى اذكوتكين وشكا إليه فعل الحميري، فأحضره وضربه ضرباً شديداً من غير أن يحقق في الأمر، فاستاء أهل الموصل من هذا، واجتمعوا في الجامع وقالوا: قد صبرنا على أخذ الأموال، وشتم الأعراض، وإبطال السنن، والعسف، وقد أفضى الأمر الى أخذ الحريم، وأجمعوا على إخراج اذكوتكين وأصحابه من البلد مهما كلف الأمر، ثم رفع الأمر إلى الخليفة.

ولما علم اذكوتكين بهذا، ركب اليهم بجنده، وأخذ معه النفاطين، وتوجه الى الجامع، فحمل المواصلة عليه وقاتلوه قتالاً شديداً حتى أخرجوه عن الموصل، وأصابه حجر فأثخنه، ونهبوا داره، فسار إلى بلد، ثم منها إلى سامراء، واجتمع الناس إلى (يحيى بن سليمان) وقلدوه أمرهم، وبقي في الولاية إلى نهاية سنة 261هـ.

وفي سنة 261هـ كتب أساتكين إلى الهيثم بن عبدالله بن المعمر التغلبي العدوي في أن يتقلد الموصل، وأرسل إليه الخلع واللواء – وكان بديار ربيعة – فسار بجموع كثيرة، فمنعه أهل البلد من دخولها، وقاتلوه قتالاً شديداً، فارتد عنهم خائباً.

واستعمل أساتكين على الموصل (اسحق بن أيوب التغلبي) فتوجه إليها في عشرين الفاً، منهم حمدان بن حمدون التغلبي – جد الحمدانيين – فنزل عند الدير الأعلى، فقاتله أهل الموصل، ومرض يحيى بن سليمان الأمير، فجد إسحق في الحرب، فانكشف الناس بين يديه، فدخل البلد ووصل إلى سوق ألاربعاء وأحرق سوق الحشيش، وخرج عليه زياد بن عبدالواحد وعلق في عنقه مصحفاً واستنفر

الناس، فأخرجوا إسحق من الموصل، ثم أخذ يراسل أهل الموصل ويعدهم بحسن السيرة، فأجابوه على أن يدخل البلد ويقيم بالربض الأعلى، فدخل وأقام سبعة أيام، ثم وقع بين بعض أصحابه، وبين قوم من اهل الموصل شر، فرجعوا الى الحرب، وأخرجوه عنها، واستقر يحيى بن سليمان في الموصل[1] وهكذا نجد أكثر الولاة لا يحسنون إدارة المدينة، مما دعا أهلها إلى التمرد.

حركات الخوارج

وحركات الخوارج في بلاد الجزيرة كانت من العوامل التي أضعفت الدولة الأموية في أواخر أيامها، واستمرت إلى القرن الثالث للهجرة، وقد يستولون على الموصل، ويخطبون على منبرها، كما أن أهل الموصل كانوا إذا شعروا بقوة الخوارج مالوا إلى مهادنتهم ومحالفتهم، وقد يستعينون بهم في مقاومة أمير لا يرتضون حكمه.

وحركات الخوارج لم تؤد إلى نتيجة حاسمة، تسودهم العقلية البدوية، يندفعون في تأييد مايذهب إليه رؤساؤهم، ويبذلون أنفسهم في نصرتهم ولكنهم لم يثبتوا على مبدأ، سريعو الإنقسام، وربما حارب بعضهم بعضاً، فإذا ماغلبوا على أمرهم سلكوا أوعر الطرق واصعبها، ثم إذا ما آنسوا فرصة، يثورون ويحاربون، ولا يستقرون في محل ثابت.

وبلاد الجزيرة تسكنها قبائل بدوية، يعتمد أكثرها على الرعي في معاشهم، ولاقت حركتهم مرتعاً خصباً عندهم لفقر حالهم وبساطة عقولهم، ولكنها لم تكن راسخة في نفوسهم، ومن حركاتهم:

ففي سنة 137هـ (754م) خرج (ملبد بن حرملة الحروري الشيباني) على المنصور، بناحية الموصل، فأرسل إليه المنصور عدة حملات، هزمهم ملبد، وتفاقم أمره بانضمام الخوارج إليه لانتصاراته على جيش الخليفة.

---

(1) الكامل: 7: 95 – 96.

وفي سنة 138هـ (755م) أرسل إليه المنصور جيشاً بقيادة حازم بن خزيمة، ومعه عدة قواد، فضيقوا على ملبد الخناق، وقتلوه مع ثمانمائة رجل من أتباعه[1].

وفي سنة 148هـ (765م) خرج (حسان بن مجالد بن يحيى بن الأجدع الوادعي الهمداني الموصلي) على ابي جعفر المنصور في قرية (بافخاري)× من قرى الموصل. وهمدان من أنصار الامام علي بن أبي طالب (ك)، وأن حسان أخذ مذهب الخوارج الحرورية عن جده لأمه، كما كان خاله (حفص بن أشيم) من فقهاء الخوارج، وهو موصلي أيضاً، وكان يتولى العقود للخوارج اذا خرجوا اليه، يرجعون اليه ويفخرون به، واجتمع على حسان رأي الجد والخال، فوجه اليه المنصور الصقر بن نجدة بن الحكم الأزدي الموصلي، فالتقى معه بمزرعة (باجلدا) من (باعذرا)(××) فهزمه حسان إلى جسر الموصل، فأحرق سوق الجسر ونهبه.

وحنق المنصور على أهل الموصل، وعزم على أن يعيد فيهم مافعله أخوه يحيى بن محمد، لأنه كان شرط عليهم أن لا يخرجوا عليه، فإن خرجوا حلت له دماؤهم وأموالهم.

وأراد أن يحصل على فتوى من علماء المسلمين تبيح له هذا، واستدعى من الكوفة الأمام أبا حنيفة، وابن أبي ليلى، وابن شبرمة، فشخصوا إليه، فقال لهم: أليس تروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المؤمنون عند شروطهم" قالوا نعم، فبين لهم أن أهل الموصل شرطوا أن لا يخرجوا عليه، فإن خرجوا حلت لي دماؤهم وأموالهم، وقد فعلوا.

---

(1) تاريخ الأزدي: 166، الكامل: 195 – 196 الامامة والسياسة: 2: 152.

(×) بافخاري وتسمى باجباره على الخوسر. كان يمر تحت قناطرها (معجم البلدان).

(××) من قرى قضاء عين سفني – يسكن بها رئيس اليزيدية. بافخارى: وتسمى باجباره: على الخوسر. كان يمر تحت قناطرها. معجم البلدان: 2، 43، 4: 23.

(1) تاريخ الازدي حوادث سنة 148هـ، الكامل: 5: 235، 236، 6: 6.

فقال ابن شبرمة وابن أبي ليلى: "رعيتك ويدك المبسوطة عليهم، وقولك المقبول فيهم، فإن عفوت فأهل لذاك، وإن عاقبتهم فبما يستحقون".

ثم التفت أبو جعفر المنصور إلى الإمام أبي حنيفة، وقال له: "ياشيخ إياك أردت فتكلم" فقال له الإمام أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين، أليس أنك في بيت أمان؟ قال نعم، قال أبو حنيفة: شرطوا لك ما لا يملكون، وشرطت عليهم ما ليس لك، وأخذتهم بما لا يحل لك، وشرط الله أحق أن يوفى. أرأيت لو أن رجلا اشترطت عليه شيئاً فإن لم يفعله فدمه حلال، أكان يحل دمه؟ ولو أن امرأة أباحت فرجها بغير عقد نكاح، أكاد يجوز إباحتها إياه؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال: كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل بغير حق" فقال المنصور: ياشيخ القول ماقلته، وكف عن التنكيل بالموصل[1].

وكان على الموصل (موسى بن مصعب) – وكان أخا المهدي في الرضاعة – والبلد كثير الخوارج، مرتبك الأحوال، وعجز موسى عن تهدئة الأحوال، فغضب عليه المنصور، وأمر ابنه محمداً المهدي أن يسير إلى الرقة سنة 158هـ، وأن يجعل طريقه على الموصل، فاذا صار في البلد أخذ موسى بن مصعب وقيده، ففعل ذلك المهدي، فانتفضت عليه الموصل، وانتشر الأكراد في الاطراف[2].

وجمع المنصور أهل الرأي واستشارهم فيمن يولي أمر الموصل، وقد تفاقم أمر الخوارج فيها، وانتشر الأكراد في أطرافها، فأشار عليه (عمارة ابن حمزة) أن يولي عليها (خالد بن برمك)، وقال له: "يا أمير المؤمنين مارميتها بمثل خالد".

فولى خالد بن برمك الموصل، فسار اليها، وساس الناس بالحسنى، أحسن الى المطيع، وقهر المفسدين وكفهم، فهدأت الأحوال في المدينة، وهابه أهل البلد هيبة شديدة لحسن سياسته، وكثرة إحسانه إليهم، ويقول عنه أحمد بن محمد بن سوار

---

(1) الامامة والسياسة: 2: 152.

الموصلي: "ماهبنا أحداً قط هيبتنا لخالد بن برمك – من ولاتنا – من غير ان تشتد عقوبته او نرى جبرية منه، لكن هيبة كانت له في صدورنا"[1].

فهدأت المدينة على عهد خالد، ولكن الضغائن في القلوب كانت كامنة، وبعد ولاية خالد رجعت حركة الخوارج الى ماكانت عليه.

إن العباسيين لم يحسنوا اختيار الولاة لهذه المدينة، فكان همهم جمع المال، واستعمال الشدة مع الناس، ولذا، استمر التذمر في البلد، ولم يهدأ لهم حال، وكثرت الخوارج في الموصل والجزيرة، حتى اضطر العباسيون أن يعينوا قائداً خاصاً يعقب أمر الخوارج في بلاد الجزيرة وهو "صاحب أمر الخوارج في الجزيرة"[2].

وفي سنة 160هـ خرج بأرض الموصل (عبدالسلام بن هاشم اليشكري) فكتب إليه المهدي يدعوه إلى الطاعة، ولكنه لم ينته، وقوي أمره وكثر أتباعه، فوجه اليه المهدي عدة جيوش، فلم يتمكنوا عليه، ثم توجه اليه شبيب بن واج المروزي، فأدركه في (قنسرين) سنة 161هـ (777م) وقتله[3].

وفي سنة 168هـ خرج (ياسين) من تميم، وكان يرى رأي (صالح بن مسرح) فخرجت إليه روابط الموصل فهزمهم، واستولى على ديار ربيعة والجزيرة، فوجه إليه (أبا هريرة محمد بن فروخ) و (هرثمة بن اعين) فحارباه وثبت أمامهم، ومازال يقاتل حتى قتل مع عدة من أصحابه وهرب الباقون[4].

وأعقب هذا خروج (حمزة الخارجي) سنة 169هـ، فوجه إليه أمير الموصل جيشاً التقى معه في قرية (باعربايا)[5] فدحرهم الخارجي وكثر أتباعه، فدبر إليه صاحب أمر الخوارج بالجزيرة من قتله غيلة[6].

---

(2) تاريخ الازدي: 207 – 209، الكامل: 5: 236.
(3) تاريخ الازدي: 258.
(1) تاريخ الازدي: 242، الطبري: 9: 341، الكامل: 6: 18 – 21.
(2) تاريخ الازدي: 251 – 252، الكامل: 6: 28.
(3) من قرى الموصل، وكذا باجميرا من ارض الموصل (معجم البلدان: 2: 25).
(4) باجرما: قرية من اعمال قرب الرقة من ارض الجزيرة (معجم البلدان: 2: 24).

وفي سنة 171هـ خرج (الصحصح الحروري) بالجزيرة، فدبر إليه الرشيد أحد قواده (علي بن حرب) فهزم الخارجي الى الموصل، فلقي روابطها في (باجرما)[1] فهزمهم وقتل منهم، ثم رجع وغلب على ديار ربيعة، فأرسل إليه الرشيد أحد وجوه القواد (نصر بن عبدالله الصبي) فلحقه (بدورين)× وقتله[2].

وفي سنة 173هـ خرج (الفضل بن سعيد الراداني) ببلاد الجزيرة، وجاء الى بلد، فصالحه أهلها على مائة ألف، ثم سار إلى (نصيبين) و (آمد) و (خلاط) و (أرزن) فصالحه أهل هذه البلاد، ثم زحف إلى الموصل، فخرج إليه (المعمر بن عيسى) فلحقه بالزاب وقتله سنة 176هـ (792م) وهكذا كانت ثورات الخوارج في الموصل والجزيرة، تكاد تكون متعاقبة، كلما وجدوا فرصة خرجوا على الدولة العباسية، وأقلقوا راحتها.

وفي سنة 177هـ خرج (العطاف بن سفيان الزدي) على الرشيد، وكان العطاف من فرسان أهل الموصل، فجبى الخراج، وحبس العمال، وعجز والي الموصل (محمد بن العباس الهاشمي) عن مقاومته، وأقام على هذا سنتين وهو صاحب الأمر في البلد.

وهذا ماحمل الرشيد أن يتوجه إلى الموصل ليفتك بالمدينة، ويقتل أهلها ويهدم سورها، فلما كان في جهينة[3] عزم العطاف وأصحابه – وهم أربعة آلاف فارس – أن يبيتوا عسكر الرشيد ليلاً ويفتكوا به، ولكن شيوخ أهل البلد وصلحاءه ناشدوه في ذلك، وحذروه عاقبة الأمر، فخرج العطاف الى أرمينية.

علم أهل البلد بما عزم عليه الرشيد، فخرج إليه نفر من وجوه أهلها ومن أهل العلم، ومعهم جماعة من الأنصار منهم، فاتصلوا بأبي يوسف القاضي الأنصاري، – وكان مائلا الى أهل الموصل – وعرف حق من قصده، وأعلمهم بعزم الرشيد على قتل أهل البلد، وأشار عليهم أبو يوسف: إذا جن الليل أن يصعد

---

(5) تاريخ الأزدي: 267، الكامل: 6: 41.

(6) تاريخ الأزدي: 272 – 275، الكامل: 6: 48.

(1) قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة، وهي اول منزل لمن يريد بغداد (معجم البلدان: 3: 184) ولم تزل خرائبها بادية تعرف بنفس الاسم.

الناس على سطوحهم ويجهروا بالأذان، لعشاء الآخرة، ففعلوا ذلك، وسمع هارون الرشيد كثرة الآذان فقال لأبي يوسف: ماهذا؟ قال: أذان يا أمير المؤمنين القوم مسلمون وفيهم أهل الصلاح وقراء القرآن، وأهل علم وفقه، قال الرشيد: فما الحيلة في يميني؟ قال أبو يوسف: تدخلها ليلا، فلا تجد أحداً تقتله، فلا يجب عليك أن تقتل من لا ترى.

وبعث أبو يوسف إلى أهل الموصل أن ادخلوا بيوتكم، واغلقوا منازلكم، ولما دخل الرشيد الموصل ودار في أسواقها وشوارعها لم يلق إلا رجلاً أو رجلين فقتلهما، وأمر بهدم سور المدينة، فهدم الناس سورهم بأيديهم، وأمن أهل البلد[1].

فسلم أهل المدينة من فتك الرشيد، الذي أقسم أن يقتل من لقيه من أهل المدينة، وولي حرب الموصل وخراجها (يحيى بن سعيد الحرشي) وعزل (محمد بن العباس) عن الحرب ومنجاب عن الخراج.

وعسف الحرشي أهل الموصل عسفاً شديداً، وطالبهم بخراج سنين مضت، فجلا عن البلد كثير من أهلها، حتى صار ظلم الحرشي مضرب مثل، فقال الناس في هذا: "لم يرضوا بمنجاب، فجاءهم الحرشي".

ويقال: أن الحرشي جبى من الموصل ستة ملايين درهم، فحملها إلى الرشيد، فأمره بدفعها الى خالصة، فلما بلغ الحرشي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هلك الناس والصبيان علي يدي وتدفع الى مملوكة[2]، فقال أبو نواس في هذا:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصه

وفي سنة 224هـ (838م) عصى بأعمال الموصل أحد مقدمي الأكراد (جعفر بن فهرجس) وتبعه خلق كثير من الأكراد وغيرهم، فاستعمل المعتصم (عبدالله بن السيد بن أنس الأزدي) على الموصل، وأمره بقتال جعفر، وكان جعفر قد تحصن

---

(2) تاريخ الازدي: 284 – 288، الطبري: 10: 68، الكامل: 6: 55، ابو الفدا: 2: 15، النجوم الزاهرة: 2: 54.

(1) تاريخ الازدي: حوادث سنة 177هـ.

في (باتعيس) – بابغيس[1] فأخرجه عنها عبدالله، فالتجأ جعفر الى (جبل داسن)[2] فتبعه عبدالله، فرده جعفر لمناعة بلاده، ولمعرفة اصحابه بها.

وفي سنة 225هـ (839م) أرسل إليه المعتصم (ايتاخ) وجعل طريقه على سوق الأحد، وحصر جعفر وأصحابه وأوقع بهم، فقتل جعفر وتفرق أصحابه، فساق ايتاخ أسرى الأكراد إلى تكريت[3].

وفي سنة 252هـ (866م) خرج (مساور بن عبدالحميد بن مساور الشاري البجلي الموصلي) بالبوازيج،[4] واجتمع حوله الأعراب والأكراد، وقصد الحديثة، ثم سار منها إلى الموصل، فنزل في الجانب الشرقي منها، وأخذ يقاتل الجيش والي الموصل، واستولى على أكثر أعمالها، فسار إليه سنة 254هـ (868م) (الحسن بن أيوب بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي) ومعه (حمدان بن حمدون – جد الامراء الحمدانية – ومحمد بن السيد بن انس الزدي)، وغيرهما وساروا إلى الزاب، والتقوا في (وادي الرايات) – وهو وادي عميق، واشتد القتل بينهما، فانهزم عسكر الموصل، وكثر القتل فيهم، وسقط كثير منهم في الوادي، فهلك فيه أكثر من القتلى.

زحف مساور إلى الموصل سنة 255هـ، ونزل بظاهرها عند (الدير الأعلى) فاستتر أمير البلد (عبدالله بن سليمان) لضعفه عن مقاتلة مساور، ولم يدفعه أهل الموصل أيضاً، لميلهم إلى الخلاف، فوجه مساور جمعاً الى دار أمير البلد، وأحرقها، ودخل مساور الموصل بغير حرب، فلم يعرض لأحد، وحضرت الجمعة فصلى بالناس، وخطب على منبر الجامع، وقال في خطبته: "اللهم أصلحنا وأصلح ولاتنا" وجعل على درج المنبر من يحرسه بالسيوف، لأنه خاف من أهل الموصل، وكثرة أهلها، ثم سار إلى الحديثة لأنه كان اتخذها دار هجرته[5].

---

(2) ذكر عنها ياقوت: 2: 17: ناحية بين اذربيجان واردبيل يمر بها الزاب الاعلى.
(3) جبل شمال شرقي الموصل تسكنه الاكراد الداسنية (معجم البلدان: 4. 26).
(4) الكامل: 6: 187.
(1) بلد قرب تكريت على مصب الزاب الاسفل في دجلة (معجم البلدان: 2: 297).
(2) جبل شمال شرقي الموصل تسكنه الاكراد الداسنية (معجم البلدان: 4، 26).

وفي سنة 256هـ (869م) انقسم الخوارج فيما بينهم، فتبع جماعة منهم (عبيدة) من بني زهير العموري، فتقدم إليه مساور بنواحي جهينة[1]، سنة 257هـ (870م)، فقتل عبيدة وانهزم أصحابه، واستولى مساور على كثير من العراق ومنع الأموال عن الخليفة، فسار إليه من بغداد (موسى بن بغا) و (بابكيال) وغيرهما في عسكر عظيم، وأتبعهم الخليفة المعتمد بـ (مفلح) والتقوا قرب الحديثة، فاحتمى مساور بالجبال التي قرب الحديثة، وجرت بينهما وقعات كثيرة، فضعف جيش مفلح، فسار إلى الموصل ومنها إلى ديار ربيعة: سنجار ونصيبين والخابور، فنظر في أمرها ثم عاد إلى الموصل، فأحسن السيرة في أهلها، وتأهب للقاء مساور، فلم يتمكن من القضاء عليه، وقوى أمر مساور فاستولى على البلاد جبى خراجها، ومازال أمر مساور يقوى، حتى أدركه أجله في سنة 263هـ (876م)[2].

وانقسم الخوارج فيما بينهم، ووقعت بين بعضهم حروب، فولوا أمرهم (هارون بن عبدالله البجلي) فكثر أتباعه واستولى على أعمال الموصل، وجبى خراجها.

وفي سنة 267هـ (880م) كانت الحرب بين هارون الخارجي، وبين (محمد بن خرزاد) وهو من الخوارج أيضاً، وسار إلى هارون، وقابله في واسط – وهي محلة بالقرب من الموصل – فخرج إليه وجوه أهل الموصل، وتوجه إليه هارون الخارجي، واقتتلوا بالقرب من قرية (شمرخ(×))، فقتل من أصحاب هارون نحو مائتي رجل، وانهزم هارون قاصداً بني تغلب، فنصروه وعاد هارون إلى الحديثة، واجتمع عليه خلق كثير، وكاتب أصحاب ابن خرزاد، واستمالهم.

أما ابن خرزاد فإنه قصد (شهرزور)(××) وحارب الأكراد الجلالية وغيرهم، فقتل. وتفرد هارون بالرياسة على الخوارج، وقوى وكثر أتباعه، وغلبوا على القرى والرساتيق، وجعلوا على دجلة من يأخذ الزكاة من الأموال المنحدرة والمصعدة، وبثوا نوابهم في الرساتيق يأخذون الاعشار من الغلات.

---

(3) الكامل: 6: 187.

(1) الكامل: 7: 76 – 80، 81، 92، 110.

(×) قرية تابعة لمحافظة دهوك.

(××) شهرزور.

وفي سنة 272هـ (885م) دخل هارون الشاري مدينة الموصل، ومعه (حمدان بن حمدون التغلبي)، المتوفى حوالى 888م سنة 275هـ وصلى فيهم هارون في جامعها[1].

ثم توجه إلى بني شيبان بين الزابين، لأنهم عاثوا في البلد، والتقى معهم في الخازر[×]، فانهزم هارون نحو الموصل، وعاث بنو شيبان في البلاد، وجلى أهل نينوى عنها، إلا من تحصن بالقصور.

وفي سنة 279هـ (892م) زحف بنو شيبان للإغارة على نينوى والموصل، فتصدى لهم هارون الشاري، وحمدان بن حمدون التغلبي، وكثير من المتطوعة المواصلة، والتقوا مع بني شيبان في بعشيقة[××]، ومع بني شيبان هارون بن سليمان مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني – صاحب ديار بكر – وكان قد أنفذه محمد بن اسحاق بن كنداج والياً على الموصل، فطرده أهلها، فانهزمت بنو شيبان، وتبعهم حمدان والخوارج، وملكوا بيوتهم، واشتغلوا بالنهب، فكر عليهم بنو شيبان وأوقعوا بهم، وقتل كثير من أهل الموصل.

وكتب هارون بن سيما إلى محمد بن اسحاق بن كنداج، يعرفه بحال البلد، وأنه خارج عن يده، فخاف أهل الموصل من ابن كنداج، وانحدر بعضهم الى بغداد، يطلبون ازالة ابن كنداج، وارسال غيره فاجتازوا في طريقهم بالحديثة (وبها محمد بن يحيى المجروح) قد ولاه المعتضد الموصل، فحثوه على تعجيل السير، وأن يسبق ابن كنداج إليها، ففعل، فندم ابن كنداج على التباطؤ.

فكتب ابن كنداج إلى خمارويه بن طولون يعلمه بالأمر، فأرسل ابن طولون أبا عبدالله بن الجصاص بهدايا إلى الخليفة المعتضد كثيرة يطلب منه أموراً منها إمرة الموصل، فلم يجبه، وبقي المجروح فيها إلى أن استعمل المعتضد بعده علي بن داود بن هزار الكردي[2].

---

(2) الكامل: 7: 129: 151.

(×) الخازر.

(××) بعشيقة

(1) الكامل: 7: 151 – 152، 162، 163.

وفي سنة 280هـ خرج (ابو جوزة الشاري) – محمد بن عبادة من بني زهير من اهل (قبراثا)[1]) من البقعاء على هارون الشاري، واجتمع اليه الاعراب، وصار يجبي الزكاة، ويأخذ عشر الغلات، وبنى له حصناً قرب سنجار، جمع فيه الاموال والعتاد، وجعل فيه ابنه (ابا ملال).

فسار هارون الشاري بأصحابه إلى الحصن، واستولى عليه، ثم سار ألى (قبراثا) وحاصر أبو جوزة واستولى على أصحابه، فهرب أبو جوزة على (آمد)، فأخذه صاحبها (أحمد بن عيسى بن الشيخ) أسيراً، وسيره الى الخليفة المعتضد[2].

وكان الخليفة المعتضد مهيباً شهماً، شجاعاً مقداماً، سار بنفسه إلى لقاء من خرج عليه، سنة 281هـ (894م)، وقضى على الكثير منهم. قصد الموصل مرتين في تأديب الخوارج[3] والأعراب الذين يعيثون في أعمال البلد، وخلف فيها (نصر القشوري) يجبي الأموال، ويعين العمال على جبايتها سنة 282هـ.

وحدث نزاع بين عامل (ملعثايا)[×] وبعض الخوارج من أصحاب هارون، أدى إلى قتل (جعفر) أحد أعيان أصحاب هارون، فعادت الحرب بين الطرفين، وأرسل نصر كتاباً إلى هارون يتهدده، ويذكره بقوة الخليفة، وينصحه أن يلزم الهدوء، فأجابه هارون بكتاب شديد، يتوعده به[4].

فرفع نصر هذ الكتاب إلى الخليفة المعتضد، فولى الخليفة (الحسن بن علي) كورة الموصل، فجمع هذا الجموع، وقصد هارون، فالتقى معه قريباً من (المغلة) ودارت بينهما حروب انهزم في نهايتها أصحاب هارون، وأخذ هارون يتنقل في البرية.

وفي سنة 283هـ (896م) توجه المعتضد إلى الموصل ليقضي على حركة هارون، ولما كان بتكريت أحضر (الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي) وسيره

---

(2) قرية تابعة لبقعاء الموصل (معجم البلدان: 7: 24).

(1) الكامل: 7: 165 – 166.

(2) سنة 280هـ، سنة 281هـ (الكامل: 7: 165: 166).

(×) بليدة من نواحي الموصل – قرب جزيرة ابن عمر (معجم البلدان: 8: 99).

(3) انظر الكتاب في الكامل: 7: 168.

في طلب هارون. وقال له الحسين: "إن أنا جئت به فلي ثلاث حوائج عند أمير المؤمنين: إحداهن إطلاق أبي، وحاجتان أذكرهما بعد مجيئي به". فقال له الخليفة: لك ذلك".

فبذل الحسين بن حمدان المتوفى سنة 306هـ (918م) جهده في مطاردة هارون، والتضييق عليه، ومازال يحاربه حتى ألقى نفسه عليه، فأخذه أسيراً، وجاء به الى الخليفة المعتضد، فخلع عليه وأطلق أباه.

ولما صلب هارون نادى بأعلى صوته: "لا حكم إلا لله ولو كره المشركون"[1].

هذه نبذة عما كانت عليه الخوارج في الموصل وماحولها، كانوا يقلقون راحة الناس والدولة، ولم يحصلوا على نتيجة.

ولو أن الخوارج ثبتوا على تعاليم معينة، وركزوا دعوتهم في مراكز، وتعهدوا نشرها بين الناس، ولم تتقاسمهم الأهواء، وأحسنوا تدريب أتباعهم، وتمويلهم بالذخائر والعدد، لكان لهم شأن في التنازع، وحصلوا على نتائج مرضية، ولكنهم كانوا سريعي الإنقسام، تسودهم عقلية بدوية، وربما حارب بعضهم بعضاً ولم يستفيدوا من حركاتهم إلاّ القتل والتشريد، وإقلاق الدولة، ولم نجد لمذهبهم أثراً في هذه البلاد.

3- النزاع بين القبائل العربية

وفي الوقت الذي كانت الخوارج تقلق راحة الدولة العباسية، كان النزاع بين القبائل العربية – في الموصل – يزيد في ارتباك الحالة فيها، ومن ذلك:

وفي سنة 183هـ ولى الرشيد الموصل (أحمد بن يزيد الموصلي) فرأى اليمانية أظهر في البلد من النزارية، فتعصب على اليمانية، وعزم على أن يأخذ رؤساءهم ظاهر البلد ويفتك بهم، فيقتلهم. فلما كان قرب الحديثة أعلم النزارية بما عزم عليه، فنمى الخبر إلى (المعافى بن شريح الخولاني)، فأعلم أصحابه النزارية بما عزم عليه أحمد بن يزيد الموصلي، ففر اليمانية ليلاً – قبل أن يبيتهم – ودخلوا

---

(1) الكامل: 7: 169، 170، العيون: 4: 1: 80 – 81.

الموصل، ومنعوا الوالي من دخولها، فالتجأ إلى (حبتون)[1]، وأظهر من العصبية فيها أمراً قبيحاً، ثم دخل السلق[2] فتغطرس وقتل وأحرق، فوجه إليه (حاتم بن صالح بن عبادة الهمداني)، وكان متجنباً له، ينصحه ويعلمه أن السلطان لا يرضى بفعله، فلم ينته، فزحف إليه حاتم وهزمه، وولى مكانه الرشيد ابن عم له يكنى (أبا قدامة) فهزمه حاتم أيضاً.

وفي سنة 184هـ (800م) قلد الرشيد الموصل (يزيد بن مزيد الشيباني) فاستقبله اليمانية بـ (شهرزور) بقيادة حاتم، فهزمهم يزيد، ثم مال حاتم إلى الصلح، وقدم بنفسه على يزيد، وسافر إلى الرشيد بـ (الرقة) واعتذر إليه عما كان بين الطرفين، فرضي عنه ووهبه مالاً[3].

وفي سنة 193هـ (808م) كان (الحسن بن صالح الهمداني) والياً على الموصل، فلما كان بحزة[4] قتلته عنزة ودفنوه، ولما علم ابنه (علي ابن الحسن) بالأمر، ثار لهذا الحادث وترك تنسكه، وخرج يطلب ثأر أبيه، وانضمت إليه الأزد وبنو الحارث بن كعب.

وأما عنزة فإنهم انضموا إلى شيبان، وكثرت جموع الطرفين على الزاب الصغير، فكانت اليمانية في الجانب الشرقي منه، والنزارية في الجانب الغربي، فعبرت اليمانية إليهم وشتتوا شملهم، وقتلوا منهم، وكان هذا سبب رياسة علي بن الحسن الهمداني، فكان بنو الحسن هم الغالبون في الموصل[5].

وفي سنة 195هـ (810م) ارتبك الأمر في الموصل لضعف أمر السلطان فيها، فاجتمع أهل الموصل إلى علي بن الحسن الهمداني ليتولى أمر البلد،

---

(1) حبتون: جبل بنواحي الموصل (معجم البلدان: 3: 207).

(2) السلق: جبل عال مشرف على الزاب من اعمال الموصل، متصل باعمال شهرزور، يعرف: بسلق بني الحسن بن الصباح بن عباد الهمداني (معجم البلدان: 5: 109).

(3) ابو زكريا: 298 – 299.

(4) حزة: بليدة قرب اربل من ارض الموصل (معجم البلدان: 3: 272).

(5) ابو زكريا: 313 – 314.

ويحفظ أطرافه، ذلك لان الهمدانيين هم الغالبون على البلد، فكانوا اذا رضوا عن الوالي أدخلوه البلد، وإلا منعوه[1].

وفي سنة 197هـ (813م) ولى الأمين (الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي) على الموصل، فأبى بنو الحسن ان يدخل البلد، وقال أهل الموصل: "لا يلينا ربعي"، ومازال الحسن يكاتبهم ويتقرب إليهم حتى أجابوه إلى الدخول في المدينة.

ولما استقر الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي في الموصل، عزم على حرب (بني تليد) – وهم من الأزد – ولكنه لما عرف قوتهم وبأسهم توقف عن حربهم[2].

وفي سنة 198هـ (813م) كانت وقعة الميدان بين اليمانية والنزارية، وسبب هذا أن بني الحسن هم المتغلبون على المدينة، فاستاء النزارية من ذلك، فخرج (عثمان بن نعيم البرجمي) إلى ديار مضر، وشكا لقومه أن اليمانية يهضمونهم حقوقهم، واستنصرهم عليهم، فقدموا إلى الموصل بعشرين ألفاً، فنصحهم علي بن الحسن الهمداني بالكف عن القتال، وأن ماذكره البرجمي كان كذباً، فلم يكفوا، فخرج إليهم علي بن الحسن الهمداني بجموع كبيرة، وفرقهم، وقتل منهم ستة آلاف، وهذا مما زاد في النزاع بين الطرفين[3].

وفي سنة 199هـ (814م) عادت الفتنة بينهما، وذلك لخلاف كان بين بني ثعلبة – من اليمانية – وبني سامة – من النزارية – فإستجار بنو ثعلبة بمحمد بن الحسن الهمداني وهو اخو علي بن الحسن الهمداني أمير البلد – فحصر بنو سامة بني ثعلبة في قصر عريب في (العوجاء) فخرج اليهم بنو الحسن، وشردوهم وأسروا عدداً ألقوهم في سجن الموصل، ثم تقدم أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي وكلم علي بن الحسن الهمداني في أمرهم، فعفا عنهم وأكرمهم[4].

ولما تمكن بنو الحسن في البلد، ولم يكن فيها من يخالفهم فإن بعضهم لم يسلك مع غيرهم من القبائل مسلكاً طيباً، فدخلهم العجب والغرور، وصاروا

---

(1) أبو زكريا: 324.
(2) أبو زكريا: 326 – 328.
(3) أبو زكريا: 332 – 333، الكامل: 6: 111.
(1) أبو زكريا: 326 – 327، الكامل: 6: 117.

ينظرون إلى غيرهم كأنهم تبع لهم، وحدث بين الهمدانيين وجماعة من الأزد نفور أدى إلى النزاع والحرب، وتزعم الأزد (السيد أنس الأزدي التليدي) وسار لحرب بني الحسن الهمدانيين، واستعان بنو الحسن بخارجي يقال له (مهدي بن علوان أنس الشاري) فدخل البلد، وخطب لنفسه في جامعها، وتفاقم الأمر بين الطرفين، فظهر السيد بن أنس على الهمدانيين، فانحدروا إلى الحديثة، فتبعهم السيد وقتل علياً وأخاه أحمد وجماعة من أهله، وصار الأمر في البلد بيد السيد بن أنس، وزال نفوذ الهمدانيين فيها سنة 202هـ (817م)[1].

وفي سنة 204هـ (819م) انحدر السيد بن أنس الأزدي من الموصل الى المأمون، فتظلم منه محمد بن الحسن بن صالح الهمداني، وذكر أنه قتل أخوته وأهل بيته، فأحضره المأمون وسأله: أنت السيد؟ قال: "انت السيد؟ قال: "انت السيد ياأمير المؤمنين وأنا ابن أنس، فاستحسن منه ذلك المأمون، وسأله: أنت قتلت أخا هذا؟ قال: نعم، كان معهم لقتلته، لأنهم أدخلوا الخارجي بلدك، وأعلوه على منبرك، وأبطلوا دعوتك"، فعفا عنه المأمون واستعمله على الموصل[2]، وبقي في ولاية الموصل الى سنة 211هـ (826م).

كان من خيرة الولاة، عادلاً مترفعاً عن أموال الناس، نشر الأمن والطمأنينة في البلد، وقطع دابر المفسدين ونكل بهم، فأحبه الناس، واثنوا على سيرته[3].

كان زريق بن علي بن صدقة الأزدي الموصلي قد تغلب على الجبال مابين الموصل وأذربيجان، وجرى بينه وبين السيد بن أنس حروب، منها مكان في سنة 209هـ (824م)، وصالحهما (أحمد بن عمر العدوى الموصلي) ثم استأنفا القتال مرة أخرى سنة 210هـ (825م)، ووقف بينهما (يحيى بن القسم العبدي) فاصطلحا، ولكن لم تهدأ الحالة بينهما.

وفي سنة 211هـ (826م) جمع زريق جموعاً كثيرة، وسيرهم إلى الموصل لحرب السيد بن أنس، فخرج إليه السيد في أربعة آلاف مقاتل، والتقوا بسوق

---

(2) أبو زكريا: 343 – 350، الكامل: 6: 129.
(3) أبو زكريا: 354 – 355.
(4) ابو زكريا: 367، الكامل: 6: 142.

الأحد، وحمل السيد بنفسه عليهم، فقتل، ولما أتي برأس السيد الى زريق بكى وقال: "كم احتملتك وكم استعطفتك، فأبيت".

وهذا من مظاهر النزاع على السيادة في قبيلة واحدة – الأزد – فكلاهما كان يريد أن يكون هو السيد المطاع، ولما بلغ المأمون قتله غضب، وأرسل (محمد بن حميد الطوسي) إلى الموصل، وحارب زريقاً وقضى على حركته سنة 212هـ (827م)[1].

ومن ذلك أيضاً ماكان في سنة 253هـ بين (سليمان بن عمران الأزدي) وبين قبيلة (عنزة)، وذلك أن سليمان اشترى ناحية من المرج، فطلب منه (برهونة) – من عنزة – الشفعة، فلم يجبه إليها، فسار برهونة إلى عنزة وهم بين الزابين، فاستجار بهم وببني شيبان، واجتمع معه جمع كبير فنهبوا الأعمال، فخرج إليهم سليمان من الموصل، والتقى معهم بباب شمعون، وقتل منهم مقتلة عظيمة[2].

ومنها أيضاً ماكان في نفس السنة بين قبيلة (تليد) فإن (محمد بن عبدالله ابن السيد بن أنس التليدي الأزدي) تخاصم مع (الحباب بن بكير التليدي) فقتل الحباب[3].

4– الدولة الطولونية في مصر

– وعامل آخر كان له تأثير في الموصل، هو قيام الدولة الطولونية في مصر، واستيلاؤها على بلاد الشام، فإن بعض ولاة الموصل كانوا يتقربون إلى الطولونيين في سورية إذا ساءت العلاقات بينهم وبين بغداد، وربما خطبوا للطولونيين في الموصل، ومن ذلك:

---

(1) ابو زكريا: 365، 366، 371، 372، 378، الكامل: 6: 148 – 149.
وكتب المأمون الى محمد الطوسي يأمره ان يأخذ جميع مال زريق، ولكنه ترفع عن هذا، وجمع اولاد زريق واخوته، واخبرهم بما أمر به أمير المؤمنين، وقال: "قد قبلت ماحباني به أمير المؤمنين ورددته عليكم". فشكروا له ذلك.
(2) الكامل: 7: 63 – 64.
(3) الكامل: 7: 64.

كان (اسحق بن كنداج) يتولى الموصل والجزيرة، فطمع سنة 270هـ (883م) على أن يسترجع بلاد الشام من الطولونيين، فاتفق مع (ابن أبي الساج) – وكان يلي ديار مضر – وعرضا الأمر على الخليفة العباسي الموفق بالله – فوافق ووعدهما بإرسال الجيوش اليهما.

فتراجع من بالشام من نواب ابن طولون: بأنطاكية وحلب وحمص ودمشق، فسار أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فاستعاد دمشق، وتقدم الى شيزر، ثم أرسل الخليفة جيشاً بقيادة (أبو العباس أحمد بن الموفق) – المعتضد فيما بعد – واستعاد دمشق.

ثم كانت وقعة الطواحين بين أحمد بن الموفق وخمارويه سنة 271هـ (884م) فانكسر خمارويه وهرب إلى مصر، ثم أن جيشه هجم على جيش العباسيين، وفتكوا بهم، مما اضطر أحمد بن الموفق أن يهرب إلى طرسوس وفي سنة 273هـ اختلف الأمر بين ابن أبي الساج وابن كنداج، فإن ابن ابي الساج أراد أن يستأثر بالسلطة، فامتنع ابن كنداج، فراسل ابن أبي الساج خمارويه بن أحمد بن طولون – صاحب مصر – وأطاعه وصار معه، وخطب له بأعماله، فمده بمال كبير، واستولى ابن أبي الساج على ماكان لابن كنداج وطارده، حتى استولى على الجزيرة والموصل، وخطب لخمارويه فيهما ثم لنفسه بعده.

وصار ابن أبي الساج يطمع في الملك بعد هذا، لذا حاول أن يستولي على الشام وينتزعها من خمارويه، وجرت بينهما حروب سنة 275هـ (888م) أدت إلى اندحار ابن أبي الساج، وانهزم الى الحديثة تاركاً أمواله وأثقاله.

ثم جرت حروب بين اسحق بن كنداج وابن أبي الساج، كانت نهايتها اندحار ابن أبي الساج، والتجأ إلى الموصل، ثم اندحر منها إلى بغداد، وصفا الجو لاسحق في ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة، وكان هذا بمعاونة خمارويه، وبذا صارت هذه الديار تابعة للدولة الطولونية[1].

---

(1) الكامل: 7: 150 – 152، 155، 157 – مروج الذهب: 2: 448، المختصر: 2 54، ابن العبري: 257.

ولما قامت الدولة الفاطمية في مصر واستولت على بلاد الشام، وحاولوا الاستيلاء على بلاد الجزيرة والموصل فاتصلوا بالعقيليين – وهؤلاء من الشيعة – وأمدّوهم بالأموال والعتاد، وحرضوهم على الدولة العباسية، فكان لهم ماأرادوا، وخطب (قرواش بن المقلد العقيلي) سنة 401هـ (1010م) للفاطميين في بلاده – ومنها الموصل[1].

ولاة الموصل في العهد العباسي
132 – 292

سنة/ هـ		سنة/ هـ	
132	محمد بن صول (منعوه من دخول المدينة)	132– 136	السفاح
133–134	يحيى بن محمد بن علي بن العباس		السفاح
134–142	اسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس		السفاح
142–145	مالك بن الهيثم الخزاعي	136–157	أبو جعفر المنصور
145–148	جعفر بن أبي جعفر المنصور		أبو جعفر المنصور
148–151	خالد بن برمك		أبو جعفر المنصور
151–154	اسماعيل بن عبدالله القسري البجلي		أبو جعفر المنصور
154–155	موسى بن مصعب الخثعمي		أبو جعفر المنصور
155–156	خالد بن برمك أو موسى بن مصعب		أبو جعفر المنصور
157	موسى بن مصعب الخثعمي		أبو جعفر المنصور
160	اسحاق بن سليمان. أو حسان السروي	158–168	المهدي
161	حسان السروي		المهدي
162	عبدالصمد علي بن عبدالله بن العباس		المهدي

(2) الكامل: 9: 76، المختصر: 2: 139 – 140، وفي النجوم الزاهرة: 4: 224 – 226 نص الخطبة التي ألقيت في الموصل، رابع محرم من السنة المذكورة (منهل الاولياء: 1: 92).

164	محمد بن الفضل		المهدي
166-165	أحمد بن اسماعيل بن علي العباسي.		المهدي
	أو موسى بن مصعب الخثعمي		
167-	موسى بن مصعب الخثعمي (وهو الذي جدد الجامع)		
	وبعده: عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن العباس		المهدي
168	هرثمة بن أعين	169-168	الهادي
169	هاشم بن سعيد بن منصور بن خالد		
170	عبدالملك بن صالح الهاشمي	194-170	الرشيد
171	اسحاق بن محمد		الرشيد
172	سعيد بن سلم الباهلي		الرشيد
173	عبدالله بن مالك الخزاعي		الرشيد
175	الحكم (الحاكم) بن سليمان		الرشيد
176	محمد بن عباس الهاشمي – وعلى الخراج منجاب.		الرشيد
180	يحيى بن سعيد الحرشي		الرشيد
182	هرثمة بن أعين		الرشيد
183	عمرو بن الهيثم – نائباً عن هرثمة		الرشيد
184	يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني –		الرشيد
	نائباً عن هرثمة		الرشيد
	عمرو بن الهيثم – نائباً عن هرثمة		الرشيد
186-185	علي بن شريك – نائباً عن هرثمة		الرشيد
189-188	ندال بن رفاعة المعنى بن معن بن مالك		الرشيد
190	خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب		الرشيد
	محمد بن الفضل بن سليمان		الرشيد
	علي بن صدقة بن دينار الازدي – مات فرحاً بولاية الموصل		الرشيد

	سعيد بن عتاب التميمي		الرشيد
192	محمد بن الفضل بن سليمان		الرشيد
194	ابراهيم بن العباس	197-194	الأمين
195	خالد بن يزيد... ابراهيم بن العباس		الأمين
	علي بن الحسن الهمداني (ولاه أهل الموصل		الأمين
196	الغالب على الموصل بنو الحسن الهمدانيون		
	المطلب بن عبدالله الخزاعي– اخذ البيعة للمأمون		
198-197	علي بن الحسن الهمداني		
200-198	طاهر بن الحسين	217-198	المأمون
204-202	أبو يزيد الخراساني		
	محمد بن سعيد بن مالك		
	السيد بن أنس اليحمدي الأزدي		
211-204	السيد بن انس الازدي		المأمون
211	محمد بن حميد الطوسي، وأناب عنه محمد بن السيد بن انس		المأمون
212	هارون بن أبي خالد		المأمون
213	أحمد بن علي بن اسماعيل أبو المثنى التليدي		المأمون
	محمد بن السيد بن انس		المأمون
216-214	مالك بن طوق بن عتاب بن شريح	227	المعتصم
219	منصور بن بسام (الحرب والخراج)	227	المعتصم
	سليمان بن زامل		المعتصم
224	عبدالله بن السيد بن أنس الموصلي		المعتصم
235-224	غانم بن حميد الطوسي	232-227	الواثق
238-235	محمد بن الخليفة المنتصر (حاكم فخري)	247-232	المتوكل
238	بغا الكبير		المتوكل

244-241	محمد بن عبدالله بن السيد بن أنس		المتوكل
250-244	ثابت بن اسحق	247-232	المنتصر
251-250	محمد بن عبدالله بن السيد بن أنس	251-248	المستعين
252-251	عقبة بن نافع	251-248	المعتز
252	عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الاشعث الخزاعي		المعتز
253	مساور الخارجي (متغلب)		
254	أيوب بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبي	255-251	المهتدي
259-255	عبدالله بن سليمان	256-255	المعتمد
		279-256	المعتضد
259	أساتكين (وينوب عنه ابنه اذ وتكين)		المعتضد
260	يحيى بن سليمان		المعتضد
261	الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبي		المعتضد
262	القطان (صاحب مفلح على الخراج)		المعتضد
278-266	اسحق بن كنداج		المعتضد
278	محمد بن اسحاق بن كنداج		المعتضد
279	هارون بن سيما (نيابة عن محمد بن اسحق بن كنداج)		المعتضد
279	محمد بن يحيى بن المجروح		المعتضد
	علي بن داؤد بن رهزاد الكردي		المعتضد
280	نصر القشوري		المعتضد
282	الحسن بن علي		المعتضد
283	أيوب بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي		المعتضد
285	عبدالله بن الهيثم	289-295هـ	المكتفي
293	أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبي	295-320	المقتدر

الدولة الحمدانية
293-381هـ

سنة/ هـ		سنة/ هـ	الخليفة
293	أبو الهيجاء عبدالله الحمداني	289-295	المكتفي
293-356	ناصر الدولة	295-320	المقتدر
356-369	أبو تغلب بن ناصر الدولة – وضعف الدولة العباسية	320	القاهر[1]
		322	الراضي
		329	المتقي
		333	المطيع
	انقسام البيت الحمداني وتسلط البويهيين	363	الطائع
379-380	أبو طاهر بن ناصر الدولة واخوه أبو عبدالله		
	الحسن	381	القادر
			البويهيون
		320	معز الدولة
		356	بختيار
		379	بهاء الدولة

الدولة الحمدانية

ينتسب الحمدانيون الى جدهم (حمدان بن حمدون التغلبي)، وتغلب بن وائل اب ربيعة من القبائل العدنانية، وكان لها شأن في الدور الجاهلي، حدث بينها وبين بكر بن وائل حرب البسوس في القرن الخامس للميلاد.

وانتشرت تغلب – قبيل الاسلام – في بلاد الجزيرة، وكانت فيها أكبر القبائل عدداً وعدداً، وامتدت إلى أذربيجان، واعتنقت النصرانية لاتصالها بالروم، وشاركت المسلمين في فتح تكريت والموصل، وخضعت للحكم الإسلامي بعد فتح بلاد

---

(1) تسلط البويهيون على الخلافة، وكان منهم في بغداد

الجزيرة، وبقي أكثرهم على النصرانية، وانفوا أن تفرض عليهم الجزية – كما كانت تؤخذ من العلوج – وعزموا على الالتحاق بالروم، فأبقاهم الفاروق وضاعف الجزية عليهم، وسماها (صدقة) وشرط عليهم: "ألاّ يصبغوا صبياً – يعمدوه – ولا يكرهوه على دينهم[1]". وعلى مر السنين تسرب إليهم الإسلام، ونسوا نصرانيتهم، وصار لهم شأن في بلاد الجزيرة.

واشتهر من تغلب في الإسلام ثلاثة بيوت كبيرة في القرن الثالث للهجرة، وهم: آل عمران بن الخطاب العدوي التغلبي، وآل هارون المغمر، وآل حمدان بن حمدون.

وأنجب حمدان بن حمدون ثمانية أولاد[2]، أشهرهم: أبو الهيجاء الذي أنجب ولدين هما الحسن الذي لقب فيما بعد (ناصر الدولة) وهو مؤسس الدولة الحمدانية في الموصل، وعلي الذي لقب فيما بعد (سيف الدولة)، وهو الذي يتفرع منه الحمدانيون في حلب.

كان حمدان بن حمدون المتوفى حوالي سنة 250هـ (864م) من ذوي الأطماع، رأى ضعف الدولة العباسية، واستبداد أمراء الأطراف وقواد الجيش، ومنهم من استقل فيما تولاه، ولم يبق للخليفة إلا الدعاء على المنابر، وضرب اسمه على النقود، وأن بعضهم ترك الدعاء للخليفة.

طمع حمدان أن يستأثر بأحد الاقطار ويكون له ما لغيره من الولاة، وخير هذه الاقطار هي بلاد الجزيرة، لكثرة قبيلة تغلب ونفوذها فيها، وكان شجاعاً مقداماً طموحاً، يميل إلى القوي، عله يحقق ماكان يسعى إليه.

ففي سنة (254هـ = 868م) انضم إلى جيش أمير الموصل الحسن ابن أيوب التغلبي، وحارب معه مساور الخارجي، وكانت بينهما وقعة في (وادي الرايات)، انهزم جيش الموصل، وفتك بهم مساور، ونجا الحسن وحمدان.

---

(1) الخراج لابي يوسف: 148، الخراج ليحيى: 66 – 67، الاموال: 28، فتوح البلدان: 85 – 87.

(2) هم: ابو اسحاق ابراهيم، ابو علي الحسن، ابو السرايا نصر، ابو الهيجاء عبدالله، ابو العلاء سعيد، ابو سليمان داود، ابو الوليد سليمان، علي.

كان حمدان لا يثبت مع طرف معين، وهو كغيره من الساسة والقادة، لا يقيم للتحالف وزناً مع جهة معينة، وإنما كان مع كل جهة قوية يؤمل نجاح مصالحه وأطماعه. فبينما نراه يساعد جيوش الولاة العباسيين في القضاء على ثورات الخوارج وغيرهم، نجده يحالف الخوارج، ويخوض معهم غمار الحروب، إذا ماشعر بقوتهم، وتفوق أمرهم، كما أنه استمال الأكراد، واستعان بهم في حروبه – لأن الأكراد كانوا أخواله – ولما قصده الخليفة المعتضد كان الأكراد قد تحالفوا معه على أن يقاتلوا على دم واحد.

أدرك حمدان قوة الخوارج في بلاد الجزيرة، ولهم شأن في بعض الأطراف منها، فمال إليهم وتحالف معهم، وحارب في صفوفهم، علّه ينال مانال المتغلبون على بعض أطراف الدولة العباسية.

حارب مع هارون الشاري، هو وقبيلته تغلب، وأيده في ثورته على الدولة العباسية، ثم نجده بعد هذا في جيش الخليفة مع علي بن داود، واسحاق بن أيوب التغلبي سنة (260هـ = 873م) في إخماد ثورة الموصل، ولكنهم فشلوا أمام ثورة أهل البلد.

وبقي مع اسحاق بن أيوب التغلبي إلى سنة (266هـ = 879م)، وساعده هو وعيسى بن الشيخ وأبو المغراء ابن موسى بن زرارة، ومعهم من قبائل ربيعة وتغلب وبكر واليمن في محاربة (ابن كنداج)، وكان نصيبهم الخذلان[1].

على أن علاقته مع الخوارج لم تكن منقطعة خلال هذه السنين، وفي سنة (272هـ = 885م) كان ممن دخل الموصل مع هارون الشاري الذي صلى في جامع الموصل، وخطب على منبره، وساعد حمدان الشاري أيضاً في حربه مع بني شيبان في سنتي (272هـ، 279هـ) وهكذا نجده يتحول من معسكر إلى آخر، يميل إلى القوي ويحارب في صفه سعياً للمنفعة وتحقيقاً لما يصبو اليه.

---

(1) الطبري: 11، 258، الكامل: 7: 119.

أخذ نجم حمدان بالصعود، وحصل على ثروة طائلة، وذاعت شهرته، واتخذ له مقراً قرب ماردين قلعة (دير الزعفران)، جمع فيها أمواله وعتاده، واتخذه ملجأ إذا ماضاقت عليه الأرض.

وفي خلافة المعتمد على الله (256 – 279هـ) زاد الارتباك في البلاد: ففي الجنوب تعاظم أمر الزنج، وفي الشرق كانت دولة بني الصفار، وفي مصر الدولة الطولونية، وامتد نفوذها إلى سوريا، وفي بلاد الجزيرة الخوارج وبنو تغلب وبنو شيبان وغيرهم من المتنفذين.

وفي سنة 279هـ تولى المعتضد بالله الخلافة، وكان حازماً مقداماً ، يقود الجيوش بنفسه. وجد ماكانت عليه الحالة في بلاد الجزيرة، وأن الخوارج قد اشتدت قوتهم، وتسلطوا على الأطراف، يساعدهم حمدان بن حمدون التغلبي، وقد تمكن في ماردين وماحولها، وصار له شأن في البلد، وحوله تغلب ومن حالفه. فقرر أن يسير بنفسه إلى بلاد الجزيرة، ويقضي على الثوار، ويعيد سلطة الخلافة العباسية، ففي سنة (281هـ = 894م) قضى على بني شيبان الذين أفسدوا حول الموصل، وشتت شملهم، ثم توجه الى الموصل ودبر شؤونها[1].

ورأى أن يقضي على حمدان قبل أن يسير إلى حرب الخوارج، فيضعف قوتهم. فتوجه إلى ماردين، ولما علم حمدان بجموع الخليفة لجأ إلى الفرار، وترك ابنه الحسن في حصن دير الزعفران، ليدافع عنه، فحاصره الخليفة المعتضد، وقاتل من فيه يوماً كاملاً، وقتل منهم خلقاً كثيراً. فلما كان من الغد، توجه الخليفة الى باب القلعة، وصاح الحسين بن حمدان أن يفتح له الباب، وكان هذا قد يئس من المساعدة، ففتح الحصن وسلم نفسه للخليفة، فأمر الخليفة بنقل ما في القلعة وهدمها، وأرسل جيشاً في مطاردة حمدان وصادر أمواله[2].

رجع الخليفة المعتضد إلى الموصل سنة (282هـ = 895م) وكتب الى حمدان بن حمدون واسحاق بن ايوب التغلبي يأمرهما بالمسير اليه وتقديم الطاعة.

---

(2) الطبري: 11: 342.

(2) الطبري: 11: 258، الكامل: 7: 119.

أما إسحاق بن أيوب التغلبي فإن قوته كانت دون قوة حمدان، ورأى أن لا قدرة لـه علـى منازلـة الخليفـة، فقـدم إلـى الموصـل، وسلم نفسـه، وصـار يحـارب فـي صفوف الخليفة.

اما حمدان بن حمدون التغلبي فانه كان يعتمد على القبائل البدوية، كما ان الأكراد – أخواله – كانوا من أكبر أنصاره، فلجأ إليهم، وتحصن بقلاعهم، وجمع ماأمكنه ليدافع عن نفسه.

أرسل الخليفة اليه جيشين، بقيادة (وصيف بن موشكير) و (نصر القشوري) وأمدهما بالجيوش، وكان حمدان متحصناً (بباسورين)، فاصطدم معه وصيف، وقتل من أصحابه عدداً كبيراً، ففر حمدان في زورق كان قد أعده في دجلة، وأخذ مايحتاجه من المال، وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة، وتوغل في ديار ربيعة، فشعر به الجند، وأخذوا يقتفون أثره، ونزل بدير ليستريح، فكبسوه، فترك ماله ونجا بنفسه، وبقي لا يستقر بأرض، ولا يهدأ له بال، ولما أعيا في الهرب، قرر أن يسلم نفسه للخليفة، فقصد خيمة إسحاق بن أيوب التغلبي واستجار به – وكان هذا من المقدمين عند الخليفة – فأجاره وأحضره عند الخليفة، فأمر أن يحتفظ به، وأخذه واعتقله في بغداد.

كان ابنه الحسين في خدمة الخليفة، يحارب في جيشه ويعهد إليه بمهام الامور الحربية، ففي سنة (283هـ = 896م) تعاظم أمر هارون الشاري، فسار الخليفة بطلبه، ولما كان في تكريت استدعى الخليفة الحسين بن حمدان وسيره في طلب هارون في جماعة من الفرسان، فقال له الحسين: "إن أنا جئت به فلي ثلاث حوائج أذكرها لأمير المؤمنين، إحداهن إطلاق أبي" فاعترف له الخليفة بهذا، فما زال الحسين يشدد على هارون حتى قبض عليه، فأطلق الخليفة والده وخلع على أولاده[1].

الحسين بن حمدان

---

(1) الطبري: 11: 344 – 347، العيون: 4: 79 – 80، الكامل: 7: 166 – 168، ابن العبري: 261.

بعد أن قبض الحسين بن حمدان على هارون الشاري، صار من المقربين عند الخليفة، وممن يعتمد عليهم في توطيد الأمور، وسكن بغداد ليكون قريباً عند الخليفة، وممن يعتمد عليهم في توطيد الأمور، وسكن بغداد ليكون قريباً من الخليفة وأرباب الحكم، وليطلع على مايجري فيها من حوادث الدولة، لعله يجد له مايحقق طموحه في الاستقلال ببعض البلاد.

وكان الخليفة المعتمد يعتمد عليه في إخماد الثورات، لما وجده من بسالته وإقدامه وكثرة أتباعه. ففي سنة (283هـ) تمرد بنو دلف في بلاد الجبل على الدولة العباسية – وهم من بكر بن وائل أبناء عمومة الحمدانيين – فشارك الحسين في القضاء على الثورة، فزادت منزلته عند الخليفة المعتضد[1].

وكان الحسين ممن شاركوا في محاربة القرامطة سنة (290 – 291هـ = 902 – 903م) في خلافة المكتفي، وكان زعيم القرامطة صاحب الشامة الذي خلف الشيخ أبا القاسم بعد قتله، وعاضد الحسين بنو شيبان، فهجم على صاحب الشامة وأسره، وأدخله بغداد[2].

وكانت الدولة الطولونية قد استقلت في مصر، وامتد نفوذها إلى بلاد الشام، ونازعت الخلافة العباسية فاستعان الخليفة المكتفي سنة (292هـ = 954م) ببني حمدان أن ينضموا إلى محمد بن سليمان قائد جيش الخليفة في محاربة الطولونيين، فانضم إليه الحسيه بن حمدان، وأبو سليمان داود بن حمدان (المزرفن)، وأبو الوليد سليمان بن حمدان (الحرون) وأبو جعفر محمد بن الغمر بن حمدون بن حمدان، فأبلوا بلاءاً حسناً في القتال، وهجم الحسين على قائد الجيش الطولوني وقتله ودخل مصر[3].

نجد في هذه الحرب أربعة من أبناء حمدان، يشتركون في جيش الخليفة، ويدافعون عن الدولة العباسية، ونالوا إعجاب الخليفة المكتفي، وخاصة الحسين بن

---

(2) الطبري: 11: 348، العيون: 4: 80 – 81، مروج الذهب: 2: 277، الكامل: 7: 17، المنتظم: 5: 161.

(1) السامر: 1: 89 – 90.

(2) الطبري: 11: 380 – 391، العيون: 4: 116، 117، الكامل: 7: 186 – 189.

حمدان، فكافأه الخليفة على عمله هذا بولاية "مصر"، واعتذر عن قبولها. وتولى الصعيد الأعلى أبو جعفر محمد بن الغمر بن حمدون، وانصرف إليها في ألف بغل وجمل، تحمل أثقاله. وهي تدل على ماكان عليه بنو حمدون، وانصرف إليها في ألف بغل وجمل، تحمل أثقاله. وهي تدل على ماكان عليه بنو حمدان من غنى واسع.

كان الحسين يعتمد على قومه بني تغلب في بلاد الجزيرة، وهم من اقوى القبائل واكثرها عدداً، وسكن قسم منهم المدن، وتخذوا المزارع والمستغلات، والفوا الحضارة، ونعموا في العيش، ويصعب عليهم ان يتركوا هذه البلاد الطيبة، وهم متمكنون فيها الى بلد بعيد عن الاهل والوطن، ولا يعلمون ماسيكون من امرهم فيها، ولهذا اعتذر الحسين عن قبولها، لعله يحظى بولاية في بلاد الجزيرة بين أهله وأنصاره – وقد كان هذا له وللحمدانيين فيما بعد ..

ونجده بعد هذا يتعقب بقايا القرامطة في سنتي (905 – 906م) 293 – 294هـ في الشام، فيقتل بعضهم ويرسل بعضهم إلى الخليفة المكتفي في بغداد، ثم بعد هذا يحارب القبائل البدوية التي كانت تعكر صفو بلاد الشام[1].

ويذكر ابن العديم أن الخليفة المكتفي ولى حلب الحسين بن حمدان بن حمدون – عم سيف الدولة – فعاف عليه العرب من كلب واليمن وأسد وغيرهم، فخرج للقائهم سنة 294هـ فهزموه حتى بلغ حلب، فولى الخليفة مكانه عيسى – غلام النوشري –[2].

كان الحسين بن حمدان في طليعة القواد الذين يعتمد عليهم المعتضد والمكتفي، وذكر ابن خالويه أنه كان في خزائنه نيف وعشرون طوقاً لنيف وعشرين فتحاً بالمشرق والمغرب. ومهما كانت نظرتنا إلى ماذكره ابن خالويه فإنها – وإن كان فيها من مدح كبير – تدل على بسالة الحسين، وإقدامه في الحروب، وأنه رجل ضرب وطعن أكثر مما هو رجل سياسة وتدبير، وهذا ماجعله يخسر

---

(1) – (2) الكامل: 7: 191 – 192. الطبري: 12: 15، العيون: 1: 132 – 135.

حياته في زمن المقتدر، كان هذا بسبب إقدامه واندفاعه وعدم تفكيره في نتائج الأمور بعكس أخيه أبي الهيجاء.

– 3 –

وفي سنة 293هـ = 905م ولى الخليفة المكتفي أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان على الموصل، وهو ماكان يطمح إليه الحمدانيون، أن تكون لهم ولاية في قاعدة بلاد الجزيرة.

دخل أبو الهيجاء الموصل في أول محرم، والبلاد مضطربة، والأعراب والأكراد يشنون الغارات على الأطراف، فوجه عنايته إلى الجيش ليستعين به عليهم.

وبينما كان يستعرض الرجال الذين قدموا معه والذين بالموصل، ليطلع على ماهم عليه من القوة، استغاث به أهل نينوى من الأكراد الهذبانية، الذين أغاروا عليهم بقيادة محمد بن بلال، ونهبوا أموالهم واستاقوا أنعامهم، فسار من وقته اليهم وعبر الجسر وطاردهم، واصطدم بهم في قرية "المعروبة" على الخازر، وقتل رجل من أصحابه المخلصين (سيما ابن الهمداني). فعاد أبو الهيجاء الى الموصل، وكتب إلى الخليفة يشرح له الأمر، ويطلب منه النجدة والمدد، فتباطأ الخليفة في الأمر وأرسل إليه المدد بعد انصرام الحول[1].

وفي سنة 294هـ = 906م سار أبو الهيجاء بمن معه إلى الأكراد الهذبانية، ولما علموا بمقدمه، وأنه جاد في طلبهم ساروا إلى البادية، التي في جبل السلق، وهو مضيق في جبل عال مشرف على شهرزور، واعتصموا به، فحاصره أبو الهيجاء وضيق عليهم.

وأراد محمد بن بلال أن يخدع أبا الهيجاء عن طلبهم حتى يتأهب ويترك هذا المكان، فراسله مظهراً اطاعته، وانه سيحضر اليه مع أولاده، ويترك أولاده رهائن عنده، فقبل أبو الهيجاء هذا، أما محمد بن بلال فإنه حث أصحابه على السير بما معهم إلى أذربيجان.

---

(1) الطبري: 12: 14 – 16، الوزراء للصابي، "100، 256، 257، 307، مسكويه: 1: 5، 9، العيون: 1: 132 – 135، مروج الذهب: 2: 501، الكامل: 8: 5 – 6، الفخري: 259.

علم ابن حمدان بحيلته فجهز جيشاً قوياً فيه إخوته: داود وسليمان وسعيد، وضم إليهم من الأبطال لذين يثق بهم، أما الجيش الذي أرسله الخليفة نجدة له فانهم تباطؤوا عن اللحاق به.

عقب أبو الهيجاء محمد بن بلال، واصطدم بهم في جبل قنديل، فقتل منهم جماعة، وصعد الأكراد إلى ذروة الجبل، فانصرف عنهم أبو الهيجاء، ولحق الأكراد بأذربيجان.

رجع أبو الهيجاء إلى الموصل، وكتب إلى الخليفة يعلمه أن النجدة التي رسلها تخلفت عن الحرب، فأنجده الخليفة بجماعة صالحة. ضمهم أبو الهيجاء إلى جيشه وسار إلى محمد بن بلال، وكان أبو الهيجاء متحذراً، يسير الجواسيس أمامه وبين يديه، خوفاً من كمين يأخذهم على حين غرة.

أما محمد بن بلال فكان قد صعد الجبل، واعتصم يه، فشدد عليه أبو الهيجاء الحصار ومنع عنه الأقوات، وأدركهم الشتاء، وسقط الثلج، وارتفعت قيمة المأكولات. ولما رأى محمد بن بلال ثبات أبي الهيجاء وجده لجأ الى المسالمة وقدم خضوعه هو وأهله إليه، فقبل ولاءه، وردهم إلى بلد "حزة"، ثم حضر محمد بن بلال إلى الموصل وأتخذها موطناً له، فأقام بها، وتتابع الأكراد الحميدية وأهل جبل داسن الى ابي الهيجاء بالأمان فأمنهم[1].

المقتدر والحمدانيون

كانت خلافة المقتدر (295هـ = 320هـ) تبدلاً في حياة الحسين بن حمدان، فإنه لم يرض خلافة غلام صغير، لا يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة، قد تربى بين النساء والخدم، فكان الوزير العباس بن الحسين ذا دهاء ومكر، وأدب وافر، اتفق مع علي بن محمد بن الفرات على مبايعة المقتدر، واستأثر بالحكم، وصار صاحب الكلمة في الدولة، يتصرف بها كيفما يشاء، والخليفة مشغول في قصره.

---

(1) مسكويه: 1: 6.

وصار الحسين بن حمدان يشنع على الخليفة، ويتهمه بأمور لا يحسن أن تصدر عن خليفة لكي ينفر الناس منه.

ولأربعة أشهر من خلافة المقتدر اجمع جماعة من الكتاب والقواد والاجناد فيهم الحسين بن حمدان ووصيف بن سوارتكين الخزري، ومحمد بن داود الجراح، وعلي بن عيسى بالاتفاق مع ابن المعتز الذي كان يحركهم ضد المقتدر، واتفقوا على خلع المقتدر ومبايعة ابن المعتز.

فتوجه الحسين بن حمدان واعترض الوزير بينما كان ذاهباً الى بستانه، وقتله، وصاح به "فاتك لن المعتضدي الذي كان مع الوزير، فأنثنى عليه الحسين وقتله. ثم أسرع إلى الحلبة – وقد بلغه أن المقتدر يلعب بالكرة والصولجان – أملاً أن يجده ليقتله، ولما سمع المقتدر بالضجة أسرع إلى قصره وأغلقوا الأبواب.

ذهب الحسين بن حمدان على دار سليمان بن وهب بالمخرم، وقد حضره القواد وأصحاب الدواوين والقضاة – وهم من أنصار ابن المعتز –، وقرروا خلع المقتدر، وبايعوا عبدالله بن المعتز ولقبوه: المرتضى بالله.

وبعد يوم من هذا، توجه الحسين إلى دار الخلافة ومعه فرقة من الجيش، وأحرقوا بعض أبوابها، وحاصرها طول النهار، فتصدى له حرس المقتدر بقيادة مؤنس الخادم، ودافعوا دفاعاً مجيداً، فلما جن الليل – وقد رجحت كفة المقتدر – جمع الحسين أهله وأثقاله، وسار الى الموصل، فنجا من أنصار المقتدر الذين قضوا على المتآمرين، ولو ظفروا به لكان نصيبه القتل أو السجن، كما فعلوا بأنصار ابن المعتز[1].

وبعد أن استتب الأمر وجه جيشاً لمطاردة الحسين في الموصل، ففر الى بلد، فلم يظفروا به، وعاد الجيش إلى بغداد، فكتب الخليفة إلى أخيه أبي الهيجاء يأمره أن يساعد الجيش الذي أرسله لمطاردة الحسين بقيادة القاسم ابن سيما، فساروا حتى بلغوا قرقيسيا والرحبة فلم يظفروا به، فانضم إليه أبو الهيجاء بجيشه. والتقوا معه عند تكريت، فانهزم الحسين ولم يثبت، وضاقت عليه الأرض، فارسل أخاه

---

(1) الطبري: 12: 14 – 16، الوزراء للصابي 100، 256، 257، 307.

إبراهيم إلى الوزير ابن الفرات، ليدبر له أمر العفو عند الخليفة المقتدر، فتلطف ابن الفرات به عند الخليفة، فعفا عنه، ودخل الحسين بغداد، وعرض خضوعه وولاءه للخليفة[1]، فخلع عليه الخليفة، لأن الخليفة لا يستغني عن أبناء حمدان لما لهم من قوة في الجزيرة، كما كان لا يأمن شرهم، فولى الحسين قم وقاشان سنة (296هـ = 908م) فأبعده عن بغداد[2]. وفي ولايته شارك في حرب بني الصفار وسبكرى ونال رضا الخليفة، وعاد إلى بغداد سنة (298هـ = 910م)، وبما أن الخليفة كان يحذر منه، لذا ولاه ديار ربيعة، وأمره أن يغزو بلاد الروم، لكي يشغله عن التدخل في أمور الدولة، ويبعده عن بغداد.

فتوجه إلى ديار ربيعة وقاد الصائفة الى بلاد الروم سنة (302هـ = 914م)[3] وتوغل في بلادهم وفتح عدة حصون وعاد مظفراً.

وفي هذه الفترة نجد ابني حمدان يتوليان ديار ربيعة والموصل، فكان الحسين في ديار ربيعة، وأبو الهيجاء في الموصل، وصار مركزهما قوياً، يتوليان ماكانا يهدفان اليه، بلاداً خصبة، كثيرة الخيرات، غنية وهم بين أهليهم وعشيرتهم، فتطلعا إلى الاستقلال كما فعل أمراء الأتراك.

كان الخليفة المقتدر ورجال دولته ينظرون إلى أبناء حمدان بعين الحذر والتحفظ، فعزل الخليفة أبا الهيجاء عن الموصل سنة (301هـ = 913) وولى مكانه يمن الطولوني، ثم صرف هذا عنها بهذه السنة، واستعمل عليها نحرير الخادم الصغير[4].

إن أبا الهيجاء خالف الخليفة، فسير إليه الخليفة مؤنس المظفر، وعلى مقدمته بني ابن نفيس ومعه جماعة من القواد، فلما علم أبو الهيجاء بقوة الجيش استعمل

---

(2) مسكويه 1: 6.

(3) مسكويه: 1، 2، الطبري: 11: 405 – 408، الكامل: 8: 5 – 19.

(1) مسكويه: 1: 14.

(2) الكامل: 8: 27.

الحكمة بدل الحرب، فقصد مؤنس المظفر مستأمناً من تلقاء نفسه، وتوجه معه إلى بغداد وعرض خضوعه للخليفة[1].

ضعف الدولة العباسية

كانت أيام المقتدر أيام شغب وتذمر وثورات داخل بغداد وفي الأطراف، والخليفة مشغول بين النساء والخدم والدولة في أيديهم، فاختلت الدولة، وخلت بيوت الأموال، واختلفت الكلمة. ومن الوزراء العقلاء الذين كانوا ينصحون المقتدر، ويسعون في إصلاح ما آلت عليه الدولة من الشعف والارتباك، هو علي بن عيسى الجراح، كان بارعاً في الادارة، محسناً عفيفاً عن أموال الدولة، يسعى بخير الناس، عمر الثغور والبيمارستانات والجوامع، وأدر الأرزاق لمن ينظر فيها، وأزاح المظالم، وكتب بهذا الى العمال.

وجد الخزانة فارغة، والبلاد تسير من سيء إلى أسوأ، فعزم على إصلاح طرق الجباية، والحد من نفقات دار الخلافة، ورجال الدولة، فعزل ثلاث مرات من الوزارة، وقد صرح الوزير للخليفة ماكانت عليه البلاد في عهد المعتضد والمكتفي، وماآلت اليه في زمنه، فقال له: "انما جمع المعتضد والمكتفي في بيت مال الخاصة لمثل هذه الحوادث، والآن فلم يبق في بيت مال الخاصة كبير شيء، فاتق الله ياأمير المؤمنين[2]. وهذا القول وغيره لم يتعد أذن الخليفة.

وفي سنة (303هـ = 915م) طالب الوزير علي بن عيسى الحسين ابن حمدان بمال عليه من ديار ربيعة، فأبى الحسين دفعه، معتمداً على قوته وقوة أخيه وضعف الدولة، وكان مؤنس الخادم مشغولاً بمحاربة الدولة الفاطمية، فأرسل إليه

---

(3) الكامل: 8: 27.

(1) مسكويه: 1: 180 – 181، الكامل: 8: 76، الفخري: 267 – 268 واخباره مستفيضة في كثير من المصادر منها: الوزراء للصابي، تجارب الامم، والطبري والكامل والفخري وغيرها.

الوزير يأمره بتسليم البلاد إلى عمال السلطان فلم يمتثل أمره، فوجه إليه الوزير جيشاً بقيادة رائق الكبير.

فجمع الحسين ماأمكنه من الجيش، فبلغ عشرين ألفاً، والتقى مع جيش رائق الكبير بالحبشة، فانحدر رائق الكبير إلى جهة دجلة، فحاصرهم الحسين، وضاقت عليهم الاقوات، ففاوضوا الحسين ان يكف عن حصارهم، وهم يحملون الخليفة على أن يوليه ماكان بيده، فأبى وشدد في خناقهم، وبينما هو في هذه الحال كان مؤنس قد فرغ من مهمته في الشام، وتوجه من الطريق الذي أمره الوزير أن يقصد جيش الحسين. ولما علم الحسين بهذا كتب اليه كتاباً أرسله كاتبه هارون، يعتذر فيه، ويقول: "إن السبب في خروجه عما كان عليه من الثقة والطاعة عدول الوزير – أيده الله – عما كان عليه في أمره، إلى ما أوحشه، وأنه لم يف له بضمانات ضمنها له، وأنه قد اجتمع له من قبائل العرب ورجال العشيرة ثلاثون ألف رجل. وسأل مؤنس أن يأذن له بالمقام في حران، وأن يكاتب الوزير في أمره يسأله صرفه عما كان يتقلده من الأعمال، وتركه مقيما في منزله، وتقليد أخيه ديار ربيعة.

فأعلمه مؤنس ان هذا غير ممكن، وأنه ينفذ أمر الوزير، ولا يثنيه عن امره، وانه مستعين بالله في لقائه، وجد مؤنس في طلبه، فرحل الحسين الى جزيرة ابن عمر، فعقبه مؤنس، فانسحب الحسين إلى أرمينية مستصحباً معه أمواله وأولاده، وكان عسكر الحسين قد ضجروا من كثرة تنقلهم، وبعدهم عن أهليهم، فاخذوا ينسلون الى جيش مؤنس، فضعف أمره، وتتبعه جيش رائق الكبير إلى تل فافان، واشتبكوا معه، فأسروه هو وابنه عبدالوهاب وجميع أهله، وصودرت املاكه وأمواله، وأملاك بني حمدان بأسرهم.

عاد مؤنس إلى بغداد عن طريق الموصل، ولما قارب بغداد سير الحسين على جمل مصلوباً على نقنق وتحته كرسي، ويدير النقنق رجل فيدور الحسين من موقفه يميناً وشمالاً، وعليه دراعة ديباخ سابغة قد غطت الرجل الذي يدير النقنق فلا يراه أحد. وابنه الذي كان هرب من مدينة السلام أبو الصقر قد حمل بين يديه على جمل، وعليه قباء ديباج وبرنص. وكان قد امتنع من وضع البرنص على

رأسه، فقال له أبوه الحسين: "البسه يابني فإن أباك ألبس البرانص أكثر هؤلاء الذين تراهم"[1].

ولما صار الحسين بسوق يحيى، قال له رجل من الهاشميين: الحمد لله الذي أمكن منك. فقال له الحسين بن حمدان: والله لقد امتلأت صناديقي من الخلع والأولوية، وأفنيت أعداء الدولة، إن ماأصابني إلى هذا الخوف على نفسي، وما الذي نزل بي، الا دون ماسينزل بالسلطان إذا فقد من أوليائه مثلي. فكان الحسين لا يعبأ بما آل إليه أمره، فهو يعلم حق العلم أن الدولة مرتبكة، يتحكم بها أصحاب المطامع. وأن مانزل به هو أقل بماسينزل بالخليفة – وكان ماقال، فنزل بالخليفة المقتدر ماأدى إلى قتله.

ولما مثل الحسين أمام الخليفة المقتدر بالله، أمر بتسليمه إلى نذير الحرمي، ثم حبسوه عند زيدان القهرمانة، وأمر الخليفة بحبس أبناء حمدان: أبي الهيجاء وعبيد الله وإبراهيم في دار غريب الخال.

كان الحسين بن حمدان شجاعاً مقداماً، رجل كر وضرب، كثير الطموح، يخوض المعارك والحروب، ويلقي بنفسه على الموت، وقد يكون النصر حليفه في بعض حروبه التي خاضها، فهو أجل أمراء بني حمدان، بأساً وشجاعة، وأول من ظهر أمره منهم. وكان يتحين الظروف المناسبة للخروج على الدولة، مغتنماً الحالة المرتبكة التي كانت عليها، محاولاً أن يجر مغنماً لنفسه ولقبيلته تغلب، وكان قليل التدبير، قصير النظر، يندفع قبل أن يفكر في النتيجة، ثم يندم على مابدر منه.

وفي سنة (306هـ = 918م) أمر الخليفة بذبح الحسين بن حمدان، وسبب هذا أن الوزير ابن الفرات كان قد شرط عليه الخليفة أن يرضي الأجناد، ويقوم بدفع جميع النفقات والرواتب على العادة، فضاقت يد ابن الفرات، وعجز عن الدفع، لأنه صرف الأموال في حرب ابن أبي الساج، فشغب عليه الجيش، واقترح على الخليفة أن يرسل الحسين لحرب ابن أبي الساج، ونعلم أن ابن الفرات كان يدافع

---

(1) الطبري: 12: 29 – 30، 40، مسكويه: 1: 23 – 38، العيون: 1: 18، الكامل: 8: 32، 37 – 38. النجوم الزاهرة: 3: 134 – 195، شذرات الذهب: 2: 249.

عن الحسين، وهو الذي حمل المقتدر على أن يعفو عنه، وبما أن الخليفة كان يحذر من الحسين – وقد سبق له التمرد كلما سنحت له الفرصة – وأن أعداء الوزير ابن الفرات دسوا إلى الخليفة أن الوزير يقصد من إرسال الحسين أن ينضم هذا إلى ابن أبي الساج، ليكونوا جميعاً ضد الخليفة، فقتل الخليفة الحسين وصادر أموال ابن الفرات واعتقله[1].

كان الحسين بن حمدان وأخوه أبو الهيجاء يسعيان نحو هدف واحد هو الاستقلال ببلاد الجزيرة. لما لهما ولقومهما من نفوذ فيها، وكان الحمدانيون قد حالفوا القبائل العربية والكردية التي تسكن هذه الديار ومايجاورها. واذا ماخالف أحدهما أمر الخليفة فإن أخاه لا يتظاهر بنصرته بل يكون مع الخليفة طمعاً في حفظ مركزه والسعي بالعفو عن أخيه إذا مافشلت حركته. وقد مر بنا ماكان من أمر أبي الهيجاء عندما خالف أخوه الحسين، وسعى في خلع الخليفة المقتدر، وعندما تمرد في ديار ربيعة سنة (306هـ = 918م) فإن أبا الهيجاء كان مع الذين لاحقوا أخاه، وأخوه إبراهيم ممن سعى مع ابن الفرات في استرضاء الخليفة، والعفو عن أخيه الحسين. وهكذا نجد الحمدانيين مع تمكنهم في بلاد الجزيرة فإنهم كانوا يسيرون بتحفظ واحتياط في الوصول إلى مايسعون إليه.

ولم يكن الخليفة المقتدر ممن يستغني عن بني حمدان، لأنهم خير من يحفظ الأمن في بلاد الجزيرة، ولكنه لم يكد يستقر أحدهما في ولايته حتى يستعيض عنه بغيره من بني حمدان أو غيرهم، خشية أن يتمكن في البلد، ولكي يلقي الخلاف والمنافسة بينهم، فلا يتفقون ضده.

وعندما اجتمع الاخوان الحسين وأبو الهيجاء في بلاد الجزيرة والموصل، فإن الخليفة المقتدر لم يأمن جانبهما، لذا نراه في سنة 301هـ (913م) يعزل أبا الهيجاء عن الموصل، ويقلدها يمن الطولوني، ثم صرف هذا واستعمل عليها نحرير الخادم. وهذا ماحمل أبا الهيجاء أن يخالف المقتدر، فسير إليه الخليفة

---

(1) الطبري: 12: 40، الكامل: 8: 37 – 38.

مؤنساً المظفر، مما حمل أبا الهيجاء أن يقصده مستأمناً، وسار معه إلى بغداد وعرض خضوعه للخليفة المقتدر، فولاه الموصل سنة 302هـ (914م)[1].

وفي سنة 307هـ (919م) قلد الخليفة المقتدر إبراهيم بن حمدان ديار ربيعة، وفي نفس السنة صرفه عنها وولاها العباس بن احمد بن إسحاق ابن كنداج. وفي هذه السنة كانت فتنة في الموصل بين أصحاب الطعام وبين الأساكفة، واحترق سوق الأساكفة ومافيه، وكان ابن كنداج خارجاً عن البلد، فرجع ليوقع بأهل الموصل، فحصنوا البلد، وسدوا الدروب ليقاتلوه، فلما علم بذلك، أمر الأعراب بتخريب الأعمال، فصاروا يقطعون الطريق على الجسر وفي الميدان ويقاسمونه، فبلغ الخبر الى الخليفة فعزله سنة 308هـ، واستعمل عبدالله بن محمد الفتَّان، وكان عفيفاً صارماً كف الأعراب عن البلد.

وفي سنة 308هـ (920م) خلع المقتدر على أبي الهيجاء، وقلده طريق خراسان والدينور، وخلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا.

وفي سنة 309هـ قلد الخليفة المقتدر داود بن حمدان ديار ربيعة.

وفي سنة 312 استعمل المقتدر سعيد بن حمدان على المعاون والحرب بنهاوند.

وفي سنة 314هـ (926م) تولى ابو الهيجاء الموصل ايضاً، وكان قد جعل نائبه فيها ابنه الحسن – ناصر الدولة فيما بعد – فأفسد العرب والأكراد بأرض الموصل وطريق خراسان، فكتب الى ابنه يأمره بجمع الرجال والانحدار الى تكريت ففعل، واجتمع بأبيه وأحضر العرب وطالبهم بما أحدثوا بعمله بعد أن قتل منهم، ونكل ببعضهم، فردوا على الناس شيئاً كثيراً، ورحل بهم إلى شهرزور، وحارب الأكراد الجلالية وانضافت إليهم غيرهم، واشتدت شوكتهم، فانقاد إليه الجلالية وكفوا عن الخلاف[2].

---

(1) الكامل: 8: 31.

(1) الكامل: 8: 41 – 42، 53، 55.

عظم أمر أبي الهيجاء عند الخليفة، وضمن أيضاً أعمال الخراج والضياع بالموصل، وقردي وبازبدي ومايجري معها[1].

وفي سنة 317هـ (929م) عزل المقتدر أبا الهيجاء عن الدينور، وولى مكانه نحرير الصغير، وهذا ما أوغر صدره عن الخليفة، فكان أحد المتآمرين على خلعه هو وأخوه أبو السرايا نصر بن حمدان، بينما كان قبل هذا من المقربين عند الخليقة، ونصحه أن يحد من تدخل النساء والخدم في شؤون الحكم، ومن إسراف رجال الدولة، وحذره من عاقبة الامر، فلم يستمع لقوله.

وكان للمنافسة بين القادة وأرباب الحكم ما أدى الى خلع المقتدر[2] كان مؤنس المظفر وهارون بن غريب من القواد البارزين، وكان أبو الهيجاء يميل إلى مؤنس لما له من الأيادي البيضاء عند أبناء حمدان. ولما عاد مؤنس من الرقة بعد أن انتهى من حرب القرامطة، لقيه أبو الهيجاء ونازوك الحاجب، وأغرياه بأن المقتدر يريد عزله، وتقديم هارون بن غريب مكانه. فاتفق مؤنس وابو الهيجاء وسائر القواد، واجتمعوا بالمصلى، والتحق بمؤنس أكثر الرجال الذين كانوا مع الخليفة.

راسل مؤنس الخليفة المقتدر: إن الجيش عاتب على مايبذره الخدم والحرم من الاموال والضياع، وتصرفهم في أمور الدولة، ويطلبون الحد من هذا، وإخراجهم من الدار بعد أخذ ماعندهم من أموال.

فكتب الخليفة اليهم يذكرهم ببيعته، وما له من مقام عندهم، وأنه يعيد ابن حمدان إلى الدينور، أو أن يعوض بما هو أعظم منه وغير ذلك[3].

فلما اطلعوا على هذا، طلبوا إليه إخراج هارون بن غريب من بغداد، فأجاب إلى ذلك وولاه الثغور الشامية، وخرج هارون من يومه الى قطربل.

---

(2) الكامل: 8: 56.

(1) انظر عن خلع المقتدر: الطبري: 12: 73 – 75. مسكويه: 1: 187 – 201، التنبيه والاشراف: 327 الكامل: 8: 68 – 71، المنتظم: 6: 221 – 222، النجوم الزاهرة: 3: 223، المختصر: 2: 74، السيوطي: 383، الذهبي: 1: 140.

(2) انظر كتاب الخليفة المقتدر في: الطبري: 12: 73 – 75.

وفي 12 محرم: عاد مؤنس إلى باب الشماسية ومعه أبو الهيجاء ونازوك وبني ابن النفيس، وجميع القواد والجيش، وزحفوا إلى دار السلطان، ونقلوا المقتدر وأهله الى دار مؤنس المظفر. وولوا الأعمال، وأضاف مؤنس إلى ماكان إلى أبي الهيجاء من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق سرَّ من رأى وبزرج وماسبذان، ومهرجان وأرزن. ولو تم هذا لأبي الهيجاء لكان أكبر ولاة الدولة، وحقق ماكان يهدف اليه من تأسيس دولة كبيرة.

واتفق نازوك وعبدالله بن حمدان على مبايعة محمد بن المعتضد، ولقبوه القاهر بالله، ولم يكن مؤنس راغباً في خلع المقتدر، لذا أخذه إلى داره خوفا عليه، كما دخل هارون بن غريب إلى بغداد سراً وهو من أنصار المقتدر.

أما أبو الهيجاء فإنه كان يلعب على الحبلين: يدخل على الخليفة المقتدر، ويظهر له الأسف على ماحدث، ويذكره بما كان يحذره من وقوعه، كأنه أحد أهله – ليكون له يد عند الخليفة إذا مافشلت الحركة –.

بعد مبايعة القاهر (317هـ) اضطرب الأمن في بغداد، ودخل الناس والرعاع دار السلطان بمطاليب متنوعة، ووصلوا إلى مجلس الخليفة القاهر، وارتبك الأمر، فاستجار القاهر بأبي الهيجاء، فقال له أبو الهيجاء: والله لا أسلمتك، فوتربة حمدان لافارقنك أو أقتل دونك.

أخذت الحمية أبا الهيجاء، فنزع سواده ومنطقته ودفعهما إلى غلام وقال له: "اعطني جبتك"– وكانت جبة صوف مصري – فلبسها وركب دابة، وقال للقاهر: يامولاي قف بمكانك حتى أعود اليك، فتهافت عليه خدم المقتدر، ودخل عليه عشرة منهم بقسي ودبابيس، فلما رآهم أبو الهيجاء صاح بهم وجرد سيفه، ونزع الجبة الصوف التي كانت عليه، فلفها على يده وأسرع نحوهم، فانجفلوا من بين يديه ودهشوا، وسقط بعضهم بالبركة، ثم تهافت عليه الغلمان والخدم وقتلوه، وقال: ياآل تغلب أأقتل بين الحيطان؟ أين الكميت وأين الدهماء؟ ثم قطعوا رأسه وساروا به إلى المقتدر.

كان المقتدر قد أعيد الى بيته، وجددت له البيعة، وأول ماسأل عنه: مافعل أبو الهيجاء؟ ودعا بدواة، فأبطأ بها الغلمان، ولم يزل يطلبها حتى جاؤوه بها، فكتب له

أماناً بخطِّه، ودفعها إلى بعض الخدم وقال: ويلك بادر به لئلا يحدث عليه حادثة، ثم أعلموه بقتله، فقال: إنا لله، وأقبل يكررها، وقال: ماكان يدخل إلي في هذه الأيام وأنا في دار مؤنس من يسليني، ويظهر لي الغم حتى كأنه بعض أهلي سواه، هذا إلى ماله ولأهله من الحقوق، وظهر فيه من الكآبة أمر عظيم.

إن أبا الهيجاء هو الذي سعى في خلعه، وبايع القاهر، ولما استنجد به القاهر بعد خذلانه دفعته النخوة العربية وشجاعته الى الدفاع عنه، حتى فقد حياته، فهو من أشجع الأبطال إذا ماشمر عن ساعده، يهجم على الأعداء مهما كان عددهم – ونجده بجانب هذا يذهب إلى المقتدر بعد خلعه، ويظهر له الأسف على ماحدث، ويذكره بنصحه له الخ.....، ومما قاله للمقتدر بعد خلعه: ياسيدي، يعز عليّ أن أراك على هذه الحال، وقد كنت أخافها عليك وأحذرها، وأنصح لك وأحذرك عاقبة القبول من الخدم والنساء، فتؤثر أقوالهم على قولي، وكأني كنت أرى هذا، وبعد فنحن عبيدك وخدمك، فدمعت عينا المقتدر، وكلامه هذا – وإن كان فيه من المواساة – فإنه لا يخلو من عتاب وتقريع.

فأبو الهيجاء يشبه أخاه الحسين في شجاعته وإقدامه، ولكنه يفوقه في تبصره ودهائه وتلونه.

ناصر الدولة الحمداني

بعد أن تمكن الحمدانيون في الدولة، سكن بعضهم الموصل، فكان فيها سنة (318هـ) (930م) الحسن (ناصر الدولة) وسعيد ونصر وداود.

إن كان أبو الهيجاء قد وضع حجر الأساس في بناء الدولة الحمدانية، فإن ناصر الدولة هو الذي أشاد بنيانها، ووطد أركانها، فهو رجل حرب وتدبير، تدرب على الادارة والحرب منذ صغره، ناب عن أبيه أبي الهيجاء في الموصل سنة (314هـ)، واشترك في قمع الثورات بنفسه، وبعد قتل والده خلفه بمكانته عند الخليفة.

ففي سنة (318هـ) ولى المقتدر على الموصل سعيداً ونصراً ابني حمدان، وسعيد هذا كان من القواد الأكفاء، وحارب القرامطة[1]، وقضى على الرجالة المصافية عندما تفاقم شرهم في بغداد سنة (318هـ)[2] وعزز مكانة أبناء حمدان عند الخليفة، فخلع عليه، وولي الحسن (ناصر الدولة) ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين، وميافارقين وأرزن من ديار بكر، مقابل مال يدفعه للخليفة على سبيل الضمان. وشرط الخليفة عليهم القضاء على الخوارج ومحاربة الروم[3].

أما الخوارج في بلاد الجزيرة فإنهم كلما وجدوا فرصة سانحة ثاروا على الدولة، وأقلقوا راحة الناس.

وفي سنة 318هـ ظهر منهم خارجيان:

صالح بن محمود من بجيلة من أهل البوازيج، واجتمع إليه الأعراب من بني مالك، فتوجه إلى سنجار. وأخذ من أهلها مالاً، وخطب بسنجار: فذكر بأمر الله وحذر وأطال في هذا. ثم قال: نتولى الشيخين ونبرأ من الخبيثين، ولا نرى المسح على الخفين. وسار منها الى الشجاجية وأعمال الفرج، وانحدر إلى الحديثة، فطالب المسلمين بزكاة أموالهم، والنصارى بجزية رؤوسهم، وجرى بينهم حرب، قتل من أصحابه جماعة، ومنعوه من دخول المدينة، وأحرق لهم ست "عروب"[4]، وعبر الى الجانب الغربي، وأسر اهل الحديثة ابنه محمداً فأخذه نصر بن حمدان بن حمدون أمير الموصل، وعقب الخوارج، وفتك بهم قرب البوازيج، وأسر صالحاً ومعه ابنان له، وادخلوا الموصل، وحملوا الى بغداد فادخلوا مشهورين[5].

---

(1) مسكويه: 1: 180.

(1) مسكويه: 1: 202 – 203، الطبري: 12: 75 – 76، الكامل: 8: 73 – 74.

(2) الكامل: 8: 74، 81.

(3) العروب: تكلمنا عنها عند كلامنا عن صناعات الموصل.

(4) الكامل: 8: 75.

والخارجي الثاني هو الاغر بن مطر الثعلبي، ظهر بنواحي رأس العين، وقصد كفرتوثا فنهبها ثم احتل نصيبين، فسير اليه الحسن بن حمدان – أمير ديار ربيعة – جيشاً، فقاتله وأسره، وسيره الى بغداد، وهكذا قضوا على الخوارج[1].

– (5) –

أما حربهم مع الروم: ففي سنة (319هـ) (931م) غزا ثمل[2] والي طرطوس بلاد الروم، وفتك بهم، وأعاد عليهم الكرة في الصائفة، وتوغل في بلادهم حتى بلغ أنقرة.

وعلى أثر هذا كاتب الأرمن الروم، وحرضوهم على قصد بلاد الاسلام، ووعدوهم بالنصر، فكّر الروم على المسلمين، ووصلوا إلى سميساط، فحصروها، فاستنجد أهلها بسعيد بن حمدان، فسار إليهم وفتح ملاطية، وتوغل في بلاد الروم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وظهر أمر أبناء حمدان في البلاد[3].

كانت خلافة المقتدر – كما قدمنا – فتناً وقلاقل ودسائس بين رجال الحكم، والخليفة ريشة في مهب هذه العواصف، وكان مؤنس المظفر صاحب النفوذ في الدولة، ينافسه الوزير الحسين بن قاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب، ومعه جماعة من القواد ورجال الدولة، وكان مؤنس مصاباً بالنقرس، طاعناً في السن. وحاول الخليفة أن يقلص سلطاته التي كان يتمتع بها، بتأثير وزيره.

علم مؤنس بما يدبره الوزير وأصحابه، ففاتح الخليفة أن يبعدهم. ويؤكد صدقه واخلاصه لأمير المؤمنين، وإنه يريد تخليصه من عناصر الفتنة.

أما الخليفة فقد استحوذ عليه الوزير وجماعته، فلم يلب مطاليب مؤنس.

جمع مؤنس ماأمكنه من الجيش والقواد، وسار نحو الموصل قاصداً أبناء حمدان، لما له عليهم من أيادي بيضاء. فكتب الخليفة إلى قواد البلاد وبني حمدان يأمرهم بسد الطرق على مؤنس، ومحاربته ومنعه من دخول الموصل.

---

(1) الكامل: 8: 75.

(2) توفي سنة 326هـ، انظر عنه في العيون: ص: 218.

(3) الكامل: 8: 79 – 80.

فاجتمع بنو حمدان على حربه إلاّ داود بن حمدان، فانه امتنع من ذلك لإحسان مؤنس إليه في تربيته وتنشئته، لأنه كان قد أخذه بعد أبيه ورباه في حجره، وأحسن إليه كثيراً. أما إخوته فكانوا يميلون إلى الخليفة الذي ولاهم الولايات الواسعة، كما أنهم يريدون غسل مافعله الحسين بن حمدان وأبو الهيجاء مع المقتدر، وتجنبوا عملاً يذكر الخليفة بما مضى. فدخل معهم داؤد مكرهاً، وقال لهم: "ياقوم بأي وجه ألقى مؤنساً مع إحسانه العظيم إليّ، والله إنكم لتحملوني على البغي وكفران الإحسان، والله ما آمن أن يجيئني سهم عائر فيقع في نحري فيقتلني" – وكان كما قال – .

ولما بلغ مؤنسا أن بني حمدان قد استعدوا لمحاربته، قال عنهم: "هؤلاء أولادي وأنا اظهرتهم". وكان له وديعة عند الحسين بن سعيد بن حمدان، أراد أن يأخذها منه ويسير إلى الرقة.

كتب مؤنس إلى القبائل العربية يستميلهم إليه، وأعلمهم أن الخليفة قد ولاه الموصل وديار ربيعة فمالت إليه بعض القبائل، وهو ماحمل الحمدانيين أن يستعدوا لحربه، حفظاً لمركزهم بالموصل وديار ربيعة، وكانوا يحذرون من قوة مؤنس، ويعترفون بفضله وما له من حق عليهم، وفاتحوه بموقفهم الحرج بين مناصرتهم أو إطاعة اوامر الخليفة، والتمسوا منه أن يعدل عن الموصل وديار ربيعة، وأرسلوا إليه كتاباً مع "بشرى النصراني" كاتب أبي سليمان داود بن حمدان، وفيه: "انهم على شكره، ومعرفة حق يده، ولكنهم لا يدرون كيف الخلاص مما وقعوا فيه، فإن أطاعوا سلطانهم، كانوا قد كفروا نعمة مؤنس إليهم. وإن أطاعوا مؤنساً وعصوا سلطانهم نسبوا إلى الخلعان" وسألوه أن يعدل عن بلدهم لئلا يلتقوا به، ولا يمتحنوا بحربه".

فقال له مؤنس: قل لهم عني: قد كنت ظننت بكم غير هذا، وما أخذت نحوكم إلا بثقتي بكم، وطمعي في شكركم، فإن خالفتم الظن فليس إلى العدول عنكم سبيل، ونحن سائرون نحوكم بالغد كائناً ماكان منكم، وأرجو أن إحساني إليكم سيكون من أنصاري عليكم، وخذلانكم لي غير صارف لفضل الله عني".

بات مؤنس بقصور "مرج جهينة"، وبنو حمدان بحصباء الموصل، ووقف على المضيق[1] المؤدي إلى الموصل المحسن وعفران، وفي الصباح اشتبك الجيشان ودخل مؤنس الموصل في 4 صفر سنة 320هـ وانهزم بنو حمدان، والتحق خلق من عسكرهم بمؤنس وفرق عليهم الجوائز.

أما أبناء حمدان: فتوجه أبو العلاء بن حمدان وأبو السرايا إلى بغداد مستنجدين بالخليفة، فلم يفعل الخليفة شيئاً، وأما الحسن بن عبدالله بن حمدان فالتجأ إلى جبال معلثايا، واجتمع به بعض غلمانه، فعقبه يلبق، وولى العمال على البلاد.

كان الحسن بن عبدالله بن حمدان رجل سياسة وتدبير، فبعد أن فقد مكانته رأى من الحكمة أن يلجأ إلى مؤنس، خاصة وأن الخليفة قد عجز عن نجدته، فتوجه إلى مؤنس، فقبله وفرح بقدومه، وأحسن معاملته، ولما مثل بين يديه قال له: "نحن في ضيافتك منذ سبعة أشهر على كره منك". فكظم الحسن غيظه، وشكر مؤنساً على حسن استقباله، فكان يقف امامه بدراعة وعمامة بلا سيف، دلالة على الخضوع والاستسلام، مدة بقاء مؤنس في الموصل.

بينما كان أمر مؤنس يزداد قوة وسمعة طيبة، وكثر أنصاره وأتباعه، فإن الأمر في بغداد كان بالضد من هذا، ثار العامة على الخليفة، ثار العامة على الخليفة لتهاونه بأمر المسلمين، وإهماله الثغور وتعطيل الجهات، مما أطلع الروم والقرامطة وغيرهم، الخليفة مشغول بالملذات يبذر الأموال وأفقر الدولة.

توجه مؤنس إلى بغداد واعلم الخليفة أنه مطيع لأوامره، لا ينبغي حرباً ويلتمس منه أن لا يتصدى له، ولكن رجال السوء الذين كانوا قد تسلطوا عليه حرضوه على قتاله خشية أن ينكل بهم مؤنس، وكان عاقبة هذا قتل الخليفة.

كان مع الخليفة من الحمدانيين: أبو الوليد سليمان بن حمدان الذي أسره عسكر مؤنس، وأبو العلاء سعيد بن حمدان الذي حرض الخليفة على الاستمرار

---

(1) المضيق: هو الطريق الذي يحاذي نهر دجلة تحت تل الصيرمون، وقرية البوسيف، وكان الطريق التي تسلكه القوافل لتوفر الماء فيه، ولم يزل يعرف الى اليوم بدرب المضيق.

في الحرب. أما الحسن بن عبدالله فكان من أتباع مؤنس، ونال رضاه وعاد إلى ولاية الموصل[1].

وفي سنة (323هـ) (934م) ضمن أبو العلاء سعيد بن حمدان الموصل، أعمال ابن أخيه الحسن بن عبدالله بمال يحمله إلى الخليفة الراضي بالله، فولاه الراضي هذه الأعمال سراً، فسار أبو العلاء بخمسين رجلاً إلى الموصل، ولما اقترب منها خرج الحسن بن عبدالله لتلقيه، وعدل عن الطريق التي سلكها عمه، ولما حل عمه بداره أرسل إليه الحسن من رجاله من عصر مذاكيره وقتله[2]، فتأثر الراضي من هذا. ومن انحياز الحسن إلى مؤنس، فأرسل جيشاً إلى الموصل بقيادة الوزير ابن مقلة، ولما قرب من الموصل رحل عنها الحسن وتبعه الوزير، فرحل الحسن إلى جبل التنين، ودخل بلد الزوزان، فعاد الوزير إلى الموصل يستخرج مال البلد، ويستلف من التجار المجهزين للدقيق مالاً على أن يطلق لهم غلات البلد، واجتمع له من ذلك أربعمائة ألف دينار.

ولما طال مقام الوزير بالموصل، إحتال سهل بن هاشم كاتب الحسن، فبذل لابن الوزير عشرة آلاف دينار. على أن يكتب لأبيه أن الأمور في بغداد قد اضطربت عليه، وأنه متى تأخر وروده لم يأمن حدوث حادث يبطل بها أمرهم، فقلد الوزير علي بن خلف بن طياب أعمال الخراج والضياع بالموصل وديار ربيعة، وقلد أعمال المعاونة بها ماكرد الديلمي من الساجية، ووفى التجار ما استسلفه منهم، وانحدر الى بغداد[3].

فعاد الحسن الى الموصل، ودحر من تصدى له، وفي ذي الحجة سنة (234هـ) دخل الموصل وراسل الخليفة معتذراً إليه، وأنه يضمن ماكان في يده، فأجيب إلى الطلب، وعاد إلى الموصل وديار ربيعة[4].

---

(1) انظر عن هذا: الكا مل 8: 80 – 83، مرآة الجنان: 2: 278 – 280، الطبري: 12: 85 – 95، مسكويه: د. 233، 238.

(2) الكامل: 8: 107، ابو الفدا: 2: 83.

(3) مسكويه: 1: 225 – 226، الكامل: 8: 107.

(4) مسكويه: 1: 233، الكامل: 8: 107، ابو الفداء: 2: 88.

زاد اضطراب الأمور على عهد الخليفة الراضي بالله، وخرجت أكثر البلاد من يده، وكثر المتغلبون على الأطراف، وتمكنوا فيما يتولونه[1]، وكان رجاله رجال سوء، نالوا الحكم بالغدر والمخاتلة والرشوة، فهل يتوقع منهم خيراً؟ عجز الخليفة عن إصلاح الحالة، فكتب إلى محمد بن رائق سنة (324هـ) (935م) يستقدمه من البصرة إلى بغداد ليستعين به في توطيد حكمه، وأسند إليه منصب (أمير الأمراء)، وفوض إليه حكم البلاد وإقرار الأمن، وقيادة الجيوش، وقد أخطأ في هذا، لانه أبطل الدواوين، وسلم أمور الخلافة إلى شخص صار يتحكم بالخليفة والبلاد، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر، وأنفذ إليه الخلع، فكان ابن رائق الحاكم المطلق.: أبطل الدواوين، وأبطل الوزارة، وكان هو وكاتبه يصرفان أمور الدولة والجيش. تحمل الأموال على خزائنه، فيتصرف فيها كما يريد، ويطلق منها للخليفة مايريد، فالبلاد كلها بيد أمير الامراء، والخليفة ليس له من الأمر شيء.

كان القواد والأمراء يتنافسون على هذا المنصب الرفيع، وجرت بينهم فتن وحروب زادت ارتباك الحالة في البلاد، وممن كان يطمع بهذا الحسن ابن عبدالله الحمداني.

كان الحسن أحد المتغلبين على ديار ربيعة والموصل، ويسعى في توسيع سلطانه وبث الفوضى في الدولة، وهو شيعي المذهب، يرى الخلافة في أبناء الإمام علي بن أبي طالب – ك – :

* فكان يتقاعد بحمل المال في الأوقات التي يحتاج إليها الخليفة، ليسد نفقات الحجرية إذا ماطالبوه، ومتى علم أن الخليفة قد سد حاجتهم وأمن شرهم يحمل المال اليه[2].
* أخر مال الضياع التي كانت بعمله، والتي كانت بخدمة الخليفة الراضي، والخليفة بأمس الحاجة إلى المال ليرضي به القواد والأجناد.

---

(1) انظر عن المتغلبين: العيون: 1: 298 – 299، الكامل: 8: 112 – 113، الفخري: 280، ابن الوردي: 1: 372.

(2) مسكويه: 1: 404 – 405، العيون: 320، أخبار الراضي: 88.

* شغب الساجية على الدولة سنة (325هـ) (936م)، ولما نكل بهم الخليفة، لحق من بقي منهم بالموصل بأصحابهم، فأحسن إليهم ابن حمدان وأرزقهم، وصاروا يتتابعون إليه، فيؤويهم ويكرمهم، وكان من رؤسائهم في الموصل شفيع الخف – يبغي ابن حمدان بفعله هذا أضعاف جيش الخليفة وتقوية جيشه.

* وذكروا سببا آخر أن الحسن كان قد احتوى على أملاك الناس بديار ربيعة.

وهذه الأسباب حملت الخليفة الراضي على التوجه إلى الموصل ومعه بجكم، فلما كان الخليفة بتكريت أرسل إلى ابن حمدان من يطالبه بالمال سنة (327هـ) (938م).

أما ابن حمدان فكان يظهر الطاعة للخليفة، وحمل إليه زوارق فيها دقيق وشعير وحيوانات هدية للخليفة، يظهر التقرب إليه، ولما علم بها بجكم أخذ مافي الزوارق وفرقه على أصحابه، وعبر بالزوارق إلى الجانب الغربي.

وكتب إلى الراضي يندد ببجكم وكاتبه، ويؤكد طاعته للخليفة فيقول: "أنا أعلم أنه لم يكن خروج مولانا من مدينة السلام شهوة منه إلى محاربتي، وإنما حمله على ذلك علي بن خلف بن طياب – كاتب بجكم – وبجكم، وأنا فحيث كنت عبد مولانا وصنيعته، ولو أمنت على نفسي أعدائي لانحدرت إلى حضرة مولانا حافياً لخدمته، ولكني أخاف ممن أغرى مولانا، ولو علمت أن مولاي يسير وحده إلى أعمال الموصل لتنحيت من بين يديه إلى حيث يأمر، وأزحت العلة فيما يلتمسه، وليس لي بد من دفع المكروه عن نفسي لمحاربة من يحاربني، فلا يجد مولاي على عبده في نفسه"[1].

فابن حمدان كان يلقي اللوم على بجكم وكاتبه، ويدعي أنهما حملا الخليفة على الخروج إليه، وأنه عبد مطيع لأمير المؤمنين إذا ما أعرض عن سماع ماقالاه له[2].

---

(1) مسكويه: 1: 404 – 405، العيون: 320، أخبار الراضي: 88.

(2) العيون: 320 – 322.

فلما اطلع الخليفة الراضي على كتابه عظم ذلك عليه وقال: "هذا رجل كان ربما اجتاز به في عمله عامل من عمالنا"، فيستوحش منه ويخافه، ويتنحى من بين يديه، فلما خرجت أنا إلى عمله، وضع نفسه في محاربتي، إن هذا لمن العجائب[1].

وزاد حنقه على ابن حمدان لأنه نصب نفسه لمحاربة الخليفة، وهذا مالم يكن يتوقعه الخليفة – كما قال – وفي الحقيقة أن الخليفة بخروجه إلى الموصل حمل ابن حمدان على محاربته.

كان ابن حمدان خلال هذا يراسل الخليفة وبجكم، ويعرض عليهما المال، يبغي بهذا تسويف الأمر، وإشغالهما عن الزحف إليه، ليظهر نفسه أنه ليس عاصياً على الخليفة، ويزيد التذمر بين صفوف جيش الخليفة لقلة أعطياتهم وحاجتهم إلى المال، والخليفة لا مال له، وجيشه متعب معوز، فكان موقف ابن حمدان فيه شيء من الحيطة والحذر لنفسه، وبث البلبلة والتذمر في جيش الخليفة[2].

أقام الخليفة في تكريت وهو غير مطمئن من بجكم، ويخشى أن يخدعه ابن حمدان فيغريه في الأموال ويصرفه عن حربه – كما فعل مع ابن مقلة – ونراه يؤكد على بجكم قبل أن يسير إلى ابن حمدان بقوله: "لم اخرج من بغداد لقصد ابن حمدان لما أريده منه – أي حمل المال – وإنما غرضي طرده عن البلد، وكف ظلمه عن الناس، وإنه منذ عشرين سنة مالأحد معه ضيعة ولا ملك، فينبغي أن تخيره إحدى ثلاث خصال: أحدها أن يكون تأنياً، يقين في ضيعة، ويؤدي ما عليه من الخراج والمال، وإما أن يسير إلى حضرتنا ويدوس البساط، وإما أن يختار عملاً يقلده، أو نقلده عمل أذربيجان وأرمينية. فإن لم يختر من هذه الخلال الثلاث شيئاً، واختار محاربتنا فالقه. واحذر يابجكم أن تخالف مارسمته لك، فإني أعلم أنه سيبذل لك مالاً، فالله الله أن تشره نفسك إلى شيء تأخذه منه، وانظر إلى كل ما بذله لك فعرفنيه، فإني أعطيك أضعافه".

---

(1) العيون: 320 – 322.

(2) انظر عن هذا النزاع: مسكويه: 1: 404 – 408، اخبار الراضي: حوادث سنة 327هـ العيون: 1: 320 – 322. الكامل: 8: 124 – 125.

وذكره بما فعله ابن حمدان مع ابن مقلة فقال: "قد كنت أنفذت ابن مقلة ومعه الغلمان لطرده، فخرج إليه وطرده، وأقام في البلد يستخرج المال، فدس إليه ابن حمدان بمال إلى رؤساء الحجرية ليشغبوا على ابن مقلة، فشرهت أنفسهم إلى أخذ المال، فاحذر أن تكون أنت مثلهم".

وأما بجكم فإنه أخذ يجادل الخليفة عن ابن حمدان فيما إذا حمل إليه المال، ويعرض له بقبوله.

سار بجكم إلى الموصل، ولقيه ابن حمدان بموقع الكحيل في عشرين ألفاً من العرب والعجم والأكراد، فانهزم بجكم في أول الأمر، ثم حمل بنفسه على أصحاب ابن حمدان فدحرهم، وانهزم ابن حمدان الى نصيبين، فتبعه بجكم فسار منها إلى آمد وتحصن بها، وكتب بجكم إلى الراضي يعلمه بالفتح.

كان موقف الراضي قلقاً: ثار ابن رائق في بغداد، وانضم إليه القرامطة الذين كانوا في جيش الخليفة، فقوي أمره واستولى على بغداد، ولم يتعرض لدار الخلافة، وجيش الخليفة قليل القوت، متعب متذمر مما هو عليه.

فاستشار الخليفة أصحابه في السفر إلى الموصل أو العودة إلى بغداد، وكان ممن يعتمد عليهم: القاضي أبو الحسن عمر بن محمد، وذكي الحاجب، وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي، فأشاروا عليه أن يعود إلى بغداد ويقضي على ابن رائق قبل أن يعظم أمره، وذكروه بحسن سمعة ابن حمدان.

وقد حدثنا الصولي عما قال للخليفة: إن الناس يتحدثون بأن العسكر الذي قد رحلت لتزيله أشبه بعساكر الإسلام من العسكر الذي تقصده به، من قوم لا يرون طاعتك، وأشبه بعسكر آبائك، وقد تحدثوا بأن الحسن – أي ابن حمدان – قد بذل أكثر مما أريد منه، فإن رأى سيدنا أن يقبل هذا، ويرجع إلى دار ملكه، ويزول مايخافه من وثوب ابن رائق، فإنه غير مأمون.

وحذره الصولي أيضاً من دهاء ابن حمدان، وبذله المال لبجكم – إذا ما يئس من رضا المؤمنين – وأن بجكم يهمه المال ليعزز مكانته عند جيشه المعوز، فيكسبه ابن حمدان، فقال له: اذا يئس الحسن من قبول الخليفة لما بذل، لم نأمن أن يصرف أمره إلى غيره – يعرض ببجكم – ويلقي نفسه عليه، ويتقرب إليه،

ويحظيه ببعض مابذله، فيجعله صنيعة له ومادة لدهره، ويكلم من يلقي نفسه على الخليفة في أمره ويسأله له ما يريده، فيقبل قوله، ويهب له أمره. فيحظى بما أردنا أن نحظى به.

كما كان يطمع في أملاك بني حمدان ليبعد بجكم في ديار ربيعة والموصل، ويشغله بخيراتها، فقال للصولي: نسير إلى الموصل وهي الناحية العامرة، وأكثرها ضياع آل حمدان، فأقبضها كلها، وأنفرد بأولئك، وأجعلها لبجكم وأصحابه، وهي كفاية وفاضلة عنه، ويخلص لي مال ضياعي، فأوسع على الناس، وأعطي من حرمت، واجعل في بيت المال شيئاً يرجع الناس إليه.

فكان يريد أن يتخلص من بجكم ويبعده عن دار الخلافة، لكي يتصرف هو في أملاكه، ولكن الصولي أعلمه أن عمارة البلاد كانت بعناية بني حمدان فيها، وإذا تولاها بجكم وأصحابه فسيؤول أمرها إلى الخراب، لسوء إدارته، وعبث جيشه، وفتكهم في الناس، وقال له: "إنما عمرت هذه الناحية بعناية بني حمدان بها ونزولهم فيها، ولو قد صارت إلى غيرهم لعادت خرابا، كما عادت فارس بعد عمرو بن الليث الخ".....

كان بجكم قاسياً شرساً، وجيشه يعيث فساداً في البلاد، فكثر تذمر الناس منهم، وصاروا يترقبون زواله، أما ابن حمدان فقد كان محبوباً عند أهل بغداد، وكلهم ألسنة ثناء عليه، لأنه كان يرسل إليهم الدقيق والأقوات كلما قلَّت عندهم، وكان يبر أبناء الامام علي (ك) ويرسل الهبات إلى أهل سامراء، وأن اخاه علي قد سد ثغور الروم، وأعمل فيهم القتل والأسر – فكانت قلوب الناس مع بني حمدان – وكرهوا خروج الخليفة لحربهم.

سار الخليفة الى الموصل، وجيشه منهوك جائع متذمر، قد هلكت دوابه، ومات كثير ممن معه، وقطع الطريق من سامراء الى الموصل في أربعة أيام، ودخلها في حالة غير مرضية، وتتابع أصحابه من بعده، فوصلوا في عشرين يوماً، وهم في حالة مزرية.

أما ابن رائق فقد قوي أمره بمن انضم إليه من جيش الخليفة والقرامطة وأصحاب المطامع.

أما ابن رائق فقد قوي أمره بمن انضم إليه من جيش الخليفة والقرامطة وأصحاب المطامع.

كتب الخليفة إلى بجكم يستقدمه إلى الموصل ليتدارك الأمر، فأسرع إليه ووقع بين أصحابه وبين أهل الموصل حرب، وقتل جماعة من التجار ونهبوا، فزاد تذمر الناس من بجكم وأصحابه، حتى وجه الخليفة الراضي بأصحابه فكفهم عن ظلم الناس.

وطالب بجكم علي بن خلف بن طياب – كاتبه في الموصل – بالأموال التي ضمنها، فما قدر الأعلى الشيء اليسير، وأخذ جيش بجكم ينسل من الموصل إلى بغداد لسوء حالته وضيق عيشه، حتى اضطر بجكم ان يسد دروب الموصل ويمنعهم من الفرار الى بغداد والألتحاق بابن رائق.

رجع ابن حمدان الى نصيبين وديار ربيعة، وتمكن فيهما، والخليفة وبجكم في الموصل لم يبق معهما الا القليل، وابن رائق متمكن في بغداد، وأهل الموصل ناقمون على جيش بجكم، حتى قال بجكم: "حصلنا على أن يكون في يد الخليفة وأمير الأمراء قصبة الموصل فقط".

ولم يكن يعلم ابن حمدان ماعليه الخليفة وبجكم من الوهن والحاجة والتذمر، وتمكن ابن رائق في بغداد، ولو علم هذا لسهل عليه الاستيلاء على الحكم.

وجرى اتصال بين ابن حمدان وبجكم سراً من غير أن يعلم الخليفة، فأرسل ابن حمدان إلى بجكم القاضي ابي أحمد الطالقاني – الذي كان أسره – الى بجكم يعرض عليه أن يقدم خمسمائة ألف درهم معجلة، ففرح بجكم وأعلم الخليفة الراضي بهذا، فأمتنع الخليفة عن قبوله، ولكن بجكم أصر على تدارك الموقف. فقبل الخليفة الراضي وأنفذ معه في يومه الخلع واللواء، والقاضي أبي الحسين ابن أبي الشوارب يستحلف ابن حمدان، ورجع القاضي مع مال التعجيل.

وأراد ابن حمدان أن يوطد علاقته مع بجكم بالمصاهرة، فتزوج ابن حمدان بابنة صغيرة لبجكم، ووقع الأملاك بين يدي الخليفة. وهكذا رجع ابن حمدان إلى ماكان عليه.

المتقي وبنو حمدان

لم يكن الخليفة المتقي أحسن حالاً من الخليفة الراضي بالله، فبعد أن بويع بالخلافة سلم مقاليد الحكم إلى بجكم، وأقره أميراً للأمراء – كما كان في عهد الراضي – وسير إليه الخلع واللواء.

كان بجكم في واسط، وقد أرسل توزون ليصد جيش أبي عبدالله بن البريدي الذي تقدم إلى المذار، فلم يتقدم جيش توزون أول الأمر، وكتب إلى بجكم يستمده، فسار إليه، وكان توزون قد انتصر على أعدائه قبل وصول بجكم، وهم بجكم بالرجوع إلى واسط، فأشار عليه بعض أصحابه أن يتصيد في "نهر جور".

وفي خلال هذا علم أن هناك أكراداً لهم مال وثروة، فشرهت نفسه إلى أخذها، فقصدهم وهرب الأكراد من بين يديه، وطعنه غلام من الأكراد في خاصرته فمات في 25 رجب سنة 329هـ، فالتحق الديلم من جيشه بابن البريدي، فأكرمهم وقربهم. وعاد الأتراك الذين كانوا مع بجكم مع تكينك.

فطمع ابن البريدي وتوجه إلى بغداد، وانضاف إليه بعض الأتراك البجكمية، وسار بعضهم إلى ابن حمدان في الموصل، فلم يهتم بهم، فرحلوا إلى ابن رائق في الشام.

دخل ابن البريدي بغداد في 12 رمضان، واستقبله الوزير ابو الحسين والقضاة والكتاب وأعيان الناس، وكان معه من أنواع السفن ما لا يحصى كثرة، فأنفذ إليه الخليفة المتقي يهنئه، وولاه الوزارة وأنفذ اليه طعاماً وميرة وغيره عدة ليالٍ[1].

كان ابن البريدي معجباً بنفسه، فإنه لم يغتنم ضعف الخليفة ورجاله، فيمكن نفسه من الدولة، بل طلب من الخليفة أن يرسل إليه خمسمائة ألف دينار ليفرقها على جيشه، وتهدده إن لم يفعل، وذكره بما جرى على الخلفاء الذين كانوا قبله، وكان يحرض جنده بطلب المال من الخليفة، فاضطر الخليفة أن يحمل إليه ماطلب، ولم يوزعه على جنده، فنفر جنده وتزعم الأتراك تكينك – غلام بجكم – وتزعم الديلم كورتكين وتآمروا عليه، ونهبوا دار أخيه، فانحدر ابن البريدي إلى

---

(1) العيون: 1: 337 – 338، 342، الكامل: 8: 130 – 131.

واسط في سلخ رمضان – وكانت مدة بقائه في بغداد أربعة وعشرين يوماً، واستولى كورتكين على الأمر، فقلده الخليفة إمارة الجيش وخلع عليه. وكان أصحابه يظلمون الناس، فثار أهل بغداد وأبطلوا الجمعة، واقتتلوا مع الديلم، وقتل من الفريقين جماعة. فاستعان الخليفة بابن رائق من الشام، وكان هذا قد قوي بمن انضم اليه من جيش بجكم، فحسنوا له السفر إلى العراق، وتولى الحكم[1].

ولما دخل ابن رائق الموصل تنحى عن طريقه ابن حمدان لعداوة بينهما، ثم تراسلا وتصالحا وحمل إليه ابن حمدان مائة ألف دينار.

سار ابن رائق إلى بغداد وحارب كورتكين وساعده أهل بغداد، ففتكوا بالديلم وخلص الناس من شرهم، فخلع عليه الخليفة المتقي وقلده إمارة الأمراء في 25 ذي الحجة سنة 329هـ (940م) وطوق بطوق عظيم مكللاً بالجوهر، وسوِّر بسوارين، وجعل يشكو ثقل الطوق، فكان ابن رائق بيده الحل والعقد، وإليه أمور الخلافة.

وكان الحسن بن عبدالله الحمداني وابن البريدي ينافسانه. وفي سنة 330هـ أخر ابن البريدي حمل المال إلى ابن رائق، فانحدر ابن رائق إلى واسط قاصداً ابن البريدي، ثم اصطلحا على أن يؤدي إليه مائة وتسعين ألف دينار. وانشق على ابن رائق بعض الأتراك البجكمية، وطالبوه بأرزاقهم، فلم يتمكن أن يتلافاها، فمضوا الى ابن البريدي في واسط، وزينوا له التوجه إلى بغداد[2].

أراد ابن رائق أن يخدع ابن البريدي، فكتب إليه يقلده الوزارة، ولكنه لم يلتفت إليه لما آنس من قوته، فوجه أخاه أبا الحسين إلى بغداد. واستعد ابن رائق لمقاتلته في تحصين دار الخلافة، واستنهض الناس لحربه، ولكن هذا لم يفده، لكثرة الديلم والأتراك الذين كانوا مع ابن البريدي فدخل هذا بغداد، واستولى على دار الخلافة، وكان الخليفة قد خرج هو وابن رائق ظاهر بغداد، فأرسل اليه ابن البريدي يحلف

---

(1) الوزراء للصولي: 386 العيون 348، الكامل: 8: 132 – 135، ابن العبري: 286.

(1) الاوراق: 209، الكامل: 8: 135، ابن العبري: 286، ابو الفداء: 2: 94. العيون: 1: 348.

له أنه لا يريد إلا خدمته والانتهاء إلى مايريده، فلم يلتفت الخليفة إلى ذلك ورحل إلى سامراء، ولحقه الحسين بن سعيد بن حمدان، فنهب ابن البريدي دور الحرم وقتلوا من فيها، وكثر السلب والنهب في بغداد، وكبسوا الدور، وأخرجوا أهلها منها، وصادروا الدواب والحبوب فغلت الأسعار وعظم الخطب.

كتب الخليفة إلى ابن حمدان يستمده على البريدي، فأرسل أخاه علياً في جيش فأدرك الخليفة وابن رائق بتكريت قد انهزموا من ابن البريدي وأخذوا طريق الموصل. فأقام علي بن حمدان للخليفة ومن معه كل مايحتاجون إليه من الميرة والثياب والفرش والدراهم وساروا جميعاً إلى الموصل[1].

ولما اقترب الخليفة وابن رائق من الموصل خاف الحسن بن حمدان عاقبة الأمر، ففارق الموصل إلى الجانب الشرقي، وتوجه إلى معلثايا، وذلك لما كان بينه وبين ابن رائق من العداوة، لأن كل منهما كان يصمم الفتك بالثاني.

كان ابن رائق يدل على الحمدانيين ويزري بهم إذا لعب الشراب برأسه، يقول لعلي بن عبدالله الحمداني: أي شيء أنتم تسوون؟ وأي يوم كان لكم؟ وهل أنتم إلا أعراب؟ يريد انتقاصهم أمام الناس، ويصف نفسه بالرجولة والشهامة، فكان علي يكظم غيظه ويعلم أخاه بما يقول.

فعزم الحسن على الفتك بابن رائق، ليخلص من شخص ينافسه، ولربما كان الخليفة يرغب بهذا، ليضرب واحداً بآخر، ويتخلص من أحدهما.

وأخذ الحمدانيون يخططون لقتل ابن رائق، ولما كان الخليفة في الموصل. نزل "علي" الحمداني في ظاهر الموصل قرب الدير الأعلى، وكان أخوه الحسن – كما قدمنا – في ملعثايا، وترددت الرسل بين ابن رائق وابن حمدان وتعاهدا، فاقترب الحسن من دجلة أمام الموصل – وكان متحذراً من خصمه – فلم يعبر إلى الخليفة ويسلم عليه ومعه ابن رائق[2]، وكان ابن رائق شهماً مقداماً عظيم الكبر،

---

(2) الاوراق: 222 – 223، مسكويه: 2: 23، الكامل: 8: 134 – 135، النجوم الزاهرة: 3: 274 – 275. الفخري: 284 – 285.

(1) مسكويه 2: 23، الكامل: 8: 134 – 135، الدكتور السامر: 238. اخبار الراضي: 224.

مستبداً برأيه، كثير الغرور والاعتداد بنفسه، منزوعاً من التوفيق والعصمة والتسديد، لا يعبأ بخصمه، مع أن الخليفة حذره من ابن حمدان، ولربما أراد الخليفة بهذا أن يستفزه فيحمله على الذهاب إليه، لأنه كان يرى نفسه أقوى من بني حمدان[1].

أمر الحسن أخاه علياً أن ينقل معسكره من غربي دجلة الى شرقيه، قرب جيشه، ليكون قوة له إذا ماحدث عند قتل ابن رائق.

ولما وصل ابن الخليفة معسكر ابن حمدان، وجد علياً وأبناء حمدان في استقباله، ولم يخرج الحسن بنفسه. وقد حدثنا "ذكا" الذي يرافق ابن الخليفة عن هذا الاستقبال فقال: "سار ابن المتقي ونحن بين يديه، استقبلنا أبو عبدالله بن أبي العلاء، وجماعة من بني حمدان، وجاء علي بن عبدالله وسلموا على ابن المتقي، وسارت الجماعة بين يديه حتى وافينا المضرب، وابن رائق ينكر تأخر ابي محمد الحسن عن استقبال ابن الخليفة المتقي، ويقول لأولاد عمه – يعني أولاد الحسن ناصر الدولة – : ياقوم يترفع عن أن يستقبل ابن الخليفة؟ هذا قبيح، حتى وافينا باب المضرب، فنزل سائر القواد إلا القرامطة فأنهم أقاموا على دوابهم خارج المضرب. ودخلنا المضرب واذا الحسن بن حمدان قائم في الدهليز الذي في المضرب، فلما دخل ابن الخليفة قبل يده وأخذ بعنان فرسه عند البساط، ونزل وجلس في وسط الدست، ثم رجع الى خلف حتى استقبل ابن رائق".

إن هذا الموقف من ابن حمدان يدل على تدبير لقتل ابن رائق، وكان الأمر قد شاع في الموصل، وأبلغ ابن رائق أحد غلمان ابن حمدان بهذا، ولكن غروره واعتداده بنفسه ساقه إلى القتل، ونصحه الخليفة ألا يعبر إلى ابن حمدان، فقال للخليفة: يامولاي أي شيء نفكر بابن حمدان في الناس، والله لو كنت ميتاً في قبر لما استجرأ أن يمر بشفير القبر"، وموقفه هذا لا يدل على حزم وتدبير، خاصة وأنه أمر من معه من الجيش أن لا يديء أحد معه بسلاح.

---

(2) زبدة الحلب: 1: 102، الذهبي: 1: 149، ابن الوردي: 1: 379.

ولما هموا بالعودة وقدموا دابة ابن رائق، ووضع رجله بالركاب، قال له الحسن: "تجلس عندي حتى نتجارى مانحتاج إليه". فقال له ابن رائق: "ليس هذا اليوم يوم ذاك، ونحن اليوم مشاغيل بالخدمة وبعد هذا نلتقي"، فألح عليه ابن حمدان، فجذب ابن رائق نفسه ليركب، فجذبه ابن حمدان حتى تخرق كمه، فغضب ابن رائق وقال: "أي شيء هذا؟" فضربه من خلفه غلام لابن حمدان بدبوس مدور على وسط رأسه، فنزلت العمامة على وجهه، وأخذته السيوف[1].

وبعد أن قضى الحسن على خصمه، أرسل إلى الخليفة المتقي بالله: "إنه وقف على ان ابن رائق أراد أن يغتاله، ويوقع به، فجرى في أمره ماجرى،" فرد عليه المتقي يعلمه أنه الموثوق به، ومن لا شك فيه، ويأمره بالمصير إليه، فعبر إليه ولقيه، وهكذا قضى ابن حمدان على خصم عنيد له، كان ينقصه ويستخف به ويزاحمه عند الخليفة.

ناصر الدولة امير الامراء

وخلع الخليفة في مستهل شهر شعبان سنة 330هـ (941م) على أبي محمد الحسن بن عبدالله، وعقد له لواء، ولقبه ناصر الدولة، واتخذه أمير الأمراء وطوقه بطوقين، وسوره بأربعة أسورة ذهباً. كما خلع على أخيه أبي الحسن علي مثل ذلك، وعلى أبي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان، وطوقه بطوق واحد وسوارين ذهباً، وهكذا صار ناصر الدولة أمير الأمراء، وبيده مقاليد الدولة العباسية[2].

تسلم ناصر الدولة أعباء الدولة العباسية، وتوجه إلى بغداد مع الخليفة ليقضي على ابن البريدي الذي عاث جنده في بغداد، والناس معه في ضيق، كما أن قسماً من جيشه نقموا من معاملته، فسار الأتراك منهم إلى ناصر الدولة بقيادة توزون وخجخج ومن معهما، فقوي أمر ناصر الدولة، واستعمل على أعمال الخراج

---

(1) انظر عن هذا: العيون: 2: 366 – 375 تجد تفصيل الحادث في، مسكويه: 2: 28. النجوم الزاهرة: 3: 274 – 275.

(1) الصولي: 228، مسكويه: 2: 29، الكامل: 8: 135، ابو الفدا: 2: 94، ابن خلكان: 1: 140.

والضياع بديار مضر – الرها وحران والرقة أبا الحسن بن طياب، وسيره لقتال ابي الحسين احمد بن علي بن مقاتل – خليفة ابن رائق في الشام – فقتله واستولى عليها، وبما أن الأخشيديين زحفوا على الشام بعد قتل ابن رائق، فكان ناصر الدولة يرسل الهدايا الكثيرة لابن طغج الأخشيدي، ليكسب وده ويأمن جانبه[1].

ولما اقترب ناصر الدولة من بغداد هرب ابن البريدي إلى واسط، ودخل الخليفة وناصر الدولة بغداد فاستبشر أهلها بعودة الخليفة، واستقبلوهم بحفاوة وعملت لهم القباب ومعالم الزينة، لأنهم خلصوهم من ظلم ابن البريدي.

واخذ ناصر الدولة يعقب البريديين إلى واسط قبل أن يسترجعوا أمرهم، فسِّير أخاه سيف الدولة وابن عمه أبا عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان في جيش الى قتاله، فالتقوا تحت المدائن، وانهزم سيف الدولة إلى المدائن، وكان بها ناصر الدولة، فردهم بمن عنده من الجيش، وفرقهم، وأسر جماعة من أعيان أصحابه، وقتل جماعة أخرى، وعاد ناصر الدولة إلى بغداد وبين يديه الأسرى على الجمال، وبقي سيف الدولة في واسط. أما البريديون فانحدروا إلى البصرة وأقاموا بها[2].

أخذ ناصر الدولة بإصلاح الوضع الإقتصادي في بغداد: فالأمن مفقود، والصيارفة يتلاعبون في عيار الدنانير، والقيمة الشرائية للنقود في تدهور، وأسعار الحاجيات في ازدياد، والتذمر كثير.

فوجه عنايته إلى إصلاح العملة بضرب نقود ثابتة العيار تحل محل النقود التي كان يتلاعب الصيارفة فيها، فضرب نقوداً جديدة بعيار ثابت، لم يضرب قط مثلها إلا السندي بن علي، وسماها "الابريزية" فكان الدينار بعشرة دراهم، وبيع الدينار الابريزي بثلاثة عشر درهماً، وزاد في نقش السكة بعد "محمد رسول الله"، "ﷺ". ولما بلغه أن الصيارفة يتلاعبون بعيار هذه العملة ويأخذون ربا ظاهراً، أحضرهم وحذرهم من التلاعب، وأمرهم بتصفية الذهب والفضة، وحلفهم على هذا[3].

---

(2) الكامل: 8: 136، زبدة الحلب: 1: 102.

(1) مسكويه: 2: 30، الكامل: 8: 136.

(2) الاوراق: 229 – 231، مسكويه: 2: 31، الكامل: 8: 136.

أما الأمن: فكان الدعار والشطار قد كثر فسادهم، وتسلطوا على الناس بالأذى، فعقبهم وظفر بهم، ونكل بهم شر تنكيل، قتل بعضهم وكحل آخرين، فهدأت الأحوال، وأمن الناس شرهم، وخشية من التلاعب في إقامة الحدود على المفسدين، أمر أن تقام أمامه. وذكر مسكويه: أن ناصر الدولة صار ينظر بنفسه في قصاص أصحاب الجنايات، وفيما ينظر صاحب الشرطة، وكانت تقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بحضرته، وتعرض عليه الأيدي والأرجل إذا قطعت، وتعد بحضرته، ويستوفى العدد عليهم لئلا يرتفقوا أصحاب الشرطة من الجناة، ويطلق من غير علمه، فهدأت الأحوال وأمن الناس[1].

ثم التفت إلى الإدارة، ونظر في توطيد الأمر في بغداد، بأن يكون مطلعاً على مايجري في دار الخلافة، فولى من يثق بهم، ويطلعه على مايكون عند الخليفة، فعزل الحاجب بدر الخرشني، وولى مكانه أبا بكر ابن خاقان. وفي رجب من سنة 942م = 331هـ قبض على الوزير أبا اسحق القراريطي، وجعل اسم الوزارة على ابي العباس احمد بن عبدالله الصفهاني، وأيده الخليفة في ذلك، فخلع عليه خلع الوزارة في دار السلطان، وانصرف بها إلى دار ناصر الدولة، وصادر ناصر الدولة القراريطي والكتاب والمتصرفين[2].

ولم يكتف ناصر الدولة بهذا، فصار يتدخل في أمور الخليفة، فيقطعه، ومن ذلك: لما صادر ابن جعفر الخياط ضياعه، استبشع الناس أن يكون هو المقطع للخليفة، وأن يدون الكتب بذلك – والخليفة ساكت على مضض[3] –.

وتقدم ناصر الدولة إلى الخليفة المتقي أن يزوج ابنته "علوية" بنت ناصر الدولة "بأبي منصور بن الخليفة المتقي"، ليوثق علاقته بالخليفة، وبابنه ولي العهد إذا ماصار الأمر إليه. وكان الخليفة نفسه يرغب بهذا الزواج ليأمن جانب بني حمدان، ويتخذهم سنداً له تجاه الأتراك والديلم. وكان الزواج في شهر ربيع الاول من سنة 331هـ، ووقع الأملاك يوم السبت، ووكل ناصر الدولة أبا عبدالله محمد

---

(3) مسكويه: 2: 38، الكامل: 8: 143.

(1) مسكويه: 2: 37 – 38، الاوراق: 229.

(2) مسكويه: 2: 37، الاوراق: 234، الكامل: 8: 148، المنتظم: 6: 330.

بن أبي موسى الهاشمي وكان الصداق خمسمائة ألف درهم، والنحلة مائة ألف دينار. وصعد ابن الخليفة – بعد الأملاك – إلى ناصر الدولة إلى داره بباب خراسان، فنثرت عليه بدرتي دنانير التقطها من كان معه وأصحاب ناصر الدولة[1].

والذي يعنينا من أمر هذا الزواج، هل أن ناصر الدولة كان يفكر في نقل الخلافة إلى بني حمدان؟ حتى جعل اسمه يخطب له على المنابر يوم الجمعة مع اسم الخليفة، ويذكر مع هذا مؤازرته للسلطان ومدافعته عنه، ثم وصل الدعاء باسمه ولقبه واسم أبيه، ولم يكن ذلك بعلم الخليفة ولا بأمر خرج من الخليفة. والذي نراه أن ناصر الدولة أوعز إلى الخطباء بهذا ليظهر مكانته في الدولة، وما له من يد في نصرة الخليفة، وإرجاعه إلى دار الخلافة، والخليفة ساكت ارضاءً لناصر الدولة[2].

وهل أن ناصر الدولة كان يفكر في نقل الخلافة إلى أبناء الإمام علي – ك – ؟ فهو شيعي المذهب، وممن يرون حقهم في الخلافة دون غيرهم، وكان يؤازر الشيعة في بغداد، وممن يعنى هو وجماعته "بابن المطلب" المتهم بالرفض، وضرب سكة فيها "ناصر الدولة عبد آل محمد"[3].

ويذكر الصولي: أن الناس تذمروا من ناصر الدولة، وشكوا أنه قد ساعد على إعلان أمر الرفض في بغداد، فنادى منا في جانبي بغداد عن السلطان ببراءة الذمة ممن سمع يذكر أحداً من الصحابة بسوء.

سيف الدولة وناصر الدولة

كان سيف الدولة قد أقام بواسط ليستريح جيشه، ويقوى أمره في الهجوم على البريديين في البصرة، وكان أخوه ناصر الدولة سئم إرسال المال إليه، وهذا ماحمل توزون وخججج أن يسيئا الكلام مع سيف الدولة، فكان موقفه حرجاً تجاه الأتراك

---

(3) مسكويه: 2: 37، الاوراق: 234، الكامل: 8: 148، المنتظم: 6: 330.

(1) رسوم دار الخلافة: 133 – 134.

(2) الاوراق: 249، ابن كثير: 11: 205. الاوراق: 236.

الذين تجمعوا ضده، كما أن علاقته بالديلم لم تكن حسنة، وهموا باغتياله قبل هذا لولا أنه وقف على الأمر، وأرسلهم إلى أخيه ناصر الدولة ففتك بهم[1].

وكان الخليفة يزيد في استياء الأتراك من سيف الدولة، فهو الذي كاتب توزون على مخالفته وإخراجه من واسط ليضعف مكانة أخيه ناصر الدولة في بغداد[2].

أرسل ناصر الدولة الى أخيه سيف الدولة اربعمائة ألف[3] درهم، ولما علم توزون وخجخج بالمال طالبوه بتوزيعه على الجيش، ولكنه لم يفعل، وحاول أن يضعف قوة الأتراك في جيشه، فيفرقهم ويخلص منهم، فأمر توزون أن يتوجه الى "الجامدة ويأخذها وينفرد بحاصلها، كما أمر خجخج أن يسير إلى "المذار" ويحفظها ويأخذ حاصلها له[4].

أعاد سيف الدولة المال إلى أخيه، ولربما كان يريد أن يؤلب الجيش على أخيه ناصر الدولة، لأنه كان خلال إقامته بواسط يقع في أخيه، ويحسن للقواد الأتراك في قصد الشام ومصر معه، والاستيلاء عليهما، فكان الأتراك يصدقونه بما يقوله عن أخيه، ولا يوافقونه في المسير إلى الشام معه.

وسبب رغبته في الشام: أن ناصر الدولة هو الأخ الكبير، وبيده الحكم، ولم يكن لسيف الدولة إلا إطاعته وتنفيذ أوامره، فأراد سيف الدولة أن ينفصل عنه في بلاد الشام ويكون هو صاحب الكلمة فيها.

زاد استياء الأتراك من سيف الدولة لأنه لم يوزع عليهم المال، وفي سلخ شعبان سنة 331هـ ثاروا عليه ليلاً، فهرب إلى بغداد، فنهبوا معسكره، وقتلوا جماعة من أصحابه[5].

---

(3) الاوراق: 236.

(4) مسكويه: 2: 39.

(1) الاوراق: 247، العيون: 281 – 382. مسكويه: 2: 39.

(2) ويذكر مسكويه: 2: 39: أنها: ألفا الف درهم وخمسين الف دينار.

(3) مسكويه: 2: 39 – 41.

صار موقف ناصر الدولة في بغداد قلقاً، فالاصلاحات التي قام فيها في بغداد لم تؤد إلى نتيجة حاسمة، لأن جذور الفساد كانت عميقة متشعبة، يغذيها عدة عوامل فعالة، فالحكام متناحرون على السلطة، وهمهم نهب أموال الدولة والناس بشتى الطرق، وتفشي الرشوة والمصادرات، وكثرة الدعار والسراق، ومن يلي أمور الدولة يعلم أنه جاء بطرق ملتوية، فهو لا يفكر في إصلاح جذري في البلد، بلد يجعل الأمر مغنماً له، وأن غيره يتحينون الفرص للايقاع به – وهذا ماكان عليه ناصر الدولة – فإنه وإن أصلح بعض الأمور التي أدت إلى هدوء في وقت محدود، فهي لم تكن إصلاحات جذرية، استأصلت عروق الفساد وقضت عليه. فصار يجمع المال ويدعي أنه يصرف على حرب ابن البريدي، وكان يظهر الضجر مما يرسله لأخيه سيف الدولة، لكي يبرر جمع المال[1].

كما أنه ضيق على الخليفة في نفقاته وعلى أهل داره، واستولى على ضياعه وضياع والدته، وصار الدواوين وجمع الأموال، فصار يحاسب وكيل الخليفة على اليسير من الصرف، وحذره من صرف ما لا يحتاجه الخليفة وأهله، وأسقط أرزاق المولدين من المرتزقة[2].

وكان الوزير ابن مقلة ممن زاد في الاستياء، فإنه ضمن لناصر الدولة مالاً عظيماً إذا استوزره، وعلى أن يطلق يده على الناس، فأجابه على ماطلب وعظم الاستياء في بغداد من وضعه هذا، وصار الناس يتحدثون عما قام به ناصر الدولة من أعمال لا يرتضونها: ماصنعه مع الخليفة، وماوضعه من الضرائب، وماصادره ابن مقلة، ومانالهم من الضر والغلاء والنكبات وابتزاز الأموال. كما كان يساعد الشيعة فارتفع شأنهم في بغداد[3].

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة غلت الأسعار غلاءً عظيماً ومات الناس جوعاً، ووقع فيهم الوباء، فكانوا يبقون على الطريق أياماً فلا يدفنون[4].

---

(1) مسكويه: 2: 41، الاوراق: 236 – 238 – 241.
(2) الاوراق: 238.
(3) الاوراق: 235، النجوم الزاهرة: 3: 278.
(4) الاوراق: 224 – 225، 235 – 236.

وهرب جماعة من رؤساء الديلم والبربر إلى ابن البريدي، فلم يتبعهم ناصر الدولة وقال لهم: "من اختار المقام عندنا وإلا فليمض مضاءً فما أحد يتبعه". ومما زاد في الطين بلة أن "عدل" صاحب بجكم دخل نصيبين واستولى على الرحبة وأعمالها، وهو ما أشغل ناصر الدولة إذ خرجت بعض بلاده من يده[1].

فارتبك الأمر عليه خاصة لما علم بانهزام أخيه من واسط وماقام به الأتراك. فانسحب ظاهر بغداد، وضرب له مضرباً بباب الشماسية، واستمال "عيسى بن جال الديلمي" فزاد في رزقه ألف دينار، ووصله بألفي دينار، وزاد الفارس من رجاله عشرة دنانير، والراجل ديناراً واحداً لكي يؤمن مكانته في بغداد.

كان الخليفة يحذر عاقبة انسحاب ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل، فصعد إليه في يوم الخميس وطلب إليه أن يتوقف يوماً أو يومين، لكي يتهيأ للالتحاق به، أو يدبر من يقوم بضبط الأمن في بغداد.

وفي صباح يوم الجمعة سنة 331هـ لأيام خلت من رمضان توجه ناصر الدولة الى الموصل، ومعه أصحابه الذين كانوا معه، وشاع عند الناس: أن الخليفة راسل ابن الترجمان في القبض على ناصر الدولة، والمجيء به إليه، فلم يتمكن لأنه جاهل جبان[2].

ترك ناصر الدولة بغداد يتلاعب بها الأتراك والديلم، فنهبوا داره، وفتكوا في الناس، ودبر الأمر في بغداد أبو اسحق القراريطي. أما ناصر الدولة فانسحب الى الموصل وفقد منصبه الخطير "أمير الأمراء"، لجشعه في جمع المال، ولم يفكر في إصلاح جذري يؤدي إلى استقرار الحكم في البلاد، وإنعاش الناس وبث الأمان والراحة.

توجه سيف الدولة إلى المدائن، وحل في بغداد ليكون في محل أخيه، وكان قد أصابه وجيشه ضر شديد، ونزل عند باب قطربل، فاستبشر الخليفة بقدومه، لعله يقضي على الفوضى، ووجه إليه بثياب وطيب ونفقة لجيشه، وانضم إليه من كان مستخفياً من جيشه في بغداد.

---

(5) مسكويه: 2: 41، الاوراق: 236 – 238 – 241.

(1) مسكويه: 2: 41، الاوراق: 236 – 238 – 241.

وطالب سيف الدولة أن يحمل إليه مالاً يستعين به في قتال توزون إذا ماقصد بغداد، كما طالب ابن مقلة أن يحمل إليه المال، فجمع هذا مأأمكنه وحمله إليه، وتذمر الخليفة لمطالبته بالأموال ولم يفعل شيئاً، ولما بلغ سيف الدولة أن أخاه ناصر الدولة وصل الموصل، ترك بغداد تحت رحمة الأتراك والتحق بأخيه[1].

بعد رحيل سيف الدولة من واسط، كان الخلاف بين توزون وخجخج على إمارة الجيش، ثم استقر الأمر بينهما أن يكون توزون أميراً، وخجخج صاحب الجيش، وكان كل منهما يحذر من صاحبه، ولما توجه خجخج لمحاربة ابن البريدي حاول هذا استمالته إليه، ولكن توزون باغته وكبسه في واسط وسمل عينه وخلص منه، ثم توجه توزون إلى بغداد ودخلها في 25 رمضان سنة 331هـ دخول الظافر المتسلط، فخلع الخليفة المتقي عليه وجعله "أمير الأمراء"، فكان الحاكم المطلق في الدولة العباسية ونال الناس أذى بعودة الأتراك إلى بغداد[2].

كان "الخليفة المتقي" مغلوباً على أمره، يتلاعب به الطامعون بالحكم والمال، فكانوا يضحون بالخليفة وأهله في إرضاء مطامعهم.

بعد أن تمكن توزون في بغداد ترك نائبه فيها "محمد بن ينال الترجمان"، وكان الوزير ابن مقلة قد ضمن قرى توزون بمائة وثلاثين ألف دينار في السنة، فخسر بها، فخاف من مطالبة توزون، وكان نائبه قد نفر من توزون لسعاية بينهما، فاتفق مع ابن مقلة على أن يعلما الخليفة المتقي، بأن توزون والبريدي قد اتفقا ضده، وعرضا عليه أن يكاتب ناصر الدولة ليرسل جيشاً يكون معه إلى الموصل[3].

ومما زاد في شك الخليفة أن ابن شيرزاد الذي أرسله توزون ليتولى الأمر في بغداد لم يتصل بالخليفة، وكان يأمر وينهي من غير موافقته، فكتب الخليفة إلى ناصر الدولة بما أشارا عليه[4].

---

(2) العيون: 2: 382، 383، الكامل: 8: 148.

(1) ابن كثير: 11: 205.

(2) مسكويه: 2: 45 – 47، العيون: 2: 384، النجوم الزاهرة: 3: 280.

(3) مسكويه: 2: 48، الاوراق: 247.

أرسل ناصر الدولة ابن عمه "أبا عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان" ليصحب الخليفة إلى الموصل، ولما عم الخليفة بالصعود معه، أشار عليه المخلصون من رجاله أن لا يخرج عن بغداد إلى ابن حمدان، لأن المر يغيظ توزون وقالوا له: "ان خروجك الى ابن حمدان أشد على توزون من ضرب عنقه وفي خروجك انحلال أمره" لأن توزون كان يعزز سلطانه في بغداد بالخليفة، وأن توزون نفسه – على ماذكر الصولي – : ماخالف الخليفة في شيء أراده، ومازال ساعياً في مراده ومحبوبه، وأنه صالح البريدي لأمر الخليفة بذلك، وهو الذي أخرج سيف الدولة من واسط بناءً على رغبة الخليفة فما الذي أوجب أن يستوحش الخليفة منه؟

وأكدوا عليه أن من الخير أن يبقى في بغداد، وأن التجار والمياسير كانوا يحذرون من خروج الخليفة: تسود الفوضى، ويتسلط الشطار والدعار، ومايفعله جيش توزون إذا ماجاء إلى بغداد من مصادرات ونهب وغصب حقوق، وقد وقع ماكانوا يحذرونه عندما صعد الخليفة إلى تكريت، فالأتراك ظلموا التجار والاغنياء، مما اضطر جماعة منهم ان ينزحوا الى الشام[1].

انحدر ناصر الدولة وسيف الدولة الى تكريت، واجتمعا بالخليفة، وأعطى ناصر الدولة الناس أرزاقهم، وتقدم بهم سيف الدولة إلى "الاسحاقي وعسكر وأنفذ ناصر الدولة أبا منصور عبدالواحد بن الخليفة المتقي إلى الموصل هو وحرمه، وبقي الخليفة معه[2].

وفي 25 ربيع الأول سنة 332هـ اشتبك سيف الدولة مع توزون، وغدر الأعراب من نمير وقشير بسيف الدولة، ونهبوا عسكره، فانثنى عليهم وفتك بهم، واشتغل معهم، فاغتنم توزون الفرصة وانتصر عليه. انسحب سيف الدولة إلى أعلى تكريت وتقدم توزون إلى تكريت ونهب أصحابه الناس ومافيها من زوارق وقوت[3].

---

(1) الاوراق 251 – 252.

(2) الاوراق 251 – 252.

(3) الاوراق: 253 – 254، مسكويه: 2: 47 – 48.

أما ناصر الدولة فانسحب إلى الموصل مع الخليفة، وعزز مكانته بما وهبه للجيش من أموال، ولجأ إليه من عسكر توزون فقبلهم وخلع عليهم.

رجع توزون إلى بغداد خشية من شغب جيشه، وتفاوض بالصلح مع سيف الدولة، على أن يعود الخليفة إلى بغداد، وأن يحمل ناصر الدولة إلى الخليفة كل سنة أكثر مما كان يحمله من قبل، وأن يكون أمير الأمراء عبدالواحد بن الخليفة المتقي، فقبل ناصر الدولة هذا، ولكن سيف الدولة وأصحابه لم يوافقوا، وأيدهم الخليفة بذلك.

كان ناصر الدولة يحذر من قوة توزون ومن ضعف أصحاب أخيه الذين لم يقبلوا الصلح، فقال لهم: "أنتم تهربون ولا تقفون، وما لكم عندي رزق إن عزمتم على القتال إلا بعد أن أعرف أمركم"، والا فانصرفوا إلى حيث شئتم، وأراد بهذا أن يتأكد من صدقهم وثباتهم في القتال". وأكد عليهم: "إن انهزمتم فلا يريني أحد منكم وجهه". فحلفوا له أنهم يجتهدون ولا يقصرون.

سار سيف الدولة إلى تكريت، وزحف إليه توزون، وانضم أرتمش التركي – وهو من أجل قواد توزون – إلى سيف الدولة في جماعة من الأتراك – وكان هذا غلام سيف الدولة – فاضطرب عسكر توزون، وخاف عاقبة الأمر، فحمل بنفسه مع ثلاثمائة من أصحابه، وأوغلوا في جيش سيف الدولة، فأزالوهم وهزموهم، وانسحب سيف الدولة إلى الموصل[1].

كاتب توزون الخليفة، وبين له: أنه عبده، ولا خوف عليه منه، ويرغبه في العودة إلى بغداد، فلم يقبل الخليفة، فرحل توزون إلى الموصل، واحتل المدينة، وحوى مافيها من الأطعمة، وعسكر ظاهرها، واستخرج ابن شيرزاد من الموصل نحو مائة ألف دينار. أما ناصر الدولة فانسحب مع الخليفة إلى نصيبين.

شعر الخليفة – بعدما وصل إلى نصيبين – مابدا من ضجر بني حمدان منه، فوقف على خطئه في الخروج من بغداد. كما أن ناصر الدولة لم يكن يتوقع ماأصابه من التقهقر والاستيلاء على بعض أملاكه، ولماذا يفقد بعض بلاده في

---

(1) الاوراق: 256 – 257.

الدفاع عن خليفة عباسي لا يرى حقه في الخلافة؟، فكان يفضل رجوع الخليفة إلى بغداد والصلح مع توزون.

كتب الخليفة المتقي الى توزون: اني استوحشت منك لأجل البريديين، لقبح مايفعلونه دفعة بعد دفعة، وأبلغت أنكما اجتمعتما وصرتما يداً واحدة فخرجت من الحضرة، والآن قد مضى ما مضى فإن آثرت رضائي فصالح ناصر الدولة وأرجع إلى الحضرة، فإني إذا رأيتك مطيعاً لي عدت واستقامت لك الأمور بي وبرضائي، وكان الله في عونك[1].

رضي توزون بالصلح وأجاب الخليفة إلى ماطلب، وعلى أن يبقى ناصر الدولة على ماكان بيده من البلاد، وأن يحمل مدة ثلاث سنين، كل سنة ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم، ولكن حاشية الخليفة لم تكن ترغب بعودته[2].

وإن ناصر الدولة اغتنم هذا الإرتباك، ففي ربيع الاول سنة 332هـ اتفق مع توزون على أن تكون الأعمال من مدينة الموصل إلى آخر أعمال الشام لناصر الدولة، وأعمال السن إلى البصرة إلى توزون.

كتب الخليفة إلى الأخشيد وهو بالرقة يعلمه بالأمر. وفي 13 محرم سنة 333هـ وصل الأخشيد إلى الخليقة المتقي، وأعظمه المتقي نهاية الإعظام، ووقف الأخشيد بين يديه وقوف الغلمان، وفي وسطه سلاح، ولما ركب المتقي مشى الأخشيد بين يديه، فأمره الخليفة أن يركب فلم يفعل، ولم يزل على تلك الحال مختلطاً بالغلمان إلى أن نزل الخليفة من ركوبه، وحمل إليه والي حاشيته هدايا كثيرة[3].

تبدل مجرى الأمور عما كان عليه، فالأخشيد يسير أمام الخليفة مع الغلمان، ويكون طوع أوامره، ويعرض عليه أن يسير إلى مصر، ويخلص من تحكم الأتراك، ويسلم الأمر إليه في البلاد، ولكن رجال السوء الذين كانوا معه لم يوافقوه،

---

(1) مسكويه: 2: 49 – 50.

(2) مسكويه: 2: 49 – 50.

(3) مسكويه: 2: 67 – 68. الاوراق: 279.

كما أن الخليفة يصعب عليه أن يترك دار السلام فقال للأخشيد: "كيف أقيم في زاوية من الدنيا واترك العراق متوسطة الدنيا وسرتها ومستقر الخلافة وينبوعها[1].

كان الاخشيد يريد ان يعزز مكانته في نقل الخلافة الى مصر، ولا يخفى ما لهذا من تأثير كبير على مركز الأخشيد عند المسلمين، فهو الذي أرضى الخليفة ودافع عنه وخضع لأوامره، كما أن توزون نفسه كان يسعى إلى إرضاء الخليفة ويعرض عليه العودة إلى بغداد، خوفاً من ان يذهب الى مصر، ويعزز سلطان الأخشيد فيها، وان بقاء الخليفة عند بني حمدان يعزز مكانتهم، وأن بني حمدان لم يكونوا مرتاحين من الخليفة الذي أفقدهم بعض بلادهم، وأنهم لا يرون حقه في الخلافة.

ترددت الرسل بين الخليفة وتوزون، وكتب إليه الخليفة في الصلح: على أن يخرج توزون إلى واسط لكي يدخل الخليفة بغداد مع ابن طغج الاخشيدي. فلم يوافق توزون على هذا، فإذا صار الخليفة في داره أمرني بما شاء حتى أفعله، وإن خرجت ولم أره كنت عند الناس عاصياً. وامتنع توزون من لبس الخلع التي أرسلها إليه الخليفة وقال: "لا ألبسها إلا بحضرة الخليفة إذا رأيته"[2].

وكان ماقاله توزون حقاً، فإنه لا يحسن به أن يخرج من بغداد، ويدخل الخليفة مع الأخشيدي: كمن خرج هارباً من غيره، كما أن خلع الخليفة يكون لبسها أمام الخليفة نفسه فيزيد من تشريفه.

يظهر لنا مما تقدم ان توزون لم يكن منحرفاً عن الخليفة، وأنه تقدم اليه غير مرة ان يعود الى بغداد، مظهراً له الطاعة والولاء، ولكن رجال السوء كانوا يحولون بين الخليفة وتوزون.

ولما علم توزون بعزم الخليفة على العودة الى بغداد، أمر بعمارة دار الخلافة وبناء ماستهدم منها، فكان يركب بنفسه حتى يشاهد ذلك ويعاينه، مما يؤيد لنا ان توزون يريد الخليفة، لولا بطانة السوء ابن الترجمان وأعوانه الذين حفوا بالخليفة وحرضوه على الخروج من بغداد والإلتجاء إلى ناصر الدولة، وماجرى بينهما من

---

(1) مسكويه: 2: 67 – 68. الاوراق: 279.

(2) فوات الوفيات: 1: 4.

حروب، ثم رحيل الخليفة إلى الرقة، ومفاتحة الأخشيديين، وماجرى بينهما من حروب، ثم رحيل الخليفة إلى الرقة، ومفاتحة الأخشيديين، كان هذا لمطامعهم التي أودت بحياة الخليفة.

وهناك عامل آخر خفي، كان يسعى إلى الإيقاع بالخليفة ومبايعة عبدالله ابن المكتفي، والمدبر للأمر هي حسن الشيرازية، ولها ابنة متزوجة بابن أحمد الشيرازي، وكانت هي وابنتها مشهورتين بشرب الخمر والفاحشة، ومتصلة بعبدالله بن المكتفي، ودبرت معه الأمر، تمضي إلى جماعة من العجم والديلم، واتصلت بابن مالك الديلمي – وكان ممن له عند توزون محل وموضع – وكان عبدالله بن سليمان يكتب للديلمي هذا، فاتفقت معهما إذا ماسعيا في إزالة المتقي ومبايعة عبدالله بن المكتفي – وذكرت له ما عليه من فهم وعقل ودين، وما فيه من ميل للتشيع – فإنه يتعهد لهما بستمائة ألف دينار، ولتوزون بمائتي ألف دينار على أن يسلم المتقي وحاشيته لهما.

اتصلا بـ (دكلا) وكان ممن يقبل توزون مشورته، ويأخذ برأيه، ولما عرض الأمر على توزون أكبره وقال: "كيف يجوز أن أفعل هذا وقد عاقدنا، وأشهدت على نفسي سائر الناس، واشتهر هذا عني في البلدان؟"، ولكنهم حذروه من غدر المتقي به، ومازالوا يخوفونه ويرغبونه بالمال حتى قبل[1]. إجتمع توزون بعبدالله بن المكتفي بدار ابن طاهر، وتعاهدا على ذلك، وبايعه توزون قبل خلع المتقي.

انحدر الخليفة من الرقة إلى بغداد على ما اتفق عليه مع توزون، ومعه غلامان من غلمان الأخشيد، ولما وصل إلى هيت، أنفذ القاضي الخرقي وابن شيرزاد حتى جددا على توزون الايمان والعهود والمواثيق، وأكرم الخليفة المتقي توزون ولقبه المظفر، وعاد القاضي إلى الخليفة، وعرفه أن قد أحكم الأمر مع توزون.

ولما وصل الخليفة ظاهر بغداد خرج الناس مبتهجين للقائه، ونصبوا القباب بباب الطاق، فاستقبله توزون، وقبل الأرض بين يديه، ووكل به، فحف جند

---

(1) مسكويه: 2: 67 – 76، الكامل: 8: 149.

توزون بمعسكر الخليفة، ونهبوا معسكره، وقبضوا على الخليفة المتقي، وأشرفت على تكحيلة حسن الشيرازية، كحله لها غلام سندي، وأرسلوا إلى دار ابن طاهر، وأحضروا أبا القاسم عبدالله بن المكتفي، وبايعوه بالخلافة، وذلك يوم السبت 18 صفر سنة 333هـ.

فخلع الخليفة المستكفي بالله على توزون، وطوقه، ووضع على رأسه تاجاً مرصعاً بالجوهر، وجلس بين يدي المستكفي بالله على كرسي، وانصرف بالخلع والتاج والطوق والسوار إلى منزله[1].

وفي خلال هذا النزاع، اغتنم ناصر الدولة فرصة توسيع بلاده: فكانت الموصل وديار ربيعة وديار بكر وقردى وبازبدى، وبهذرا، وامتد نفوذه الى العواصم وبلاد الشام، فأناب عنه فيها ابن عمه ابي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان[2].

وفي سنة 334هـ توفي توزون – بعد أن تقلد إمارة الأمراء سنتين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً – وكان هو الحاكم المتسلط في الدولة العباسية. كان كاتبه "أبو جعفر زيرك بن شيرزاد" في هيت لتخليص أموالها، فلما بلغه خبر موت توزون عزم على عقد الإمارة لناصر الدولة، فاضطربت أجناده الأتراك ولم يرضوا بهذا، وعقدوا الرياسة عليهم لابن شيرزاد.

رجع ابن شيرزاد إلى بغداد ونزل بباب حرب، وأخذ المواثيق من الجيش والخليفة المستكفي بالله، ووزع المبالغ على الجيش، فضاقت بيده الأموال، فكتب مع أبي عبدالله موسى بن أبي موسى الهاشمي يطالب ناصر الدولة بحمل المال، ويعده برد الرياسة إليه، فأنفذ إليه ناصر الدولة خمسمائة ألف درهم وطعاماً كثيراً ففرقها في عسكره، فلم يؤثر، وأخذ في المصادرات وقسم الأموال على العمال والكتاب والتجار وغيرهم لأرزاق الجند، وضيق عليهم مما اضطر بعض الناس أن يهاجروا من بغداد. واستعمل على تكريت الفتح اللشكري، فسار هذا إلى ناصر الدولة وانضم إليه، فأقره على تكريت[3].

---

(1) مسكويه: 2: 78: الكامل: 8: 150.

(2) اخبار الراضي: 284، زبدة الحلب: 1: 104 – 105.، النجوم الزاهرة: 2: 280.

(1) مسكويه: 2: 81 – 84، الكامل: 8: 160، النجوم الزاهرة: 3: 284 – 285.

وصار في البلاد قوتان تتنافسان السيطرة على الدولة، بنو بويه، والحمدانيون ومعهم الأتراك التوزونية.

أما أهل بغداد فكانوا متذمرين من جيش الديلم، لظلمهم ومصادراتهم، وقلة الأرزاق وارتفاع الأسعار، ولما طالب معز الدولة ناصر الدولة أن يحمل ما عليه من مال الضمان، امتنع عن حمله، فأرسل إليه جيشين، أحدهما بقيادة "موسى فيادة" والثاني بقيادة "ينال كوشه"، وفي عكبرا أوقع ينال موسى، ونهب جيشه والتحق بناصر الدولة، وانحدر ناصر الدولة إلى سامراء في شعبان سنة 334هـ ليقاتل معز الدولة والخليفة.

وبينما كانت الحرب بين الطرفين، اغتنم ناصر الدولة خلو بغداد من جيش الديلم، فأرسل أخاه أبا العطاف عبدالله بن حمدان بجيش إليها، وانضم إليه ابن شيرزاد، فاحتل بغداد، وحكمها ابن شيرزاد باسم ناصر الدولة، فكان الديلم بين قوتين حمدانيتين.

رأى ناصر الدولة أن يسرع في تعزيز قوته ببغداد، فانحدر إليها، واحتل القسم الشرقي منها، وحكم بغداد بنفسه وقوي أمره: يؤازره الرأي العام في بغداد والعيارون، وتأتيه المؤونة والميرة بطريق النهر من بلاد الجزيرة والموصل، فزاد تعلق أهل بغداد به لما قدمه لهم من القوت والأرزاق.

أما معز الدولة فإنه بعد أن نهب تكريت – وهي من أملاك ناصر الدولة – انحدر بجيشه إلى الجانب الغربي من بغداد، وقلت عنده الميرة والذخيرة والعلف، لأن ناصر الدولة قطعها عنه، فكثر تذمر الناس منه، ومن تصرف جيشه وندرة القوت، وغلاء الأسعار، وكلهم ألسنة دعاء عليه.

لم يكتف ناصر الدولة بهذا، فإنه خلع طاعة الخليفة – المطيع – الذي كان يظهر معز الدولة أنه يدافع عنه، ومنع من ذكر اسم الخليفة وألقى به على المنابر، كما منع تداول النقود التي ضربت في عهده، وضرب نقوداً عليها اسم الخليفة المتقي سنة 331هـ (942م) واسم ناصر الدولة وسيف الدولة. وأخذ يولي العمال على البلاد النائية عن حدود دولته، فكتب على "إبراهيم بن أحمد الساماني" أن يحتل بلاد خراسان التي كانت بيد ابن أخيه "نوح بن نصر الساماني" وأنفذ إليه

خلعاً سلطانية ولواءً[1]. وصار ناصر الدولة بهذا صاحب الكلمة في الدولة العباسية، أما معز الدولة ففي ضعف وتأخر حتى فكر في الانسحاب من بغداد إلى الأهواز.

كانت فرصة ثمينة لناصر الدولة أن يوطد مكانته في الدولة العباسية، ولكنه لم ينظر بعيداً، ويستفيد من الظروف التي تؤاتيه، فكان في وسعه أن يقضي على منافسيه.

ضاق الأمر بالديلم وعزم معز الدولة بالرحيل عن بغداد، ولكن الديلم لم يرضوا بهذا، فدبر الوزير "الصميري" مع أحد قواد الديلم أن يخدعوا جيش ناصر الدولة بالعبور إلى الجانب الشرقي، فتصدى لهم ينال كوشه في جماعة من أصحاب ناصر الدولة فهزموه، وارتبك جيش ناصر الدولة وانهزم ناصر الدولة من بغداد، وملك الديلم الجانب الشرقي، وأعادوا الخليفة إلى داره في المحرم سنة 335هـ (946م)، ونهب الديلم أهل الجانب الشرقي، وفتكوا بالناس وقتلوهم حتى أمر معز الدولة الصميري أن يركب بنفسه ويكف الجند عن الناس ففعل وقتل وصلب منهم حتى كفوا.

أقام ناصر الدولة يعكبرا وأرسل في الصلح مع معز الدولة بغير مشورة الأتراك التوزونيين الذين كانوا موالين له في كل المواقع فأستاؤوا من وضعه هذا، وهموا بقتله، وتم الصلح بينه وبين معز الدولة على الشروط التالية:

1- أن يكون في يد ناصر الدولة من تكريت ومايليها شمالاً إلى أعمال الشام ومصر، على ألاّ يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً من المال.
2- أن يحمل ناصر الدولة عن مصر والشام ماكان يحمله "محمد بن طغج الأخشيد" عنهما.
3- أن يرسل ناصر الدولة الميرة والقوات إلى بغداد لتلافي الغلاء والمجاعة على ألا يؤخذ عنها ضريبة.

---

(1) مسكويه 2: 87 – 96.

وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به، وأنفذ معز الدولة ابن قرابة وهو الذي أرسله ناصر الدولة في شأن الصلح ومعه القضاة وحلفوا ناصر الدولة بما اتفقوا عليه.

كانت الشروط من صالح ناصر الدولة، فان معز الدولة منحه سوريا ومصر – ولم تكن تابعة له – ولو أن ناصر الدولة أحسن سياسة هذه البلاد الخصبة الغنية بخيراتها، لكان أعظم الحكام في الدولة العباسية، خاصة والدولة الخشيدية كانت في أواخر أيامها، يسودها الضعف والانحلال، وكان بإمكانه أن يكون الوارث لها – في سوريا ومصر – ولكن طمعه وحبه للمال حمله على أن يسعى في شتى الطرق لجمع أكبر مقدار من المال، ولم يدر أنه أن وطد الأمن ونشر العدل واستقامت الأمور فإنه كان يجني أضعاف ماجناه من مال كان يقدم أكثره ضريبة ضمان، أو يصرفه على حروبه[1].

استمر النزاع بين ناصر الدولة وأبناء بويه الديالمة، فكلما ضاق به الأمر لجأ الى المسالمة وقدم إليهم الأموال، وإذا آنس من نفسه قوة أو ارتباكاً في بغداد يعود الى الحرب معهم، فقضى الكثير من حياته في النزاع والحروب مع أصحاب السلطة، فأتعب نفسه والبلاد التي كانت تحت حكمه. ومن ذلك: في سنة 352هـ حاول أن ينقض شروط الصلح مع معز الدولة وأخر حمل المال إليه وترددت بينهما الرسل. واقترح ناصر الدولة شروطاً جديدة أرسلها مع أبي الحسين الباهري الى معز الدولة:

1- ان يحمل ناصر الدولة عن سنة 352هـ ألف ألف درهم يقدم منها ثلاثمائة ألف درهم.
2- وعن سنتي 353هـ، 354 ألف ألف درهم يقدم منها مائتي ألف درهم والباقي في نجوم.
3- وبذل ناصر الدولة زيادة عشرة آلاف دينار على أن يعقد لابنه أبي تغلب فضل الله الغضنفر[2].

---

(1) مسكويه: 2: 108، الكامل 8: 162 – 163، ابو الفدا: 2: 100.
(1) مسكويه: 2: 203 – 206.

وكان يريد بهذا أن يكون ولده معه في حمل المال، فيكون اليمين لولده أبي تغلب أيضاً معه، وأن يحلف لهما معز الدولة. فكان يريد بهذا أن يتخلص من حمل المال، ويحمل ولده شطراً منه، مع أنه يعلم أن ولده يعجز عن تسديد المال إذا لم يوافق أبوه عليه. وهذه الحيلة لم تخف على معز الدولة، وهو يعلم ماعليه ناصر الدولة من نقض العهود كلما وجد فرصة، فلم يوافق معز الدولة على هذا، ورأى من المصلحة ان يزيحه ويخلص منه، فتوجه معز الدولة إلى الموصل سنة 353هـ (964م). وراسل أبو تغلب معز الدولة في الصلح، واتفق الطرفان على أن يكون أبو تغلب هو الضامن لا أبوه:

1- ضمن أبو تغلب ماكان في يد أبيه ناصر الدولة من الموصل وديار ربيعة والرحبة على أن يحمل عن بقايا سنة 353هـ ستمائة ألف درهم.
2- وعن أربع سنين مستأنفة – آخرها سنة 357هـ (967م) لكل سنة ستة آلاف ألف ومائتي ألف درهم.
3- أن يعجل حمل الستمائة ألأف مع الأسترى الذين في يده إلى الحديثة إذا حصل معز الدولة بها.
4- وضمن أن يرد من جملة ماحصل في أيديهم من المال والأمتعة التي أخذت وقت الايقاع ببكتوزن وأشهد معز الدولة على نفسه القواد والعدول وقاضي البلد – فكان أبو تغلب هو صاحب الأمر في ديار أبيه ناصر الدولة[1].

انقسام الحمدانيين

وفي سنة 356هـ توفي سيف الدولة الحمداني – شقيق ناصر الدولة ومؤسس الدولة الحمدانية في حلب – وكان ناصر الدولة يحبه كثيراً ويركن إليه لما كان عليه من الشجاعة وحسن التدبير، وماله من مواقف مشرفة مع الروم، وعلى جانب من العلم والأدب، فجزع عليه وأثر في صحته وعقله، فساء خلقه وصار يعاكس فيما يريدونه، ويقتر عليهم في النفقة، وهذا ماحمل أولاده على النفور منه.

---

(2) انظر الملحق رقم – 3 – عنها.

كان له عدة أولاد أشهرهم أبو تغلب فضل الله الغضنفر. وأخوه أبو البركات، واخته جميلة[1]، وهم من زوجته فاطمة بنت أحمد الكردية وهي امرأة عاقلة مدبرة مالكة لأمر زوجها ناصر الدولة، ولما وجدت ماآل إليه أمره اوعزت الى اولادها في اعتقاله، لكي يخلو لهم الأمر ويستأثروا بالبلاد[2].

ومن مخالفته لهم: أن أبا تغلب أراد أن يغتنم فرصة وفاة معز الدولة البويهي، وتولي ابنه بختيار، فعزم على أن يغزو العراق وينتزعه من الديلم، قبل أن يتمكن أمر بختيار فيه، ولكن أباه منعه من هذا، وقال لهم: إن معز الدولة قد خلف مالاً يستظهر به ابنه عليكم، فاصبروا حتى يتفرق ماعنده من المال ثم اقصدوه، وفرقوا الأموال فانكم تظفرون به لا محالة.

لم يقنع أبو تغلب وإخوته بهذا، وكان يخشى من بختيار إذا ماتمكن أمره أن يتوجه إليهم، فعزموا على حربه. ولما علم ناصر الدولة بما عزم عليه أولاده كتب إلى ولده حمدان أن يعلمه بالأمر. وكان حمدان – ومعه أخوه أبراهيم وأخوه الحسين – من أشجع أبنائه الذين يعتمد عليهم، وقد ولاه الرّقة ونصيبين والرحبة بعد وفاة سيف الدولة، وأطلق يده في هذه البلاد، لما كان عليه من حسن الإدارة.

ظفر أبو تغلب بالكتاب الذي أرسله أبوه، وخاف هو وإخوته عاقبة الأمر، فأسرعوا في اعتقاله بقلعة كواشي – أردمشت – معززاً مكرماً في 24 جمادى الاولى سنة 356هـ (966م). وأسرع أبو تغلب إلى مداراة عز الدولة بختيار، ليعضده ضد إخوته، فضمن البلاد منه بألف ألف ومائتي ألف[3].

أما حمدان فلم يسكت عن هذا، فجمع جيشاً من نصيبين، وممن أطاعه، وهدد إخوته بالحرب إن لم يفرجوا عن والده، ويعيدوه إلى ماكان عليه، فقصده أبو تغلب وانهزم حمدان قبل أن يلتقيا، واحتفظ كل منهما بما لديه من أملاك.

وفي ربيع الأول من سنة 358هـ (968)م توفي ناصر الدولة وأراد أبو تغلب أن يستأثر في الملك، فلم يرض حمدان بهذا، وهدد أخاه بأنه سيستعين عليه

---

(1) مسكويه: 2: 203 – 206.
(2) انظر الملحق رقم – 3 – عنها.
(1) مسكويه: 2: 254 – 255.

بالديلم، وإلا فبالقرامطة، على أن يبلغ غرضه، ولو أحوجه الأمر فإنه سيستعين بالروم عليه[1].

وفي سنة 358هـ طرد أبو تغلب وكلاء أخيه حمدان من أملاكه وضياعه، واستعمل معه كل قبيح، وسير إليه أخاه أبا البركات، ولما اقترب من الرحبة انضم إليه أكثر جيش حمدان، بعد أن استأمنوه، ولم يجد حمدان له ناصراً، فانهزم بأهله وغلمانه إلى هيت، وكتب إلى بختيار يستأذنه في الدخول إليه – وكان بختيار يطمع بأملاك الحمدانيين، وحاول أن يلقي بينهم العداوة والبغضاء فوجد الفرصة سانحة، فكتب إلى حمدان يستقدمه إليه مرحباً به، فتوجه إليه في رمضان سنة 358هـ وخرج فتلقاه ومعه سبكتكين الحاجب وجماعة من جيشه، وأنزله في دار جميلة[2]، وبالغ في إكرامه، وحمل اليه هدايا كثيرة من مال وافر، وثياب فاخرة، وطيب وفرش وبغال ودواب بمراكب ذهب وفضة وغير ذلك، ووعده بالتوسط بينه وبين أخيه أبي تغلب. وأنفذ إلى أبي تغلب "أبا أحمد الحسين ابن موسى الموسوي نقيب الطالبيين" – والد الشريف الرضي – برسالة في الصلح مع أخيه حمدان، وكان يريد من هذا أن يقوي حمدان ويضعف أمر أبي تغلب، فتم الصلح بينهما، ورجع حمدان إلى الرحبة في جمادى الأولى سنة 359هـ (969م)، فحمل إليه عزالدين بختيار هدية مثل الأولى وزيادة، فرحل حمدان وشيعه بختيار مع جيشه.

كان أبو تغلب يسعى في توطيد علاقته مع بختيار، لذا لم ير بداً من مصالحة أخيه حمدان، والتقرب إلى بختيار لأنه لم يكن له قدرة في مقاومته، لانقسام إخوته أبناء ناصر الدولة.

أراد أبو تغلب أن يحتال على حمدان في الاجتماع معه ليتفقوا على الصلح، ولكن حمدان كان حذراً منه فلم يأمن جانبه، وامتنع عن الاجتماع معه، فأرسل أبو تغلب أخاه أبا بركات واستولى على الرحبة، وترك بها حامية من الجيش، ثم سار إلى الرقة، واحتل "عربان". ففر حمدان في برية تدمر ثم قصد الرحبة مستتراً

---

(2) مسكويه: 2: 239، ابو الفدا: 2: 106.

(3) مسكويه: 2: 252، ابن خلكان: 1: 140: ابو الفداء: 2: 110.

ووصلها ليلاً وباغت أهلها ففتح غلمانه باب البلد، ونكل بجيش أخيه فأرسل بعضهم وقتل الذين خالفوه.

رجع أبو البركات إلى قرقيسيا، واجتمع مع أخيه حمدان، وتداولا شروط الصلح بينهما ولم يتفقا على شيء حتى يعرض أبو البركات على أخيه أبي تغلب. ولما هم أبو البركات أن يسير إلى عربان ليكتب لأخيه بذلك، باغته حمدان وقتله في ثالث رمضان، ودفن بتل توبة بجانب أبيه.

غضب أبو تغلب من هذا، وجهز جيشاً لينتقم من حمدان، وقدم بين يديه أخاه أبا الفوارس محمد إلى نصيبين، فخان هذا أبا تغلب، وكاتب حمدان ليتفقا على ابي تغلب. أما أبو تغلب فإنه عمد إلى الحيلة، فاستدعى أخاه أبا الفوارس محمد ليزيد في أقطاعه، فلما حضر عنده قبض عليه واعتقله في قلعة كواشي، وصادر أمواله وبقي مثقلاً بالحديد حتى أطلقه عضد الدولة[1].

دب الخوف في نفوس إخوته، وصاروا يحذرون من أبي تغلب لأنه كان يستأثر منهم واحداً بعد الآخر، فلجأ الحسين وأبو طاهر إبراهيم أبنا ناصر الدولة إلى أخيهما حمدان، واجتمعوا في سنجار، فقصدهم أبو تغلب سنة 360هـ، ولم يكن لهم طاقة بلقائه، فراسله أخواه إبراهيم والحسين في الصلح والعودة إليه، وكانا ينويان خديعته والفتك به، فأجابهما إلى هذا، وتبعهما كثير من أصحاب حمدان.

أعلمه حاجب حمدان بما اتفقا عليه، كما أن "تما" غلام حمدان ونائبه في الرحبة أخذ أموال حمدان والتحق بأبي تغلب. وأخذ أبو تغلب يطارد حمدان ويستولي على أملاكه فاضطر حمدان أن يلجأ إلى بختيار ومعه أخوه إبراهيم، فانحدرا إليه إلى واسط في صفر سنة 361هـ (971م) وتلقاهما وأكرمهما وردهما إلى بغداد مع هدايا كثيرة من الورق والطيب والدواب والمراكب.

ورأى أبو تغلب أن يوطد علاقته مع بختيار بالمصاهرة، فأرسل حاجبه عدة الدولة أبو الحسن علي بن عرو بن ميمون على أن يعقد لأبي تغلب على بنت بختيار، على صداق قدره مائة ألف دينار – وكان عمرها ثلاث سنوات – ويبغي

---

(1) مسكويه: 2: 289 – 292، 283، الكامل: 8: 213 – 221.

بهذا تقوية أواصر الصداقة بينهما كي يضعف أمر أخيه حمدان ومن معه، وتم هذا سنة 360هـ (970م). وجدد بختيار بعد هذا ضمان أعمال أبي تغلب لأربع سنين على أن يدفع كل سنة ستة آلاف ألف درهم ومائتي ألف درهم وأنفذ إليه الخلع[1].

رأى أبو تغلب أن يوطد علاقته مع القرامطة بهجر، ليستعين بهم عند الحاجة، وهم من أشد الناس في الحروب وأشجعهم، وكان الخليفة وأمراء الأطراف يستعينون بهم في الحروب، فأرسل إليهم أبو تغلب قلعة ماردين، سلمها إليه نائب أخيه حمدان، فأخذ أبو تغلب كل ماكان فيها من مال وسلاح[2].

اغتنم الروم ماكان عليه أولاد ناصر الدولة من حروب، ففي سنة 361هـ (971م) قصدوا الرها ونواحيها وعاثوا في الجزيرة، حتى بلغوا نصيبين، فملكوها واحرقوها وقتلوا الرجال والنساء، وكان أبو تغلب عاجزاً عن صدهم لانشغاله مع إخوته، فذهب خلق من ديار ربيعة وديار بكر الى بغداد واستنفروا المسلمين في المساجد الجامعة والسواق، ووهددوهم إن استمر الأمر على هذا، فإن الروم سيصلون بغداد، ولاموا أولي الأمر على عجزهم وتقاعسهم – وكان بختيار بالكوفة مظهراً زيارة المشهد وغرضه التصيد، فخرج إليه وجوه بغداد متذمرين، مما آلت إليه حالة البلاد، واشتغاله بما صرفه عن مصالح المسلمين، فعاد إلى واسط، وكتب إلى أبي تغلب، يعلمه أنه عامل على الغزو، ويلزمه أن يعد له من الزاد والعلوفة مايسعه وجنده في الطريق، فوعده أبو تغلب خيراً، وبختيار يعلم أن أبا تغلب لا يفي بوعه، فهو يقول ولا يفعل[3].

زاد طمع الروم في البلاد، ففي سنة 362هـ تقدم الدمستق إلى ميارفارقين بجيش عظيم، ولما قرب من آمد – وعليها "هزار مرد" غلام أبي الهيجاء بن حمدان – كتب إلى أبي تغلب يستصرخه ويعلمه بالحال، فأرسل أخاه أبا القاسم

---

(1) مسكويه: 2: 289 – 292، 283، الكامل: 8: 213 – 214، 221.

(2) الكامل: 8: 216.

(1) مسكويه: 2: 303 – 304، الكامل: 8: 222، النجوم الزاهرة: 4: 65 312.

هبة الله بن ناصر الدولة، وحصر جيش الدمستق في مضيق، وفتكوا به وأسروا الدمستق – وهو جريح – ولم يزل محبوساً حتى توفي سنة 363هـ (973م).

كتب أبو تغلب بهذا الى الخليفة، وأرسل إلى بغداد رؤوس القتلى واليدي – وكانت كثيرة – وعرضت أمام الناس، فكان لهذا وقع حسن في تعزيز مركز أبي تغلب عند المسلمين، لأنه تصدى لكسر شوكة الروم في الوقت الذي كان بختيار مشغولاً بلهوه وصيده[1].

ظل أبو المظفر حمدان وأخوه أبو طاهر إبراهيم، يطمعان بختيار في الموصل، ويصغران أمر أخيهما أبي تغلب، ووعده حمدان إذا ما أعانه على أخيه أن يضاعف له الأموال، ويخطب بإسمه في البلاد، أما بختيار فكان يسوف في الأمر، وأرسل سنة 362هـ (972م) أبا أحمد الموسوي إلى أبي تغلب، يفاتحه في الصلح، فلم يحصل منه على جواب، وأخذ يسوف في الأمر، وعاد الموسوي إلى بغداد في المحرم سنة 363هـ.

سئم إبراهيم من وضعه في بغداد، وعلم ماعليه إخوته الذين مع أبي تغلب من حال مستقيمة، فكتب إلى أخيه أبي تغلب يعلمه برغبته في القدوم إليه، وطلب منه أن يرسل إليه من يصحبه من الفرسان والأعراب. ففعل أخوه، فهرب إبراهيم سراً ومعه أخوه أبو المطاع وجيه الدولة ذو القرنين – وكان رهينة عند معز الدولة ثم عند بختيار – فالتحقا بمن أرسلهم أخوهما وساروا إلى الموصل.

علم بختيار أن أبا تغلب يرغب إخوته ويجمعهم إليه لكي يضعف أمر حمدان، فرأى أن يخرج إلى الموصل لحرب أبي تغلب، وقبل أن يخرج أراد أن يتأكد من صدق حمدان، فاستخلفه بغموس الايمان على الثبات معه والنصيحة له.

خرج بختيار ومعه الوزير ابن بقية وسبكتكين الحاجب، في ربيع الأول من سنة 363هـ، ووصل الموصل في 19 ربيع الأول، ونزل قرب الدير الأعلى ظاهر المدينة.

---

(2) مسكويه: 2: 303 – 304، الكامل: 8: 222، النجوم الزاهرة: 4: 65 312.

أما أبو تغلب فإنه اتبع طريقة والده إذا ماقصده أحد في حرب: كسر العروب التي في البلد ليعرقل طحن الحبوب، وأخلى المدينة من الميرة والعلف، وأخذ معه كتابه ودواوينه وتوجه إلى سنجار.

بقي بختيار في الموصل، وظلم اهلها بالمصادرات. وكان في بغداد جيش قليل، ورأى أبو تغلب أن الفرصة مناسبة أن يزحف الى بغداد، سالكاً الجانب الغربي من دجلة، ولما علم بختيار بالأمر كتب إلى سبكتكين – وهو بالحديثة – أن يعقب هو وحمدان أبا تغلب، وارسل ابن بقية في هذا، وتوقف في قرية القادسية على نهر الدجيل بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ، وعسكر بها، وعامل من اجتاز به من أهل السواد بالجميل، ولم يأخذ منه شيئاً إلا بالثمن الوافر، وأظهر العدل والانصاف، وكانت طلائعه ترد إلى بغداد، ونزل "حربي"، وأخذ يستميل سبكتكين سراً، ويمنيه في الوعود، واتفق معه على أن يظهرا الخلاف بينهما إلى أن يتمكن سبكتكين من القبض على الخليفة والوزير ووالدة بختيار واهله، ويستولي على بغداد، ثم يعود أبو تغلب إلى الموصل، ويتمكن من بختيار، ويستولي على دولته، ولكن سبسكتكين لم يثبت، وخاف عاقبة الأمر، وذهب إلى الوزير ابن بقية، واتفقا على مفاوضة أبي تغلب في الصلح وتم بينهما على الشروط التالية:

1- على أبي تغلب أن يضمن البلاد على ماكانت عليه معه.

2- أن يطلق لبختيار ثلاثة آلاف كر غلة عوضاً عن مؤونة سفره.

3- أن يرد لأخيه حمدان أملاكه وأقطاعه إلا ماردين.

توجه أبو تغلب إلى الموصل ليتسلمها، وكان بختيار يحذر منه أن يأخذه على غرة، لأن أكثر جيشه كان من سبكتكين، فجمع قواته واحتاط للأمر، حتى ينحدر إلى بغداد، وبقي قرب الدير الأعلى.

نزل أبو تغلب بالحصباء تحت الموصل، وبينهما عرض البلد، وكان هوى أهل الموصل مع ابي تغلب، كما أن جيشه كان أكثر عدداً وأتم قوة من جيش بختيار، وكاد أن يقع بينهما حرب، فسعى أهل البلد في الصلح بينهما، وكان موقف بختيار حرجاً، ويرغب بالصلح، فإن أهل الموصل كانوا يتبعوه باللعن والدعاء عليه، ويتتبعون أصحابه، ويتوثبون عليهم، لأن محمد بن أحمد الجرجائي الذي ولاه ابن

بقية على الموصل ظلمهم وعسفهم، وجيش بختيار ضعيف، فاستغل أبو تغلب هذا الموقف على الشروط التالية[1]:

1- أن يلقب لقباً سلطانياً.

2- أن يسلم إليه زوجته ابنة بختيار.

3- أن يحط عنه من شروط الصلح السابق.

ان ابا تغلب لم يغتنم ماتهيأ له من فرص عندما زحف الى بغداد، فلو انه وثَّق سبكتكين لاستولى على بغداد وقضى على سلطة الديلم. كما انه لما عاد الى الموصل وماله من القوة، وماكان عليه بختيار من الضعف والخوف، فانه كان من السهل عليه ان يقضي على بختيار، ولكنه لم يفعل.

دخل أبو تغلب الموصل، وفتك بالذين كانوا موالين لبختيار، فسمل أعين بعضهم، وضرب رقاب الآخرين، ولما كان في الكحيل جمع بختيار ما أمكنه من جيش وعاد إلى الموصل، لينتقم من أبي تغلب ومن أهلها الذين أساؤوا إليه، ونزل في الدير الأعلى ظاهر البلد، فهرب أبو تغلب إلى تلعفر، وأرسل كاتبه أبا الحسن علي بن عمرو بن ميمون إلى بختيار، يعاتبه على النقض، ويذكر له أن ماجرى من القتل والسمل لم يكن بأمره، فأجابه بختيار على أن يفرج عن ضياع حمدان، وأن يسلم القوم الذين قتلوا وسملوا العمال لينفذ فيهم بختيار حكمه، فأنفذهم أبو تغلب إليه، على أن لا يسيء إليهم، فعفا بختيار عنهم، وأصطلحوا على الشروط السابقة، وانحدر كاتب أبي تغلب إلى بختيار في بغداد في 10 رجب 363هـ لانجاز المواعيد، وسأل الخليفة المطيع بالله أن يلقبه، فلقبه عدة الدولة وأنفذ إليه الخلع السلطانية، كما نقلت إليه زوجته ابنة بختيار، وتجدد الصلح بينهما[2].

ان انقسام أولاد ناصر الدولة واختلافهم أضعف سلطتهم، فكانوا أدوات خفيفة بأيدي الطامعين. كان حمدان أكثرهم نشاطاً في هذا النزاع، وقد ألقى بنفسه في احضان الديالمة الذين لا يهمهم من الأمر سوى الحصول على أكبر مغنم، وكانوا

---

(1) مسكويه: 2: 315 – 318.

(1) المختار من رسائل الصابي: 86.

ينظرون إلى الدولة الحمدانية نظر الحانق، ويسعون في القضاء عليها والاستفادة من خيرات بلادهم.

بعد أن استولى عضد الدولة على ابن عمه بختيار، أخرجه إلى الشام سنة 367هـ (977م)، وشرط عليه أن لا يتعرض لأبي تغلب بحرب أو سوء. وخرج مع بختيار حمدان، فاجتمع إليه بعكبرا، وبين له أهمية الموصل وماخلفه ناصر الدولة من أموال، وحرضه على أن يسير إليها، وينتزعها من أبي تغلب الذي لا يقوى على حربهم.

علم أبو تغلب بالأمر، وأرسل هدايا ثمينة إلى بختيار مع أبي الحسن علي بن عمرو – كاتبه – فانحدر إليه في تكريت، وعرض على بختيار أن يقبض على حمدان ويسلمه إلى أبي تغلب، وأن أبا تغلب سيساعده على حرب عضد الدولة، فسلم بختيار حمدان إلى أخيه، فحبسه في قلعة ثم قتله، ففر ابنه أبو السرايا ابن حمدان إلى عضد الدولة في بغداد – وهكذا خلص أبو تغلب من عدو عنيد فتاك، كان حانقاً عليه هو وأخته جليلة لأنه قتل أخاهما أبا البركات – كما تقدم –.[1].

بر أبو تغلب بوعده مع بختيار، فانحدر في 25 ألف مقاتل، والتقى هو وبختيار بجيش عضد الدولة في "قصر الجص"[×]، 18 شوال 367هـ فهزمهم عضد الدولة شر هزيمة، وقتل بختيار، وحز رأسه، وخلص منه، وعزم على أن يعقب أبا تغلب حتى يقبض عليه.

أما أبو تغلب فإنه اتبع ماكان عليه في إخلاء البلد من الميرة والرجال وكل ماينتفع منه، ولجأ مع أخته جميلة إلى ميافارقين.

كان عضد الدولة وقد وقف على مايفعله الحمدانيون إذا ماانسحبوا من بلد، فاحتاط للأمر ونقل من الميرة والعلوفة والأزواد ماتمكن منه، وحمل معه من رجال

---

(2) مسكويه: 2: 320 – 321، الكامل: 8: 227 – 228، البستاني، 5: 232.

(×) قرب سامراء فوق الهاروني بناه المعتصم للنزهة (معجم البلدان: 7: 100).

الموصل وكتابها الموجودين ببغداد وتكريت وسائر الأطراف من يرشده ويطلعه على الأمور، ولما وصل الموصل أقام مستجماً بها، غير محتاج الى شيء[1].

علم أبو تغلب أن عضد الدولة مرتاح في الموصل، فبادر إلى مراسلته في الصلح، مظهراً الندم على ماصدر منه، وعضد الدولة يعلم ماعليه أبو تغلب من نكث العهود والجرأة والاقدام، فأجابه: أنه يفضل البقاء في الموصل على بغداد، وهي أحب إليه من بغداد، يريد أن يقطع أمله في العودة إلى الموصل.

وبعد أن استراح عضد الدولة توجه إلى أبي تغلب، فانسحب هذا الى حصن "بتليس" واودع به اهله، وقصد هو الحسينية، واخذ من كواشي ماامكنه من مال وجوهر ونفائس، فتبعه عضد الدولة، فلجأ أبو تغلب إلى أهله في حصن بتليس، فتبعه عسكر عضد الدولة وسدوا الطرق بوجهه، فاضطر أن يلجأ إلى حليفه ملك الروم "بردس سقلاروس" المعروف في كتب العرب بـ (ورد) الرومي"، وكان أبو تغلب قد ساعده سنة 365هـ عندما استنجد به وصاهره. أما ورد الرومي فكان قد ضعف أمره وهو مشغول بنفسه، فلم يحظ منه بمساعدة، فرجع أبو تغلب الى "آمد" يترقب الفرص[2].

كان عضد الدولة قد أرسل أبا الوفاء طاهر بن محمد بجيش إلى بلاد أبي تغلب، ففتح المدن والقلاع التابعة له، وحاصر "ميافارقين" فسلمها أهلها صلحاً سنة 368هـ، وأرسل قسماً من جيشه في تعقيب أبي تغلب في آمد، فانسحب أبو تغلب هو وأخته جميلة إلى الرحبة، فصارت أكثر بلاده تابعة لعضد الدولة – وهو مقيم في الموصل – وبعد أن نظم أبو الوفاء إدارة البلاد والقلاع التي افتتحها عاد الى عضد الدولة.

لجأ ابو تغلب إلى استعطاف عضد الدولة مرة ثانية، فأرسل إليه وفداً معه أخوه أبو عبدالله الحسين، وسلامة البرقعيدي – وهو من غلمان الحمدانيين الذين كانوا يعتمدون عليهم – ولم يكن عضد الدولة بالرجل الذي يخدع، فاستطاع أن يمني أخاه الحسين بالوعود وجعله يتخلى عن أخيه أبي تغلب، وانضم الى عضد

---

(1) مسكويه: 2: 382.

(2) الكامل: 8: 241، 251 – 252.

الدولـة. كمـا أن ابـن عمـه سـعد الدولـة بـن سـيف الدولـة أدرك قـوة عضـد الدولـة ودهاءه وضـعف أبـي تغلب، فحالف عضد الدولـة وانتزع ديار مضـر من سـلامة البرقعيدي وسلمها إلى عضد الدولـة، وهكذا قص عضد الدولـة أجنحـة أبـي تغلب وأضعف أمره.

ارسل عضد الدولـة عدة جيوش لفتح قـلاع أبـي تغلب: أردمشت – كواشـي – والشـعباني وهرور ومليصـي وبرقـي. وكانـت أردمشـت مـن أمنـع القـلاع وقـد أودع فيهـا أبـو تغلب أموالـه وعـدده وولـى أمرهـا رجـلاً مـن الأكـراد يعـرف "بـابن بابويـه" بينهما قرابة من جهة والدته فاطمة بنت أحمد الكردية، وضم إليه أحد مماليك أبيه ممن يعتمد عليه يسمى "طاشتم". ولما علم ابن بابويه ما آل إليه أمر أبـي تغلب دبـر الأمـر مـع الديالمـة وقـبض علـى طاشـتم وسـلم القلعـة إليهم، ومما كـان فيهـا عشرون ألف ألف درهم من النقود[1]. وأمـر عضـد الدولـة أن يحمـل طاشـتم إلـى القلاع التي لم تسلم لكي يعتبروا ويسلموا ما بأيديهم، فطـافوا بـه حـول القلاع، ولما رأى محافظو القلاع أن طاشتم – وكان أشدهم بأساً، وأكثرهم اخلاصاً لأبي تغلب، قد سلم أردمشت، سلموا القلاع لجيش عضد الدولة.

لجأ أبو تغلب إلى الشام لعله يجد من يساعده، ولكن عضد الدولة كتب الى سعد الدولة بن سيف الدولة أن يقاومه، فسار أبو تغلب إلى دمشق، وتصادم مع قسام التراب، وكـان يـدعو للعزيـز الخليفـة الفـاطمي، وطلـب اليـه الشـخوص الـى مصر ليفاوضه، فلم يفعل أبو تغلب، وزاد ضعفه بانضمام أخيه أبـي طـاهر وابن عمه أبي الغطريف إلى عضد الدولة.

أراد عضد الدولة أن يظهر ضعف أبي تغلب وتخاذله أمام جيوشه وأنـه يحـاول خديعـة الخليفـة الفـاطمي، ويمنيـه بمـا فـي قلاعـه مـن عتـاد وذخـائر وأمـوال، علـه يحظـى بمسـاعدته. فأرسـل عضـد الدولـة طاشـتم إلـى سـوريا لـيعلم أهلهـا أن أكبـر محافظ لقلاعه قد سلم إلى عضد الدولة، فيبطل عمله. ولما علم أبو تغلب بهذا دبر من قتل طاشتم في الطريق.

---

(1) يذكر ابن حوقل (ص: 107) ان اغنى ملوك زمانه (350هـ) هما عبدالرحمن بن محمد صاحب الاندلس وابو تغلب، وقدر ثروته بخمسين مليون دينار.

استقر الأمر بعضد الدولة في بلاد أبي تغلب وترك فيها قائده أبا الوفاء، يدبر أمورها ويعين العمال ويرتب الدواوين، وعاد إلى بغداد في ذي القعدة سنة 368هـ.

وهكذا صار أبو تغلب بين عدوين لا يأمن شرهما: عضد الدولة في الشرق، والعزيز الفاطمي في الغرب، وقد تخلى عنه أهله وأعوانه، ولم يبق من يؤازره سوى أخته جميلة، فرحل إلى الرملة سنة 369هـ وانضم إليه بنو عقيل، مؤملاً أن ينتزعها من "دغفل المفرج بن جراح" وهذا ممن يصانع الفاطميين ويرى رأيهم، فتصدى له دغفل وأسره وطاف به على جمل مشهوراً، ثم قتله وأنفذ رأسه إلى العزيز الفاطمي في صفر سنة 369هـ فانتهت حياة آخر رجل قوي من آل حمدان، ولم يبق منهم من يعتز به، أو يؤمل منه خيراً. وترك ولدين: أبا الهيجاء أحمد وأبا النصر نصرالله[1].

كان أبو تغلب طموحاً، يفوق والده ناصر الدولة في تدبير الأمور والشجاعة والاقدام ولكن الأقدار لم تساعده، فإنه:

(1) عزم على احتلال بغداد في حياة أبيه مغتنماً وفاة معز الدولة، ولو وافقه أبوه على هذا لربما كان يلقى نجاحاً ، ويقضي على شوكة الديالمة – أعداء الحمدانيين الذين قاوموهم حتى قضوا عليهم – كما حاول احتلال بغداد مرة ثانية عندما خرج بختيار إلى الموصل، ولو وافقه سبكتكين على هذا لتم له الأمر.

(2) كسر شوكة الروم وردهم وفتك بهم، وصار له ذكر حسن ومحبة في البلاد، وخاصة في بغداد مركز الخلافة العباسية. وساعد ورد الرومي سبع سنين ووطد علاقته معه بالمصاهرة.

(3) كانت علاقته مع الأكراد حسنة، وكانوا عوناً له في حروبه، فإن أمه فاطمة بنت أحمد كردية، وهي امرأة عاقلة مدبرة شجعته على اعتقال والده والاستئثار بالحكم.

---

(1) ابن القلانسي: 21 – 23.

(4) حاول أن يوطد علاقته مع الديلم، وصاهر بختيار، وتمكن في الأمر، بقوته ودهائه حتى أملى شروط الصلح على بختيار فقبل بها هذا – كما تقدم.

والذي نراه: أن أسباب القوة كانت مهيأة له، وأنه كان من أشجع الحمدانيين، وأحسنهم تدبيراً لولا مخالفة إخوته، وانقسامهم فيما بينهم، ومنازعتهم له، وتخليهم عنه، كان هذا من أهم الأسباب التي أضعفت قوته وقضت على البيت الحمداني – ولو أن إخوته التفوا حوله وجمعوا قوتهم إلى قوته وقاوموا الديالمة، ولم ينضموا إلى أعدائهم لكان لهم شأن في القضاء على الديالمة – ولكن الأمر كان بالضد من هذا.

بعد قتل أبي تغلب انتهى دور الحمدانيين في الحكم، وتفرقوا في البلاد، وآخر محاولة فاشلة كانت لهم في إعادة مكانتهم هي ماقام به: أبو طاهر إبراهيم، وأبو عبدالله الحسين إبنا ناصر الدولة الحمداني، وذلك على إثر انتصار "باذ"، فرأى "ابو نصر خوا شاذة" أن يقطع العرب بلاد الجزيرة – وهم أهل البلاد – ليحاربوا باذ، فإذا انتصروا عليه سهل على البويهيين انتزاع البلاد منهم، فأقطع الموصل إبراهيم والحسين ابني حمدان سنة 378هـ (988م). فسارا إليها بأهلهما أجمعين سنة 379هـ (989م)، وأن بعض رجال الدولة لم يرتاحوا بإعادة بني حمدان إلى الموصل، بعد أن قضوا على نفوذهم فيها، وتبين لهم وجه الخطأ في هذا، فكوتب أبو نصر خوا شاذة بردهما عن الموصل، فراسلهما إلى الحديثة بالرجوع. ولم يريا داعياً في مخالفته ظاهراً، وتلطفاً في إجابته بالطاعة، وقبول ماأمر به، وأعادا الرسول مكرماً، وجدا على أثره ونزلا بالدير الأعلى ظاهر الموصل.

ولما علم أهل البلد بعودة ابني حمدان، ثاروا على الديلم والأتراك، ونهبوا رحالهم وأموالهم، وخرجوا الى الحمدانيين وأظهروا لهم مؤازرتهم ومحاربة الديلم، فقاومهم أبو نصر وحاربهم، وانهزم أصحابه بعد أن قتل عدداً منهم وهلك آخرون غرقاً، واعتصم من سلم منهم مع أبي نصر بدار الإمارة، وأحاط بها أهل الموصل وبنو حمدان وحاصروها إلى الليل.

علم أبنا حمدان إن قتلت العامة الديالمة فإن العاقبة تكون وخيمة عليهم، ورأيا من الحكمة أن يعرضا على أبي نصر أنهما لم يخرجا عن أمر السلطان، وأن

مافعله العامة كان بغير علمهما، وأن أمر العامة قد اشتد لحنقهم على مافعله الديلم في البلد، ومن الصعب ضبطهم، وأنهم قد عزموا على أن يحرقوا الدار ويقتلوا من فيها، ومن الرأي أن تصير إلينا ونحن نبلغك مأمنك، وإلاّ فأنت هالك ومن معك.

تأكد أبو نصر منهما، وخرج اليهما ليلاً فأكرماه، واجتمع ابنا حمدان بشيوخ أهل البلد وقالا لهم: "إن كنتم تؤثرون مقامنا بين ظهرانيكم فولونا أموركم، وأن تكفوا الرعاع عن قتل الديالمة أصحاب السلطان، فإن فعلوا هذا فإن السلطان لا يسكت عنه، وربما لقي أهل البلد ما تحمد عقباه، وإن صرفناهم بالتي هي أحسن فإن هذا سيساعدنا على تثبيت أمرنا عندكم، وهو ماترغبون به".

وفي الصباح تعاون إبنا حمدان مع شيوخ أهل الموصل بكف الناس عن قتل الديالمة، واكتفوا بنهب الدار، وانحدر أبو نصر مع أصحابه بالزوارق إلى بغداد، وأقام بنو حمدان في الموصل يدبرون أمر البلد، وانضم إليهم بنو عقيل وأهل المدينة.

لما علم "باذ" بني حمدان الى الموصل طمع في البلد، وزحف اليها سنة 380هـ، وكاتب بعض أهل البلد يريد استمالتهم إليه.

أما بنو حمدان فإنهم استمالوا أبا الذواد محمد بن المسيب العقيلي ليعاضدهم على باذ، فطلب منهم الجزيرة ونصيبين وبلد ومواضع اخرى فأجاباه إلى هذا.

دبروا خطة محكمة لحصار جيش باذ: يحارب أبو طاهر باذ ظاهر الموصل ويشغل جيشه، بينما سار أبو عبدالله في ألفي فارس إلى بلد، وعبر إلى الجانب الشرقي مقابل باذ ومعه العقيليون، فباغتوا باذ بإحاطة جيشه، كما أن أهل الموصل الذين كانوا قد أجابوا باذ لم ينضموا إليه[1].

ولما وجد باذ موقفه حرجاً، حاول اللجوء إلى الجبال، والإعتصام بها فلم يتمكن، فاضطرب أصحابه وقتل في المعركة، وانسحب بعضهم بقيادة أبي علي الحسين بن مروان" – ابن أخت باذ – واعتصموا بقلعة "حصن كيفا" فعقبهم

---

(1) الروذ راوري: 144 – 145، 174 – 178.

الحمدانيون وبنو عقيل إلى ديار بكر، فصدهم أبو علي وحمل عليهم فكانت الدولة على الحمدانيين، وأسروا أبا عبدالله بن حمدان، فأكرمه أبو علي وأعاده إلى أخيه أبي طاهر، وكان أبو طاهر يحاصر "آمد"، فأشار عليه أخوه أبو عبدالله بمهادنة ابن مروان ومصالحته فأبى إلاّ حربه، وكانت الدائرة على بني حمدان، وأسر ابن مروان أبا عبدالله فأساء معاملته، وبقي عنده محبوساً حتى كاتبه الخليفة الفاطمي، فأطلقه ومضى إلى مصر وتقلد ولاية حلب وتوفي فيها.

أما أبو طاهر فدخل نصيبين وقصده أبو الذواد محمد بن المسيب العقيلي فأسره هو وابنه علياً ومعهما المزعفر أمير بني نمير، فقتلهم صبراً، وملك أبو الذواد الموصل وأعمالها، وكاتب السلطان أن يرسل إليه من يقيم عنده من الحضرة، وهكذا انقضى أمر بني حمدان من الموصل وتفرقوا في البلاد، فبعضهم لجأ الى الفاطميين، وبعضهم إلى أبناء عمهم في الشام، وغيرهم إلى البويهيين، واستأثر بالحكم العقيليون فملكوا الموصل وغيرها[1].

1- المسجد الجامع
2- دار الامارة
3- القلعة
4- مقبرة قرش
5- مسجد الشيخ ابراهيم الجرحى
6- تل الكناسة
7- تل عبادة – ومسجدهم
8- مقبرة الفتح الموصلي
9- حي التغالبة
10- 11- حي العمرية والعلويين
12- مسجد ابي حاضر
13- حي خزرج ومسجدهم
14- شمعون الصفا
15- الجسر
16- حي ثقيف ومسجدهم

---

(2) الروذ راوري: 144 – 145، 174 – 178.

17- مقبرة العناز – وتربة غسان
18- سوق باب الجسر
19- مقبرة عمرو بن الحمق الخزاعي
20- شهرسوك – جهار سوق
21- سوق الحشيش
22- سوق الاربعاء
23- سوق الطعام
24- مارتوما
25- دورة الساعة
26- دورة المستشفى
27- جسر نينوى والقناطر
28- درب باصلوثا
29- درب دراج
30- السور العقيلي

مخطط الموصل في القرنين الرابع والخامس للهجرة

ملحق رقم – 2 –

من تولى امرة الامراء

أمير الأمراء	الخليفة العباسي
(1) محمد بن رائق 23 ذو الحجة (324 – 326هـ)	الراضي 322هـ
(2) بجكم 21 ذو القعدة (326 – 20 رجب 329هـ)	الراضي
(3) كورتكين الديلمي 3 شوال 329هـ (وبقي مدة شهر واحد)	الراضي
(4) محمد بن رائق 25 ذو الحجة 329 – 330هـ	الراضي

---

(1) الأوراق: 86، الكامل: 8: 112.
(2) الأوراق: 106: الصولي: 1: 393.
(3) الصولي: 2: 18، الكامل: 8: 132، ابن العبري: 286.
(4) مسكويه: 2: 22، الكامل: 8: 133.

(1) ناصر الدولة الحمداني اول شعبان 330 – 331هـ المتقي 329هـ
(2) توزون 25 رمضان 331 – محرم 334هـ المتقي
(3) ابن شيرزاد، صفر 334هـ المستكفي
وبقي في الأمارة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً
وصل معز الدولة البويهي بغداد في 11 جمادى الأولى 334هـ

ملحق رقم (3)

جميلة الحمدانية[4]

تزوج "ناصر الدولة" بعدة نساء منهن "فاطمة بنت أحمد الكردية"، كانت عاقلة مدبرة، يستشيرها زوجها ويعمل برأيها. وأنجبت منه ولدين: أبا تغلب وجميلة.

وكانت "جميلة" ذكية الفؤاد نشيطة، عكفت أمها على تربيتها وتوجيهها، فنشأت عاقلة مدبرة، سديدة الرأي، شجاعة مقدامة، وهي مثال المرأة المسلمة التي لم تفسدها مظاهر الترف، ولم يبطرها غنى أهلها ومكانتهم، مطبوعة على الدين، ملتزمة حدود الله، تساعد الفقراء والمعوزين، وتعطف على الضعفاء وأهل الحاجات، فأنفقت مبالغ كثيرة في سبيل الله، ولها أعمال جليلة، منها:

---

(5) مسكويه: 2: 29، الكامل: 8: 134.
(6) مسكويه: 2: 44، الكامل: 8: 141، 160.
(7) الكامل: 8: 160 – 161، المختصر: 2: 284 – 285.
(1) انظر عنها: ثمار القلوب: 162 – 163، لطائف المعارف: 82 – 83، مجلة الجزيرة: 1: 4 – 27 نشوار المحاضرة: 1: 193.

* في سنة 366هـ توجهت إلى بيت الله الحرام، واستصحبت في موكبها الكثير من الفقراء الذين لم يتمكنوا من أداء فريضة الحج. وذكروا أنه لم يتوجه مثل موكبها الى البيت العتيق، وذلك لما أقامته من المروءة، وفرقت من الأموال على الفقراء والمحتاجين، وأظهرت من المحاسن والمكارم، ما لا يوصف بعضه عن الخلفاء والملوك، وصار عام حجها مثلاً يضربونه، وتاريخاً يؤرخون به، ومما فعلته:

* اعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجالة الحاج. وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية، وخلعت على المحتاجين خمسين ألف ثوب، وفرقت المبالغ الكبيرة على المجاورين وأهل الحرمين، وفي موكبها أربعمائة عمارية* فيها من حج معها، وكانت في إحدها لكي تساوي نفسها مع غيرها. وسقت أهل الموسم السويق بالسكر الطبرزد – السكر الأبيض الصلب – واستصبحت في الكعبة بالشموع العنبر مدة إقامتها، ولما وصلت الكعبة المعظمة نثرت عليها عشرة آلاف دينار، وغير ذلك.

* وهي التي وسعت مسجد "النبي يونس" – فوق تل التوبة – وأنشأت بجانبه دوراً للمجاورين، وأوقفت له أوقافاً جليلة وغير ذلك من الأعمال الخيرية.

كان والدها يعتمد عليها في أواخر أيامه، كما شاركت أخاها أبا تغلب في الإدارة. فكان لا يخرج عن رأيها وتدبيرها، خاصة بعد نزاعه مع أخوته، فكانت له الساعد الأيمن، ساعدته في الحرب والسلم، ولازمته حتى قتل.

ولما مات سيف الدولة اهتمت جميلة أخته في عمل الخندق حول ميافارقين، وكان سيف الدولة قد شرع فيه.

الدولة العقيلية
381 – 489هـ

العقيليون		الخلفاء العباسيون	
أبو الذؤاد	380	القادر	381هـ

* العمارية: مايقام ويشد من البيوت كالهودج.

المقلد بن المسيب	386هـ	القادر	
قرواش بن المقلد	391هـ	القائم	422هـ
بركة بن المقلد	442هـ		
قريش بن بدران	443هـ		
مسلم بن قريش	453هـ		
ابراهيم بن قريش	478هـ	المستظهر	478هـ
محمد بن مسلم بن قريش	489هـ		489هـ

دينار من ضرب الدولة الحمدانية سنة 331 هـ

أ- الوجه، مكتوب على الوجه :	ب- الظهر : مكتوب عليه:
لا اله الا الله	لله
وحده لاشريك له	محمد رسول الله
ابو منصور بن	صلى الله عليه
امير المؤمنين	المتقى الله
سيف الدولة	ناصر الدولة
ابو الحسن	ابو محمد
	ابريز
النطاق	
بسم الله ضرب هذا الدينار	الطوق
بمدينة السلام سنة احدى وثلاثين	محمد رسول الله ارسله
وثلثمائة	بالهدى ودين الحق ليظهره على
	الدين كله ولو كره المشركون
الطوق	
لله الامر من قبل ومن	
بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	

من القبائل العدنانية "بنو عقيل" نسبة الى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر. نزحوا قبل الأسلام من جزيرة العرب، وسكنوا البحرين مع بني تغلب وبني سليم، ونزح بعضهم إلى أطراف الشام، ورحل قسم منهم الى العراق وبلاد الجزيرة، وكانوا من اتباع بني حمدان، ثم انقلبوا عليهم وقضوا على دولتهم، واستولوا على الموصل وما يتبعها، فكان اول نشوء الدولة العقيلية.

بعد ان قضى "ابو الذاؤد محمد بن المسيب العقيلي" على ابناء حمدان، اراد ان يأمن جانب البويهيين، فصار يتقرب اليهم مظهراً طاعتهم، كتب الى بهاء الدولة ان يرسل الى الموصل من يقيم عنده من اصحابه، فأرسل "ابا جعفر الحجاج بن هرمز" مع عسكر ليحكم البلد باسم بهاء الدولة، ويكف أبا الذاؤد عن

تصـرفه، وتمكـن مـن الموصـل سـنة 381هـ، واصـطدم مـع العقيليـين ودحـرهم، فاجمعوا على حربه بقيادة ابي الذاؤد، وجرت بينهما وقائع.

وفـي سنة 382هـ طلب ابو جعفر من بهاء الدولـة مدداً، فأرسل اليه عسكرا بقيادة وزيره ابي القاسم علي بن احمد، ولما وصل الموصل، كتب بهاء الدولـة الـى ابـي جعفر ان يقبض علـى وزيره بوشاية من ابـي الحسن المعلم، وكـان هذا من شرار النـاس، يسـعى بالوشاية والفتن بين رجـال الدولـة– أما ابو جعفر فلم يمتثل أمر بهـاء الدولـة خوفاً من اختـلاف الجيش وانقسامه، فتضـعف قـوتهم أمـام أبـي الذؤاد.

ولما علم الوزير بالأمر، أشار عليه بعض أتباعه أن يلتحق بأبي الذاؤد، فلم يفعل أنفة منـه وحسن عهد، فصـالح أبا الذاؤد، وأخذ منـه رهائن اصـطحبهم معـه الـى بغداد، ولمـا وصـل دار السـلام وجد بهـاء الدولـة قد قـبض علـى المعلم بعد ماعلم ما يفسده– وسلمه الى الجيش فقتلوه.

تـوفي أبـو الذاؤد سنة 386هـ وكـان الممهد لقيام دولـة بنـي عقيل، فهـو الـذي جعـل لقومـه شـأنا وسـلطاناً فـي البـلاد "خاصـة بعـد أن قضـى علـى الحمـدانيين، وحاول أن يوطد علاقته بالمصاهرة مع البويهيين، فزوج ابنته من بهاء الدولة ابن عضد الدولة ليأمن جانبهم، ثم قاومهم وحاربهم، ولم يحصل على نتيجة[1].

---

(1) الكامل: 9، 34– 35، أبو الفدا: 2: 129: ابن خلكان: 2: 114.

حسام الدولة أبو حسان المقلد بن المسيب بن رابع العقيلي
386- 391 هـ- 996- 1000م

بعد وفاة أبي الذاؤد، استولى أخوه المقلد على الموصل، ولم يرض بنو عقيل به، فكانوا يميلون الى أخيه علي، لكبر سنه.

كان المقلد عاقلاً، ذا سياسة وحسن تدبير، تمكن بما أوتيه من حنكة وشجاعة البلد بألفي ألف درهم كل سنة، فأمن جانبه، ثم سعى سراً في استمالة الديلم الذين كانوا مع القائد "أبي جعفر". ثم سار إلى أخيه علي وأعلمه، إن بهاء الدولة ولاه حكم الموصل، وإن نائبه فيها أبا جعفر منعه منها، وطلب إليه مساعدته وحذره عاقبة الاختلاف فيما بينهم[1].

فسار معه أخوه علي إلى الموصل، ولما اقتربا منها انضم إليهما الديالمة الذين كان قد استمالهم، وحاصروا أبا جعفر ومن معه في دار الإمارة، وكان هذا عاجزاً عن مقاومتهم، فطلب الأمان منهم، فأمنوه، وانحدر بأمواله وأهله إلى بغداد، ودخل المقلد وعلي الموصل، وأشار أبو الفضل "ظاهر بن منصور" –كاتب علي– أن يكون علي شريكاً لأخيه المقلد في حكم البلد وذلك[2].

أن يخطب لهما في الموصل، ويقدم علي لكبر سنه.

يشتركان في الولاية والبلدة.

يكون لعلي نائب عند المقلد يجبي المال.

إن المقلد وإن رضي بهذه الشروط، فإنه لم يراع أخاه، واستبد في البلاد، ولم يلتفت إلى ماطلب منه، وأخذ يوسع نفوذه في الكوفة والقصر والحلة والجامعيين، وامتد نفوذه الى الأنبار والمدائن، وصار يتولى حماية غربي الفرات من أرض العراق، وعين له نائباً في بغداد يمثله عند الخليفة والبويهيين. وكان نائبه فيه

---

(1) ابن خلكان: 2: 114، النجوم الزاهرة: 4: 203.

(2) النجوم الزاهرة: 4: 203، ابن خلكان: 2: 114.

تهور وإقدام، سيء التدبير فاصطدم مع ابن المرزبان وغاضه، واراد هذا أن يقبض عليه فكتب إلى المقلد يعلمه بالأمر، وكان المقلد يريد توسيع حكمه، لأن بهاء الدولة كان مشغولا بمحاربة أخيه صمصام الدولة، فاغتنم الفرصة وانحدر إلى بغداد وحارب ابن المرزبان وأسره ثم أمر بقتله. وكتب إلى بهاء الدولة بأعذار مختلفة ملفقة وطلب إليه أن يرسل من يعقد عليه البلاد بمبلغ من المال يؤديه إليه كل سنة، وبما أن بهاء الدولة مشغول بحرب أخيه، رأى من الحكمة أن يداري المقلد، فأنفذ إليه أبا الحسن علي بن طاهر، فاتفق معه على شروط حملها إلى بهاء الدولة[1].

اما المقلد فأخذ يوسع نفوذه في الأعمال وجمع الأموال واصطدم مع أصحاب بهاء الدولة، وجرى له معهم منازعات ومناوشات. ولما علم بهاء الدولة بالأمر أراد أن يوقف توسعه، فأرسل أبا جعفر الحجاج إلى المقلد في ذي الحجة سنة 386 هـ (699م) واتفق مع المقلد على:

يقدم المقلد إلى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار، يحملها إلى الخزانة بواسط، ويقود معها خيلاً.

يرفع المقلد يده عن الاقطاعات، ويقنع بما يقرر له من رسوم الحماية عنها، ويمكن العمال من المحلول، ويساعدهم في استيفاء الحقوق السلطانية.

يفرج عن الديلم المأسورين.

يخطب لأبي جعفر– في الموصل– بعد بهاء الدولة.

يحمل كل سنة ألف ألف درهم.

وشرط المقلد ان يخلع عليه الخلع السلطانية من دار الخلافة، ويكنى ويلقب "بحسام الدولة" ويحمل له لواء، ويعقد له بهاء الدولة على الموصل والكوفة والقصر والجامعين.

---

(1) الروذ راوي 281– 283، الكامل: 9: 46، ابن خلكان: 2: 114– 115، شذرات الذهب: 3: 138.

فأجيب إلى ماالتمسه، وجلس القادر بالله لذلك، وخلع عليه وأنفذ إليه باللواء والخلع فلبسها في الأنبار.

إن المقلد لم يفِ إلا بحمل المال المعجل، وإطلاق سراح المأسورين من الديلم، وصار يستولي على البلاد، وتمكن بها، وقصده الكتاب والمتصرفون وخدموه فقوى أمره فكان المقلد هو المؤسس الحقيقي للدولة العقيلية[1].

وفي سنة 387هـ عاد المقلد إلى الموصل متمكناً في حكمه، ودبر أن يقبض على أخيه "علي" الذي كان ينازعه في الحكم، وقد جمع حوله بني عقيل وأخاه الحسن.

أظهر المقلد لجيشه أنه يريد قصد "دقوتا"، وبعد أن وثق من إخلاصهم ومؤازرتهم له، نقب الغرفة التي فيها أخوه– وكانت داره بجانب دار أخيه– ولم يكن مع علي سوى مائة نفر، فحمله وهو سكران، واعتقله في داره. وكان يخشى من أخيه الحسن أن يقبض على ولديه "بدران وقرواش" وهما في الحلة، على أربعة فراسخ من تكريت، فكتب إلى زوجته يعلمها بما دبره، ويحذرها من أخيه الحسن، ويأمرها بأخذ ولديه إلى "أحمد بن حماد" بتكريت، فأسرعت إلى تكريت بولديها وأثقالها. وأخذ المقلد يستميل وجوه بني عقيل في الموصل ويخلع عليهم ويقطعهم، فاجتمع إليه ألفا فارس منهم.

أما الحسن فإنه صار يقصد حلل العرب– ومعه أولاد علي وحرمه– يستغيث بهم ويستنفرهم: أن المقلد قطع الرحم، وعادى العشيرة، وقبض على أميرها علي، وانحاز إلى السلطان، فاجتمع إليه عشرة آلاف فارس.

خرج إليهم المقلد وسار إلى قرب "العلث" ومعه أخوه علي في عمارية مكرماً، وكادت الحرب أن تقع بينهم، واختلف من معهم في أمر الصلح أو الحرب، وبينما هم في هذا الحال جاءت أختهم "رهيلة بنت المسيب" وكانت عاقلة مدبرة، ينقادون إليها، ويستمعون إلى ماتقوله– وهي زوجة جعفر بن علي بن مقن– فخف المقلد إلى استقبالها، فعاتبته وقالت له: قد ركبت مركباً وضيعاً، وقطعت رحمك، وعققت ابن أبيك، فراجع الأولى بك. وخل عن الرجل، وأكفف هذه الفتنة، ولا تكن سبباً

---

(1) الروذ راوي 281– 283، الكامل: 9: 46، ابن خلكان: 2: 114– 115، شذرات الذهب: 3: 138.

لهلاك العشيرة، ومع هذا فاني أختك، ونصيحتي لاحقة بك، ومتى لم تقبل قولي، فضحتك وفضحت نفسي بين هذا الخلق من العرب. فلان لما قالته ووعدها بإطلاق علي، فأطلقه ورد عليه جميع ماكان أخذه منه، وأضاف إليه مثله. ورتب له مخيماً جميلاً، ونقله اليه، واستكتب له أبا الحسن ابن أبي الوزير، وجعله عيناً عليه يتصرف على أمره بين يديه.

على أن هذا التدبير لم يحسم النزاع بين الإخوة، فكانت الأحقاد كامنة في الصدور، ولما علم أصحاب علي بمسير المقلد إلى حرب أبي الحسن علي بن مزيد– الذي أعان عليا عليه– حملوه على حرب المقلد. فأبى وقال لهم: "إن كان قد أساء فإنه قد أحسن من بعد". فما زالوا به حتى أصعدوه إلى الموصل، وحاصر أصحاب المقلد في قلعة الموصل واستولى عليها. فأسرع المقلد بالعودة إلى الموصل، ومر بطريقه في حلة أخيه الحسن. ولما رأى هذا قوة جيش المقلد، خاف على أخيه علي وحاول أن يسترضي المقلد، وطلب إليه أن يتريث في الطلب، وأنه سيسعى في الصلح بما يرغب به علي، وما يرغب به المقلد، وأسرع إلى أخيه علي، وأعلمه: أن الأعور قد أقبل إليك بقضه وقبضته، وأنت غافل عن فتكه وتدبيره. وأشار عليه أن يسعى في استمالة جند المقلد الذين في الموصل، فإن وافقوه حاربه وإلا صالحه، فلم يوافق جند المقلد على ماطلب[1].

جد المقلد إلى الموصل، وكان متيقظاً في أمره، قد رتب الطلائع من جيشه، وعباه خير تعبية، وزحف إلى البلد، فاضطر الحسن وعلي إلى مصالحته، وخرجا إلى مضاربهما، وتوفي علي سنة 390هـ، وقام الحسن في الإمارة بعده، فقصده المقلد ومعه بنو خفاجة إلى (برقعيد) فانهزم الحسن إلى سنجار، ومازال المقلد يطارده حتى صفا له الجو.

وفي سنة 390هـ (999م) أخذ المقلد يوسع بلاده، فاستولى على (دقوتا) و (خانيجار) وأقام بها نائباً أبا محمد جبرائيل الملقب بدبوس الدولة[2] نائباً عنه.

---

(1) الروذ راوري : 300– 303، الكامل: 9: 50– 51.

(2) الروذ راوري: 3: 372، 389– 390.

(3) الكامل: 9: 61.

(4)

وفي ليلة الأربعاء لسبع بقين من صفر سنة 391هـ (1000م) قتل المقلد بالأنبار.

وسبب قتله: على مانراه أنه بعد أن تمكن في البلاد طمع في الاستيلاء على دار الخلافة، وكان يخطط لهذا، ذكر الروذ راوي "وكان المقلد راسل جماعة كثيرة من وجوه الأولياء في بغداد، واستمالهم ووعدهم وأطمعهم، وحدث نفسه بدخول الحضرة، والاستيلاء على المملكة، وأصّل في ذلك أصولاً، كاد غرضه بها يتم[1]".

وذكر أبن الاثير عنه فقال: "وكان قد عظم أمره، وراسل وجوه العساكر ببغداد، وأراد التغلب على الملك".

فإنه وجد الخلافة العباسية في ضعف وانحلال، والبويهيون في نزاع مع بعضهم، والدولة الفاطمية في قوة، وقد امتدت فتوحاتها إلى بلاد الشام، فكان يتقرب إليهم ليأمن جانبهم، كما كان يداري البويهيين تارة ويحاربهم أخرى، وهذا ماحمله أن يطمع في الاستيلاء على بغداد ويستأثر في الحكم.

كان المقلد قد عاقب بعض جنده من الأتراك، وعفا عن بعضهم وجعلهم في خدمته، وبدر منه كلمات غير مناسبة عن أجل الصحابة، فقال لرجل جاء يسلم عليه– وقد عزم على الحج–: "اذا جئت رسول الله ﷺ فقف عنده، وقل له عني: يارسول الله لولا صاحباك لزرتك" وهذا ماحمل رجال الدولة أن يحرضوا عليه الأتراك الذين كان قد عفا عنهم– وكان أحدهم يخدمه، فذبحه وهو سكران في الأنبار[2].

كان المقلد من رجال بني عقيل في الحنك والدهاء وحسن السياسة، قضى على منازعيه، وصانع البويهيين، ثم غدر بهم، واقتطع الكثير من البلاد، ثم طمع إلى أبعد من هذا، فحاول الاستيلاء على المملكة، لولا مادبره من قتله، وكان فصيحاً، ينظم الشعر ويجيز الادباء والشعراء.

---

(1)

(2)

معتمد الدولة أبو المنيع قرواش

(391- 443 هـ- 1000- 1031م)

لما قتل المقلد كان ابنه قرواش غائباً عن الأنبار- وهو الابن الأكبر- وكانت خزائنه وأمواله بسقي الفرات فخاف نائبه- أبو الحسين عبدالله بن إبراهيم بن شهرويه- بادرة الجند، ويحذر من عم الحسن أني يقصده ويستأثر بالأمر، وهو الذي نازع أباه المقلد قبل هذا.

فلجأ إلى أبي منصور قراد بن اللديد، وكتب إليه: "إنا اجعل قرواش ولداً لك، وأزوجه ببعض بناتك، وأقرر معه مقاسمتك على ماخلفه أبوه في خزائنه، على أن تكون عوناً له على عمه الحسن وعمه أبي مرخ مصعب إذا ماطمعا في الأمر" فرضي أبو منصور بهذا ورحل إلى الأنبار، ونزل في دار الإمارة، وحرس الخزائن وحسم الأطماع. ثم كتب أبو الحسن إلى قرواش يستحثه في القدوم، فأسرع وقدم الأنبار، ووفى بما اتفق عليه أبو الحسن، وتعاضدا على التعضيد.

أما الحسن فإنه لم يسكت على هذا، وشكا إلى جماعته وأهل بيته، وقال لهم: "ياقوم يرث قراد بن اللديد مال بني المسيب وهم أحياء؟ فأجابوه: "هذا من عملك، ولخوف ابن اخيك منك" ثم بين لهم إخلاصه، وصدقه لابن أخيه، وعاهدهم أنه لايحمل سوءاً له، وترددت الرسل بينهما، واتفقا: على أن يسير الحسن إلى الأنبار مظهراً الحرب مع قرواش فإذا ما اجتمعنا انقلبا على قراد وقتلاه، واستعادا الأموال منه، ولما اقترب الفريقان أسرع بعض أتباع قراد، وأسر إليه بما عزما عليه، فركب قراد فرسه وهرب، فجدوا في طلبه ولم يدركوه. واجتمع الحسن وقرواش وتعانقا، وأكد الحسن لقرواش إخلاصه ومعاضدته له، ثم ذهبا إلى حلة قراد واسترجعا الأموال التي كان قد أخذها، وعاد إلى الأنبار، وأحسن قرواش معاملة عمه، وحمل إليه ثياباً وسلاحاً وفرساً[1].

واتفقا على أن تكون الموصل مناصفة بين الحسن وينوب عنه فيها أبو عبدالله بن الحيري، وبين قرواش وينوب عنه فيها أبو الحسن بن شهرويه.

---

(1) الروذ راوري: 391- 392، الكامل : 9: 62- 63.

كان ابن الحيري شرس الطباع، سعى في قتل ابن شهرويه، وأبي عبدالله المستخرج، وابنه في داره بحيلة دبرها لهم، كما أنه دس السم في طعام أبي عامر الحسن بن المسيب وقتله، فتولى مكانه أبو المرخ مصعب فقبض على ابن الحيري وسمل عينيه وقتله، ثم نبش أهل الموصل قبره وأخرجوا جثته، وأحرقوها لسوء معاملته لهم، وما فعله من قبيح معهم[1].

وبموت الحسن ارتاح قرواش، فإن أبا المرخ مصعب لم يكن من الدهاء والحنكة والشجاعة ماكان لأخيه الحسن، فقن بما أعطاه ابن أخيه، وبقي فيها إلى أن توفي سنة 397هـ (1006 م) [2].

كان قرواش يتبع سياسة أبيه المقلد في العلاقات بين الفاطميين والعباسيين، فكان العباسيون يحاولون اصطناعه، ففي سنة 396هـ جلس له الخليفة القادر، ولقبه معتمد الدولة، وتفرد بالأمارة، ولكنه كان يميل إلى الفاطميين أيضاً، فالفاطميون قد استولوا على اكثر بلاد الشام، وكانوا يطمعون في الاستيلاء على بلاد الجزيرة والعراق، والقضاء على الدولة العباسية، لضعفها وتسلط الأعاجم على الخليفة، لذا كان قرواش يتقرب إليهم، ولكنه لايساعدهم في التغلغل بالبلاد التي تحت حكم العقيليين- بلاد الجزيرة- مع أنه كان شيعي المذهب، ولكنه يرى سلامة ملكه بوجود الدولة العباسية لضعفها[3].

وقد سبق ماكان عليه الحمدانيون من التقلب بين الفاطميين والعباسيين، ولكنهم كانوا أكثر ميلاً الى العباسيين لضعف الخلافة العباسية وقوة الدولة الفاطمية، فكان الخلفاء العباسيون يلجؤون إليهم كلما دهمهم أمر، فيلاقون منهم تعضيداً، وصاهروهم لكي يوطدوا الصلات معهم، واستمر الحال على هذا في الدولة

---

(1) الروذ راوري: 444- 446.
(2) ابن خلكان: 2، 115.
(3) المنتظم: 8، 147، النجوم الزاهرة: 4، 314.

العقيلية التي خلفت الدولة الحمدانية في السياسة والموقع، فالعقيليون لم ينحازوا كلياً إلى أحد الجانبين، بل كانوا ينتهزون الفرص لتثبيت دولتهم وتوسيعها، فكانوا يميلون مع الكفة الراجحة، وكانوا يطمعون في الاستيلاء على بغداد والتسلط على الدولة العباسية واقامة دولة عربية يتولون أمرها، كما كان يرغب في هذا أبو تغلب الحمداني.

كانت الدعاوى الفاطمية قوية في العراق والجزيرة وبلاد فارس، وخاصة على عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، فإن الداعية (هبة الله الشهرستاني) كان من أنشط الدعاة في بلاد فارس، ثم انتقل إلى الموصل، وحل ضيفاً على المقلد العقيلي، وقدم له الخلع والهدايا التي أرسلها إليه الفاطميون، ولم تؤثر دعوته على أهل الموصل، اما قرواش فكان شديد الميل للفاطميين، وكان شديد الفتك بأهل المدينة ويروي أنه قال "مافي رقبتي غير ستة أو سبعة من البادية قتلتهم، وأما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم"[1].

وكان حسن التدبير، شجاعاً، طموحاً، يسعى الى توسيع دولته، ويميل إلى القوي ليعزز مكانته، فاغتنم فرصة تقرب الفاطميين إليه، وصار الحاكم يهاديه ويمنيه ويحرضه على أن يقطع الخطبة العباسية في بلاده.

وفي سنة 401هـ أرسل إليه الحاكم بأمر الله الخلع والعلم الفاطمي، ليخطب له في بلاده.

جمع قرواش أهل الموصل، وأظهر لهم طاعة الحاكم بأمر الله، فأجابوه وفي القلوب مافيها، وأسروا الاباء والكراهية، فأحضر الخطيب يوم الجمعة (رابع محرم) وخلع عليه قباء ديبقياً، وعمامة صفراء، وسراويل ديباج أحمر، وخفين أحمرين،

---

(1) المنتظم: 7: 248– 251، 8: 147، 8: 201– 211، وفي النجوم الزاهرة: 4: 224 والمنتظم: 7: 249 نص الخطبة التي القيت في الموصل، شذرات الذهب: 3: 160.

وقلده سيفاً، وأعطاه نسخة ما يخطب بها[1]. فيظهر لنا أن الخطبة أرسلها الحاكم إلى قرواش.

وانحدر قرواش إلى الأنبار، فأقام الخطبة فيها، وفي الكوفة، والقصر والمدائن[2]، وهكذا خطب له في بلاده.

ولما علم الخليفة القادر بالله العباسي هذا، أرسل القاضي أبا بكر الباقلاني الى بهاء الدولة البويهي يعلمه بالأمر، فسير هذا عميد الجيوش إلى قرواش، فتدارك قرواش الأمر، واعتذر لعميد الجيوش، وقطع الخطبة للحاكم في بلاده، فكان قرواش يستفيد من الطرفين، يميل إلى أحدهما كلما آنس ضعفاً من الطرف الآخر.

وفي سنة 430هـ هدد (انوشتكين الدربزي) – نائب الفاطميين في الشام نصر الدولة بن مروان، يريد قصد بلاده، فراسل نصر الدولة قرواشاً– صاحب الموصل– وطلب منه عسكراً لما بينهما من قرابة[3]، كما راسل شبيب بن وثاب النميري– صاحب حران والرقة وأورفه– يدعوه الى موافقته، ويحذره من الفاطميين، فأجابه هذا وقطع الخطبة الفاطمية، وأقام الخطبة العباسية، ونجد قرواشاً يميل إلى الجانب الذي يؤمن فيه مصلحته، ولما علم بعزم الدربزي على قصد ابن مروان، خاف ان يعقب هذا فيقصد بلاده، فانضم الى ابن مروان، وايده في قطع الخطبة الفاطمية[4].

---

(1) المنتظم: 7: 248– 251، 8: 147، 8: 201– 211، وفي النجوم الزاهرة: 4: 224 والمنتظم: 7: 249 نص الخطبة التي القيت في الموصل، شذرات الذهب: 3: 160.

(2) المنتظم: 7: 248– 251، 8: 147، 8: 201– 211، وفي النجوم الزاهرة: 4: 224 والمنتظم: 7: 249 نص الخطبة التي القيت في الموصل، شذرات الذهب: 3: 160.

(3) الكامل: 9: 138، النجوم الزاهرة: 4: 271. كان قرواش قد تزوج بنت ابي نصر.

(1) الكامل: 9: 173. اخبار الدولة السلجوقية: 19– 21.

وأن قريش بن بدران العقيلي– الذي خلف قرواشاً– سار على هذا في الميل الى الجانب القوي ليعزز حكمه، وأنه اغتنم خروج طغرلبك السلجوقي لحرب أخيه إبراهيم ينال الذي نازعة في الحكم، طمع في الاستيلاء على بغداد، فدخلها سنة 450هـ (1058 م)،. هو وأبو الفتح البساسيري، وأقام الخطبة فيها للمستنصر بالله العبيدي، فخطب له على منابر بغداد في 13 ذي القعدة، ونزعوا الثياب السوداء ولبسوا الثياب البيض، وضربوا القاب المستنصر على الدنانير، وبقيت الفتنة الى شوال سنة 451هـ (1059م)، واضطر الخليفة القائم بأمر الله أن يطلب الامان من قريش، فأمنه وسيره الى حديثة عانة، معززاً مكرماً، عند ابن عمه محيي الدين مهارش المجلي العقيلي، واضطره البساسيري على كتابة عهد يعترف فيه بأن لاحق لبني العباس في الخلافة، مع وجود أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام، وأرسل البساسيري هذا العهد الى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، في القاهرة، مع ثوب الخليفة القائم بامر الله العباسي وعمامته، وشباكه الذي كان يجلس فيه[1].

وبعد ان قضى طغرلبك على أخيه، طلب إعادة الخليفة العباسي إلى بغداد، فأعاده مهارش العقيلي سنة 451هـ معززاً مكرماً، بعد أن خطب للخليفة الفاطمي مدة سنة في بغداد.

---

(2) ظل الكتاب محفوظاً عند الفاطميين الى ان استولى صلاح الدين الايوبي على مصر سنة 567 هـ فارسله الى الخليفة المستضيء بالله العباسي. انظر تفصيل الحادثة في (المنتظم: 8: 190– 197).

خطط

الموصـــل

اهمية الموصل

قصورها

القلعة

السور

الجسر – نهر زبيدة

الاسواق

دروبها

المساجد والمراقد

اتخذ مروان بن محمد الموصل قاعدة لبلاد الجزيرة، فكثرت فيها العمارة، وامتدت الى ظاهر المدينة وعمروا الدور والقصور، وغرسوا الحدائق والبساتين، فكانت من حواضر بلاد الاسلام.

ثم نكبها العباسيون سنة 133 هـ (750م)، ولكنها استعادت نشاطها ونهضتها، واستمرت في تقدم، ثم اتخذها الحمدانيون قاعدة لدولتهم، وعمروا فيها قصورهم وثكناتهم، وزادوا في حدائقها وبساتينها، فأقبل الناس عليها، وازدهرت فيها العمارة والفن والعلم، وأجمع الذين كتبوا عنها أنها كانت في القرن الرابع للهجرة من أكابر البلدان، كبيرة، غناء، شريفة عظيمة، وصارت من آهل بلاد الدنيا في النفوس[1].

ووصفها البشار المقدسي فقال عنها: "هو مصر هذا الاقليم- بلاد الجزيرة- بلد جليل، حسن البناء، طيب الهواء، كثير الملوك والمشايخ، لا يخلو من إسناد عال. وفقيه مذكور، منها ميرة بغداد، وإليها قوافل الرحاب، ولها منازه وخصائص، وثمار حسنة، وحمامات سرية، ودور بهية، ولحوم جيدة، وأمور جامعة[2]".

ويقول عنها ابن حوقل: "وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها، ومجتبى أموالها وارتفاعها. إن للموصل أضعاف أعمال نصيبين في فسحة الاعمال، وكثرة الضياع، وعظم المحل، وغزر السكان وأهل الأسواق، وهي مدينة أبنيتها بالجص والحجارة، كبيرة غناء وأهلها عرب، ولهم بها خطط، وأكبرهم ناقلة الكوفة والبصرة، وكانت من عظيم الشأن بصورة أكابر البلدان، بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد، وفيها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية، فقطنوها، وجذبتهم إليها برخصها وميرها وصلاح أسعار فسكنوها، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي إلى غير ذلك من أسباب النتاح والسائمة[3] .

وازدحمت المدينة بالسكان، وزادت ثروتها، وعني المواصلة بمدينتهم، فشيدوا الأبنية الفخمة، وزينوها بزخارف جميلة، وغرسوا في دورهم وقصورهم الرياحين والأزهار. والأشجار المثمرة، ينساب الماء في جداول إلى برك وأحواض، يخرج

---

(1) الاصطخري: 53. نهاية الارب: 1: 296. آكام المرجان: 14

(2) أحسن التقاسيم: 138.

(3) صورة الأرض: 195-196.

منها نافورات، وبين أشجارها الحيوانات الجميلة، وعلى أشجارها الطيور المغردة، واتخذوا تماثيل للحيوانات بين الأشجار، وعلى الجداول، تصور الحيوانات وكأنها قد ألفت بعضها بعضا. إلى غير ذلك من مظاهر الفن الذي أبدعته قريحة الفنان الموصلي في تنسيق وتزيين أم الربيعين.

ووصف السري الرفاء المتوفى سنة 360 هـ مدينته بقصائد تصور لنا ما كانت عليه من جمال التنسيق ودقة الفن ومن ذلك يصف داراً لصديق له فيها من مظاهر الجمال فقال: [1]

منـــزل كـــالربيع حلـــت عليـــه ... حاليـــات الســـحاب عقـــد النطـــاق
يمتـع الطـرف[2] مـن طرائـف حسـن ... تتجـــافى بهـــا[3] عـــن الأطـــراق
فكـــأن الطلـــع النضـــيد جفـــون ... يتصـــــدعن ســـــيوف رقـــــاق
صـــنعت فوقهـــا التماثيـــل أيـــد ... عـــاجزات عـــن صـــنعة الخـــلاق
مـــن وجـــوه مثـــل البـــدو صـــباح ... وقـــدود مثـــل الغصـــون رشـــاق
ألبســـتها محاســـن الخلـــق لمـــا ... عجـــزت عـــن محاســـن الخـــلاق
فـــإذا مـــا الريـــاح حـــركن منهـــا ... خيلـــت أن خيلهـــا فـــي اســـتباق
وتـــــراءت أســـــودها واثبـــــات ... مبـــــديات خنـــــاجر الشـــــداق
يغتـدى بينهـا الفهـود علـى الغـز ... لان خـــز العيـــون ســـود المـــآق
حيـــوان بـــــلا حيـــــاة فمنـــــه ... حائـــــد عـــــن منيـــــة ومـــــلاق
وقيـــان مـــنعن أســـماعنا الحـــ ... ـــظ ووفرنـــه علـــى الأحـــداق
وريـــاض لـــم يـــنش زهرتهـــا التـــر ... ب ولـــم يســـقها مـــن الغيـــث ســـاقي

ومـن قصـورها الجميلـة دور الأمـارة، وكانـت تقـع فـي أرض واسـعة شـمال المدينة– الميدان– وتطل على ساحل دجلة، فشيد الحمدانيون قصورهم فيها لسعة أرضها وجمال موقعها، وأنها تقع ظاهر المدينة، تتسع لجيوشهم وخيولهم. وكانوا يوسعون الدور على ممر السنين، وعنوا بزخرفتها وفخامة بنائها، وحفوها بجنائن وحدائق فيها الأثمار والرياحين، وجعلوها تناسب ما كانوا عليه من القوة والثروة.

---

(1) انظر القصيدة في ديوانه: 200–201.
(2) (3) في نهاية الارب: 1:407: العين، تتحامى

وممن جددها وعني بزخرفتها وحدائقها وزينها بأنواع الطيور والحيوانات هو أبو تغلب، وقد وصفها السري الرفاء فقال:

انشأته منزلاً في قلب دجلة لا ... تمتاح جنته الغدران والقلبا
صفا الهواء به والماء فاشتبها ... كأن بينهما من رقة نسبا
فمن جنان تريك النور مبتسماً ... في غير إبانه والماء منسكبا
ومن سواق على خضرا تحسبها ... مخضرة البسط سلوا فوقها القضبا
كان دولابها اذ حن مغترب ... ناء فحن الى أوطانه طربا
فالنخل من باسق فيه وباسقة ... يضاحك الطلع في قنواته الرطبا
والكرم مشتبك الأفنان توسعنا ... أجناسه في تساوى شربه عجبا
والماء مطرد فيه ومنعرج ... كأنما ملئت حبانه رعبا
وبركة ليس يخفي الموج لجتها ... من القذى، ما طفا فيها وما رسبا
ترى الأوز سروباً في ملاعبها ... كما تأملت في ديباجة لعبا
مسلم وسباع الطير حائمة ... يخطفن ما طاف في الآفاق أو سربا
كانما الجارح المرهوب يحذره ... فليس يوفى عليه جارح ذهبا
وسهم فوارة ما ارتد رائده ... حتى أصاب من العيوق ما طلبا
كان بركته درع مضاعفة ... تقل رمح لجين منه منتصبا
والقصر يبسم في وجه الضحى فترى ... وجه الضحى عندما أبدى لنا شحبا
يبيت أعلاه بالجوزاء منتطقا ... ويغتدى برداء الغيم محتجبا
تطامن نحوه الايوان حين سما ... ذلاً، فكيف تضاهي فارس العربا؟
اذا القصور الى ارابها انتسبت ... أضحى إلى القمة العلياء منتسبا
وكل ناحية منه زبرجدة ... أجرى اللجين عليها جدولاً [1]

وخلف العقيليون الحمدانيين في حكم البلاد، فسكنوا نفس المكان، لأنهم لم يجدوا مكاناً أجمل منها يتسع لهم ولجيوشهم[2]. ولكنهم لم يعنوا بها عناية الحمدانيين.

---

(1) انظر القصيدة في ديوان السري: 34-36.
(1) الكامل: 145:9-146.

وكـان الميـدان الـذي أمـام دار الإمـارة خاليـاً مـن العمـارة. وفيـه يكـون إعـداد الجيوش وعرضها.

القلعة:

وشمال دار الإمارة تقع القلعة. وفيها العدد والعُدد والخيول ولوازم الحرب. فهي فـي موقـع يشـرف علـى دار الإمـارة والميـدان والبلـد. وعلـى دجلـة. والـذي نـراه أن الحمدانيين هم الذين شيدوا هذه القلعة قريبة من دورهم. فكانوا قد اتخذوا عدة قلاع حفظوا بها أموالهم وذخائرهم. مثل قلعة كواشي(×) والشعباني وهرور وغيرها من القلاع. وأقدم ذكر لها ما وقفنا عليه سنة 387 هـ.

ولمـا حـارب البساسـيري إبـراهيم ينـال سـنة 450 هـ وانتصـر عليـه هـدم قلعـة الموصـل. ولربمـا أعـاد عمارتهـا شـرف الدولـة العقيلـي عنـدما عمـر سـور الموصـل 474 هـ (1081م).

ومـن القصـور الجميلـة التـي كانـت فـي الموصـل قصـر جعفـر بـن أبـي جعفـر المنصور بناه سنة 145 هـ على التل المشرف على الربض الأسفل من الموصل، وسكنه مع زوجته سلسل أخت الخيزران زوجة أخيه الهادي. والقصر يشرف على المروج والأحراش التي تحف بنهر دجلة. وعلى السهول الخصبة الخضراء التي في الربض الأسفل من الموصل. وبقيت آثار القصر إلى القرن السابع للهجرة. ذكر عز الدين بن الأثير أنهم شيدوا رباطاً قرب هذا القصر. وجمع كتابه الكامل فيه. وأثر القصر باق الى زمنه[1].

---

(2) الموصل في العهد الأتابكي: 175.

(×) قلعـة حصـينة شـرقي الموصـل. لـيس لهـا إلا طريـق لرجـل واحـد. وتسـمى أيضـاً اردمشت وهي قد خربت في ايامنا هذه. وقريب منها قرية تسمى باسمها. فوق الجبل الابيض على يمين الداخل الى مضيق زاخو من الموصل.

وقصر الخليفة المعتضد الذي كان فوق تل توبة. ذكر المقدسي عند كلامه عن الموصل: "وقصر الخليفة على نصف فرسخ من الجانب الآخر عند نينوى القديمة"[1].

وذكره ابن الفقيه عند كلامه عن مسجد التوبة. أنه بأزاء القصر الذي بناه المعتضد بالله العباسي.

ومر بنا أن الخليفة المعتضد توجه إلى الموصل سنة 281 هـ (894م)، وقضى على بني شيبان، ثم توجه إلى حمدان بن حمدون، وبقي إلى سنة 283 هـ في ديار الموصل، وأنه رأى جمال الموصل فبنى القصر.

وفي أواخر القرن الرابع للهجرة تداعى القصر، واقفرت الملاعب، وصار الناس يشكون الظمأ وسوء الحال، ومن ذلك ماقاله السري الرفاء يذكر حالة قصر الخليفة أحمد المعتضد وقصر جعفر ونهر زبيدة:

أقول لحنان العشي المغرد ... يهز صفيح البارق المتوقد
على الشرف المعمور بالعمر فالربا ... فتلك الثنايا فالطريق المعبد
فسود الليالي من بنية جعفر ... فدمنة آثار الخليفة أحمد(×)
محل الهوى العذري في غير حلة ... وعهد الشباب الغض في غير معهد
أرى بلداً يشكو من الماء مثل ما ... شكا الغمد من حد الحسام المهند
تحيف غربي القصور كأنما ... رمين على الأيام منه بمبرد
مكفرة الجدران للمد لاتني ... تخر عليه من ركوع وسجد
وعهد بها مثل الفراقد تنتضي ... ذوائبها ما بين نسر وفرقد
بقية آثار البناء كأنما ... تصوغ لها الآصال تيجان عسجد
فيا سطوة الأيام عودي لسلمها ... كما كنت قبل اليوم مغلولة اليد[2]

---

(1) أحسن التقاسيم: 138. وجاء ذكر القصر في حوادث سنة 330 هـ (العيون: 373).

(×) المعتضد: هو احمد بن طلحة الموفق توفي سنة 289 هـ.

(2) انظر القصيدة في ديوانه: 97-98.

السور

كان الرشيد قد هدم سور الموصل سنة 180 هـ، (796م) ولما تولى شرف الدولة العقيلي، أحاط المدينة في رجب 474 هـ (1081م) بسور قليل الارتفاع، ولم يعمل له فصيلاً ولا[1] أحاطه بخندق، وفرغ من عمارته بعد ستة أشهِر وكان السور العقيلي يحف بالمدينة من قرب مقام عيسى دَدَهْ الواقع على نهر دجلة[2] ويمتد غربا إلى باب سنجار، وكان الميدان ظاهر السور، ثم يستمر السور إلى جنوب المدينة حتى النهر.

ومن أبواب المدينة التي وقفنا على ذكرها الى القرن الخامس للهجرة: باب سنجار، باب القصابين باب الجصاصة، باب العراق، باب الجسر. وقد بسطنا القول عن سور الموصل في مجلة سومر:[3]

الجسر

وكان للموصل جسر واحد، وهو الجسر الذي مده مروان بن محمد عندما كان والياً على الموصل، وله باب واحد يغلق بوجه من لم يسمح له بدخول البلد، ويقع الجسر في محل الجسر القديم الذي كانت تتمه القناطر الحجرية في الجانب الشرقي من دجلة[4] وإذا أرادوا قطع المواصلات بين الجانبين أحرقوا الجسر. كما فعل أبو تغلب الحمداني سنة 363 هـ. (973م).

---

(1) حائط قصير يكون امام القلعة ودون السور.

(2) انشىء على انقاض رباط سيف الدين غازي على باب المشرعة (منية الادباء: 121)

(3) سومر: 3: 117-129.

(4) انظر سومر: 12، 108-124، الاعشى: 6: 487)

نهر زبيدة

بعد ان استولى العباسيون على الموصل، حاولوا أن يطمسوا كل أثر للأمويين، وسموا النهر الذي حفره الحر نهر زبيدة، لأن زبيدة بنت جعفر الأكبر ولدت في الموصل. وكان شربهم منه ومن نهر دجلة أيضاً، وكان ساحل النهر – كما قدمنا – من متنزهات المدينة، يحف به أزهار وأشجار، وبعد استيلاء الديالمة وارتباك الأمر في الموصل، طمست أخبار نهر زبيدة، فكان لدجلة فرعان: دجلة الموصل ودجلة نينوى فهل أن دجلة الموصل كان يجري في مجرى نهر زبيدة؟

أسواق الموصل

يحدثنا ابن حوقل أنه كان في الموصل عشرات الأسواق الكبيرة، لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة، مما يكون في السوق الواحد مائة حانوت وزائد وكانت أسواقها مسقوفة مغطاة.

كانت الأسواق في القرن الأول الهجري قريبة من دار الإمارة. حول المسجد الجامع، فحولها إسماعيل بن علي إلى مقبرة أهل الموصل، وبنى بها مسجد أبي حاضر – قرب مكان الجامع النوري – وبقيت أكثر الأسواق حول الجامع النوري الى القرن السابع الهجري، على أن بعض الأسواق بقيت في مكانها، مثل سوق الشعارين، الأربعاء، القتابين، سوق الجسر... الخ.

وذكروا عن الجامع النوري: أنه كان في وسط أسواق الموصل خربة واسعة، لم يجسر أحد على عمارتها.... فركب نورالدين بنفسه الى محل الخربة، وصعد منارة مسجد أبي حاضر، فأشرف على الخربة[1].

ولم نقف على نصوص تفحص لنا عن أسماء أسواق الموصل، ومكان كل منها، ومما وقفنا عليه من أسمائها، أنه كان لكل صنف منها سوق خاصة، مثل:

---

(1) الكامل: 11: 147. الروضتين: 1: 189.

سوق البزازين، سوق السراجين، سوق الأساكفة، سوق القصابين، سوق السقط، سوق الطعام، وغيرها من الاسواق.

ومن أسواق الموصل: جهار سوق "والذي يعرف اليوم باسم "شهر سوق" وسميت المحلة باسمه، قال الجاحظ: "أهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها المربعة، ويسميها أهل الكوفة شهار سوق، أي الأربعة طرق"[1].

سوق الأربعاء وقد تقدم الكلام عنه، ويقول المقدسي عنه عند كلامه عن الموصل: "في ثلثه شبه حصن، يسمى المربعة على نهر زبيدة ويعرف بسوق الاربعاء، داخله فضاء واسع، يجتمع به الاكرة والحواصيد، على كل ركن فندق"[2].

فسوق الاربعاء هذا المربعة هو غير جهار سوق، فهو يقع على نهر زبيدة، جاء عنه في حوادث سنة 232 هـ: "فركب الماء الربض الأسفل، وشاطىء نهر سوق الأربعاء، وهلك من أهلها نحو مائة ألف نسمة"[3].

وجهار سوق في وسط مدينة الموصل بعيد عن النهر.

ويتضح لنا مما ذكره المقدسي أن سوق الأربعاء كان يجتمع به الفلاحون والحواصيد إذا أرادوا عملاً، ويمتارون منه، فهو من الأسواق المزدحمة، كما كان عليه سوق باب الطوب في الموصل قبل نصف قرن.

ومن دروب الموصل:

1. **درب الدير الأعلى:** يؤدي إلى الدير المذكور الواقع في الربض الأعلى، شمال المدينة على دجلة.

---

(1) البيان والتبين: 2: 10.
(2) احسن التقاسيم: 138.
(3) الكامل: 7: 13.

2. **درب بيت صلوثا:** يؤدي إلى بيت صلوثا الواقعة ظاهر سور الموصل، على يسار الذاهب من شارع نينوى إلى موصل الجديدة، قبل اجتياز سكة الحديد، ويسمى اليوم (بسطوطات)[1].
3. **درب الجصّاصين:** يؤدي إلى غربي المدينة، حيث تكثر أكوار الجص.
4. **درب الجصّاصة:** ولربما كان نفس طريق درب الجصاصين، أو أنه فرع منه يؤدي إلى أكوار الجص غربي المدينة.
5. **درب رحى أمير المؤمنين:** يؤدي إلى شرقي المدينة – إلى ساحل النهر – حيث تكثر العروب والأرحية، وفي لحف التل الذي تقع عليه المدرسة الكمالية يسمى (شط الرحى)، ولربما كانت هي بقايا رحى أمير المؤمنين.
6. **درب بني ميدة:** من دروب الموصل القديمة، ذكره الأزدي في حوادث سنة 190 هـ: "تولى الموصل خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، ودخلها من درب بني ميدة، فانكسر لواؤه فأنشد أبو الشيص:

ما كان منكسر اللواء لطيرة تخشى ولا أمر يكون مزيلا
لكن هذا الرمح أضعف ركنه صغر الولاية فاستقل الموصلا[2]

وكان يؤدي إلى الربض الأسفل من جهة باب العراق. وبقي الدرب يعرف ببني ميدة إلى القرن السابع للهجرة[3].

7. **درب الدباغين:** والدباغون يتخذون مدابغهم على دجلة جنوب المدينة، وكان الدرب يؤدي إليها، وأدركنا المدابغ على دجلة جنوب المدينة، ثم أبعدتها بلدية الموصل الى موقعها الحالي جنوب الموصل على دجلة أيضاً.

---

(1) وجاء ذكره في القرن السادس للهجرة باسم "باصلوثات (خريدة العصر: 2: 253).
(2) وفي غرر الخصائص الواضحة للوطواط: 123: أن الشاعر هو ابو الشمقمق، والوالي خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، وكتب صاحب البريد الى المأمون بذلك، فزاد خالدا ديار ربيعة، فأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم.
(3) أنباء الرواة: 2: 344.

8. **درب جميل:** لم نقف على نص نستدل منه على تحديد موقعه.

9. **درب ايليا الطبيب:** جاء ذكره في حوادث سنة 166 هـ: "إن أصحاب البيعة المعروفة بمارتوما المجاورة للمسجد المعروف ببني أسباط الصيرفي المقابل لدرب ايليا الطبيب".

فمسجد بني أسباط هو مسجد خزرج، والشارع الذي امامه يمتد الى مسجد العراكدة – العراقدة – وهو درب إيليا الطبيب، وبقي الشارع بهذا الاسم الى القرن السادس للهجرة[1].

10. **درب درَّاج:** في وسط مدينة الموصل كان يسكنه الخالديان – كما قدمنا – وبقي يعرف بهذا الاسم إلى القرن السابع للهجرة، وكانت دار أبي السعادات بن الأثير فيه، وبعد موته دفن في الدار واتخذوه رباطاً[2].

درب بني هذيل: ولم نتوفق لتحقيق موقعه.

ومن محلات الموصل التي وقفنا عليها:

محلة حضرموت: ذكرها البشاري المقدسي فقال: "حضرموت مدينة بالأحقاف، ومحلة بالموصل"[3].

محلة الطبالين: تقع قرب الجامع الأموي، يصنعون فيها الطبول، ولم تزل هذه المحلة يتخذ فيها الدفوف والغرابيل.

محلة ثقيف: في محلة باب المسجد اليوم حضيرة تسمى "حضيرة الشكيف:– ثقيف – وفي المحلة مسجدهم مسجد ثقيف: وهو الذي عرفت محلة باب المسجد به[4].

محلة التغالبة: قرب باب العراق.

---

(1) الموصل في العهد الأتابكي: 126–127.

(2) ابن خلكان: 1: 441.

(3) أحسن التقاسيم: 27.

(1) جوامع الموصل: 165–166.

محلة التكارتة: وهم الذين نزحوا من تكريت إلى الموصل في القرن الرابع للهجرة، وسكنوا قرب "بيعة مار حوذيمي".

المساجد

وأهل الموصل معروفون بتمسكهم بشعائر دينهم، وحبهم لعمارة المساجد والمراقد، فكانت مساجد الموصل تزداد كلما توسعت المدينة وزاد عدد سكانها، فصار فيها عشرات المساجد – عدا التي ذكرناها في العهد الأموي – منها:

المسجد الجامع: الذي كان قد وسعه مروان بن محمد، ثم ضاق بالمصلين، فوسعه الخليفة المهدي سنة 167 هـ. جاء في تاريخ الموصل: "وفيها زاد المهدي في المسجد الجامع بالموصل الصفاف الدائرة بالصحن، وبلغني أن موضع الصفاف كانت حوانيت وسوقاً لأهل المدينة، فما كان يلي سوق الداخل للبزازين، وما يلي باب جابر للسراجين، وما يلي دير القبلة للسقط، وموضع المطابخ التي كان يطبخ للناس فيها في شهر رمضان، فأمر المهدي بهدم جميع ذلك، وأدخله إلى المسجد، وأجرى ذلك على يد موسى بن مصعب عامله على الموصل، وكتب في ذلك حجراً مقابل الداخل من باب المسجد الذي يلي سوق الداخل (بركة من الله لعبد الله الإمام محمد المهدي، فأجرى على يد عامله موسى بن مصعب)[1].

فإذا كان – قبل توسيعه – يتسع لأكثر من أحد عشر ألفاً، فقد صار يتسع لأكثر من هذا العدد.

مسجد يونس: شيده المسلمون فوق تل توبة الذي وقف عليه قوم يونس لما انذرهم بالعذاب، وتابوا الى الله، وكان يقصده المسلمون لزيارته والمبيت به، كما كان يأوي اليه النساك والزهاد. قال المسعودي عند كلامه عن نينوى سنة 332 هـ: "وظاهر المدينة تل – تل توبة – عليه مسجد، وهناك عين تعرف بعين يونس عليه السلام، ويأوي الى هذا المسجد النساك والزهاد والعباد". وكان يسمى مسجد التوبة لأنه يقع على تل توبة.

---

(2) أنظر: جوامع الموصل: 3–17.

وأن المحسنة جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني وسعت هذا المسجد، وجددت عمارته، وشيدت الى جانبه دوراً للمجاورين، واوقفت عليه أوقافاً جليلة، وسمي المسجد (مسجد يونس) يقصده الناس ليلة الجمعة ويبيتون فيه، ويقضون ليلهم بالتهجد والعبادة، كما كانوا يذهبون الى عين يونس – الدملماجة – ويغتسلون بها للتبرك[1]. ولم يزل أهل الموصل يقصدونه للزيارة، وبعضهم يبيت فيه.

ومن التسامح الذي كان بين المسلمين والنصارى أن المسلمين أنشاوا لهم مساجد في بعض الأديرة منها:

مسجد الدير الأعلى: بناه الحسين بن سعيد بن حمدان في الدير الأعلى سنة 338 هـ (949 م)، ودفن في هذا المسجد[2].

مسجد في دير ميخائيل: جاء في حوادث سنة 360 هـ (970 م): "قتل رجلان بمسجد مار ميخائيل بظاهر الموصل، فصادر أبو تغلب جماعة من النصارى"[3].

ومن المساجد التي وقفنا على أسمائها:

مسجد أبي حاضر الذي بناه اسماعيل بن علي سنة 166 هـ (782م)، مسجد بني أسباط، وهو مسجد خزرج اليوم، مسجد علي بن الحسن الهمداني، مسجد موسى بن مصعب، مسجد المعافى بن عمران، مسجد بسام، يصلي فيه بنو الوضاح العبيديون، مسجد أبي الحسن بن فرغان وغيرها.

أما مسجد سعيد بن عبدالملك – تقدم الكلام عنه.

ومن المشاهد والمراقد:

قبر عمرو بن الحمق الخزاعي: من الصحابة الذين ثبتوا على محبة الامام علي كرم الله وجهه، وانتقل الى الموصل وتوفي فيها، وأنشأ الحمدانيون عليه قبة ومسجداً سنة 336 هـ، وقبره في مقبرة آل النقيب المعروفة اليوم باسم مقبرة الست

---

(1) جوامع الموصل: 73–107. سومر: 22: 75–78.

(2) ابن خلكان: 1: 366.

(3) الكامل: 8: 221. وابن خلكان: 1: 364.

فاطمة[1]، وهي داخل جامع الامام محسن، أسد الغابة في (4: 100) وقبره مشهور بظاهر الموصل، يزار، وعليه مشهد كبير.

مرقد الخثعمي: ويعرف في الموصل باسم الشيخ عامر. يقع بين مرقد الامام الباهر وتل الكناسة – تل كناس – ولعل المدفون فيه عبدالرحمن الخثعمي المتوفى سنة 51هـ، وهو من أنصار الإمام علي كرم الله وجهه، أو قبر كريم بن عفيف الخثعمي، وكان قد نزل الموصل بعد أن عفا عنه معاوية بن أبي سفيان[2].

مشهد حمزة بن السسرى الخولاني: المتوفى سنة 183هـ، مدفون في سور نينوى، ذكر عنه الأزدي: "كان قد احتفر بيتا في سور نينوى يأوى إليه، وبعد وفاته كان الناس يقصدونه للزيارة"[3].

مرقد الفتح الموصلي: يقع في مقبرة باب الميدان، والمدفون فيه الفتح بن وشاح الموصلي المتوفي سنة 170هـ، وسميت المحلة القريبة منه (محلة الشيخ فتحي)، ولم يزل قبره في مسجد يقصده الناس للزيارة، وحوله مقابر كثيرة. وفيها قبر الفتح بن سعيد الموصلي المتوفى سنة 220هـ[4].

مرقد العناز: العناز بن حماد الثابي المدني، موقف هذه الجبانة، توفى سنة 197 هـ، يقع جنوب الموصل، وكان حول المرقد مقابر كثيرة، رفعتها بلدية الموصل سنة 1968 ما عدا قبر العناز، وقبر العلامة الشيخ محمد الرضواني، شيخ الموصل علماً وورعاً.

ويذكر العمري أن العناز كان عبداً أسود يسكن في مسجد الشالجي – مسجد أبي حاضر – الذي هو من مساجد الموصل القديمة. وفي الموصل سبعة مساجد

---

(1) الموصل في العهد الاتابكي: 166–167.، تاريخ خليفة بن خياط: 1: 197، الشابشتي: 114.

(2) الموصل في العهد الأتابكي: 158–159.

(3) تاريخ الأزدي: حوادث سنة 183، جوامع الموصل: 77.

(1) الموصل في العهد الاتابكي: 160–161.

يسمونها مساجد الصوفية، ويقولون عنها انها أقدم مساجد الموصل، ومنها مسجد الشالجي[1].

مشهد العباس: ويسميه أهل الموصل (العباس بن مرداس السلمي) وهذا لم يدفن في الموصل، ولعله قبر العباس بن فضل الانصاري الذي ولاه قضاء الموصل سنة 175هـ[2].

مرقد المعافي بن عمران الموصلي: المتوفى سنة 184هـ، يقع قرب قضيب البان الموصلي، وعرفت المقبرة به: مقبرة المعافى بن عمران: ولم يبق له أثر بعد رفع القبور[3].

الكنائس

وأخبار الكنائس قليلة في كتب التاريخ وغيرها، ولم نقف على مصادر تبحث عن تأسيسها، ووصف عمارتها وما طرأ عليها في اختلاف العصور – اللهم إلا نتفاً مبعثرة في كتب التاريخ والأدب والسير، ذكرت عرضاً في حادث تاريخي، أو في سيرة شخص أو قديس او غير ذلك.

أما الأديرة فأخبارها متوفرة بفضل من كتب عنها من الأدباء والشعراء الذين كانوا يرتادونها، فوصفوا ما كانت عليه من جمال الموقع، وحسن المتنزه، وجودة البناء، وما كان فيها من شراب معتق، يسعى اليها أهل الفتوة والبطالة وأهل الأدب، يقضون أياماً فيها، وقد بسطنا القول عنها في كلامنا عن الحالة الاجتماعية.

وأهم الكنائس التي وقفنا عليها في هذه الفترة:

---

(2) منية الأدباء: 114، منهل الاولياء: 2: 104–106، الموصل في العهد الأتابكي: 161–162.

(3) منية الأدباء: 100، جوامع الموصل: 247–250.

(4) الموصل في العهد الاتابكي: 176–177.

1- دير برقوسري: شيد ديراً في السفح الشمالي من تل قليعات، حوالي سنة 570م، ويرجح بعضهم أن كنيسة مار اشيعيا التي في محلة الشهوان مبنية في محل الدير المذكور، وكانت مقراً لمطران الموصل[1].

2- كنيسة الطاهرة القديمة: تقع في محلة حوش الخان، جاء ذكرها في رسائل البطريرك يشو عياب في القرن الثامن للميلاد – القرن الثاني للهجرة – أنها كانت محاذية لسور المدينة[2].

3- كنيسة مار توما: أقدم ذكر لها يرجع إلى سنة 775م = 159هـ. وفي سنة 166هـ = 782م جدد بناءها النصارى[3].

4- كنيسة مار حوذيمي: وهي التي بناها التكارتة عندما نزحوا الى الموصل في القرن الرابع للهجرة، وأقدم ذكر لها كان في سنة 919م = 307هـ وجددت عمارتها فيما بعد، وفيها آثار جليلة ترجع الى القرن السادس للهجرة[4].

وكان لليهود كنيسة واحدة في المحلة التي كانوا يسكنونها قبل هجرتهم الى فلسطين – المحلة الأحمدية اليوم – ولم يزل بناؤها باقياً وفيها البئر التي كانوا يتطهرون فيها – بئر الطبلة.

---

(1) الديورة: 50.

(2) الموصل المسيحية: جون فيبي: 136.

(3) الموصل في العهد الاتابكي: 170-171.

(4) ويسميه المواصلة مار حودين.

العلـــم والادب

سكن العرب بلاد الجزيرة قبل الاسلام بقرون، فأنشأوا المدن وعمروا الأرض وزرعوها، واستمرت هجرتهم الى الفتح الاسلامي، ولم تكن صلتهم منقطعة عن اخوانهم العرب في الجزيرة العربية، فكانوا يحضرون أسواقهم التجارية والأدبية،

ويشاركونهم في حياتهم ومعتقداتهم، وساعدوا العرب في فتح البلاد، فكانت اللغة العربية في ديار ربيعة ومضر وبلاد الجزيرة اللغة السائدة في البلد – لقدم العرب فيها – وأن أهل البلاد من غير العرب تذوقوا اللغة العربية – لغة العلم والدين – فكانوا يكتبون ويؤلفون بها. ويذكر الأستاذ طرازي: أن أقدم مخطوط عربي نصراني يرجع نسخه إلى سنة 155 هـ (771م)، وهو في مكتبه دير سينا[1].

وكانت اللغة العربية في بلاد الجزيرة – وخاصة الموصل – أصح مما هي في البلاد الأخرى.، قال المقدسي عند كلامه عن بلاد الجزيرة: "وهي أصح لغة، ولغتهم أصح من لغة الشام، لأنهم عرب أحسنها الموصلية"[2].

ونجد للعرب قوة ومناعة في هذه البلاد، في الوقت الذي كان يتحكم في الدولة العباسية الأعاجم والأتراك، وقام من العرب رجال حرب وإدارة، كانوا ملجأ العرب والخلفاء، كلما ضاق بهم الأمر.

وازداد تجمعهم بازدياد تحكم الأعاجم في الدولة العباسية. فقد حاول الفرس بسط نفوذهم في الدولة منذ العصر العباسي الأول، ولكن قوة الخلفاء العباسيين في هذا الدور لم يفسحوا لهم المجال، فحدوا من نفوذهم وكبتوا عصبيتهم[×]. فأبو جعفر المنصور قتل أبا مسلم الخراساني الذي كان الساعد الأيمن في قيام الدولة العباسية، وهارون الرشيد نكل بالبرامكة لما وجد منهم عصبية فارسية، فكانت عصبيتهم في هذا الدور تعمل في الخفاء خشية من بطش الخلفاء.

ثم جاء المعتصم، وأسقط الجيوش العربية، وأدخل العنصر التركي، فزاحم هذا العنصر الفارسي وغلبه، خاصة بعد مقتل الخليفة المتوكل على يد الأتراك،

---

(1) خزائن الكتب في الخافقين: 5: 64.

(2) أحسن التقاسيم: 146.

(×) كان السفاح يقول: لست بخليفة مادام أبو مسلم حياً (الاخبار الطوال: 356) وكان أكثر عماله من العرب يعتمد عليهم ويثق بهم (اليعقوبي: 3: 118) ولما تحول المنصور الى بغداد فرق جنده من أهل خراسان في الكور والثغور إلا القليل منهم وخلف على بابه من قبائل العرب (لطف التدبير: 65).

فتسلطوا على الحكم، وانكشفت العصبيات الثلاث التركية والفارسية والعربية، وصارت تعمل جهاراً.

ولما رأى العرب ضعف الخلافة، وتسلط الأعاجم على أمور الدولة، زاد تجمع قبائلهم في بلاد الجزيرة والشام، واستولوا على المدن والقلاع، فكان لهم نفوذ عربي قوي. فقامت الدولة الحمدانية في الجزيرة والشام، ثم خلفتها الدولة العقيلية. وكان للدولتين فضل كبير في حفظ مكانة العرب في الدولة، ومقاومة الشعوبيين، وتخليص البلاد من الدخلاء، كما كانوا يخفون الى نجدة الخليفة. وتتجلى فيهم الاخلاق العربية من كرم ومروءة ونجدة وشهامة وحب للحرب وعصبية للعرب واقبال على الأدب.

فضعف الخلافة العباسية، وتسلط الأمراء على الدولة واستقلال المتنفذين في البلاد، أدى الى تفكك الدولة، وتعددت مراكز الحكم، وكان هذا عاملاً في تنشيط الحركة العلمية والأدبية، فصارت كثير من المدن الاسلامية مراكز للعلم والأدب والفن. فالحاكم مهما كانت لغته، نشأ في بلاد عربية إسلامية تكلم لغة القوم واعتنق الدين الاسلامي، وصار يسعى لإنهاض اللغة وإعزاز الدين، ويفخر بما يقدمه من خدمات للتراث العربي الاسلامي، فساد البلاد حضارة واحدة هي الحضارة الاسلامية العربية، وكلهم يأخذون منها ويضيفون إليها.

وكانت الموصل قاعدة الدولة الحمدانية، والحمدانيون كما يقول عنهم الثعالبي: "هم بقية العرب، والمشغوفون بالأدب، والمشهورون بالمجد والكرم، والجمع بين أدوات السيف والقلم، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر ويتفقده، ويثيب على الجيد منه، فيجزل ويفصل... أوجههم للصباحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، فكانوا حماة اللغة والأدب في الجزيرة والشام"[1].

وعوتب المتنبي في آخر ايامه على تراجع شعره، قال: "قد تجوزت في قولي، وأعفيت طبعي، واغتنمت الراحة مذ فارقت بني حمدان".

---

(1) يتيمة الدهر: 1: 24 – 25، 27، 104.

وعني الحمدانيون بتنشئة أولادهم على الفصاحة والشعر والأدب، واختاروا لهم أجل العلماء والفصحاء لتأديبهم. فكان ابن خالويه المتوفى سنة 370هـ يعلم سيف الدولة الحمداني، وبقي عنده في حلب يأخذ عنه أبناء حمدان الفصاحة والأدب[1]، وكان أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي يعلم أبا تغلب بن ناصر الدولة الحمداني، وهو شاعر ومصنف، .[2].

وكان محمد بن ليث الزجاج معلماً لأولاد ناصر الدولة[3].

فنشأ أبناؤهم على الفصاحة والبلاغة، نظموا الشعر وقربوا الشعراء وأهل الفضل، وأجزلوا لهم العطاء.

كان سيف الدولة[×] محط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء أديباً شاعراً، محباً لجيد الشعر نقاداً له، فأقبل اليه أهل العلم والأدب، مثل المتنبي والسري الرفاء وكشاجم والببغاء والخالديين والشمشاطي والنامي والفارابي وغيرهم كثير. حتى قالوا: إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء، ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر. وكثرت فيه المدائح لما كان يبذله لأهل الفضل، وكان قد ضرب دنانير الصلات، في كل دينار عشرة مثاقيل وعليه صورته.

وقد اختار له أبو محمد عبدالله بن محمد الفياض الشمشاطي عشرة آلاف بيت من محاسن المدائح التي قيلت فيه، وأخباره كثيرة في هذا[4].

وكان أبو فراس الحمداني 320هـ – 357هـ في طليعة شعراء عصره وفرسانهم، وامتاز شعره بالسهولة والرقة، وعزة الملك، حتى قالوا: بدىء الشعر بملك – امرىء القيس – وختم بملك – أبي فراس. ويكفيه فخراً أن شهد له

---

(2) الفهرست: 134.

(3) معجم الأدباء: 14: 249. 244، يتيمة الدهر: 1: 125 – 126.

(4) الفهرست: 127.

(×) انظر معجم الادباء: 9: 31 – 32، عن عنايته بجمع التراث وما اعد لابن مقلة ابي علي محمد الخطاط المشهور لينسخ له في خزانته العدد الكبير من الاوراق.

(1) يتيمة الدهر: الجزء الاول.

المتنبي بالتبريز والتقدم، وديوانه معين ثر بالغزل والأخوانيات والفخر والطرديات، والروميات، ومن جميل قوله:

فـلا تصـفن الحـرب عنـدي فإنهـا طعـامي، مـذ بعـت الصـبا وشـرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشـقق عـن زرق النصـول إهـابي

وكـان أبـو تغلـب مغرمـاً بـالأدب والشـعر، اشـترى كتـاب الأغـاني لأبـي الفـرج الأصفهاني بعشرة آلاف درهم، وكان يعكف على مطالعته، وله شعر حسن وتقدير للشعراء.

ومـنهم أبـو العشـائر، وهـو الـذي قصـده المتنبـي قبـل أن يتصـل بسـيف الدولـة، وأبو زهير نصر بن حمدان، وأبو وائل تغلب بن داود بن حمدان، وأبـو المطـاع ذو القرنين بن ناصر الدولة، والحسين بن ناصر الدولة وغيرهم[1].

كانت دورهم مجمع الأدباء والشعراء، قصدوهم من اختلاف البلاد، فأحيوا مآثر العرب، وصارت الموصل على عهدهم من مراكز أهل الفضل والادب.

ومن المعاهد العلمية التي كانت في القرن الثالث للهجرة هي دور العلم، وهي مؤسسات ثقافية لمن يقصدها، فيجد فيها الكتب وأدوات الكتابة، ويحظى بعلماء وأدباء يملون على الطلاب من سماعاتهم وتآليفهم.

وأول دار علم في الاسلام كانت في الموصل على عهد بني حمدان، وهي التي أسسها أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي (240 – 323هـ) (854 – 934م) أحد فقهاء الشافعية، وله تآليف جليلة في الفقه والأدب والحكمة والهندسة والشعر، ناقداً بصيراً للشعر، ومن تأليفه: الباهر في أشعار المحدثين، عارض فيه كتاب الروضة لصديقه المبرد. وغيره من الكتب.

قال عنه ياقوت: "وكانت له ببلده – الموصل – دار علم، قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم، وقفاً على كل طالب للعلم، لا يمنع أحداً من دخولها، إذا جاءها غريب يطلب الأدب، وإنْ كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً، تفتح في كل يوم،

---

(2) يتيمة الدهر: 104 – 108، ابن خلكان: 1: 181 – 182 نشر الدكتور محسن ذياب ديوان ذي القرنين.

ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته وشيئاً من النوادر المؤلفة، وطرفاً من الفقه ومايتعلق به، ثم يملي من حفظه الحكايات المستطابة[1].

وكانت المساجد كثيرة في المدينة، وفيها تعقد حلقات الفقه والحديث واللغة والأدب والتاريخ، ومنها الحلقة التي كان يعقدها ابن جني في المسجد الجامع، يدرس اللغة والنحو والناس يشتغلون عليه.

ثم جاء العقيليون، ولم يكن الأدب على عهدهم كما كان عليه في عهد الحمدانيين لكثرة الحروب وارتباك الحالة في البلاد.

على أن العقيليين كانوا على السجايا العربية، من حب للشعر والأدب والكرم والشجاعة ، فكان بعضهم يقرض الشعر، ومنهم:

المقلد بن المسيب: كان ذا فضل وسياسة، ومحبة للشعر والأدب، وينظم الشعر [2].

وكان قرواش أديباً فصيحاً شاعراً ظريفاً كريماً شجاعاً، له أشعار سائرة، قرب بعض الشعراء ومدحوه[3].

وقريش بن بدران كان فصيحاً كريماً شاعراً شجاعاً[4].

ومسلم بن قريش: كان يحب الشعر ويقرب الشعراء، وعلى جانب من الأدب، وله مكاتبات ومجاوبات شعرية، وله قصيدة جميلة في آل البيت يعارض بها قصيدة دعبل، أولها:

سلام على أهل الكساء هداتي ومن طاب محياي بهم ومماتي

وله قصائد أخرى.

على أن انشغالهم بالحروب و المنازعات حد من حركة الأدب فركدت عما كانت عليه.

---

(1) بيت الحكمة: 6، 7، 73 – 74.

(2) ابن خلكان: 2: 115.

(3) ابن خلكان: 2: 116.

(4) ابن خلكان: 2: 117، منهل الأولياء: 1: 93– 96.

ومن شعراء هذا الدور:

أعشى بني تغلب: ربيعة(النعما) بن يحيى بن معاوية، من شعراء الدولة الاموية، وساكني الشام إذا حضر، وإذا بدا في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة، وكان نصرانياً وعلى ذلك مات، مدح الوليد بن عبد الملك، فأحسن إليه، وكان ينادم الحر بن يوسف في الموصل، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه ومدحه، فلم يعطه شيئاً، وقال له:"ما أرى للشعراء في بيت المال حقاً". وتقدمت به السن فقال: [1]

أصبحت أعشى كبيراً قد تخوننيريب الزمان وقدماً كان ريانا

وله ديوان، وقصائد في حرب قيس وتغلب، وهو القائل:

وفي الأمر تشبيه إذا كان مقبلاًولكنما تبيانه في التدبر

ومن جميل قوله:

وكانوا أناساً ينفحون فأصبحواوأكثر ما يعطونك النظر الشزر

سلمة بن الحر بن يوسف: كان شاعراً فصيحاً، تبدي بنواحي الثعلبية- من طريق مكة- وعاشر الأعراب يأخذ عنهم،وكان يعشق مولاة بالثعلبية لها زوج يقال له منصور، فقال فيها أبياتاً أولها: [2]

سأثوى بحر الثعلبية ما ثوتحليلة منصور بها لا أريمها

قتله الضحاك الخارجي الحروري[3].

الصقر بن نجدة بن الحكم الأزدي الموصلي: من رجال الموصل، كان شاعراً فارساً، شهد نكبة أم الربيعين على يد ابن صول سنة 133هـ، وله قصيدة يرثي بها

---

(1) خريدة القصر: 2: 255- 265.

(1) الأغاني: 10: 93- 94، معجم الشعراء للمرزباني: 20، نهاية الأرب: 2: 5.

(2) تاريخ الأزدي: 29، نسب قريش للزبيري: 170، معجم البلدان: 3: 14- 15، جمهرة الانساب لابن حزم: 101.

الابطال الذين قتلوا، وهومن القواد الذين يعتمد عليهم المنصور، ولاه حرب الموصل سنة 148هـ.(765م). [1]

مخلد بن بكار الموصلي: من شعراء الموصل، حلو الطباع، سلس الشعر، كان معاصراً لأبي تمام، حبيب بن أوس الطائي عندما كان يتولى بريد الموصل، وهجاه، وكان يمدح السيد بن أنس الأزدي وقومه ورثاه بعد موته، فقال:

ما أن رأيت ولا سمعت بمثله ... من فارس لقي الكتيبة أوحدا
خانته أطراف الرماح فلم يرم ... من معزل الأزدي حتى قُدَّدا
ما كان سيد قومه، لكنه ... قد كان فارسهم فسمي السيدا

وله مرثى في علي بن الحسن الهمداني، ورثى القتلى الذين وقعوا في وقعة الميدان في الموصل سنة 198هـ، ويقول في بني تليد:

وإذا ترعرع من تليد ناشئاً ... جعل الحسام ضجيعه في المرقد[2]

محمد بن الحسن الهمداني: من رجال همدان في الموصل، وكان شاعراً فارساً، وله مراثي في أهله، الذين قتلوا في نزاعهم مع السيد بن أنس الأزدي سنة 202هـ (1817م) ويعدد قتلاهم، ويحرض أبناءهم على أخذ الثار منها:

---

(3) تاريخ الأزدي: 146- 147، 148، 152، 153، 217.
(4) تاريخ الأزدي: 243، اخبار أبي تمام: 49، 234- 236، 240- 241.

يقـول بنـي لـي- وأنكـر مـا أرى- أزدنـي مـن غطـى التـراب علـى أبـي
فقالـت لـه أم عليـه شـفيقة عـدمتك مـا أشـجى كلامـك مـن صـبي
فقـال. فمـا لـي لا أرى مـن يحبنـي وقـد كنـت عنـد النـاس عـين المحبـب
فقالـت لـه:غاب الـذي كانـت العـدى تحـاذر منـه شـر يـوم عصبصـب
وغـالهم مـا غـال عمـك حاتمـا وغـال عليـاً خيـر أبنـاء يعـرب
وغـال خضـيراً وابـن حـر محمـداً وغـال أبـا العبـاس لا لتطـرب
فأمـا الـذي أنكـرت مـن فـيض عبرتـي فـلا تنكـري أنـي لفـي غيـر ملعـب
سـأطلب ثـأراً أو يقـوم نـوائح علـي بليـل فـي ثيـاب التسـلب
فـان نلـت ثـأراً فهـو مجـد بنيتـه لكـم بـرواق بالمعـاني منطـب
وأن عـاقني مـن دون ذلـك عـائق فبالجـد يسـعى المـرء لا بالتغلـب[1]

أبو حمزة الخرجي: وكان في الخوارج عدة شعراء يرتجزون الشعر إذا اشتدت الحرب، ومن فرسانهم أبو[2] حمزة، كان إذا هجم على الأعداء يقول:

يـا نفـس قـد آليـت ألا تبرحـي حتـى تـوارى فـي الصـعيد الأبطـح
أمـا تخـافي الله أن تزحزحـي لقـد خشـيت اليـوم ألا تفلحـي

وكان لأبي حمزة امرأة شاعرة تدعى مريم، تشارك في الطعن والضرب، تحمل على القوم بالسيف وهي تقول:

مـن سـأل عـن اسـمي فـإني مـريم بعـت لسـواري بسـيف مِخـدَم

أم محمد بن زريق بن علي

من الشاعرات، فصيحة اللسان، جميلة الشعر، ولما رد محمد بن حميد أموال زريق على أهل بيته وولده قالت له:

---

(1) تاريخ الأزدي: 347، 348، انظر بقية الابيات.
(2) تاريخ الأزدي: 79.

أحييتنـا بعـد أن ناخـت حشاشـتنا وشـتت الـدهر منـا ألفـة الـبغم
رددت منـا الحيـا فـي أوجـه نزفـت مـاء الحيـاة فلـم تبخـل ولـم تلـم
مـن ذا يجـود بمـا جـادت يـداك بـه بعـد الحيـازم للانسـان و الـنعم[1]

السرى الرَّفاء

أبو الحسن السري بن أحمد الكندي- 360هـ(873م)، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان في الموصل، وولع بالشعر والأدب، فنشأ شاعراً مطبوعاً، عذب الألفاظ، مليح المآخذ، كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف، وفي ديوانه قصائد وصف ما كانت عليه الموصل من جمال العمارة والفن، وما فيها من متنزهات وملاعب، وما آلت إليه بعد ذلك، وله مع الخالديين مهاجاة ومنافسة[2].

التلعفري: أبو الحسن علي بن أحمد التلعفري

لم نقف على أخباره أكثر من أنه كان معاصراً للسري الرفاء، وله شعر رقيق، منه:

مـا أطيـب العـيش علـى بـائس معاشـه فـي طلـب النحـو
لـيس لـه فـي بردهـا جبـة ولا قمـيص لا، ولا فـرو[3]

أبو محمد الموصلي: ومن شعره قصيدة يرثي بها أم الأمير أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان[4]

همام بن غالب أبو الحسن السعدي الضرير الموصلي- 370هـ

---

(1) تاريخ الأزدي: 382 انظر بقية الابيات.
(2) يتيمة الدهر: 1: 117- 181،ابن خلكان: 1: 201- 202، معجم الأدباء: 11: 182- 189.
(3) يتيمة الدهر: 1: 330، 301.
(1) يتيمة الدهر: 1: 372.

كان مداحاً للملوك والأمراء، مدح عضد الدولة وابن بقية الأنباري الوزير وغيرهما، وكان مجدوراً جهوري الصوت، يقوده أخوه[1].

السلامي عبد الله بن موسى أبو الحسن الشاعر(336- 393هـ 947- 1002م)

من شعراء الدولة الحمدانية، كان أديباً محدثاً، جيد الشعر، كثير الحفظ للحكايات و النوادر والاشعار- اعترف له شعراء عصره بالتفوق، وكان يهاجي التلعفري، قربه عضد الدولة وكان يفخر به إذا كان في مجلسه[2]

الخباز البلدي أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان الشاعر: رقيق الشعر، شعره ملح وطرف، وكان مجوداً، جمع الخالديان شعره[3].

الخالديان

أبو بكر محمد بن هاشم- 380هـ(990م)، وأخوه أبو عثمان سعيد- 400هـ (1009م)، وهما من قرية الخالدية إحدى قرى الموصل، وأمتاز شعرهما بالمدح و الغزل و الوصف و المجون، رحلا إلى سيف الدولة ومدحاه وجعلهما خازني كتبه، جمعا حماسة شعر المحدثين، وتسمى حماسة الخالديين، وكان بينهما وبين السري الرفاء ما جرى من المسارقة و الهجاء[4].

أبو الفرج الببغاء

عبد الواحد بن نصر المخزومي- 398هـ(1007م)، كان شاعراً فصيحاً بليغاً ظريفاً اديباً، اتصل بسيف الدولة وحظي عنده، وبعد وفاته اتصل بأبي تغلب وحسنت حاله عنده، وكان له صلة بأبي اسحاق الصابي ودارت بينهما مراسلات،

---

(2) نكت الهيمان: 305- 306.
(3) ابن خلكان: 1: 524- 526.
(4) ابن النديم: 240، يتيمة الدهر: 2: 211- 213.
(5) يتيمة الدهر: 2: 183- 207، فوات الوفيات: 1: 170، 2: 271.

وله رسائل بليغة ونظم رائق، وكاتباً مترسلاً، مليح الألفاظ، جيد المعاني، حسن الشعر في المدح و الغزل والتشبيه والأوصاف[1].

ومن شعراء الدور العقيلي:

أبو الفضل محمد بن عطاف الموصلي الجزري- 534هـ (1139م) [2]

وأبو طالب جعفر بن محمد بن عطاف[3]

ونباتة الاعوار الأبري، رجل أمي من بني عم شرف الدولة بن قريش، خبيث الهجو، مرهوب الشباة، [4]

وأبو مجد الأعلم، كطان معاصراً لأسامة بن منقذ[5]

المسكين بن الأقفاصي الأعمى- 543هـ (1148م) [6]

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي- 190- 232هـ(805- 846م)

هو رأس الطبقة الثانية من المولدين، جمع بين معاني المتقدمين والمتأخرين، واستنبط طريقته التي آثر فيها تجويد المعنى على تسهيل اللفظ، فكان في شعره معان مبتكرة، ضمنها الامثال والحكم ما زاد في ثروة الأدب العربي، فهو الذي مهد الطريق للمتنبي و المعري إلى الحكم والأمثال، وأخباره مستفيضة.

تولى أبو تمام بريد الموصل سنة 231هـ(845م) وقد التبس الأمر على بعضهم، فظن أن الخليفة المعتصم وهبه الموصل.

---

(1) يتيمة الدهر: 1: 252- 286، تاريخ بغداد: 11: 11- 12. ابن خلكان: 1: 298.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) أنظر عنهم وعن أشعارهم: خريدة القصر: 2: 295، 296، 306- 307، 347، 359

(6) المصدر نفسه.

والصحيح ما رواه الصولي المتوفى سنة 335هـ أن أبا تمام أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها، فلما وصل إلى قوله:

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء اياس

قال له الكندي[1]:- وكان حاضراً- وأراد الطعن عليه:"الأمير فوق ما وصفت" فأطرق قليلاً ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها:

لاتنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والبأس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فعجبوا من سرعة بديهته وفطنته، فولاه الحسن بن وهب بريد الموصل، وكان الحسن بن وهب يعني بأبي تمام، ويكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات.

ويقول الصولي أيضاً:"وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا، وليس بشيء وهذا هو الصحيح"[2].

ويقول ابن خلكان: "ورأيت الناس يطبقون على أنه مدح الخليفة بقصيدته السينية، فلما انتهى إلى قوله..... (وذكر القصة)، وقد تتبعتها وحققت صورة ولاية الموصل فلم أجد سوى أن الحسن بن وهب ولاه بريد الموصل، فأقام بها أقل من سنتين ثم مات"[3].

---

(1) أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي المتوفى سنة 260هـ، وأخباره مستفيضة.

(2) اخبار أبي تمام:230- 231، تاريخ بغداد: 8: 252- 253.

(3) وفيات الأعيان: 1: 122.

وبنى على قبره قبة ابو نهشل بن حميد الطوسي. وبقيت القبة ظاهرة الى القرن السابع للهجرة. على ماذكر ابن خلكان. لان ابا تمام كان قد رثى محمد بن حميد الطوسي بقصيدته التي مطلعها:

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وعلى هذا فان ابا تمام تولى بريد الموصل وتوفي فيها ودفن في مقبرة المعافى بن عمران الموصلي. واقامت بلدية الموصل سنة 1951م نصباً تذكارياً لأبي تمام قرب الارض التي كانت المقبرة التي دفن فيها.

بيت الشهرزوري:

من الأسر العلمية التي استوطنت الموصل في القرن الخامس للهجرة، وأول من قدم منهم:

أبو أحمد القاسم بن المظفر بن علي الشيباني الشهرزوري. كان من أهل العلم والأدب، وأنجب أولاداً فضلاء، صاروا قضاة بالموصل والجزيرة والشام إلى القرن السابع للهجرة، وتوفي القاسم سنة 498هـ، ودفن في التربة المعروفة به المجاورة لمسجد جده أبي الحسن بن فرغان، ومن أولاده:[1]

أبو محمد عبدالله بن القاسم المنعوت بالمرتضى – 465 – 511هـ. (1072 – 1117م)

كان مشهوراً بالفضل والدين، مليح الوعظ مع الرشاقة والتجنيس، تفقه في بغداد واشتغل بالحديث وتولى القضاء بالموصل وله شعر رائق، فمن ذلك القصيدة الموصلية التي لاقت إقبالاً من رجال الأدب والمتصوفة اولها:

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ ـل ومل الحادي وحار الدليل[2]

أبو منصور المظفر بن القاسم، ولد سنة 457هـ (1064م)، درس في بغداد على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ثم عاد إلى الموصل وتولى قضاء سنجار على كبر سنه، وسكنها، وكان قد أضر في آخر عمره[3].

---

(1) اللباب: 2: 216. ابن خلكان: 1: 421 – 422.
(2) ابن خلكان: 1: 422، نكت الهيمان: 293.

(1) ابن خلكان: 1: 422، نكت الهيمان: 293.
(2) ابن خلكان: 2: 66 – 69، الكامل: 10: 67، الفخري: 293 – 295. 296 – 297، 300، خريدة القصر: 1: 87 – 91، الوافي بالوفيات: 1: 104.

قاضي الخافقين أبو بكر محمد بن القاسم، رحل إلى العراق وخراسان والجبال وسمع الحديث، وأخذ في بغداد عن أبي إسحاق الشيرازي، وتولى القضاء في بلاد كثيرة، فسمي قاضي الخافقين[1].

أبناء جهير:

فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الثعلبي الموصلي، – 398 – 483هـ (1007 – 1090م). من رجال الإدارة والعلم، كان ذا رأي وعقل وحزم وتدبير، شجاعاً سخياً عارفاً، ذا شهامة وصرامة وفصاحة، وزر لنصر الدولة أحمد بن مروان – صاحب ميا فارقين وديار بكر – ثم وزر لابنه نظام الدين، وكان مسموع الكلمة في الدولة، ثم راسل الخليفة القائم بالله العباسي وانحدر إلى بغداد. فأمر الخليفة أصحابه بتلقيه، وأكرمه وولاه الوزارة سنة 454هـ (1062م)، فأحسن سياسة الدولة، وكانت الأطراف المتاخمة للعراق عاصية على الخليفة، وملوكها أصدقاء ابن جهير، فكاتبهم وراسلهم واستمالهم، فدخلوا في طاعة الخليفة.

ولما استولى السلاجقة على أملاك بني مروان، ولاه نظام الملك سنة 482هـ (1089م) نصيبين والموصل وسنجار والخابور وديار ربيعة، وخطب له على منابرها نيابة عن السلطان. وبعد وفاته دفن في تل توبة، واخباره كثيرة[2].

أبو منصور عميد الدولة محمد بن محمد فخر الدولة بن جهير – 492هـ (1098م)

كان ينوب عن أبيه في الوزارة، فنشأ رجل إدارة وحزم، خدم الخلفاء العباسيين، ووزر لهم، وكان القائم والمقتدي يعتمدان عليه ويرسلانه في رسائل الى السلاطين، لما كان عليه من حسن التدبير، وكان نظام الملك يعجب منه ويقول: "وددت أني ولدت مثله" وزوجه ابنته صفية سنة 362هـ (972م)، وكان شاعراً مترسلاً.

---

(3) ابن خلكان: 1: 422، نكت الهيمان: 293.

زعيم الدولة أبو القاسم علي بن فخر الدولة بن جهيز: وزر للخليفة المستظهر بالله العباسي سنة 496هـ (1102م) ولم تطل أيام وزارته، ولم يحسن القيام بها فعزل وقبض عليه[1].

– 2 –

كان المذهب السائد في بلاد الجزيرة هو المذهب السني، ويقول المقدسي عنهم: "ومذاهبهم سنة وجماعة،"[2] ومع أن الحمدانيين والعقيليين كانوا شيعة فانهم لم يؤثروا على أهل البلد في نشر مذهبهم. وكان لبني حمدان صلة بالقرامطة وبالحلاج، وألف هذا كتاب السياسة للحسين بن حمدان (ناصر الدولة)[3]. ولما أراد ابو عبدالله سعيد بن حمدان أن يبني مشهداً سنة 336هـ (947م) فوق قبر عمرو بن الحمق الخزاعي – وهو من أنصار الامام علي كرم الله وجهه – جرت فتنة في الموصل بسبب هذا.[4]

وأن الفاطميين اتخذوا لهم دعاة في بلاد الجزيرة والموصل، وحرضوا العقيليين فخطبوا للخليفة الفاطمي، وكان هذا على كره من أهل البلد، فسكتوا وفي نفوسهم مافيها.

وحاول الاسماعيليون نشر دعوتهم في الموصل، وكان بنو حماد أصحاب الدعوة لهم بالجزيرة وما والاها، يدعون للامام أبي يعقوبق – خليفة الامام المقيم بالري – وصنفوا كتباً وأضافوها إلى عبدان، وبعد بني حماد قام بالدعوة رجل يعرف بابن حمدان، شاهده ابن النديم في الموصل، ووضع كتباً كثيرة في نشر الدعوة، ولكننا لم نقف على اثر لها في الموصل والجزيرة[5].

---

(1) ابن خلكان: 2: 66 – 69، الكامل: 10: 67، الفخري: 293: 293 – 295. 296 – 297، 300، خريدة القصر: 1: 87 – 91، الوافي بالوفيات: 1: 104.
(2) أحسن التقاسيم: 142.
(3) الفهرست: 272.
(4) أسد الغابة 4: 101. مجلة الجزيرة – الموصلية – 1: العدد: 5: ص: 9 – 10.
(1) الفهرست: 268 – 269.

ومر بنا ما قام به الخوارج من حركات عنيفة في بلاد الجزيرة وماجاورها، ولكن مذهبهم لم ينتشر بعد القضاء على الحركة، ولم يتركوا لهم أثراً في هذه البلاد، لبداوتهم وسرعة انقسامهم، ولم يركزوا دعوتهم في مناطق ثابتة –.

وعلى هذا فقد بقيت الموصل تتبع المذهب الحنفي – مذهب الدولة العباسية إذ ذاك – ويقول المقدسي عنها: "لا يخلو من إسناد عال، وفقيه مذكور"[1].

أما النصارى: فانتشرت عندهم دعوة نسطورس: أن للمسيح طبيعتين متميزتين الطبيعة اللاهوتية، والطبيعة الناسونية، وأيدهم بذلك الملكانية، وانتشرت مقالته في الموصل والعراق وبلاد فارس[2] وكان بعضهم يتبع المذهب الرثوذكسي – وهم اليعاقبة – ولم يعرف غير هذين المذهبين عند نصارى الموصل وبلاد الجزيرة.

– 3 –

ومن العلماء الذين عنوا في تفسير القرآن الكريم، والقراءات وطبقات القراء:

* **النقاش الموصلي:** 266 – 351هـ (879 – 962م) ابو بكر محمد ابن الحسن الانصاري الموصلي، وقراءاته وطبقات المفسرين، وله التفسير الكبير المعروف بـ (شفاء الصدور) وأشار إليه الصفدي. بقوله:

ياحسن نقاش كتمت صبابتي	في حبه، لكن وجدي فاشي
إن كان عارضه يفسر لوعتي	لا تنكروا التفسير للنقاش

وله كتاب (الاشارة في غريب القرآن)، والموضح في القرآن ومعانيه و (الأبواب في القرآن)، كما ألف المعجم الوسط والمعجم الأصغر والمعجم الكبير في أسماء القراء وقراءاتهم، وكتب في القراءات وغير ذلك[3].

*** عبيدالله بن محمد بن خرو الاسدي ابو القاسم النحوي العروضي المعتزلي الموصلي – 387هـ.**

---

(2) احسن التقاسيم: 138.

(3) فجر الاسلام: 154 – 155.

(1) تاريخ بغداد: 2: 201 – 205، اعلام الصناع المواصلة 279. غابة النهاية: 2: 119 – 121.

رحل إلى بغداد، وأخذ عن الفارسي والسيرافي وغيرهما، وصنف كتباً منها: تفسير القرآن الكريم ذكر في (بسم الله الرحمن الرحيم) مائة وعشرين وجهاً، وله في العروض: كتاب الموضح، وفي القوافي: كتاب المفصح وكتاب الأمد في علوم القرآن، وتصدر للأفراد[1].

ومن قراء القرآن:

- **العباس بن فضل الأنصاري قاضي الموصل.** كان استاذاً حاذقاً ثقة في قراءة أبي عمرو. وقال عنه أبو عمرو: "لو لم يكن في أصحابي إلا عباس لكفاني"، أخذ عنه جماعة من الموصل، منهم:
- **عامر بن عمر بن صالح ابو الفتح المعروف:** بأوقية الموصلي. قارىء حاذق، أخذ عن اليزيدي، وعن العباس بن الفضل. وتصدر للافادة فأخذ عنه جماعة من المواصلة منهم:[2] عيسى بن رصاص الموصلي وكان من جلة أصحابه.
- **أحمد بن مسعود أبو العباس السراج الجرمي الموصلي،** كان من حذاق اصحاب عامر الموصلي.
- **حاتم بن اسحاق بن حاتم أبو قبيصة الضرير الموصلي:** قارىء حاذق، أخذ عن عامر الموصلي.
- **الحسن بن سعيد الصفار أبو علي الموصلي،** أخذ عن أوقية الموصلي وروى عنه أبو بكر بن مجاهد.
- **محمد بن سمعويه ابو العباس الموصلي،** روى القراءة عن أوقية الموصلي.
- **محمد بن علي بن الحسن بن الجلندا،** أبو بكر الموصلي – 341هـ. قارىء متقن ضابط، أخذ عن محمد بن اسماعيل القرشي.
- **إبراهيم بن عيسى بن محمد أبو اسحاق الموصلي،** وعنه أخذ بكار بن محمد بن زياد بن هارون أبو الحسن الموصلي[1].

---

(2) طبقات المفسرين للسيوطي: 22، معجم الادباء: 12: 62 – 68.

(3) انظر عنهم غاية النهاية: 1: 350 – 351، 138، 201، 125، 215، 178، 680.

المحدثون والقضاة

وكان في الموصل جماعة من المحدثين منذ القرن الأول للهجرة، أخذوا عن أجل المحدثين، وحدثوا في الموصل وغيرها من البلاد، وبعضهم من ألف في الحديث وشيوخه، وبعضهم من جمع الأحاديث في مسند، كمسند (أبي يعلى الموصلي)، وكان المحدثون فقهاء علماء في اللغة والشعر، فنجد أكثر الذين تولوا قضاء الموصل – في العصر العباسي الأول – هم من المحدثين الفقهاء، ذلك لما كانوا عليه من اطلاع في الفقه وأصول الدين.

ومن المواصلة الذين تولوا القضاء في الموصل:

* **بكار بن شريح الخولاني المتوفى سنة 222هـ (826م)**، تولى القضاء للمهدي سنة 154هـ (770م)، واستخلف على عمله عبدالحميد ابن ابي رباح الموصلي.

* **معمر بن محمد التميمي**، وكان محدثاً فقيهاً، تولى القضاء سنة 140هـ (757م).

* **عبدالله بن إدريس الهمداني**، تولى القضاء سنة 144هـ (761م) بعد وفاة معمر.

* **الحارث بن الجارود العتكي:** تولى القضاء للرشيد سنة 146هـ (763م) وضم إليه الرشيد الخراج أيضاً، وبقي في القضاء إلى أن توفي سنة 148هـ. (765م) – وهو من المحدثين في الموصل.

* **يحيى بن عبدالله بن كرز:** (أبا كرز الفهري) وكان فقيهاً محدثاً.

* **علي بن مسهر بن عمير القرشي:** تولى القضاء سنة 167 – 175هـ، (783 – 791م) وتوفي سنة 189هـ (804م) جمع الحديث وكتب عنه المواصلة.

* **اسماعيل بن زياد الدؤلي:** تولى القضاء سنة 175 – 791م، وكان فقيهاً متعففاً.

---

(1) انظر عنهم غاية النهاية: 1: 350 – 351، 138، 201، 125، 215، 178، 680.

* **أبـو الفضـل العبـاس بـن فضـل النصـاري**، ولاه الرشـيد سـنة 175هـ (791م)، واستعفى منها بعد أيام. ثم ولى الرشيد مكانه عبدالله بن الخليل الكرخي، وبقي في القضـاء إلـى أن عزلـه الأمـين. والعبـاس مـن المحـدثين وصـنف كتبـاً فـي القراءات توفي سنة 186هـ.

* **عمران بن مهران الخفاف أبو سعيد**، وكان فقيهاً محدثاً كتب عنه جماعة من الموصل (وهو ليس بموصلي).

* **الحسـين بـن موسـى الاشـيب:** تـولى القضـاء سـنة 199 – 205هـ (814 – 820م).

* **علـي بـن أبـي طالـب الموصـلي:** تـولى القضـاء سـنة 206هـ، وبقـي إلـى سـنة 225هـ. (839م).

ومن المحدثين:

• **معروف بن ابي معروف:** كان ناسكاً، راوية في الحديث، روى عن أم المؤمنين عائشة، وابن عمر وغيرهما، قتل في نكبة الموصل سنة 133هـ[1].

• **الحـارث بـن الجـارود العتكـي:** المتوفى سنة 153هـ (770م)، لـه روايـة للحديث وفقه، روى عنـه كثيرون من المواصلة مثل منهم المعافى بن عمران، وعمر بن أيوب العبدي[2].

• **عفيف بن سالم أبو عمرو الموصلي:** المتوفى سنة 183هـ (799م): رحل في طلـب العلـم والحـديث، وكـان متفقهـاً صـدوقاً مـن خيـار النـاس، روى عنـه كافـة المواصلة، وحدث ببغداد، وكان أحفظ من المعافى بن عمران[1].

---

(1) تاريخ الموصل للازدي 148، 153، 199، 210 – 217. تاريخ بغداد: 12: 312 – 314.

(2) تاريخ الموصل للازدي 148، 153، 199، 210 – 217. تاريخ بغداد: 12: 312 – 314.

• **المعافى بن عمران أبو مسعود الأزدي** المتوفى سنة 184هـ (800م)، رحل إلى البلدان النائية في طلب الحديث، وجالس العلماء، ولازم سفيان الثوري، فتفقه به، وأكثر الكتابة عنه، وصنف كتباً في السنن والزهد والاداب، كان ثقة فاضلاً، كان يقول له سفيان الثوري: :أنت معافى كاسمك" ويسميه "ياقوتة العلماء"، فهو عالم أهل الموصل وزاهدهم[2].

ومن أولاده: عبدالكبير: كتب الحديث في الموصل والبصرة، وكتب عنه الناس، توفي سنة 223هـ (837م) وأكبر أولاده نفيل، وهو من المحدثين أيضاً.

ومن المواصلة الذين أخذوا عن المعافى:

* **أبو هاشم بن علي بن أبي خداش:** وكان من أهل العلم والصلاح، توفي سنة 183هـ (799م)[3].

* **منصور بن يزيد بن أبي خداش:** كان كثير الرواية عنه، توفي سنة 213هـ (828م)[4].

رباح بن الجراح بن عباد (أبو الوليد العبدي الموصلي) روى عن المعافى وغيره من المواصلة وكان شيخاً صالحاً، انحدر إلى بغداد، وحدث بها، وصار له منزلة وقدراً[5].

---

(3) تاريخ الموصل للازدي 148، 153، 199، 210 – 217. تاريخ بغداد: 12: 312 – 314.

(4) تاريخ الموصل: 300 – 302، تاريخ بغداد: 226 – 229، صفة الصفوة: 4: 151 – 153.

(1) تاريخ الموصل للأزدي: 426 – 427، 394، تاريخ بغداد، 8: 428.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

• **عمر بن أيوب أبو حفص العبدي:** من طبقة المعافى، كثير الكتابة، حسن العناية بطلب الحديث، رحل إلى عدة أقطار في طلبه، وكان ثقة فقيهاً، انحدر إلى الرشيد متظلماً من عبدالله بن الخليل قاضي الموصل، وتوفي في بغداد سنة 188هـ (803م)[1].

• **عبدالله بن عمرو بن عثمان بن أمية الموصلي المحدث،** وكان حافظاً للحديث، أخذ عن سفيان الثوري وشريك ونظرائهما، وحدث وكتب عنه الناس، توفي سنة 206هـ (821م)[2].

• **نخبة بن الحجاج الموصلي:** كان محدثاً فقيهاً، يفتي في الموصل، أجبر على القضاء ولم يتوله، توفي سنة 124هـ[3].

• **أبو جعفر محمد بن أبي يزيد الموصلي:** وكان رجلاً فاضلاً، روى عن عدة مشائخ، وحدث في الموصل، وكتب عنه الناس، ويذكر الزدي عنه: حدثنا عنه جماعة من أهل الموصل. توفي سنة 217هـ(832م)[4].

• **الفتح بن سعيد الزاهد الموصلي (أبو نصر فتح الموصلي)،** المتوفى سنة 220هـ، (835م) كان من كبار مشائخ الموصل، رحل إلى بغداد لزيارة بشر الحافي، وأخذ عنه، ومن خيار المحدثين، ودفن بالموصل.

واشتهر في الموصل عابدان باسم الفتح الموصلي، أحدهما أبو نصر الفتح بن سعيد الكاري الموصلي الذي تقدم الكلام عنه، والثاني أبو محمد الفتح ابن محمد ابن وشاح الأزدي المتوفى سنة 170هـ (786م)، وهو المدفون في مقام الفتح الموصلي المعروف في الموصل باسم (الشيخ فتحي)، أما أبو نصر فقد دفن في نفس الجبانة[5].

---

(4) تاريخ الموصل 306، تاريخ بغداد 11: 185 – 187، ميزان الاعتدال: 2: 250.

(5) تاريخ الموصل: 360، الكامل: 6: 140.

(6) تاريخ الموصل: 399.

(1) تاريخ الموصل، 411.

(2) تاريخ بغداد: 12: 381 – 383، صفة الصفوة: 4: 155 – 161، حلية الاولياء: 8: 292 – 294، منية: 117. منهل الاولياء: 2: 112.

• **أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي الحافظ**، ثقة مشهور، نعته الذهبي "بمحدث الموصل" عمر طويلاً حتى ناهز المائة، ورحل الناس اليه، وتوفي في الموصل سنة 307هـ (919م)، وصنف التصانيف منها: "المسند في الحديث". وممن حدث عنه محمد بن النضر النخاس الموصلي المتوفى سنة 379هـ (989م)، وابن فهد الموصلي: أبو عبدالله أحمد بن الحسين القاضي الموصلي، حدث عنه وعن غيره ببغداد[1].

• **الحافظ العلامة أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن بريده الموصلي**، حدث عن أبي وغيره، وممن أخذ عنه: أبو نعيم الحافظ، وكان حافظاً صنف في علوم الحديث، وتوفي سنة 374هـ (984م). وله كتاب كبير في الجرح والتعديل.

• **علي بن حرب بن محمد أبو الحسن الطائي الموصلي: 175 – 265هـ (791 – 878م)، قال عنه أبو زكريا الأزدي**: رحل مع أبيه فسمع وصنف حديثه، وأخرج (المسند) وكان عالماً بأخبار العرب وأنسابها وأيامها، شاعراً، وفد على الخليفة المعتز بسر من رأى سنة 254هـ (828م)، فكتب المعتز عنه بخطه، وأقطعه عدة قرى في الموصل[2].

• **عمر بن أنس بن حامد أبو بكر الموصلي**: أخذ عن المواصلة وحدث في بغداد، وقال عنه الخطيب البغدادي: كان شيخاً ثقة، جميل المنظر، كتبنا عنه، وكان يسمع منا[3].

• **الحسن بن سعيد بن مهران أبو علي الصفار** المقرىء الموصلي المتوفى سنة 292هـ (904م) أخذ عن علماء الموصل ومحدثيها، كان كثير الكتابة، متعففاً،

---

(3) الكامل: 8: 42، دول الاسلام: 1: 146، الاعلام للزركلي: 1: 164.
تذكرة الحفاظ: 3: 166، ميزان الاعتدال: 3: 46، منهل الاولياء: 1: 217).
(1) تاريخ بغداد: 11: 418 – 420، شذرات الذهب: 2: 16.
(2) تاريخ بغداد: 11: 253.

حدث وكتب عنه الناس في الموصل، وانحدر إلى بغداد، وكثر الناس عليه وكتبوا عنه[1].

• **الحسين بن الكميت بن البهلول بن عمر أبو علي الموصلي**، أخذ عن محدثي الموصل، وانحدر إلى بغداد وحدث بها، وكتبوا عنه وتوفي سنة 294هـ (906م)[2].

• **طريف بن عبيدالله أبو الوليد الموصلي**، المتوفى سنة 308هـ (916م). كان ينمي إلى ولاء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أخذ عن محدثي الموصل وحدث في بغداد[3].

* **ثوابة بن أحمد بن عيسى بن ثوابة أبو الحسين الموصلي**، المتوفى سنة 358هـ، أخذ عن محدثي الموصل، وحدث في بغداد ثم في مصر[4].

عبدالقادر بن محمد بن عنزة – أحمد – أبو بكر الموصلي، المتوفى سنة 407هـ، أخذ عن المواصلة وحدث في بغداد، وأخذ عنه الخطيب البغدادي، وقال عنه: كان ثقة[5].

• **محمد بن أحمد أبو جعفر السمناني**: قاضي الموصل وشيخ الحنفية، ومن المحدثين، كتب عنه الخطيب البغدادي، وكان أكبر أصحاب الإمام الباقلاني، توفي سنة 444هـ (1052م)[6].

النحو:

وفي القرن الثاني للهجرة أقبل المواصلة على دراسة النحو، أخذوه عن أبي أيوب المحاربي وغيره. وأبو أيوب هذا هو مسلمة بن عبدالله بن سعد ابن محارب

---

(3) تاريخ بغداد: 7: 324 – 325.
(4) تاريخ بغداد: 8: 87 – 88.
(5) تاريخ بغداد: 9: 364 – 365.
(6) تاريخ بغداد: 11: 139 – 140.
(1) تاريخ بغداد: 11: 139 – 140.
(2) الوافي بالوفيات: 2: 65، نكت الهميان: 237.

الفهري، كان من ائمة النحو المتقدمين، قدم الموصل مؤدباً لجعفر بن أبي جعفر المنصور، وأقام بها حتى مات، فصار علم أهل الموصل من قبله[1].

والزجاج محمد بن الليث، ذكر عنه ابن النديم أنه رآه بالموصل يعلم ولد ناصر الدولة الحمداني[2].

ومحمد بن سعيد البصير الموصلي العروضي النحوي– 310هـ (922م) كان ذكياً فهماً، إماماً في استخراج المعمى والعروض، قال له الزجاج يوماً – وقد سأله عن أشياء من العروض – : "لو رآك الخليل لفرح بك"، وكان في النحو ذو قدم راسخة، قرأ عليه عبيدالله بن جعفر الأسدي النحوي[3].

وأبو العباس أحمد بن الحسين النحوي الموصلي المعروف بابن الخباز النحوي – 330هـ (932م)[4].

- **ومحمد بن علي أبو بكر المراغي:** قرأ على أبي إسحاق إبراهيم الزجاج، وكان عالماً اديباً ديناً، أقام بالموصل زمناً طويلاً وله من الكتب: المختصر في النحو، وشرح شواهد كتاب سيبويه[5].
- **ومحمد بن الحسين الموصلي** المعروف بابن يوحنا النحوي. كان إماماً في القراءات والنحو والعروض، مبرزاً في الادب[6].

وقرر أبو الفتح عثمان بن جني: 330هـ – 392هـ (932 – 1001م) مندرسة في النحو جديرة بأن تسمى مدرسة ابن جني. أخذ النحو على أحمد بن محمد الموصلي النحوي، ثم اتخذ له حلقة في الجامع الأموي يدرس النحو بها، ومر بالموصل أبو علي الفارسي، وحضر حلقته فقال له: "زببت وأنت حصرم". فترك ابن جني حلقته، ولازم أبا علي أربعين سنة، يكتب عليه. وتفوق في

---

(3) بغية الوعاة: 391.
(4) الفهرست: 127.
(5) معجم الادباء: 18: 203 – 204، بغية الوعاة: 46.
(6) الفلاكة والمفلوكون: 119.
(1) الفهرست: 127، معجم الادباء: 18: 263، بغية الوعاة: 84.
(2) بغية الوعاة: 38.

التصريف والتعليل والقياس، فكان يعمل فكره في المسألة. ويناقشها بعقل وتبصر، ويستقصي أقوال الفصحاء والأعراب. ثم بعد هذا يصدر حكمه فيها، بعد التمحيص والتدقيق، فكان أمة مستقلاً برأيه، مقرراً قواعد مدرسة عرفت به.

فابن جني لم يكن مقلداً فيما ذهب إليه نحويو الكوفة والبصرة، وإنما كان يستخدم القياس إلى أقصى حد. ولا يقف عند النص، فالفرق بينه وبين غيره من النحاة، كالفرق بين الحنفية في اعتمادهم الكبير على القياس، والمالكية في اعتمادهم على الحديث.

وامتاز في التصريف بحيث لم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه، ويقول عنه الباخزري: "ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما له. "ويقول عنه المتنبي: "هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس".

ابن خلدون معجب في رأيه، ويقول عنه: "إنه أتى بشيء عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه"، وتأثير مدرسته في غيره من النحاة الذين ساروا على ماقرره، مثل: جمال الدين بن هشام النحوي في كتابه مغني اللبيب، نحا فيه نحو ابن جني – مقرر مدرسة الموصل.

فابن جني أعظم النحويين في عصره، وأكثرهم إنتاجاً وابتكاراً، وكان شاعراً مطبوعاً، نظم في أغراض مختلفة، وتفوقه فيما أبدعه من قواعد في النحو غطى على شعره، وله كتب عديدة في فلسفة النحو واللغة منها:

1. **الخصائص:** يقع في عدة أجزاء، بحث في اللغة العربية واشتقاقها ومآخذها وجاء بآراء دقيقة محكمة، لم يسبقه إليها أحد، فهو كتاب في فلسفة اللغة.
2. **سر الصناعة:** بحث في أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها، من حيث موقعه، وأبحاث مخارج الحروف وأصواتها ولفظها، وجاء بدقائق جليلة محكمة، وغير ذلك من الكتب القيمة التي ذكرها ياقوت الحموي وغيره.

ومن المواصلة الذين أخذوا عنه:

1. **أولاده الثلاثة:** عالي وعادل وعلاء، كلهم أدباء فضلاء، قد خرجهم والدهم عليه، وحسن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيحي الضبط وحسني الخط،

وخاصة ابنه عالي – 457هـ (1094م)، كان نحوياً أديباً، أخذ العربية عن أبيه وعن أبي علي الفارسي، تقدم وأفاد، وكان شاعراً ومحققاً لما يكتبه، روى عن مشائخ وقته من العراقيين والشاميين، انتقل إلى مدينة صور وتوفي فيها[1].

2. **علي بن زيد القاشاني النحوي:** أحد أصحاب أبي الفتح ابن جني، وصاحب الخط الكثير الضبط سلك فيه طريقة شيخه[2].
3. **عمر بن ثابت بن إبراهيم أبو القاسم الضرير النحوي الموصلي** – 442هـ (1050م)، أحد أئمة العربية في العراق، قرأ النحو على ابن جني، وشرح كتابيه اللمع والتصريف الملوكي. وله كتاب: المفيد في النحو، وكان إماماً فاضلاً، أديباً كاملاً، أوقف نفسه للتدريس[3].
4. **علي بن الحسن بن الوحشي النحوي:** وهو ممن تخرج على شيخه ابن جني[4].
5. **علي بن دبيس النحوي الموصلي:** أخذ عن ابن وحشي تلميذ ابن جني، تصدر ببلده للاقراء، وممن أخذ عنه زيد بن مزركة الموصلي، وكان زيد نحوياً شاعراً أديباً[5].

المؤرخون:

---

(1) الفهرست: 128، تاريخ بغداد: 11: 311 – 314، وفيات العيان: 1: 313 – 314، معجم الأدباء: 12: 81 – 115: 39، أنباء الرواة: 2: 335 – 340، 385 – 386، بغية الوعاة: 274 – 322، المقدمة: 314، ظهر الاسلام: 1: 185، مجلة المجمع العلمي العربي 30: 641 – 643.

(1) معجم الأدباء: 13: 218 – 219، بغية الوعاة: 339.

(2) معجم الدباء 16: 57 – 58، البلغة: 717، مرآة الجنان: 3: 61.

(3) بغية الوعاة: 131.

(4) معجم الأدباء: 13: 33، أنباء الرواة: 2: 275.

وقام في الموصل عدد من المؤرخين، كتبوا في تاريخ الموصل وخططها، وطبقات محدثيها وعلمائها، وفي الديارات التي كانت بظاهرها، ومنهم:

ابو زكريا يزيد بن محمد بن آياس 247 – 334هـ الزدي:

كان أبوه خيراً فاضلاً، وتوفي سنة 298هـ. (910م) ونشأ أبو زكريا على طلب الحديث والأدب، وأخذ عن جماعة من محدثي الموصل، وحدث عنه جماعة ذكرهم الخطيب البغدادي، وكان فقيهاً، تولى القضاء، مولعاً بالتاريخ وسير الرجال، وألف عدة كتب عن الموصل، وتوفي سنة 334هـ (945م)، واستفاد كثير من المؤرخين من كتبه التي حفظ بها أخبار الموصل، ومن قام فيها من محدثين وعلماء ورجال إدارة، ونقل عنه أجل المؤرخين كالمسعودي والخطيب البغدادي. وابن الأثير، والذهبي، وينوه عنه الذهبي بقوله: "واستفدت كثيراً من تاريخه". ومن كتبه التي وقفنا على ذكرها:[1].

1. **تاريخ الموصل:** سلم منه الجزء الثاني، وهو كتاب تاريخي أدبي ضمنه كثيراً من أخبار الموصل ورجالها. وقبائلها. وأخبار الدولتين الأموية والعباسية، وترجم لكثير من أعلام المواصلة وغيرهم الذين تكلم عنهم. وأورد من أقوالهم وأشعارهم. وذكر عن تأليفه هذا الكتاب فقال: "ولم أعمل هذا التاريخ من كتاب معول مؤلف اعتمدت عليه فيه، على أمر الموصل خاصة، وإنما جمعته من كتب شتى. وقد ذكرت ماوجدت، ولم أعدل فيه عن الصدق"[2].

والكتاب نفيس. وقد عول عليه ابن الأثير في كامله، فنقل عنه حوادث الموصل بصورة مختصرة. والذي سلم من هذا الكتاب يبدأ في حوادث سنة 101هـ وينتهي في حوادث سنة 224هـ. وهو من الكتب المفيدة. نجد فيه من الأخبار والحوادث ما لا نجده في غيره من الكتب. خاصة عن بلاد الجزيرة والموصل –.

---

(1) الكامل: 8: 22. تذكرة الحفاظ: 3: 103. طبقات الحفاظ: 2: 4. تذكرة الحفاظ: 3: 103.

(2) الكامل: 8: 22. تذكرة الحفاظ: 3: 103. طبقات الحفاظ: 2: 4. تذكرة الحفاظ: 3: 103.

2. كتاب القبائل والخطط: قال في كتابه تاريخ الموصل عند كلامه عن ولد الحمام بن عبدالعزيز – من مالك بن فهم – "وأمر مالك بن فهم وولده طويل، وأخبارهم كثيرة، وغنما ذكرت ها هنا من قدم منهم الموصل، وقد شرحت ما بلغني من أخبارهم وخططهم. والأحرار والفرسان في الجاهلية، ومنهم من له الوفود على الرسول (ﷺ)، والفقه والعلم والرواية في الاسلام في كتاب ترجمته "القبائل والخطط" ولم نقف على هذا الكتاب[1].

3. طبقات محدثي أهل الموصل: نقل عنه الخطيب البغدادي كثيراً، وابن الأثير في أسد الغابة، والذهبي وغيرهم، ولم يزل هذا الكتاب غير معلوم[2].

4. طبقات العلماء من أهل الموصل: نقل عنه الخطيب البغدادي في تاريخه، والذهبي، ولا ندري هل أنه كتاب يترجم للعلماء فقط، أو يريد به كتاب طبقات محدثي أهل الموصل[3].

5. طبقات العلماء والمحدثين من أهل الموصل: ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وغيره، ولا ندري هل هو أحد الكتابين المذكورين، أو جمع أخبار من اختارهم من العلماء والمحدثين في هذا الكتاب؟[4].

6. طبقات أهل الموصل: نقل عنه الخطيب البغدادي وابن حجر، وذكروه بهذا الاسم، ولا ندري هل هو طبقات كتاب عام، أم أنه أحد الكتب التي تقدم ذكرها[5].

ابن عمار الموصلي: أبو جعفر محمد بن عبدالله بن عمار الموصلي الحافظ، المتوفى سنة 242هـ:

نقل عنه الذهبي فقال عند كلامه عن زيد بن أبي الزرقاء الموصلي، قال ابن عمار: "لم أر في الفضل مثله ومثل المعافي وقاسم الجرمي".

---

(3) تاريخ الموصل: 96.

(1) أسد الغابة: 1: 11.

(2) تاريخ بغداد: 4: 6، 360، تهذيب التهذيب: 3: 297.

(3) تاريخ بغداد: 6: 132.

(4) تهذيب التهذيب: 2: 51، 4: 253.

ونوه الذهبي بفضله فقال عنه: "حافظ صدوق، له تاريخ مفيد، روى عن ابن عيينه وطبقته، وحدث عنه الحسين بن ادريس الهروي بكتابه في العلل والرجال، قال النسائي: ثقة صاحب حديث وله كتاب العلل والرجال".

ولا ندري هل أن تاريخ ابن عمار هذا هو كتابه العلل والرجال أم هو غيره؟ وقال ابن العماد عنه: "صاحب كتاب التاريخ وعلل الحديث. وصنف كتباً في علم الحديث". وجاء عنه في ذيل كشف الظنون: محمد ابن عبدالله بن عمار الموصلي الحافظ المتوفى سنة 242هـ له تاريخ ابن عمار[1].

ابن الجعابي 284 – 355هـ، (897 – 965م)

محمد بن عمر بن محمد أبو بكر التميمي قاضي الموصل. وكان من أحفظ أهل زمانه. وله تصانيف كثيرة في الابواب والشيوخ ومعرفة الاخوة والأخوات. وتواريخ الأمصار[2]. وكان يتهم برقة الدين، وهو شيعي، وأوصى أن تحرق كتبه بعد موته.

أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي المتوفى سنة 394هـ، (1003م)

له كتاب في الجرح والضعفاء، نقل عنه ابن الأثير في أُسد الغابة، وكذا الذهبي، نسخة منه في مكتبه أحمد الثالث في استانبول. ويسميه من وافق اسمه اسم أبيه من الصحابة والتابعين، ومن بعده من المحدثين[3]. له مصنف كبير في الضعفاء آنذاك.

السري الرفاء الموصلي المتوفى سنة 362هـ

---

(1) تذكرة الحفاظ: 71. ميزان الاعتدال: 1: 363. 3: 80. شذرات الذهب: 2: 101. ايضاح المكنون: 242.

(2) تاريخ بغداد: 3: 26 – 31، ميزان الاعتدال: 3: 113.

(3) أسد الغابة: 2: 146. ميزان الاعتدال: 3: 46. تذكرة الحفاظ: 3: 166 شذرات الذهب: 3: 84. تاريخ التراث العربي: 1: 494 – 495.

السري بن أحمد بن السري ابو الحسن الكندي الشاعر المشهور

له كتاب الديرة. وكان هو ممن كان يرتاد الديرة، يجتمع مع أهل الأدب والفتوة، وتكلم فيه عن الأديرة التي في الموصل[1].

أبو يعلى الموصلي

احمد بن علي. له كتاب معجم شيوخه، رواه عنه كثيرون، ذكرنا منهم عند كلامنا عن المحدثين، وممن روى هذا المعجم أيضاً محمد بن إبراهيم أبو اليسر الموصلي، قدم بغداد سنة 362هـ (972م)، وروى بها عن أبي يعلى معجم شيوخه. نسخة منه في دار الكتب المصرية[2].

الخالديان

أبو بكر محمد بن هاشم المتوفى سنة 380هـ (980م)، **وأخوه أبو عثمان سعيد** المتوفى سنة 371هـ (981م)، وهما من قرية من قرى الموصل تعرف بالخالدية.

ذكر ابن النديم من آثارهما:

1. أخبار الموصل، وذكره ياقوت الحموي باسم تاريخ الموصل، ونقل عنه: قال الخالديان في تاريخ الموصل من تصنيفهما أول من أحدث قصور الصالحية المهدي.

   وذكره أبو الفدا أيضاً والصفدي باسم تاريخ الموصل[3]

2. الديارات: لهما أيضاً. قال عنه ابن خلكان: ذكرا فيه كل دير بالعراق والموصل والشام، والجزيرة، وجمعا به الأشعار المنقولة في كل دير، وماجرى فيه،

---

(1) ابن خلكان: 1: 201، معجم الأدباء: 11: 182 – 189، أعلام الصناع المواصلة: 56 – 57.

(2) تاريخ بغداد: 1: 414. هدية العارفين: 7. فهرس المخطوطات المصورة: 1913.

(3) الفهرست: 241، معجم البلدان: 5: 333، مقدمة تقويم البلدان، الوافي بالوفيات:/ 1: 47. فوات الوفيات: 1: 170 – 174، 2: 271.

وعمل الشابشتي كتابه الديارات على أسلوب هذا الكتاب، ونقل عنه ياقوت في معجم البلدان، وابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار وغيرهما، ولم يزل هذا الكتاب غير معلوم[1].

الشمشاطي المتوفى سنة 440هـ (1048م)

أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي العدوي، شاعر مجيد، ومصنف مفيد، كثير الحفظ، واسع الرواية، وله عدة كتب.

1. تاريخ الموصل: ألفه لشرف الدولة قرواش بن المقلد العقيلي حوالي سنة 440هـ، ونقل عنه الفارقي في تاريخه والذهبي أيضاً[2].
2. الأديرة والاعمار في البلدان والأقطار، ويعرف أيضاً بكتاب الديارات الكبير، وهو أكبر كتاب عمل في الديارات[3].
3. وله كتب أخرى مثل: النزه والابتهاج، وهو مجموع يتضمن غرائب الآثار ومحاسن الأشعار، كالأمالي، وكتاب الأنوار محبوب يجري مجرى الملح والتشبيهات والأوصاف وغير ذلك.

أبو المعالي:

لا ندري من هو، وقد ذكره صاحب الاصابة (4: 216) عند كلامه عن عتبة بن فرقد السلمي، قال: "روى أبو المعالي في تاريخ الموصل من طريق هيثم بن حصين أنه شهد خيبر، وقسم له منها، فكان يعطيه لبني أخواله عاماً ولبني أعمامه عاماً".

وذكر ياقوت عند كلامه عن "صقلية": لابن حوقل كتاب "المحاسن من رحيل صقلية "معجم البلدان" (3: 377).

ومن البلدانيين الذين نبغوا في القرن الرابع للهجرة:

---

(1) وفيات الاعيان: 1: 338.

(2) تاريخ الفارقي: 17.

(3) الفهرست: 220، معجم الأدباء: 14 – 240 – 244.

ابن حوقل الموصلي:

أبو القاسم محمد بن حوقل التاجر الموصلي[1]. ابتدأ في سفره من بغداد كما جاء في مقدمة كتابه في 7 رمضان سنة 331هـ (942م) في السنة التي خرج أبو محمد الحسن عبدالله بن حمدان منهزماً إلى ديار ربيعة.

وكان منذ صغره كلفاً بأخبار البلاد، عكوفاً على تقصي أوصافها وحياتها. وقرأ كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، وكتاب ابن قدامة، ولم يجد فيهما مايشبع رغبته، وكان هو في ميعة الشباب، يعاني التجارة، فخرج من بغداد وطوف في بلاد الشرق وشمال أفريقية وبلاد البربر، وصقلية والأندلس، وكتب مشاهداته عن هذه البلاد، ووصفها وصفاً دقيقاً.

ويمتاز كتابه "صورة الأرض" أنه تكلم فيه عن مشاهدة وتدقيق، فنجده يصور القطر الذي يتكلم عنه، ويشرح شرحاً مجملاً ما على المصور من مدن وأحوال طبيعية، ثم يتكلم عن البلاد ويفيض في طبيعة البلد وحاصلاته وسكانه وصناعاتهم ومذاهبهم، فهو من أجل كتب الرحلات التي وضعت.

ونراه يتحامل على أبناء حمدان عندما يتكلم عن مدينة نصيبين، ثم نجده يثني عليهم عندما يتكلم عن الموصل.

ودامت رحلته 28 عاماً، ثم قدم كتابه هذا الى أبي السري الحسن بن الفضل بن أبي السري الأصبهاني.

ومن العلماء البارزين في هذه الفترة هم:

حرب بن محمد بن علي بن مازن الموصلي الطائي – 226هـ (840م).

كان رجلاً نبيلاً ذا همة في طلب العلم والحديث، وفي سنة 214هـ (829م) قدم المأمون إلى الشام، وأراد تعديل بلاد الشام – مساحتها – وطلب لهذا العمل رجالاً من أهل الموصل والرقة والجزيرة ممن عرفوا بدقة العمل. وممن طلبهم:

---

(1) معجم البلدان: 1: 348.

جاء في الكامل لابن الأثير: "8: 228: ممن اعتقلهم بختيار – من أنصار أبي تغلب الحمداني – أبا أحمد بن حوقل. فهل هذا هو أخوه أم غيره".

حرب بن محمد وسفيان بن عبدالملك الخولاني. ولما مثلا عنده طلبا إليه أن يعفيهم من التعديل فأعفاهم[1].

علي بن احمد العمراني الموصلي – 344هـ (955م)

كان عالماً بالحساب والهندسة، جماعاً للكتب، وتفوق في العلم، وقصده الطلبة من بلاد بعيدة للأخذ عنه، ومن مؤلفاته: شرح كتاب الجبر والمقابلة لأبي كامل شجاع بن أسلم الحاسب المصري. وكتاب الاختبارات، وعدة كتب في النجوم ومايتعلق بها[2].

ابن ابي منصور الموصلي (يحيى) كان في نهاية حسن الأدب بارعاً في الغناء وآلاته، وله في هذا: كتاب الأغاني عمله على الحروف، وكتاب العود والملاهي، وكتاب الطبيخ[3].

ومن التراجمة الذين ترجموا كتب اليونان عن السريانية الى العربية:

حبيب بن بهريز: مطران الموصل، فسر للمأمون عدة كتب[4].

اصطفن الراهب: كان في دير مار ميخائيل في الموصل، وكان يعاني صناعة الكيمياء، رأى ابن النديم من كتبه: كتاب الرشد، كتاب ماحدثناه، كتاب الباب الاعظم، كتاب الأدعية والقرابين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء، كتاب الاختيار النجومي للصناعة، كتاب التعليقات، كتاب الأوقات والأزمنة[5].

ومن الأطباء الذين كانوا في الموصل:

ابن أبي الشعث (أبو جعفر احمد بن محمد بن محمد) كان بارزاً في العلوم. وله عدة تآليف تدل على ماكان عليه من العلم والفضل. عالج أحد أولاد ناصر

---

(1) تاريخ ابن عساكر: 4: 104 – 108.
(2) الفهرست: 394، اخبار الحكماء: 156 – 157.
(3) الفهرست: 123.
(4) الفهرست: 341.
(5) الفهرست: 505 – 506.

الدولة الحمداني، فبرأ، فأحسن إليه ناصر الدولة. وأقام بالموصل إلى آخر عمره، وأوقف نفسه للتدريس، وتخرج على يده عدة أطباء منهم ابو الفرج، وابنه محمد وكان طبيباً متميزاً. وأحمد بن محمد ابن يحيى البلدي، ومحمد بن ثواب، ووضع لهما كتاب الأدوية المفردة سنة 353هـ (964م)، وجعله لمن جاوز حد التعلم، ودخل في جملة من يتفقه في الطب.

وكتاب السرسام والبرسامألفه لتلميذه محمد بن ثواب الموصلي. سنة 355هـ (965م).

وكتاب الغاذي والمغتذي، ألفه سنة 348هـ (959م)، وفي المتحف البريطاني جزء من هذا الكتاب، كتب في الموصل في نفس السنة التي ألف فيها الكتاب، وممن أخذ عنه أيضاً أحمد بن حسين بن فضالة البلدي[1].

محمد بن ثواب الموصلي ويعرف بابن الثلاج الموصلي:

تخرج على ابن الأشعث، فاضلاً في علم الطب، خبيراً بالعلم والعمل، لازم شيخه واشتغل عليه وكتب بخطه كتباً كثيرة[2].

جابر بن منصور السكري الموصلي: كان مسلماً ديناً عالماً بصناعة الطب، ومن أكبر المتميزين فيها، لازم ابن الأشعث وأخذ عنه، ثم لازم ابن ثواب سنة 360هـ (970م)، وأخذ عنه أيضاً، واشتهر بصناعة الطب[3].

عمار بن علي الموصلي – 411هـ (1020م)

من أشهر الكحالين، ذكر عنه ابن أبي أصيبعة: كان كحالاً مشهوراً، ومعالجاً مذكوراً، له خبرة بمداواة أمراض العين، ودربة بأعمال الحديد، سافر إلى مصر في أيام الحاكم بأمر الله، وألف له كتابه المشهور "المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد". وهو من أشهر الكتب التي ألفت في العين، وفيه

---

(1) عيون الانباء: 1: 245 – 247، الاعلام: 1: 206.
(2) عيون الانباء: 1: 245 – 247، الاعلام: 1: 206.
(3) عيون الانباء: 1: 247.

دراسة عميقة أجراها في أمراض العين. وكان الكتاب من الكتب المعول عليها في دراسة طب العيون في جامعات أوربا حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر، وترجم إلى عدة لغات أوربية، وطبع عدة طبعات، وعرف ابن عمار عند الأوربيين بآسم Camamusle[1].

علي بن عيسى الكحال الموصلي – كان مبرزاً في صناعة الكحل، وقدوة في امراض العين ومداواتها، وينافس عمار بن علي الموصلي في تفوقه بأمراض العين ومعالجتها، ومن مؤلفاته الجليلة كتابه: تذكرة الكحالين ألفه سنة 400هـ وفيه رسوم عديدة للعين، وصار هذا الكتاب لابد لكل من يعاني صناعة الكحل أن يحفظه حتى أن بعض الأطباء اقتصر عليه دون غيره من الكتب.

وأجمع العلماء على أن هذا الكتاب هو من أدق الكتب العربية في أمراض العين، ترجم إلى اللاتينية وطبع في مدينة درسدن سنة 1845م.

وله كتاب الكافي أيضاً، وكتاب في مسائل العين وأجوبتها في علم صناعة الكحل[2].

ابن قوسين اليهودي: كان يهودياً وأسلم، وألف كتاباً في الرد على اليهود، وكان له دراية في صناعة الطب، ونال شهرة في زمانه[3].

إليا (ايليا) الطبيب: لم نقف من اخباره سوى أن الدرب الذي أمام بيعة مارتوما، كان يعرف بدرب بني إليا الطبيب[4]، فيظهر أنه كان طبيباً بارزاً بحيث غلب اسمه على الدرب الذي فيه داره.

---

(1) عيون الانباء: 2: 89، تاريخ الطب عند العرب: 47. الطب العراقي: 241، 248، 545، 502، ة537، 543، ويسمى الكتاب ايضاً: المنتخب في علاج العين.

(2) عيون الأنباء: 2: 249، الطب العراقي: 493 – 494، 499، 500.

(3) عيون الانباء: 1: 247.

(4) تاريخ الازدي: 244، في حوادث سنة 166هـ.

الاقتصـــــــــاد

الزراعـــــــــة

الصناعـــــــــة

التجـــــــــارة

محراب مسجد ملا عبد الحميد، والذي يعرف بمسجد الصوفية. صنعه حاجي خضر ابن بندار التبريزي في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين واربعين وخمسمائة .

الزراعة

تعتمد الموصل على المطر في زراعتها في الأراضي التي تقع غربي دجلة، فتسقط الامطار في فصلي الشتاء والربيع، وتسقي المزروعات الشتوية ، من حبوب وبقول، وخاصة الحنطة والشعير.

أما المزروعات الصيفية فتروى بالنواعير، فترفع الماء من دجلة وتسقي المزروعات والبساتين. كما يحفرون في السهول آباراً كبيرة، يرفعون منها الماء بواسطة الناعور – الدولاب المائي – أو بالدلو.

وتتوفر مياه العيون في الجانب الشرقي من دجلة – أكثر مما في الجانب الغربي، وخاصة في المنطقة الجبلية، وتسقى المزروعات سيحاً، ولا تحتاج الى جهد أو صرف، فتكثر بساتين الأثمار والفواكه والحاصلات الصيفية في هذا الجانب، وعلى هذا فالموصل تستفيد في سقي مزروعاتها من المطر، ومن مياه دجلة وتوابعه ومن العيون والآبار.

واشتهرت الموصل بحنطتها، فكانت مضرب المثل في كثرة الانتاج وجودة النوع[1].

كما تربى الأبقار والاغنام والخيول في سهولها الواسعة، فكانت أغنام الموصل مصدر ثروة لها، وخيولها معروفة بجودتها وجمالها، فكانت الموصل تمير بغداد أربعة أشهر من كل سنة[2]، وكلما ضاقت الأرزاق في بغداد، استعانوا بالموصل، فيشحنون إليهم عشرات السفن والأكلاك، مملوءة بالحبوب والبقول.

وكان عسل الموصل يضرب به المثل بالجودة وطيب الطعم، فكانوا يذكرون عسل الموصل في الجودة مع كحل أصفهان، وسكر الأهواز وزعفران قم، وكان يحمل مع خراجها عشرون ألف رطل من العسل. [3]

---

(1) جاء في مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار: ((اصدقائي اكثر من خوص البصرة.. وحنطة الموصل))

(2) النجوم الزاهرة :1: 45.

(3) لطائف المعارف : 183، 427.

وذكر البشاري ما كانت عليه المدينة من وافر الحاصلات، فقال: " منها ميرة بغداد، واليها قوافل الرحاب، ولها منازه وخصائص وثمار حسنة، ولحوم جيدة، وأمور جامعة"[1].

ويذكر ابن حوقل ما كانت عليه أيضاً في القرن الرابع للهجرة فيقول : ((ولم يكن بها كثير شجر ولا بساتين إلا التافه القليل، فلما تملك بنو حمدان ورجالهم غرسوا فيها الأشجار، وكثرت الكروم وغزرت الفواكه، وغرست النخيل والخضر، وللموصل نواح عريضة، ورساتيق عظيمة، وكور كثيرة، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي إلى غير ذلك من أسباب النتاج والسائمة من الأغنام والكراع))[2].

ويذكر جبايتها سنة 358هـ بلغت 6190000 درهمٍ.

وكان الحمدانيون يعنون بزراعة الحنطة والشعير والأرز والسمسم والقطن، وجنوا مبالغ كبيرة من ريع هذه المزروعات، فذكر المؤرخون أنهم كانوا أغنى أهل عصرهم[3].

وكان التمر يزرع في أعمالها، مثل تلعفر وسنجار ، ويقول ابن حوقل عن سنجار ((وليس مدينة ذات نخل في وقتنا هذا أكثر من سنجار)) [4].

وشبايط دجلة، وصباغ الموصل، مما يضرب به المثل بجودتها وطيب طعمها[5].

---

(1) احسن التقاسيم ، 138.

(2) صورة الارض : 194-197.

(3) الحضارة الاسلامية : 1 :212.

(4) صورة الارض : 199.

(5) الهدايا والتحف – للخالديان :119، والشبوط : نوع من السمك، والصبغ : ما يغمر به الخبز ويؤكل.

الصناعة

عرفت بلاد الجزيرة بنسوجاتها منذ العهد الآشوري، فالآشوريون جلبوا بذر القطن وزرعوه ونسجوه، وكانوا يسمونه (الشجرة التي تحمل الصوف) (×)، كما زرعوا الكتان واستفادوا من أليافه في منسوجاتهم، فكانت منسوجاتهم من القطن والصوف والكتان والحرير، بقيت هذه الصناعة متوارثة في البلد، فكانت الموصل وما جاورها تصدر من هذه المنسوجات.

وستور الموصل تذكر في الجودة والاتقان مع زلالي قاليقلا، ومطارح ميسان، وبسط أرمينية[1]، وكانت تنسج المسوح، جمع مسح، كساء مخطط، يفترش ويستتر به.

وبها منذ القرن الأول للهجرة سوق خاص تباع بها ما تنتجه الموصل من المنسوجات التي تتخذ لبيوت الشعر ولوازم الخيل والابل، وهي (سوق الشعارين) وسوق أخرى (سوق القتابين)، يعمل بها أقتاب الابل وبراذع الدواب، و(سوق السراجين) يصنع بها سروج الخيل ولوازمها، ومحلات للدباغة، يؤدي اليها شارع الدباغين، ومحلة الطبالين يصنع بها الطبول والدفوف وغيرها.

يكثر الخام الازرق في شمال الموصل وغربيها، وبرع المواصلة بقطع الرخام ونقره وزخرفته، وبلطوا به دورهم، واتخذوا منه واجهات البنايات ومداخل الابواب والشبابيك وغير ذلك، فصناعة قطع المرمر ونقره وزخرفته من الحرف القديمة في الموصل، ولاتخلو دار منه، ويشتغل به عدة عمال، يختص كل بعمل، يستخرجونه من المقطع، ثم ينشره شقاقو الفرش[2]– الرخام – فيتخذون منه قطعاً مسطحة، ثم يتولاه النقارون والنقاشون، فينقرونه وينقشونه بما يناسب البناء وقد يطعمون الزخارف بمرمر ابيض. [3]

(×) انظر الملحق عن جباية الموصل.

(1) لطائف المعارف :183، التبصر بالتجارة: 33

(2) وفي الموصل حمام كانت تسمى حمام شقاقين الفرش

(1) اعلام الصناع :132، 144. الزخارف الرخامية في الموصل– للمؤلف– كتاب المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية 469– 494.

وهاجر جماعة من التكارتة الى الموصل في القرن الثاني للهجرة، واستمرت هجرتهم الى القرن الرابع وما بعده، وحملوا معهم صناعة تزيين البنايات بالزخارف الجبسية، تكون في الجدران والسقوف وحول الطاقات– المشكاوات– التي تتخذ في الغرف، وغير ذلك من اقسام الدار[1].

فتعلم المواصلة هذه الصناعة منهم، وصارت من لوازم زخرفة الدار، فزينوا دورهم بزخارف هندسية ونباتية تكون نافرة ومتناظرة[2].

وتقدمت صناعة البناء في ام الربيعين، وعرفت دورها بضخامة البناء وجمال التنسيق، والزخرفة واتخاذ الحدائق والأحواض والنافورات بين الأشجار، وهي تدل على ما كانت عليه صنعة البناء من الدقة وجمال الهندسة منذ القرن الثاني للهجرة، كما كان عليه قصر المنقوشة ودار الامارة ودار المعتضد.. وغيرها من الأماكن وكان في الموصل النقاشون الذين ينقشون السقوف والجدران باختلاف الأصباغ والألوان، فكان النقاش الموصلي يعاني هذه الصناعة في أول حياته[3].

وعرفت بها صناعة الاواني المتخذة من الصفر وتطعيمها بزخارف مختلفة. وأخذت تتقدم على مر العصور حتى كانت مدرسة الموصل قدوة مدارس التطعيم. وسنعرض لها إن شاء الله تعالى.

وكان في الموصل معاصر للزيت– زيت الزيتون وزيت السمسم– ومطاحن للحبوب، وهي على انواع :

1. **المدار** : وبها حجر واحد للطحن، وتكون داخل المدينة، محدودة الطحن. كثير الانتشار، بحيث كان في بعض الشوارع عدد منها، يديرها بغل أو كديش.
2. **الرحى** : وتجمع على أرحية، وهي تدور بواسطة تيار ماء العيون، او يتخذ لها ساقية تأخذ ماءها من دجلة أو أحد توابعه، فينحسر الماء في

---

(2) الموصل في العهد الاتابكي.
(3) اقتبس التكارتة هذه الزخارف من مدينة سامراء.
(4) تقدم الكلام عنه في كتابنا هذا.

الساقية، ويصب في حفرة واسعة يسمونها (بئر الرحى) ويصب ماء البئر على دولاب خشبي دونه، فيدوره، وهذا يدور حجر الرحى التي فوقه، وقد يكون في الرحى حجر أو أكثر، يتوقف على كمية الماء التي في سيب الرحى، وقد مر بنا أنه كان في نهر الحر ثماني عشرة رحى، كما مر بنا رحى أمير المؤمنين وغيرها.

3. **العروب** : واحدها عربة، وتجمع على عربات وعرب أيضاً: وهي سفينة تكون في وسط النهر، يديرها تيار ماء النهر الذي يوجه إليها، ويكون فيها حجر أو أكثر، يصب الماء على دواليب ذات عنفات [1] تدور، وتقوم هذه الدواليب بتدوير دواليب أخرى متصلة بالضرائر –أحجار الطواحين–.

ذكر ابن حوقل ما كان منها في الموصل، والفرات والخابور، فقال عن الموصل: ((في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب، يقل نظيرها في كثير من الأرض، لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجرية، موثقة بالسلاسل الحديد، في كل عربة منها أربعة أحجار، ويطحن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين وقراً، وهذه العروب من الخشب والحديد، وربما دخل فيها شيء من الساج)) [2].

كانت تنتج دقيقاً كثيراً لاستمرار عملها ليلاً ونهاراً، وكان الحمدانيون إذا اندحروا في الدفاع عن الموصل، يغرقون السفن والعروب، قبل أن يتركوا البلد، ليعرقلوا إنتاج الدقيق، وفعل هذا أبو تغلب سنة 363 هـ [3].

التجارة

---

(1) جمع عنفة، وهي أجنحة دواليب العربة.

(2) صورة الأرض: 198، الخراج لأبي يوسف:111

الوقر: الحمل الثقيل.

(1) صبح الأعشى :6 : 487.

تتوقف تجارة البلد على ما تنتجه من حاصلات وصناعات، وما يردها من الأقطار الأخرى، وما بها من طرق مواصلات. [1]

فالموصل غنية بزراعتها وصناعاتها، تقع على ملتقى عدة طرق تصل بين أقطار مختلفة، فهي محط الركبان، ومنها يقصد إلى سائر البلدان، باب العراق ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان[2] تردها قوافل العراق محملة ببضائع الهند المختلفة، وقوافل إيران، ومعها بضائع الصين من تحف وحرير، وحاصلات فارس، ومن أرمينية وسوادها الاغنام والدواب والعسل والشمع والجوز واللوز، ومن بلاد الشام محملة بنسوجاتها الحريرية، ومن أذربيجان البراذع الجيدة والفرش والبسط واللبود، وتنحدر إليها الاكلاك والسفن من جزيرة ابن عمر، محملة بالجوز واللوز والسمن والفواكه المجففة والأخشاب وضرائر المطاحن، ومن آمد الثياب الموشية، ومن سنجار فرك اللوز، وحب الرمان،والقصب والسماق، ومن نصيبين الشاهبلوط والموازين والداوديات والكواذين، ومن الرقة الصابون والزيت والأقلام، ومن الحسينية الجبن والقبج والفواكه المقددة والزبيب، ومن معلثايا الألبان والفحم والأعناب والفواكه الرطبة، – كل هذه الحاصلات كانت في أسواق الموصل، مضافة الى ما تنتجه هي: الحبوب والعسل والنمكسود[3]

والفحم والشحوم والجبن والمن والسماق وحب الرمان والقير والحديد والأرطال والسكاكين والنشاب والطريخ[4] الفائق والسلاسل والدراج والسماني. [5]

تجتمع هذه القوافل في أسواقها الواسعة المسقوفة، وتوزع منها الى اختلاف الأقطار ،فكانت الموصل مركزاً للتوزيع بين الشرق والغرب، تخرج منها القوافل الى اختلاف البلاد، وتنحدر منها الاكلاك والسفن الى بغداد ، محملة بالبضائع المختلفة، فكثرت فيها الأسواق والخانات والفنادق، وما يحتاجه أهل القوافل من ساحات وحمامات ومواد عيش، كان ذلك منذ القرن الثاني للهجرة، فنجد فيها

---

(2) ابن خرداذبة : 93– 96 ، الخراج لقدامة: 215– 217، عن الطرق التي تمر بها، واحسن التقاسيم: 148–151.

(3) معجم البلدان : 8 :195– 196.

(4) اللحم اذا جفف نيئاً.

(1) سمك يملح ويكبس، وكان يحمل اليها من بحيرة اورومية

(2)– (3) احسن التقاسيم : 138، 145، التبصر بالتجارة: 30 –33.

(4) صورة الارض: 194– 195.

الفنادق التي شيدها الحر بن يوسف، والتي شيدها اسماعيل بن علي العباسي، وفندق مساور، جد مساور الخارجي، ويذكر المقدسي أنه كان في سوق الأربعاء أربعة فنادق على كل ركن منها فندق وغيرها.

وأعجب البلدانيون الذين زاروها بما كانت عليه من سعة العمارة والتجارة، ورخص الأسعار وتوفر المواد، فقال عنها المقدسي : ((بلد كبير الاسم ، قديم الرسم، حسن الأسواق والفنادق، كثير الملوك والمشايخ، منها ميرة بغداد، واليها قوافل الرحاب، ولها منازه وخصائص وثمار حسنة، وحمامات سرية، ودور بهية ولحوم جيدة وأمور جامعة)) [1].

وذكر ابن حوقل عن كثافة سكانها وازدحام أسواقها وأن فيها لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة مما يكون في السوق الواحد مائة حانوت وزائد، وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية فقطنوها، وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكونها، وهي فرضة لأذربيجان وأرمينية والعراق والشام، فكانت من أعاظم البلاد في العمارة والثروة والتجارة[2].

كانت ميرة بغداد تعتمد على ما يردها من الموصل يقول المقدسي ((إن أكثر ميرة العراق كانت ترد من إقليم آقور، والموصل مصر هذا الاقليم[3] واذا منع الطعام من الموصل الى بغداد، سبب شحاً في الطعام، وارتفاعاً فاحشاً في الأسعار، وربما عز الحصول عليه- كما حدث هذا سنة 320هـ عندما منع مؤنس الخادم الطعام من الموصل إلى بغداد، خلال نزاعه مع الخليفة المقتدر[4] . وحدث مثل هذا سنة 232هـ (934م) عندما منع لناصر الدولة الحمداني الطعام عنها- [5].

فكانت حركة النقل قلما تنقطع بينهما، وساحات الموصل مزدحمة بالقوافل، وأسواقها عامرة، وسفنها تنحدر الى بغداد وترسو ((بباب الشعير)) وكانت السفينة

---

(5) أحسن التقاسيم: 136.

(1) تاريخ الاسلام للذهبي: 1: 142.
(2) الاوراق للصولي: 342- 325.

تقطع المسافة من الموصل الى بغداد أيام الفيضان في يومين وبعض اليوم، أما الصاعدة منها الى الموصل فتقطع بمعدل فرسخين في اليوم الواحد أو أكثر أو أقل[1].

ومما يدلنا على كثرة الزوارق التي كانت بين البلدين ففي سنة 332هـ (943م) احتجز ناصر الدولة الحمداني مائة وخمسين زورقاً، منها كانت في تكريت منحدرة الى بغداد وفيها الدقيق والحنطة والشعير وشحم وعسل وثياب[2].

والزورق الواحد يتسع لعشرات الأشخاص مع الحمولة التي فيه، جاء في حوادث سنة 348هـ (959م) في سابع ذي القعدة ((غرق من الحجاج الواردين من الموصل الى بغداد في دجلة بضعة عشر زورقاً. فيها من الرجال والنساء والصبيان نحو ستمائة نفس[3] فيكون معدل ما في الزورق الواحد ما بين 50– 60 شخصاً مع امتعتهم.

وإن هذه الزوارق تحمل إلى بغداد سلع أذربيجان وأرمينية والشام والغرب، وسلع الموصل، وكان في نهر دجلة بالموصل عدة درجيات ترسو عندها الزوارق فتفرغ حمولتها، وتحمل منها ما يرسل إلى بغداد.

---

(3) الاوراق للصولي: 123. والفرسخ: ثلاثة اميال، والبريد: اثنا عشر ميلاً والميل ثلاثة الاف ذراع، والذراع اربعة وعشرون اصبعاً صبح الاعشى: 14– 366.

(4) الاوراق للصولي: 252.

(5) تجارة الامم: 2: 276: 277.

نموذج من الزخارف الاجرية التي تزين مشهد الامام يحيى بن القاسم

الحيـــاة الاجتماعيـة

صندوق ضريح يحيى بن القاسم

نعمت الموصل بحياة طيبة: كثرت خيراتها، وتوسعت تجارتها، وزادت ثروة أهلها، فأنشأوا الدور الجميلة وزينوها بالمرمر المطعم، ونقشوا سقوفها وجدرانها، وكان النقاش الموصلي المفسر من الذين ينقشون السقوف والجدران في أول حياته(×). وعنوا بالحدائق والأزهار، والحمامات السرية، وبلطوا أرضها بالرخام،

(×) انظر عنه (ص:).

(1) احسن التقاسيم: 138، مدورة الارض: 195.

فكانت حمامات الموصل كثيرة، عرفت بنظافتها وتنسيقها، فهي مما يحتاجه التجار وأصحاب القوافل الذين يرتادون الموصل، يزيلون شعثهم وينظفون أجسادهم، وأثنى البلدانيون على ما فيها من حمامات كثيرة[1] .

وغرسوا في حدائقهم المنثور والنرجس والورد، واختلاف الأزهار، ولهم من مناخ الموصل خير مساعد، وخاصة في فصل الربيع، فتكثر الأزهار في الدور، وفي اصص تكون في مداخل دورهم.

وكان الشعراء والأدباء يتحف بعضهم بعضاً بتحايا من المنثور أو الورد، ويكتبون معها ابياتاً تناسبها، ومن ذلك:

أهدى الخالديان إلى أبي الفوارس سلامة بن فهد منثوراً من بستان دارهم – وقد تقدم وقته– وكتبا معه:

يابن فهد وأنت من ما ترانا	في المعالي ما نرى له من ضريب
زعم الزهر أنه كسجايا	ك شبيه في حسن حال وطيب
فأريناه أنه يكذب الدعوى	فلم يلتفت الى التكذيب
فبعثنا به إليك لتلقاه	يتصديق قولنا من قريب[2]

ولم يزل أهل الموصل يتبارون في تجميل حدائق دورهم، وأقاموا عدة معارض للأزهار، عرضوا فيها أجمل ما عندهم من أزهار وورود وأشجار زينة.

واستعملوا المراوح اليدوية في الصيف، تنسج من الخوص أو القصل،كما استعملوا الخيش في تبريد دورهم تكون مبللة بالماء،ويحركونها فيأتي منها هواء بارد. واستعملوا الثلج ولهم من الجبال القريبة من أم الربيعين خير مصدر لهم، فإن أهل الجبال يخزنونه في حفر كبيرة في الشتاء. ويغطونه بالقش. وفي الصيف يحملونه داخل التبن والقش، ويبيعونه في الموصل وغيرها من البلاد، فكان الثلج متوفراً عندهم وقت القيظ، وقال السري الرفاء يستسقي من صديق ثلجاً:

---

(2) ديوان الخالديين: 156 – 157.

رأيـــت النـــاس ذا جـــود ومنـــع فـــذا يثنـــى عليـــه، وذا يهجـــا
وفقـــد الـــثلج فـــي أبـــان قـــيظ تـذوب لـه الصـخور الصـم وهجـاا
فجـــد بـــالقوت منـــه تحـــز ثنـــاء أراك بفضـــله أولـــى وأحجـــى
ولا تتعجـــبن مـــن بـــرد شـــعري فـــإني طالـــب بـــالثلج ثلجـــا[1]

وأقبل الناس على لعب الشطرنج والنرد، وكانوا يرون من لوازم الدار أن يكون فيها: خزانة الكتب والحمام والنرد والشطرنج والبستان، ولم تخل دواوين الشعراء من وصف النرد والشطرنج بين محبذ ومتذمر منهما[2] .

وكان للغناء شأن في البلد، جاء في أخبار إبراهيم الموصلي: 125-188هـ، أنه أخذ الغناء عن فتيان في الموصل، كانوا يصيبون الطريق ويصيبه معهم، ويجمعون ما يفيدونه، فيقصفون ويشربون ويغنون، وتعلم منهم شيئاً من الغناء، وشذا فكان أطيبهم وأحذقهم، ولما عاد الى الكوفة قال له أصحابه الفتيان مرحباً بالفتى الموصلي، فعرف بها[3] ،وأن يحيى ابن أبي منصور الموصلي كان بارعاً في الغناء وآلاته، وألف في هذا: كتاب الاغاني، وله كتاب العود والملاهي- كما قدمنا -[4] .

وفي الموصل محلة تعرف بمحلة الطبالين، تصنع فيها الطبول والدفوف، والدف الموصلي مضرب المثل في الجودة والجمال.

ويقصدون حمام العليل في الربيع والصيف، يتمتعون بمناظرها الجميلة، ويستحمون بمياهها المعدنية الحارة، بعضهم يقيم في عرائش تكون على ساحل دجلة، وبعضهم يسكن في دور، وفي الأماسي تكون حلقات مختلفة على شاطئ نهر دجلة وفي غاباتها ومتنزهاتها، تتردد فيها الأغاني وآلات الطرب – فهم يقصدون حمام العليل للراحة والاستجمام وللاستشفاء بمياهها.[5]

---

(1) ديوان السري: 69، وانظر ايضاً: 60، 134، 135.
(2) عين السياسة لابن هُذَيل على حاشية الخصائص الواضحة.
(3) الاغاني: 5: 2- 3.
(4) الفهرست: 123.
(1) معجم البلدان: على دجلة جنوب الموصل، ويسميها اهل الموصل ((حمام علي)) معجم البلدان:3 : 334.

من المنابع الكبريتية التي تقع شمال مدينة الموصل عين كبريت على ساحل دجلة في لحف التل الذي عليه قلعة الموصل – باشطابية – عدة عيون كبريتية، يتدفق منها ماء صافي اللون، ذكر ياقوت أنها ظهرت سنة 301هـ، يقصدها الناس [1] للاستشفاء بمياهها من الأمراض الجلدية، وللتنزه على ساحل دجلة، وما في النهر من عروب . ولم يزل أهل الموصل يقصدونها لمثل هذا، وتسمى ((عين كبريت))، أكبرها للرجال وأخرى للنساء.

عين الدير: تقع قرب دير سعيد، يرتادها أهل الموصل، يستشفون بمائها من الامراض الجلدية، ويسمونها ((العين البيضاء)) لأن ماءها يغدو أبيض في فصل الربيع، ويزدان الوادي [2] الذي تقع فيه بالأزهار في الربيع، فهو من متنزهات الموصل، يقصدونه للنزهة والاستشفاء بالعين.

زيارة مشهد النبي يونس

يقع على تل التوبة، وكان يقصده الناس للصلاة والتبرك، ولما وسعته جميلة الحمدانية وأضافت إليه بيوتاً وسقايات، صار الناس يقصدونه ليالي الجمع، ويباتون فيه، يقضون ليلهم في الصلاة والتهجد والدعاء، ثم يذهبون إلى عين يونس، وهي العين التي اغتسل بها النبي يونس عليه السلام بعد أن قذفه الحوت، وأنبت الله عليه شجرة اليقطين، ويغتسلون بمائها للتبرك، ويتمتعون بما يحف بها من أزهار وشقائق، ولم يزل أهل الموصل يقصدون زيارة جامع النبي يونس ليالي الجمع، وبعضهم يبيت فيه[3].

---

(2) معجم البلدان: 4:123.

(3) وكان ((وادي الدير)) من متنزهات المدينة في الربيع، الى ان دخل في حدود المعسكر ((معسكر الغزلاني)) انظر دير سعيد.

1) جوامع الموصل 77– 78، 105.

(2) جوامع الموصل 77– 78، 105.

(3) جوامع الموصل 77– 78، 105.

(4)_ (5) احسن التقاسيم : 136، صورة الارض: 190، تاريخ الازدي: 391، ابن خلكان: 1: 83.

(6) مقامات بديع الزمان الهمداني: 196 – 206.

الفروسية

عرفت بلاد الجزيرة بعنايتها في تربية الخيل، ومعاناة الفروسية، وللفروسية شأن يذكر في الموصل، وكانت جيوشها في مقدمة الجيوش في الحروب، فهم اشجع فرسان، واقتل للاقران كما يقول عنهم ابن القرية[3].

يقول المقدسي: ((هي واسطة بين العراق والشام، ومنازل العرب في الاسلام ومعدن الخيل العتاق)) [4].

ويقول ابن حوقل عنها: " فالموصل قاعدة الجزيرة، والجزيرة معدن الأبطال وينبوع الخيل والعدة، وينبوت الحيل والشدة " [5].

وسئل محمد بن حميد الطائي عن رجال الموصل، فقال : " إن فيهم ألف فارس لو لقيت بهم الروم لآنست بهم، وفيهم ألف فارس ما للعرب مثلهم" [6].

فأهل الموصل عرب، والعربي يعني بخيله، ويحافظ على ما ورثه منها بعزة وفخر، والفروسية مما يفتخر بها العرب، فهو فارس القوم وحامي ذمارها، والمدافع عنها.

وكانت حلبات السباق مما يتباهى به المواصلة– خاصة في موسمي الربيع والخريف، وفي أيام الأعياد والمناسبات، فتقام بها الحلبات، ويتبارز الأبطال، وتكون من المشاهد التي يبتهج بها أهل البلد.

وممن حافظ على هذه السجية العربية في بلاد الجزيرة والموصل هم الذين تولوا إدارتها من العرب، : الأمويون وبنو حمدان وبنو عقيل ، عرفوا بفروسيتهم، وكثرة حروبهم ووقائعهم القوية مع الروم، مما حمل القوم أن يزيدوا عنايتهم بالخيل ومعاناة الفروسية والحرب والضرب، ويحق لها أن تكون معدن الأبطال.

وكان الحمدانيون يقيمون حلبات السباق، ويتبارى فيها الفرسان، ويجزلون العطاء للفائزين، ونجد في دواوين الشعراء قصائد في وصف الخيل وحلباتها.

واهتمام الحمدانيين بالخيل، حمل بديع الزمان الهمداني على وضع (المقامة الحمدانية) بيّن بها كلف سيف الدولة بالخيل، وأنه قدم إليه فرساً جميلاً،

وقال لجلسائه: " أيكم أحسن صفته جعلته صلته" فذكروا له أبا الفتح الاسكندري، فأحسن صفته وأعطاه الفرس.[1]

الصيد

بلاد الجزيرة كثيرة البوادي والسهول، وتكثر فيها الصيود: من غزلان وأرانب وثعالب وذئاب وخنازير، كما تكثر فيها الطيور. وفي جبالها تكون الفهود والدببة والوعول والنمور وغيرها.

يخرج الناس إلى الصيد في بوادي الجزيرة ووديانها في فصلي الخريف والربيع، لاعتدال المناخ فيهما، وإلى الجهة الشرقية في الصيف والربيع، حيث تكثر الحيوانات والطيور، واستعانوا بالجوارح في صيدهم، وعنوا بالبزاة والصقور وكلاب الصيد والنمور والفهود وغيرها، ومر بنا أن يحيى بن الحر بن يوسف كان يخرج إلى المرج ومعه الفهود والنمور والصقور وكلاب الصيد يصطاد بها.

وفي دواوين الشعراء قصائد في مصائد القوم ومطاردهم – الطرديات – ووصف الحيوانات والجوارح التي يصطادون بها، وآلات الصيد المختلفة، ومطاردة الحيوانات، ما حمل بعض الأدباء أن يؤلفوا كتباً في (المصائد والمطارد) ومنها كتاب كشاجم الذي ألفه لسيف الدولة الحمداني، وصف به حيوانات الصيد وطيورها، وكيفية تدريبها، والأمراض التي تنتابها، وطرق معالجتها وغير ذلك[×].

وانتشرت ألعاب الفتوة في الموصل، ومنها: صيد طيور الواجب – الطير الجليل – بالبندق (جلاهق)[2] ، وهي كرات تتخذ من الطين، وترمى بواسطة

---

(1) جوامع الموصل 77– 78، 105.

(2) جوامع الموصل 77– 78، 105.

(3) جوامع الموصل 77– 78، 105.

(×) كتاب المصايد والمطارد لكشاجم : نسخة منه في خزانة مدرسة حسن باشا الجليلي، كنت قد عرفت بها في مجلة الرسالة المصرية، العدد 583 من السنة:12.

(1) انظر ديوان: السري الرفاء، الخالديان، كشاجم، ابو فراس الحمداني وغيرهم

القـوس، أو بالسـبطانة: وهـي خشـبة مسـتطيلة مجوفـة الـداخل، يقـذفون منهـا البندق[1].

تربية الحمام

وعني المواصلة بتربية الحمام، وكانوا يتخذون لها (الشخيمات) [2] لتأوي إليها في الليل، ويقدمون لها الحب والماء، وقلما تخلو دار من شخيم أو أكثر، والحمام من ألعاب الفتيان، كما استعملوه في نقل الرسائل،وهو (الحمام الزاجل) ويباع بأثمان غالية.

ومن الموصل نقل الحمام إلى كثير من البلاد الاسلامية، وممن استفاد منه نور الدين محمود، فنقل كثيراً من الحمام الزاجل من الموصل إلى بلاده، واستخدمها في نقل الرسائل، وفي كتب التأريخ والأدب فصول عن الحمام وتربيته وتدريبه.

نصب الخيام في الربيع

الموصل أم الربيعين، يمتاز فصل الربيع فيها بجمال أزهاره وتنوعها، وروائع نباتاته، وما يتخلل هذا من غدران ومياه تنساب بينها، وطيور تغرد في حقولها. وأهل الموصل يخرجون إلى ظاهر المدينة، ويرف بالميدان الأخضر – قبل أن تمتد إليه العمارة– فكانت أرضه مزارع ومباقل ، وفي الربض الأعلى من المدينة – الذي عليه المستشفى الجمهوري اليوم– يشرف على دجلة وما كان فيه من

---

(2) الفتوة في الاسلام: 68– 78. الحيوان للجاحظ: 3: 45– 79، صبح الاعشى: 14: 360– 391.

(3) الشخيم: فراغ يكون بين سقفي غرفتين متجاورتين، او بين سقف غرفة وايوان، ويتخذون له مدخلا من المرمر تحته قطعة رخام بارزة محفور في مقدمتها يسمونها راس كبش، تكون على احدى جهتيه، يثبت بها الحبل من يريد الصعود الى الشخيم، لتنظيفه والاستفادة من ذرق الطيور في تسميد المزارع.

عروب، وما في الجانب الشرقي من غابات، وكذا في غربي المدينة وجنوبها – الربض الأسفل– يقضون اكثر الليل في التواشيح والغناء.

يزرعون الشعير في السهول، ومتى استوى على ساقه وصار – قصيلاً– أخرجوا خيولهم ودوابهم إلى القصيل قرب خيامهم. فهي خيام نزهة وراحة ومربع لخيولهم. واستمر نصب الخيام في الموصل إلى القرن العشرين، وقد بقي منها القليل في أيامنا هذه.

الأديرة

وفي الموصل وجوارها عدة أديرة، كانت معروفة بموقعها الجميل، وما يحف بها من بساتين ورياحين وفيها الخمر المعتق، يقصدها الشعراء والأدباء والفتيان وأرباب البطالة، يتمتعون بما يحف بها من مناظر خلابة، وما فيها من خمر وشراب، فيقضون أياماً فيها، وألفت في هذه الفترة عدة كتب عن الديارات وحاناتها وخمورها، وأخبار الشعراء والأدباء الذين يرتادونها، فكانت مجالس أنس وطرب ومدام، ومجمع الشعراء والأدباء وأرباب الفضل والطرب.

وكان الخلفاء وأرباب الحكم يرتادونها ويقضون فيها أياماً للراحة والأنس ومن ذلك:

لما مر المأمون بالموصل – في خروجه الى الشام – نزل في ((الدير الاعلى)) لطيبه ونزهته، وصادف عيد الشعانين، فجلس المأمون في موضع جميل يشرف على دجلة وما حوله من بساتين، وعلى من يرتاد الدير، وزين الدير في ذلك اليوم بأحسن زينة، وخرج رهبانه وقسانه إلى المذبح، وحولهم فتيانهم بأيديهم المجامر، وقد تقلدوا الصلبان، وتوشحوا بالمناديل المنقوشة، فاستحسن المأمون ذلك، وعطف إلى المأمون من كان معهم من الجواري والغلمان، بيد كل واحد منهم تحفة من رياحين وقتهم، وبأيدي جماعة منهم كؤوس فيها أنواع الشراب، فأدناهم، وجعل يأخذ من هذا ومن هذه تحية ، وقد شغف بمن رآه منهم، وهو خلال هذا يشرب والغناء يعمل، ثم أمر من معه من وصفائه المزنرات، فأخرج إليه عشرون وصيفة، كأنهن البدور، عليهن الديباج، وفي اعناقهن صلبان الذهب،

وبأيديهن الخوص والزيتون، فقال لأحمد بن صدقة أن يقول أبياتاً ويغنيه بها. فقال أحمد:

ضـــــــباء كالـــــــدنانير ... مـــــلاح فـــــي المقاصـــــير
جلاهـــــــن الشـــــعانين ... علينـــــا فـــــي الزنـــــانير
وقـــــد زَرفـــــنّ أصـــــداغاً ... كأذنـــــــاب الزرازيـــــــر
وأقـــــــبلن بأوســـــــاط ... كأوســـــــاط الزنـــــــابير

فطرب وشرب واستعاد الصوت دفعات[1].

ولما انحدر سيف الدولة الحمداني إلى العراق نزل (دير باعربا) وضرب مضربه على شاطىء دجلة، فلما كان وقت العصر دخل الدير، وصعد سطحه، فرأى منظراً من بره وبحره وعلو مشترفه، فاستدعى شراباً، ودعا((سقارة العوّاد))، فغناه، وأمر الشظيمي أن يعمل في هذا شعراً، فقال:

شـــرفا ياديـــر عربـــاً ومجـــداً ... بهمـا تُعنـى مـدى الـدهر وتُعَمـرْ
ســترى مــاءك هــذا مــاء ورد ... وتـرى صـحنك ذا مسـكاً وعنبـرْ
إذ علـى سطحك سيف الدولـة القـ ... ـرم الذي فات الورى عزاً ومفخرْ
والـذي إن سـار فـي العسكر فـردا ... فهـو فـي إقدامـه ألـف عسـكرْ[2]

وذكر الخالدي عن ((دير الزعفران)): كان الأمير أبو البركات يخرج إليه، وأخرج معه، فيقيم به على شرب وسرور، وأمرني أن أعمل به شعراً فقلت:

عطلـــت دراســـة المغـــاني ... وعمـــرت ((عمـــر الزعفـــران))
وأقمـــت فـــي غـــرف لديـــ ... ـــه كأنهـــا غـــرف الجنـــان
وتـــــرى قنانينـــــا مُفَـــــدَّ ... مـــــة بـــــآس خســـــرواني
ومعـــــانقي ظبـــــي وبـــــد ... ر دجنـــــة وقضـــــيب بـــــان
والـــــراح أحصـــــن جنـــــة ... لـــك فـــي مقارعـــة الزمـــان

---

(1) الشابشتي: 113- 114.
(2) مسالك الأبصار:1 : 301.

لا تـــــــــأمنن صـــــــــــروفه فالـــدهر لـــيس بـــذي أمـــاني[1]

ومن هذه الأديرة:

الدير الأعلى:

يقع ظاهر مدينة الموصل، يشرف على دجلة والعروب، وما يحف بهما من حقول وغابات، يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف، والجزائر تتفرق خلجانها وغدرانها بأزائه، ويقال: ليس للنصارى دير مثله، وكان يرتاده الشعراء والأدباء وفيه يقول الحسين بن أبي البغل:، وقد اجتاز به يريد الشام، وتمتع بما يحف به من مناظر خلابة:

أنظـر الـيّ بـأعلى الـدير مشـترفاً لايبلـغ الطـرف مـن أرجائـه طرفـا
كأنمـا غربـت غـر السـحاب بـه فجـــاء مختلفـــاً يلقـــاك مؤتلفـــا
فلـــيس تبصـــر إلا جـــدولاً ســـربا أو جنـــة ســـدفا، أو روضـــة أنفـــاً

وكان الخالدي الشاعر يكثر التردد اليه، ويقول فيه:

قمـــر بـــدير الموصـــل الأعلـــى أنـــا عبـــده وهـــواه لـــي مـــولى
لـــثم الصـــليب فقلـــت مـــن حســـد قبـــل الحبيـــب فمـــي بهـــا أولـــى
جـــد لـــي بإحـــداهن تحـــوِ بهـــا قلبـــي محبتـــه علـــى المقلـــى
فـاحمر مـن خجـل وكـم قطعـت عينـــي شـــقائق وجنـــة خجلـــى
وثكلـــت صـــبري عنـــد فرقتـــه فعرفـــت كيـــف مصـــيبة الثكلـــى

والشعانين في هذا الدير حسن، يخرج إليه الناس فيقيمون فيه الأيام يشربون ويطربون[2].

---

(1) ديوان الخالديين: 100 – 101، مسالك الأبصار: 1: 305– 306.

(1) ديـوان الخالـديين:29، 77، الشابشـتي: 113، معجـم البلـدان: 4 : 123– 124 المسالك والممالك: 1: 193 –294.

دير الشياطين:

وهو في موقع حسن، هواؤه رقيق لطيف، وقلاليه عامرة كثيرة الأشجار، وأرضه كثيرة الرياض، يقول عنه الشابشتي: ((وهو من مطارح أهل البطالة، ومواطن ذوي الخلاعة)) وممن قصده ووصفه الخباز البلدي، فقال:

رهبان دير سقوني الخمر صافية ... مثل الشياطين في دير الشياطين
مشوا سراعاً كأمثال السهام بدت ... من القسي وراحوا كالعراجين

وكان السري الرفاء يتردد إليه ويشرب فيه، وفيه يقول:

ما حن شيطانه الآتي إلى بلد ... إلا ليقرب من دير الشياطين
وفتية زهر الآداب بينهم ... أبهى وأنظر من زهر البساتين
مشوا إلى الراح مشي الرخ ... والراح تمشي بهم مشي الفرازين
تفرغوا بين أعطان الهياكل في ... تلك الجنان وأقمار الدواوين
حتى إذا نطق الناقوس بينهم ... مؤثر الخضر، رومي القرابين
يرى المدامة ديناً، حبذا رجل ... يعتد لذو دنياه من الدين

دير سعيد:

بناه إيليا الحيري العبادي العربي، وجدد بناءه سعيد بن عبد الملك،ويعرف اليوم بدير مار إيليا، وبدير الخربان، لأنه مهجور يقع جنوب معسكر الغزلاني في وادي جميل، تنساب فيه المياه في فصل الربيع، يسمى وادي الدير، وكان حوله قلالي كثيرة، حسنة العمارة، ظاهرة النضارة، في كل قلاية جنينات للرهبان، فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر، وهو يقارب تل باذغ، وتراه في الربيع كالوشي الملمع والحلي المرصع، يقصده الشعراء والأدباء والفتيان، وله ذكر كثير في أشعارهم، وفيه يقول الخالدي يصف ما شاهده من جميل المنظر:

يـا حسـن ديـر سـعيد إذ حللـت بـه ... والأرض والـروض فـي وشـي وديبـاج
فمـا تـرى غصـناً ألا وزهرتـه ... تجلـوه فـي جبـة منهـا ودواج
وللحمـائم ألحـان تـذكرنا ... أحبابنـا بـين أرمـال وأهـزاج
وللنسـيم علـى الغـدران رفرفـة ... يزورهـا فتلقـاه بـأمواج
والخمـر تجلـى علـى خطابهـا فترى ... عـرائس الكـرم قـد زفـت لأزواج
وكلنـا مـن أكاليـل البهـار علـى ... رؤوسـنا ((كـآنو شـروان)) فـي التـاج
وقـولتي والتفـاتي عنـد منصـرف ... والشـوق يـزعج قلبـي أي إزعـاج
يـا ديـر ياليـت داري فـي فنائـك أو ... يـا ليـت أنـك لـي فـي درب دراج[1]

ويقول أيضاً:

سـعدت صـحبتي بـدير سـعيد ... يـوم عيـد فـي حسـنه ألـف عيـد
وحططنـا رحالنـا بفنـاء ... الهيكـل المونـق البـديع المشـيد
والروابـي مشـهرات كغلمـا ... ن لنـا فـي محبـرات البـرود[2]
فخـدود مثـل الشـقائق فـي اللـو ... ن تليهـا شـقائق كالخـدود

دير ميخائيل:

يقع شمال مدينة الموصل، يشرف على دجلة وحاوي الكنيسة وما فيه من كروم وشجر كثير، وقلاليه في غاية الظرف، محفوفة بأنواع الشجر وأصناف الزهر، وله عيد كبير يكون قبل الشعانين بأسبوع، تخرج إليه النصارى بصبيانهم ونسائهم، ويمر لهم فيه يوم وليلة، تتجاوب فيه ألحان الأغاني وقراء الرهابين، وكان أبو بكر الخالدي معجباً برهبان هذا الدير، وما كانوا عليه من خفة الروح،

---

(1) الشابشتي: 117– 118، معجم البلدان:4 : 150 – 151، مسالك الابصار:1: 303.

(2) ديوان الخالديين:41، 48، 50، 54، 55، 62، 84، 85، 115–116. مسالك الابصار:1 : 290– 292.

ودرب دراج محلة في وسط الموصل كان يسكنها الخالديان.

(1) ديوان السري الرفاء: 186–187.

(2) معجم البلدان: 4: 170، ديوان الخالديين: 75.

وجميل السجايا، واطلاع في الاداب والحكمة والفلسفة، فصار يكثر التردد إليه، يأنس برهبانه ويستفيد من علمهم وفضلهم، ثم يميل إلى حاناته، فيشرب ويطرب، وقال يصف ذلك:

محاسن الدير تسبيحي ومسباحي وخمره في الدجى صبحي ومصباحي
أقمت فيه إلى أن صار هيكله بيتي ومفتاحه للأنس مفتاحي
منادماً في قلاليه رهبانة راحت خلائقهم أصفى من الراح

وللسري الرفاء قصيدة يتشوق بها إلى الموصل، ودير سعيد، وما كان له فيه من انس وطرب [1].

دير متي

يقع على جبل مقلوب شرقي الموصل، يشرف على السهول والمرج، ويذكر ياقوت أن بيوته كانت منقورة في الصخر، يقصده الشعراء والفتيان وأهل الهوى، وممن قال فيه، أبو بكر محمد الخالدي:

فلأشكرن لدير متي ليلة مزقت ظلمتها ببدر مشرق
بتنا نوفي اللهو فيها حقه بالراح والوتر الفصيح المنطق
والجو يسحب من عليل هواءه ثوباً يرش بطله المترقرق
حتى رأينا الليل قوس ظهره هرمٌ وأثر فيه شيب المفرق
وكأن ضوء الفجر في باقي الدجى سيف حلاه من اللجين المحرق
ياطيبها من ليلة لو لم تكن قصرت فريع تجمُّع بتفرق [1]

دير يونس

يقع على تل التوبة في نينوى، بني على اسم النبي يونس بن متي عليه السلام، يحف به أراض يكسوها الربيع نواراً وشقائق، يقصده الشعراء والأدباء، وممن قصده، أبو شاس الشاعر، وكان هذا من أطبع الناس، مليح الشعر، كثير الوصف للخمر، ملازماً للديارات، متطرحاً بها، مفتوناً برهبانها، ومما قاله في دير يونس:

يا دير يونس جادت صوبك الدِيَمُ حتى ترى ناظراً بالنور تبتسم
لم يشف في زاخر ماء على ظما كما شفى حر قلبي ماؤك الشبم
ولم يحلك محزون به سقم إلا تحلل عنه ذلك السقم
استغفر الله من فتك بذي غنج جرى عليَّ به في ربعك القلم [1]

دير أبي يوسف

قريب من بلد، على شاطىء دجلة، في موضع حسن معمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين، مغروس المربى بالنرجس، وهيكله حسن البناء، وفيه عجائب من بدائع التصوير، ولا يعوزه كل يوم قافلة تحط عنده، لتأخذ حمراً والمُجان تقصده للتنزه فيه بطنابيرهم وعيدانهم وسائر ملاهيهم، وكان يقصده الخالدي، ووصف موقعه وما فيه: ويقول فيه السري الرفاء:

يا دير يوسف لا عدتك تحية للمزن بين رواعد وبوارق
سقيا لتلك منازلاً معمورة من بين مطروق الفناء وطارق
حمر القواعد والقباب كأنما أشربن رقراق الخلوق الرائق
يلقاك من نوارها وغيومها ما بين دكن مطارف ونمارق
والهيكل المبيض يلمع وسطها كالاقحوانة في بساط شقائق
كم دمية خرساء فيه ودمية فضلت عليها باللسان الناطق [2]

دير برقانا

فوق الحديثة على دجلة في موضع حسن، كثير الشجر والزهر، وله بساتين ومباقل، ويقال أنه ليس في سمك دجلة أسمن من سمك يصاد من شاطئه، واجتاز به الخباز البلدي، فأعجب بشرابه الصافي وقلاليه المليحة، وأقام عندهم نهاره وليله، وقال فيه:

---

(1) الشابشتي:116.
(2) ديوان الخالديين: 73، ديوان السري الرفاء: 202.

ألا ســـــقيا لرقـــــة بارقانـــــا وهيكلـــــه المشـــــيد والقلالـــــي
فكــم مــن ســدفة بــاكرت فيهــا معصـــفرة كمثـــل دم الغـــزال [1]

(2) شعر الخباز: 35 انظر بقية الابيات.

صورة من الجبس تمثل مار بهنام ممتطياً جواده– في كنيسة دير مار بهنام – دير الجب–

قطعة من الزخارف الخشبية التي تزين باب الحضرة من جامع النبي جرجيس

علبة من النحاس المطعم صنعها اسماعيل بن ورد الموصلي لبدر الدين لؤلؤ

ابريق من النحاس المطعم صنعه شجاع بن منعة الموصلي سنة 629هـ

الـــدور السلجوقي

495 - 521هـ
1101- 1127م

ابريق مكفت مكتوب عليه: نقش حسن بن محمد الموصلي بدمشق المحروسة سنة سبع وخمسين وستمائة

عرف هذا الدور ((الدور السلجوقي)) فإن السلاجقة أزاحوا البوييهين عن الحكم، وحلوا محلهم، وهو من الأدوار المضطربة التي مرت على البلاد: العباسي ليس له من الأمر شيء، والسلاجقة مشغولون بالحروب فيما بينهم، والبلاد تحت رحمة الدخلاء أصحاب المطامع، وهم في تنافس مع بعضهم، ظلموا الناس

بمصادراتهم وضرائبهم، وساقوهم إلى الحروب يقتل بعضهم بعضاً، لتوطيد عرش مزعزع، أو جر مغنم زائل ، أو الانتقام من أهل البلاد، يقول عنهم المعري:

ظلموا الرعية واستباحوا كيدها وعدوا مصالحها، وهم أجراؤها

ضعف نفوذ العرب في بلاد الجزيرة والشام بانقراض الدولة العقيلية، ولم يبق لهم ذلك النفوذ القوي الذي كان يلجأ إليه الخلفاء والعرب كلما اشتد بهم الأمر.

والباطنية قد استحكموا في القلاع والحصون، وهم في ازدياد، وبثوا أتباعهم في البلاد، يفتكون ويقتلون من يخشون بأسه، ومن يتوقع منه خير للمسلمين.

والصليبيون يستعينون بهم في قتل كل قوي، كما استعان بهم بعض الأمراء في اغتيال من عاداهم، فكانوا اخطبوطاً يفتك في جسم البلاد الإسلامية.

والصليبيون قد توغلوا في بلاد الشام، وزحفوا إلى بلاد الجزيرة مغتنمين انقسام المسلمين على أنفسهم، وعجزهم عن صدهم، فعاثوا في البلاد يقتلون ويأسرون ويدمرون، واحتلوا الكثير من القلاع والحصون والمدن، وقامت لهم فيها دول – وكلهم يهدف إلى التنكيل بالمسلمين– وما زالوا في تقدم حتى احتلوا القدس سنة 492هـ، وفتكوا بها فتكاً ذريعاً.

يقول الأبيوردي المتوفى سنة 507هـ[1]:

فأيها بني الاسلام إن وراءكم وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وأنتم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى توارى حياء حسنها بالمعاصم

أرى أمتي لايشرعون إلى العدى رماحهم والدين واهي الدعائم

دعوناكم والحرب ترنو ملحة إلينا بألحاظ النسور القشاعم

تراقب فينا غارة عربية تطيل عليها الروم غض الأباهم

فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه رمينا إلى أعدائنا بالجرائم

---

(1) الكامل: 10: 105 –106. وانظر القصيدة بكاملها في ديوانه

وسخط الشعب يزداد كل يوم، ويندد بما آلت إليه بلادهم من الانقسام، وتحكم الدخلاء في البلاد والعباد، والحالة تسير من سيء إلى أسوأ، ومن فتنة إلى حرب، والحماس يزداد والقوة كامنة في النفوس، يدفعها إيمان بحق الشعب، وهم يتطلعون إلى زعيمهم يشعر بما يشعر به أهل البلاد، فيجمع كلمتهم، ويسير بهم إلى ساحات الجهاد.

الولاة السلاجقة	**521 -495**
1- قوام الدولة كربوغا (نزاعه مع سنقرجة)	**459**
2- موسى التركماني	**459**
3- جكرمش	**499 -459**
4- جاولي	**502 -499**
5- مودود	**507 -502**
6- آق سنقر البرسقي الغازي	**508 -507**

7- جيوش بك (من قبل السلطان مسعود بن محمد المتوفى سنة 547 هـ) 508- 515

8- آق ستقر البرسقي الغازي (مرة ثانية) 515- 520

9- مسعود بن آق سنفر البرسقي الغازي 520- 251

ابريق من النحاس المطعم

ومن الأمراء الذين تولوا الموصل سنة 489 هـ، قوام الدولة أبو سعيد كربوغا المتوفى سنة 459 هـ من مماليك السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، فأحسن السيرة في أهلها فأحبه أهل البلد.

سار بجيش من الموصل لمساعدة((ياغي سيان بن محمد بن الب التركماني)) من مماليك السلطان ملكشاه، في فك الحصار عن أنطاكية، وقبل أن يصلها استولى عليها الصليبيون، فأسرع كربوغا إليها، وأحاط بالمدينة سنة 491 هـ وضيق عليها، فطلب إليه الصليبيون الأمان، ولكنه كان معجباً بقوته فأبى وقال

لهم " لا تخرجون الا بالسيف" وهجم عليه الصليبيون هجوم يائس وخسر المعركة لسوء تصرفه وتكبره.

ولما عاد إلى الموصل كلفه السلطان بركياروق 487– 498 هـ بمحاربة محمد بن ملكشاه، فمرض في الطريق ومات.

فخلفه على الموصل ((سنقرجة))، ولم يرض به أهل البلد، فكاتبوا موسى التركماني (491 هـ) أن يتوجه إليهم من حصن كيفا، ولما وصل المدينة وجد سنقرجة وحدث بينهما نزاع وقتل سنقرجة.

ثم جرى حرب بين جكرمش وموسى التركماني على ولاية الموصل، فقتل موسى، [1] وصفا الأمر لجكرمش ولكن السلطان محمد ولي ((جاولي سقاوو)) الموصل، ولما اقترب من أعماله حاربه جكرمش/، فهجم جاولي على جيش جكرمش، وأسره، وكان جكرمش مريضاً، وحاصر جاولي الموصل، وكان جكرمش قد أحكم سورها، وبنى له فصيلا حفر الخندق، ورمم القلعة، وابى اهل البلد ان يسلموا المدينة، وفي أثناء الحصار توفي جكرمش – 499 هـ فأجلس أهل البلد ابنه ((زنكي)) وخطبوا له بعد السلطان، وأقسموا على الاخلاص والتفادي والدفاع عن البلد، واستنجدوا بقليج أرسى بن سليمان بن قتلمش السلجوقي فساروا إلى الموصل. ثم خرج إلى جاولي والتقى معه على الخابور، وغرق في النهر وصفا الأمر لجاولي.

دخل جاولي البلد وتمكن فيها، طمع في الانفصال عن السلطان محمد، وتوقف عن تقديم الأموال إليه، ولم يكن محبوباً في المدينة لعسفه وظلمه وكثرة مصادراته.

أرسل إليه السلطان مودود بن التونتكين ومعه آق سنقر البرسقي وغيره من الأمراء، حاصر مودود الموصل سنة 502 هـ، وزاد ظلم جاولي، فاتفق جماعة الجصاصين، وقتلوا حامية إحدى البروج التي في السور، وسلموا البلد لمودود، فدخلها وأمن أهلها.

---

(1) ودفن على تل في قرية ((كرَّاثا)) وعرفت القرية بعد هذا ((بتل موسى)) وهي على طريق المسافر من الكسك الى عين زالا، وتعرف القرية اليوم باسم ((تل مؤسى)).

كان مودود رجل حرب وتدبير، يعتمد عليه السلطان في حرب الصليبيين، وصار مسموع الكلمة عند الملوك والأمراء لشجاعته وحسن تدبيره، وفي سنة 507 هـ بينما كان في الشام تقدم إليه باطني وقتله في جامع دمشق.

فتولى الموصل آق سنقر البرسقي الغازي الملقب قسيم الدولة سيف الدين 507 هـ من أجل الأمراء السلاجقة ، وأول من فكر في جمع البلاد لتكون قوة في وجه الصليبيين، زحف إلى الشام وفك الحصار عن حلب، واسترجع كفرطاب، وأضاف إليه السطان كفرطاب وحلب، وفتك بالباطنية ونكل بهم، وقتل جماعة منهم.

وفي سنة 508 هـ سيره السلطان إلى حرب الصليبيين، وكتب إلى ألأمراء بطاعته، ومنهم عماد الدين زنكي بن آق سنقر الحاجب – وهذا ما حمل الصليبيين أن يحرضوا الفدائيين على قتله – فقتلوه في جامع الموصل سنة 520 هـ، وخسرت البلاد قائداً مدبراً وأميراً مصلحاً، طهر البلاد من المستعمرين والدخلاء، وتولى بعده ابنه مسعود. وسار على خطة أبيه في ضرب الأعداء وتوفي سنة 521 هـ وكان شجاعاً شهماً، حاول ضم بلاد الشام إليه، ليؤلف دولة قوية.

الدولـــة الاتابكية

521– 660 هـ = 1127– 1261 م

((وكان آل زنكي نعمة أنعم الله بها على أهل تلك العصور))

(عز الدين بن الاثير)

1- الملوك الاتابكيون

	سنة/ هـ
عماد الدين زنكي بن آق سنقر	521- 541
سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي	541- 544
قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي	544- 565
سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود	565- 576
عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود	576- 589
نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود	589- 607

آق سنقر الحاجب [1]

أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله قسيم الدولة المعروف بالحاجب، كان مملوكاً للسلطان العادل عضد الدولة ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق، ربّاه مع ولده جلال الدولة ملكشاه، واستمر في صحبته، فكان رفيقه في عهد الطفولة والصبا، وساعده في تدبير الأمور، فكان من أعيان أمرائه، وأخص أوليائه، يعتمد عليه في مهمات الأمور الصعبة، ويفضي إليه بأسراره، ووثق به وثوقاً تاماً، فيجد منه الحزم والعزم والاقدام، ولقبه ((بقسيم الدولة)) يوم كانت الألقاب لا تعطى إلا لمستحقيها، فجعله مقاسماً له في الإدارة والحكم، كما لقبه ((بالحاجب))وهو أسمى الألقاب التي كانت

---

(1) يطلق على من يحجب الخليفة او الملك يبلغه اخبار الرعية ويأخذ الاذن لهم منه – وهو يشبه رئيس التشريفات في ايامنا هذه– وقد يطلق على امير كلقب فخري له فيقال ((امير حاجب)) .

تعطى للمقدمين عند السلطان، وهذا ما حمل الأمراء على حسده، وصار يتقيه أقرب الناس إلى ملكشاه، مثل نظام الملك مع تحكمه على السلطان، وتمكنه في المناصب وكثرة الأعوان.

وكان قسيم الدولة حسن التدبير، موفقاً في حروبه، ففي سنة 477هـ سيّر السلطان ملكشاه الوزير فخر الدولة بن جهير إلى ديار بكر، ليمتلكها من بني مروان، وسيّر عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير– وكان زوج ابنة نظام الملك– إلى الموصل، وهي لشرف الدولة المسلم بن قريش بن بدران العقيلي، وسيّر معه جيشاً كبيراً بقيادة آق سنقر، وأمر عميد الدولة أن يكون في حربه وحصاره برأي آق سنقر، لمعرفته بتدبير الجيوش، وحصر البلاد في حروبه كلها، فسار إلى الموصل ودبّر أمر فتحها.

وفي سنة 478 هـ كان مع السلطان ملكشاه في انتزاع حلب من العقيليين. وكان نظام الملك يريد إبعاده عن السلطان، فأشار عليه سنة 479 هـ أن يوليه حلب وأعمالها، وحماة ومنبج واللاذقية وما معها، ليصفو له الأمر. فسار إليها آق سنقر ودبر أمورها بحزم: عقب قطاع الطرق وأفناهم، وتتبع الدعار واستأصل شأفتهم، فنشر الأمن والاطمئنان في البلاد، ولم يبق لأهل الفساد ذكراً، وألزم أهل كل قرية بمحافظة من يمر بهم، وإذا فقد شيء فإن أهل القرية ملزمون به، كما أمر مناديه أن لا يغلق أحد بابه، وأن يترك أهل الحرث آلاتهم في البقاع التي يعملون بها في الليل والنهار، وبنى مصنعاً للماء في حلب، وعمر جامعها، وجدد منارته، وجدد سور المدينة، وحصن قلعتها، وأثر فيها آثاراً حسنة.

ووسع بلاده، ففي سنة 482هـ تسلم حصن برزويه من الأرمن، وهو آخر حصن كان بأيديهم من أعمال انطاكية، فهدمه سنة 483هـ، ثم استولى على حصن أفامية و كفرطاب، سنة 484هـ، وفرض طاعته على مدينة شيزر–

فكان آق سنقر ساعداً قوياً في جيش ملكشاه، حليفه أينما حل، لشهامته و معرفته بشؤون الحرب[1].

وبعد وفاة ملكشاه، سنة 485هـ تنازع بركياروق بن ملكشاه مع عمه تتش وانقسم الأمراء معهما، فكان آق سنقر مع تتش، وكان تتش يحذر منه، وممن معه من الأمراء، وبعد أن شارك في فتح عدة بلاد، تبين له سوء نية تتش، فالتحق ببركياروق، وجرت موقعة بينهما وبين تتش عند نهر سبعين في تل السلطان، فأسره تتش سنة 487هـ.

ولما جاؤوا به إلى تتش، سأله: لو ظفرت بي ما كنت صنعت؟ وكان آق سنقر، معتداً بنفسه فأجاب السلطان: كنت اقتلك. قال السلطان: أنا أحكم عليك بما كنت تحكم به عليَّ، وقتله.

وكان آق سنقر من أجلّ الأمراء في التدبير والسياسة والحروب، عني بجيشه، ونشر العدل في بلاده.

عماد الدين زنكي
521- 541

أبو الجود وأبو المظفر عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبدالله الملقب ((بالملك المنصور)) ويلقب أيضاً ((بالشهيد)).

قتل أبوه سنة 487هـ وهو ابن عشر سنين، والتف حوله أتباع أبيه ومماليكه وعليهم زين الدين علي كجك بن بكتكين، وكانوا عدداً كبيراً، وعنوا به عناية خاصة لما رأوه من نجابته وشجاعته، وهذا ما حمل الأمراء الذين تولوا الموصل أن يعتمدوا عليهم ، فكانوا يستميلونهم للاستعانة بهم في الحرب.

---

(1)**انظر عنه: الباهر: 4- 15، الكامل: 10: 48، 49، 113، 86، ابن القلانسي: 120، الروضتين: 1: 24- 27، 61، مفرج الكروب: 1: 11، 19- 27، زبدة الحلب: 2: 102- 119، ابن خلكان: 1: 79، الأعلاق الخطيرة: 17- 24، ابو الفدا: 2: 204، البداية والنهاية: 12: 147، الموصل في العهد الاتابكي: 16- 17.**

لما تملك الموصل ((كربوغا)) سنة 489هـ عزز قوته بعماد الدين ومن معه، فراسلهم ورغبهم، وأحضرهم عنده، وقال لهم عن عماد الدين: ((هو ابن أخي، وأنا أولى الناس به وبتربيته)) ، وأقطعهم الاقطاعات السنية، وزاد مماليك عماد الدين، وكانوا قوة لكربوغا في حروبه.

وأول مصاف حضره عماد الدين مع كربوغا هو حصار ((آمد))، فأبدى أتباعه شجاعة ومهارة، وبقي كربوغا يعتمد عليهم حتى توفي سنة 494هـ[1].

وتولى الموصل ((جكرمش)) سنة 495هـ، وهو يعلم قوة أتباع عماد الدين، وما أبلوه في موقعة آمد، فقربه إليه، واتخذه ولداً يعزز مكانته باتباعه، وبقي ملازماً له حتى توفي جكرمش سنة 500هـ[2].

ثم ملك الموصل ((جاولي)) وقد كبر عماد الدين وبلغ سن الرجولة، وشارك بنفسه في الحروب، فتدرب على قيادة الجيش، وبدت شجاعته، وظل معه حتى عصى جاولي على السلطان محمد سنة 502هـ، وهرب إلى الشام، وأرسل السلطان الأمير مودود بن التونتكين، فانضم عماد الدين إليه، ففرح به مودود وقربه وأكرمه، وزاد في إقطاعه، وشهد معه حروبه كلها، وكان في مقدم الجيوش: سار مع مودود لحرب الصليبيين بالشام، في فتح ((الرها)) و ((تل باشر)) و (معرة النعمان))، ثم ساروا إلى ((طبرية)) وحاصروها حصاراً شديداً، دافع الصليبيون عنها دفاعاً قوياً، وأظهر عماد الدين من البطولة ما جعله مضرب المثل في الهجوم والإقدام.

تقدم في نفر من أصحابه، وهاجم جماعة من الصليبين كانوا قد خرجوا من البلد، فحمل عليهم هو وبعض من معه – وهو يظن أنهم يتبعونه – فتخلفوا عنه، وتقدم وحده، وقد انهزم من بظاهر البلد من الصليبيين، فدخلوا المدينة، وحمل عماد الدين بنفسه على باب البلد، وأثر رمحه في الباب، وبقي ينتظر وصول من

---

(1) – (2) : الباهر: 16، الكامل: 10: 146.

كان معه، ولما لم يجدهم أخذ يحمي نفسه، وعاد إلى جيشه، فأثنى الناس على إقدامه وجرأته، وقتل مودود سنة 507هـ وهو ملازم له[1].

وفي سنة 508هـ سير السلطان ((آق سنقر البرسقي)) لحرب الصليبيين، ومعه عماد الدين، وأمره السلطان بتقديمه والوقوف عند إشارته، فأبلى عماد الدين بلاءً حسنا، وكانت بطولته حديث الجيوش التي اشتركت معه.

عاد البرسقي إلى بغداد، وسار عماد الدين إلى الموصل مع الملك مسعود، والأمير ((جيوش بك))، وبقي في الموصل حتى سنة 514هـ.

كان جيوش بك يستغل وجود الملك مسعود عنده في الموصل، وطمع أن ينصبه سلطاناً على السلاجقة في بغداد، لكي يتحكم هو بأمور الدولة بتسلطه على الملك مسعود، وفشلت محاولته بعد مناوشات مع السلطان محمود.

كان عماد الدين ينظر إلى هذا بعقل وبصيرة ويعلم ما ستؤول إليه العاقبة، فلم يندفع مع جيوش بك، وأشار عليه بطاعة السلطان وترك الخلاف، وحذره عاقبة العصيان، فلم يستمع لقوله، فاعتزل النزاع وفشلت المحاولة.[2]

واستعمل السلطان محمود آق سنقر البرسقي على الموصل وأعمالها سنة 515 هـ، وأمره برعاية عماد الدين وتقديمه، واخذ رأيه بالأمور، وفعل البرسقي ما أمر به السلطان، وزاد على ذلك لما رآه من عقله وتدبيره.[3]

وفي سنة 516هـ أمر السلطان محمود البرسقي أن يسير لحرب ((دبيس ابن صدقة الأسدي)) صاحب الحلة، الذي ساعد جيوش بك في الحرب، وأخفق البرسقي وانسحب إلى بغداد، وولاه السلطان ((شحنكية العراق))[×]، وأرسل آق سنقر عماد الدين إلى واسط فاحتلها وأقطعه إياها، ثم أضاف إليه شحنكية البصرة، فانتقل إليها ودبر أمورها أحسن تدبير، وحماها من غارات الأعراب، فسكنت الحالة في المدينة، وسادها الهدوء والرخاء.

---

(1) الباهر: 16- 17، الكامل: 10: 183- 187، الروضتين: 1: 27.

(2)- (3) البداية والنهاية : 12: 190، الكامل: 10: 288- 232، الباهر: 24- 25، 26، المنتظم: 9: 232- 233، 242- 243.

وأمره أن يتصدى لجيش دبيس بن صدقة، فهجم عليه واحتل النعمانية بعد أن فتك بجيشه، وصار دبيس يتقيه، ويتجنب حربه، وبرز عماد الدين في الادارة والحرب وتوطيد الامور، فهابه أمراء الأطراف وخاصة دبيس، فلم يكن يرهب البرسقي بقدر ما كان يرهب جانب عماد الدين.

همّ دبيس بقصد بغداد سنة 517هـ، وفيها الخليفة المسترشد بالله– (512–529م) والبرسقي، فساروا إليه، ومعهما عماد الدين، وكان له وقع حسن في انتصارهم، فهو الذي أحكم تدبير الحرب، واندحر فيها دبيس، ولحق بالسلطان طغرلبك.

ولي السلطان شحنكية بغداد ((يرنقش الزكوى)) وأمر البرسقي أن يعود إلى الموصل، وأن يتهيأ لحرب الصليبيين، فاستدعى البرسقي عماد الدين ليسير معه، فضجر عماد الدين من كثرة التكاليف والحروب، ورأى من التدبير أن لايتعب نفسه وجيشه في سبيل أمير يستغله، وخير له أن يلحق بالسلطان نفسه، ليتولى الأمور والأعمال، لا باسم غيره، وخاصة أنه كان في مقدم الأمراء الذين يعتمد عليهم في المهمات.

ولما استدعاه البرسقي أبى أن يلحق به، جمع أصحابه وقال لهم: " قد ضجرنا مما نحن فيه، كل يوم قد ملك البلاد أميراً، ونؤمر بالتصرف على اختياره وإرادته، ثم تارة بالعراق، وتارة بالموصل، وتارة بالجزيرة، وتارة بالشام، فبم تشيرون أصنع؟ فأشار عليه زين الدين علي بن بكتكين، بخدمة السلطان، وهو ما كان يرغب به.

–2–

توجه إلى السلطان، والسلطان يعلم منزلته، ولكنه أراد أن يختبر أصحابه في أمره، فلم يظهر أول مساعدة أول قدومه إليه، كما أن الأمراء لم يحتفوا به، ثم أن السلطان أراد أن يبين للأمراء منزلة عماد الدين عنده: وركب يوماً ليلعب بالكرة، فدخل الميدان، فأخذ الجوكان(×) بيده، واستدعى عماد الدين زنكي وناوله إياه،

(×) قضيب تضرب به الكرة في لعبة الكرة والصولجان: وهو فارسي مُعَرَّب.

وقال له: " العب معنا، وهذا تقدير كبير قلما حظي به أمير من السلطان. ثم أن السلطان عاتب أمراءه ووبخهم على تقصيرهم بالحفاوة به، ورفع منزلته بأن زوّجه بزوجة الامير ((كندغدي)) وكان هذا من أكابر امراء السلطان، وقد جعله اتابكا لطغرل بك ومدبراً لدولته، فحسن له العصيان على السلطان محمود وتوفي وترك أموالاً وسلاحاً وثروة كبيرة، فزوجه من امرأته، وعظم شأنه بأن حضر مع الأمراء حفلة زواجه، فكان من مقدمي الأمراء الكبار لدى السلطان محمود، وبلغ من علو مرتبته عنده : أنه كان يقف على يمين تخت السلطان، لا يتقدمه أحد، وهو مكان أبيه من قبله.

عادت الفوضى إلى البصرة، وساء حال البلد لكثرة الغارات عليها، ورأى السلطان أن خير من يتولاها هو عماد الدين زنكي، فأقطعه إياها سنة 518هـ.[1]

تسلم زنكي البصرة، وصد هجمات الأعراب عنها، وأحسن إلى السكان، ووطد الأمن والاستقرار، كما اهتم بأمور مدينة واسط، ونظم إدارتها، فبرز في الادارة والحرب، وصار من أجل الأمراء الذين يعتمد عليهم السلطان في أمور العراق، فكان عماد الدين يطلع السلطان على مجريات الامور في العراق وخاصة في الحد من نفوذ الخليفة وطمعه في بسط نفوذه على مدينة واسط[2].

وفي سنة 519هـ ساءت العلاقة بين الخليفة المسترشد والسلطان محمود، فأرسل الخليفة جيشاً بقيادة ((عفيف الخادم)) لاحتلال واسط، فصدهم عماد الدين وفتك بهم، وتوجه السلطان محمود إلى بغداد، وعرض الصلح على الخليفة، فلم يقبل، ونشب القتال بينهما.

أرسل السلطان يستنجد بعماد الدين، فزحف هذا بجيش كبير براً، وملأ عدداً من الزوارق بالمقاتلة وحاصر بغداد بقوة كبيرة، مما اضطر الخليفة أن يقبل

---

(1) ، (2) الكامل: 10: 227، الباهر: 27– 28، المنتظم: 9: 249، البداية والنهاية: 9: 191

(1) : الكامل: 10: 242– 243، المنتظم: 9: 252– 259، الباهر: 28– 29.

الصلح، والفضل في حقن الدماء يعود إلى عماد الدين الذي زحف على بغداد بجيش كبير في البر والنهر.[1]

وقبل أن يغادر السلطان محمود (511- 525هـ) بغداد، استشار أصحابه فيمن يصلح أن يتولى ((شحنكية بغداد))، فيضبط العراق بقوة وحكمة، وكلهم أشاروا عليه بعماد الدين، الذي ظهرت كفاءته في البصرة وواسط. وفي 10/ ربيع الأول 520هـ صدر مرسوم بتوليته شحنكية بغداد إضافة إلى ما بيده من الاقطاع والبلاد وترك السلطان بغداد وهو مطمئن على نفوذه في العراق، لأنه عهد بأمره إلى رجل حازم يكفيه الأزمات والمشاكل، ويرضي الخليفة والسلطان، فقضى عماد الدين أربعة أشهر في منصبه هذا، ولم يحدث ما يعكر صفو البلاد.

-3-

بعد وفاة عز الدين مسعود بن البرسقي سنة 521هـ ، تولى البلاد طفل له صغير، يدبر أموره جاولي أحد مماليك جده.

رأى جاولي أن يرسل وفداً إلى بغداد، يعرض على السلطان تولية الطفل ابن عز الدين مسعود مكان أبيه، على أن يتولى هو تدبيره، وكان يطمع من هذا أن يكون صاحب الأمر في بلاد البرسقي: الموصل وديار الجزيرة وحلب وحماة وجزيرة ابن عمر وغيرها.

فأرسل إلى بغداد: بهاء الدين أبا الحسن علي بن القاسم الشهروزي، وصلاح الدين محمد الياغيسياني -أمير حاجب البرسقي- يعرضان على السلطان هذا، ويبذلان له الأموال في ذلك.

فانفرد صلاح الدين محمد الياغيسياني بنصير الدين جقر بن يعقوب – من أخص مماليك عماد الدين، وكان بينهما مصاهرة، فأبدى له جقر تخوفه من جاولي، وأنه اذا تمكن في البلد لايبقي منهم أحداً، واتفقا مع الشهروزي على أن يحملوا السلطان بتولية عماد الدين، بشرط أن يكون لبهاء الدين قضاء الموصل

وجميع البلاد وما فيها من القضاء والأمور الدينية، وأن تكون الحجبة وإمارة العسكر لصلاح الدين، وأن تكون ولاية الموصل إلى جقر، وقصدوا الوزير شرف الدين انو شروان أبو خالد، وبينوا له دقة الموقف في ديار الجزيرة والشام – بعد موت البرسقي– وتمكن الصليبيين في البلاد، ،ان حفيده طفل صغير يعجز عن مقاومتهم، ولا بد من رجل شهم ذي رأي وتجربة يتولى البلاد ويذب عنها، وقد انهينا الحال قبل فوات الوقت لنخلص من غضب الله ولوم السلطان. ولما رفع الوزير الأمر إلى السلطان طلب أعضاء الوفد واستشارهم فيمن يرونه أهلاً للأمر، فذكروا له عدة أشخاص منهم عماد الدين، وأثنوا على شجاعته وحسن تدبيره، والسلطان يعلم حق العلم ما عليه عماد الدين من حسن الإدارة في الولايات التي تولاها، وشجاعته في حروبه التي خاضها، فوره ما كان يتولاه البرسقي، وما يغنمه من بلاد الشام، وكتب له منشوراً بذلك[1]، وضم إليه ولديه ألب وأرسلان وفروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيهما، ((أتابك))[×] ولديه.

–4–

توجه عماد الدين إلى الموصل، وملك في طريقه مدينة ((البوازيج))، ليتخذها مقراً له إذا ما قاومه جاولي، وبعد أن تمكن في البلد توجه إلى الموصل.

وأما جاولي فإنه لم يبد مقاومة، بل توجه إلى استقبال عماد الدين ومعه الجيش، ولما رآه نزل عن الفرس وقبل الأرض، ثم قبل يده، وعاد في خدمته، فدخل زنكي الموصل بجيشه وجيش جاولي.

---

(1) الكامل : 10: 245– 246– 248، الاهر: 34– 35، ابن خلكان: 1: 97، ابن القلانسي: 216– 217، مفرج الكروب: 1: 31– 34، البداية والنهاية: 12: 196.

(×) اتابك: لفظ تركي مركب من اتا (اطا) بمعنى اب، وبك: بمعنى امير، وكان يطلق على من يربي اولاد الملوك السلاجقة – وفيات الاعيان: 1: 114، صبح الاعشى 1: 167، ى4: 18

وأول عمل باشره: أقطع جاولي ((الرحبة وأعمالها)) وسيره إليها، فأبعده عن الموصل، ثم أخذ ينظم أمور المدينة ويقرر قواعدها، واتخذها قاعدة له، فولى:

(1) نصير الدين جقر: دزدارية قلعة الموصل[1]، وفوض إليه دزدارية قلاع البلاد.

(2) جعل صلاح الدين محمد الياغيسياني أميراً حاجباً[2].

(3) وجعل بهاء الدين الشهروزي قاضي قضاة بلاده، جميعها وما يفتحه من بلاد، وزاده أملاكاً واقطاعاً، وكان هذا عنده من أعظم الناس منزلة، يستشيره في الأمور، ولا يصدر إلا عن رأيه[3].

وبعد أن رتب الأمور في البلد ونظم جيشه، وجه همه في فتح البلاد المواجهة للصليبيين، ليتخذ منها جبهة قوية تصدهم وتهاجمهم، فالصليبيون قد توغلوا في بلاد الشام، وامتد نفوذهم إلى بلاد الجزيرة، وفتكوا في البلاد، وأمراء المسلمين في تخاذل وتناحرهم مع بعضهم، يدفعون شر الصليبيين بمداراتهم والتقرب إليهم، ووصف ابن الأثير ما كانت عليه البلاد من ضعف وتخاذل، فقال:

" لما ملك المولى الشهيد البلاد، كان الفرنج قد اتسعت بلادهم، وكثرت أجنادهم، وعظمت هيبتهم، وزادت صولتهم، وتضاعفت سطوتهم، وعلا شرهم، واشتد بطشهم، وامتدت إلى بلاد الإسلام أيديهم، وضعف أهلها من كف عاديتهم، وتتابعت غزواتهم، وعم اهلها شديد حيفهم، وعظيم قهرهم، فنجوم سعد المسلمين منكدرة، وسماء عزهم منفطرة، وشمس اقبالهم مكورة، ورايات المشركين خلال ديار الاسلام منشورة، وأنصارهم على أهل الايمان منصورة.

وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية ماردين وشبختان إلى عريش مصر، لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحمص وحماة ودمشق، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر إلى آمد، فلم يبقوا على موحد ولا جاحد. ومن ديار الجزيرة إلى نصيبين ورأس العين، فاستأصلوا ما لأهلها من أثاث وعين.

---

(1) دزدار القلعة: محافظها.

(2) (3) الكامل: 10: 246، الباهر: 35، الروضتين: 1: 30، مفرج الكروب:1: 34.

وأما الرقة وحران فقد كان أهلها معهم في ذل وصغار، واستضعاف واقتسار، كل يوم قد أذاقوهم البوار، ومنعوهم القرار، وألصقوا بهم الصغار، فهم ينادون بالويل والثبور، ويودون لو أنهم من ساكني القبور.

وانقطعت الطرق إلى دمشق إلا على الرحبة والبر، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف، وركوب المفازة تعباً ومشقة ونصباً، ويخاطرون بالقرب من العرب بأموالهم وأنفسهم.

ثم زاد الأمر وعظم الشر، حتى جعلوا على كل بلد جاورهم خراجاً وأتاوة، يأخذونها منهم، ليكفوا أيديهم عنهم، ثم لم يقنعوا بذلك، حتى أرسلوا إلى مدينة دمشق، واستعرضوا الرقيق ممن أخذ من الروم والأرمن وسائر بلاد النصرانية، وخيروهم بين المقام عند أربابهم، أو العودة إلى أوطانهم، والرجوع إلى أهليهم وإخوانهم، فمن احتار المقام تركوه، ومن آثر العودة إلى أهله أخذوه، وناهيك بهذه الحالة ذلة للمسلمين وصغاراً، وللكافرين قدرة واقتساراً.

وأما حلب فإنهم أخذوا مناصفة أعمالها حتى في الرحى التي على ((باب الجنان)). وبينها وبين المدينة عشرون خطوة.

وأما باقي بلاد الشام فكان حالها أشد من هذين الحالين[1].

وعلى هذا فإن اول أعمال عماد الدين زنكي هو فتح البلاد الجزرية، وضمها إليه، ثم عبور الفرات والتوغل في بلاد الشام، ليجعل من هذه البلاد جبهة قوية في وجه الصليبيين فكان يريد ضربهم وانتزاع البلاد منهم.

فتوجه إلى ((جزيرة ابن عمر))، فهي أقرب البلاد إلى الموصل – وكانت أملاك البرسقي تابعة للموصل– وفيها مماليك البرسقي، فامتنعوا عن تسليمها فشدد الحصار عليها، وعبر جيشه سباحة وفي السفن والأكلاك وضيقوا على المدينة، فاضطر مماليك البرسقي إلى طلب الأمان، وتقرير الصلح على قواعد يرتضونها وسلموا المدينة إليه.

---

(1) الباهر: 32– 33.

للأمير حسام الدين تمرتاش ايلغازي بن أرتق صاحب ماردين– فلما حاصرها سار حسام الدين إلى ابن عمه ركن الدولة بن معين الدولة بن سقمان بن ارتق – صاحب حصن كيفا– واستنجد به، فوعده النجدة.

عاد حسام الدين إلى ماردين، وأرسل رقاعاً على جناح طائر إلى نصيبين، يعلم من بها من العسكر أنه وابن عمه سائران إليهم بالعسكر الكثير ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام حتى يصلوا إليه.

ومن حسن الصدف أن سقط الطائر على خيمة عماد الدين، فقرأ البطاقة وأمر أن يكتب غيرها: أن ابن عمي وعدني بالمساعدة وجمع الجيش، وما نتأخر عن الوصول إليكم أكثر من عشرين يوماً، ويأمرهم بحفظ البلد حتى يحضروا. ولم يكن للجيش قوة تساعدهم مقاومة جيش عماد الدين، فسلموا إليه البلد.

وبعد أن نظم إدارتها، سار إلى سنجار وهي مدينة تقع على الطريق الذي يصل بين بلاد الجزيرة والشام، ولا يمكن أن يستغني عنها من يريد التغلب على هذه البلاد فامتنعت عليه المدينة، وقاتله من بها، ولكنه شدد الحصار عليها، فسلموها واتصلوا بخدمته.

وسير منها الجيش إلى بلاد الخابور، فملكها جميعها، وعين لها الشحن ليتولوا تنظيمها وتدبير أمورها. [1]

ثم توجه إلى حران: وكانت المدينة في ضيق شديد مع الصليبيين الذين كانوا في الرها وسروج وغيرهما من بلاد الجزيرة، ولم يكن لحران من قوة تحمي حوزتها، ولما سمعوا بعماد الدين واستيلائه على البلاد، وحمايتها من الأعداء، راسلوه بالطاعة واستحثوه على الوصول إليهم، فسار مجداً إلى حران، وخرج إلى لقائه اهل المدينة فرحين مستبشرين، فوعدهم ومناهم.

كل هذا كان في سنة واحدة سنة 521هـ وفي حزيران توقف عماد الدين عن التوسع وقد خضعت له أكثر بلاد الجزيرة، ورأى من المصلحة أن يهادن ((

---

(1) الكامل : 10: 246– 247، الباهر: 36– 37، مفرج الكروب: 35– 37.

جوسلين)) صاحب الرها، لكي يتفرغ لتنظيم البلاد، وإعداد العدد والعدد ليعبر الفرات إلى بلاد الشام[1].

بعد موت مسعود بن البرسقي سادت الفوضى مدينة حلب، واغتنم الصليبيون هذا، فزحفوا على البلد، وضيقوا عليها وقاسموا أهلها، وكان نائب مسعود فيها ((قتلغ ابه)) قد ظلم الناس وصادرهم، فاجتمع أهل البلد إلى ((بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق)) – وكان قبل هذا صاحبها– واغتنموا فرصة انشغال قتلغ وأصحابه في الشرب فقبضوا عليهم، وزاد النزاع بين الطامعين، مما حمل الصليبيين بالتقدم إلى حلب، فتنازل لهم الحلبيون عن بعض المناطق الزراعية، وازدادت الحالة سوءاً في المدينة، واضطر الحلبيون إلى مفاتحة عماد الدين بالتقدم إليهم، كما أرسل إليه((شهاب الدين مالك بن سالم)) – صاحب قلعة جعبر – وشرح له سوء حال البلد، ومضايقة الصليبيين لها، ولعماد الدين مرسوم سلطاني بالموصل والجزيرة وبلاد الشام وما يفتحه من هذه البلاد – فأرسل جيشاً واستولى على القلعة ورتب أمورها، واستتب الأمر في البلد، فأرسل إليه صلاح الدين الياغيسياني أن يتوجه إلى حلب سنة 522هـ خرج إليه أهل البلد فرحين مستبشرين، فدخلوها وضبط أمورها، ونكل بأصحاب المطامع الذين أطمعوا العدو في البلد، فأرهبهم وشدد في عقابهم، فقتل ((قتلغ ابه)) وهرب الباقون متسللين لائذين بغيرهم، فخلصت البلاد من شرهم.

ثم التفت إلى تنظيم البلد، وعمارتها، فولى أمرها ((سوارين ايتكين)) وكان هذا بصيراً بالحرب وتدبير الأمور، وله وقعات رهيبة في قلوب الصليبيين.

وجدد سور حلب، وحصنها، ونقل جثة والده ((قسيم الدولة)) من ((قرنينا)) – وكان مدفوناً بها– ودفنه في شمال المدرسة الزجاجية[1]، وزاد في وقفها لأجل الفقراء المرتبين في التربة[2].

---

(2) الكامل : 10: 246– 247، الباهر: 36– 37، مفرج الكروب: 35– 37.

وباستيلائه على حلب جعل منها قاعدة حربية بوجه الصليبيين، يوجه قواته منها لضربهم، وكان له نصر مبين بعد أن استحكم شرهم في بلاد الشام.

-5-

وفي سنة 523هـ بينما كان عماد الدين جاداً في فتح البلاد، وتنظيم إدارتها، وإعداد الجيوش لمكافحة الأعداء، جاء السلطان محمود إلى بغداد، ومعه ديس بن صدقة الذي كان قد التجأ إليه، وعرض السلطان على الخليفة المسترشد أن يرضى عن دبيس، فأبى، وتقدم دبيس فعرض على الخليفة مائة ألف دينار على أن يوليه بعض البلاد، ولما علم عماد الدين أن السلطان يريد أن يوليه الموصل، توجه إلى بغداد بجيش كبير وتجمل وحمل معه مائة ألف دينار وهدايا قيمة وخيلاً للسلطان، وأعلم السلطان بأهمية ما يتولاه وما قد أعده لاعدائه.

وكان الرأي العام في بغداد مع عماد الدين، ولما دخل دبيس بغداد أظهروا كرهه وبغضه، وصاروا يلعنونه، فهو الذي حاول نهب بغداد – كما قدمنا– وهو الذي ساعد الصليبيين، ولعماد الدين من المواقف المشرفة مع الخليفة والسلطان وحفظ بغداد، وسعيه في جمع البلاد تحت راية واحدة ليفتك بالصليبيين.

والخليفة نفسه يفضل بقاء عماد الدين في الموصل، فكتب إليه السلطان مبيناً له مكانته واقتداره في حفظ البلاد، وكسر شوكة الأعداء، ومثالب دبيس وما فعله مع الصليبيين، وضمن للسلطان مائة ألف دينار على أن يعيد عماد الدين إلى ما كان عليه – كل هذا حمل السلطان أن يعيده، بعدما أضاف ثلاثة أيام وملكه:

---

(1) انشأها بدر الدولة ابو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن ارتق صاحب حلب سنة 516هـ وهي أول مدرسة بنيت بحلب (انظر عنها: الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: 1: 1: 96– 98)

(2) الكامل: 10: 247– 249، الباهر: 37– 38، مفرج الكروب: 1: 37– 40، زبدة الحلب: 2: 237– 245، ابو الفدا: 2: 239، البداية والنهاية: 12: 199– 200.

الموصل والجزيرة والرحبة وحلب، والتوقيع له بجميع البلاد الشامية، فعاد مسرعا إلى مكانه[1].

-6-

كانت حماة تابعة ((لتاج الملوك بوري بن طغتكين)) – صاحب دمشق– فولاها ابنه ((بهاء الدين سونج)) وكان ظالماً، ولما علم بأمره عماد الدين، عبر الفرات إلى بلاد الشام، وأظهر أنه يريد جهاد الصليبيين، وأرسل إلى تاج الملوك يطلب معونته، فأرسل هذا إلى ابنه سونج وجماعة من الأمراء المقدمين أن يسيروا إلى عماد الدين، فالتحقوا به، وأكرمهم وأحسن لقاءهم، وتركهم أياماً، ثم غدر بهم، فقبض على سونج والأمراء الذين كانوا معه، ونهب خيامهم واعتقلهم في حلب، وسار من يومه إلى ((حماة)) وكانت خالية من الجيش واستولى عليها.

وكان معه قرجان بن قراجة – صاحب حمص– وهو الذي حسن له الغدر بصاحب حماة– فقبض عليه عماد الدين ونهب خيامه وأمواله، وانتقم الله منه لظلمه الناس، وتقدم عماد الدين إلى حمص وحاصرها، وطلب من قرجان أن يأمر ولده وقواده بتسليمها، فأبوا وأدرك الشتاء، فعاد عماد الدين إلى الموصل ومعه قرجان والقواد الذين اعتقلهم[2].

-7-

---

(1) الكامل : 10: 249، المنتظم: 10: 11– 13، مرآة الجنان:3: 229، زبدة الحلب:2:237– 244، الباهر: 37– 38، مفرج الكروب:1:37– 40، ابو الفدا: 2: 239. النجوم الزاهرة:5: 234.

(1) الكامل : 10: 249، المنتظم: 10: 11– 12، مرآة الجنان:3: 229، زبدة الحلب:2:237– 244، الباهر: 37– 38، مفرج الكروب:1:37– 40، ابو الفدا: 2: 239. النجوم الزاهرة:5: 234.

بعد أن فرغ عماد الدين من البلاد الشامية ونظم أعمالها، ورتب جيشها، عاد إلى الموصل وديار الجزيرة، ليستريح جيشه، ويتجهز لغزو الأعداء، فتوجه إلى ((حصن الأثارب)) سنة 524هـ ، وكان بينه وبين حلب ثلاثة فراسخ، ومن به من الصليبيين قد ضيقوا على أهل حلب، فهم معهم في حرب مستمر، ولما علموا بعزمه جمعوا ما أمكنهم من جيش وعدد، لأنهم يعلمون قوة عماد الدين وبطشه، وأن هذه الواقعة لها ما بعدها.

أعد عماد الدين العُدد ليقصد حصن الأثارب ولما علم به أهل الحصن جمعوا ما أمكنهم، استشار عماد الدين أصحابه في أمر الحصن، فأشاروا عليه بالعودة لأن الصليبيين قد أعدوا ما أمكنهم، وما هو خطر عليهم ، ولا يدرون لمن ستكون العاقبة، فلم يوافقهم، وقال لهم: أن الفرنج متى رأونا عدنا من أيديهم طمعوا، وساروا في أثرنا، فخربوا بلادنا، ولابد من لقائهم على كل حال، فقصدهم في بلدهم يوقع الرعب في قلوبهم– وهو رأي صائب–.

تقدم إلى الحصن سنة 524هـ، وشدد في حربهم، فقاوموه مقاومة شديدة ولكنه ضربهم بقوة فانهزموا وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأمر عسكره بالاجهاز عليهم والفتك بهم، وقال لهم هذا اول مصاف عملناه معهم، فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم، ففعلوا ما أمر به، وبقيت عظام القتلى عشرات السنين، ثم هدم الحصن وجعله ركاماً، فكانت هذه الحرب شديدة الوقع على الصليبيين، وأعلمهم أنه قد جاءهم ما لم يكن في حسابهم، فردهم على أعقابهم، وكسر شوكتهم، وصار قصاراهم حفظ ما بأيديهم، بعد أن كانوا قد طمعوا في البلاد.

ثم داوم زحفه على حصن((حارم)) واجتمع من الصليبيين من لم يحضر واقعة حصن الأثارب، ومن نجا منها، ولكنهم عجزوا عن دفعه، وتقدموا إليه يسألونه الصلح على نصف دخل حارم(×) ، فأجابهم إلى ذلك، لأن جيشه كان تعباً من المعركة، وخير له أن يستريح ليكون على استعداد ليوم آخر[1].

(×) حصن حصين وكورة تجاه انطاكية، فيها اشجار ومياه(معجم البلدان: 1993)..
(1) الكامل: 10: 252– 253، الباهر: 93– 94، ابو الفدا: 3: 3– 4.

كان عماد الدين يغتنم الفرص للقضاء على الامارات المستسلمة التي أضعفت قوى المسلمين، وجعلت بلادهم طعمة للأعداء، وبعد أن أعطى درساً قاسياً للصليبيين، عاد إلى بلاد الجزيرة.

بلغه أن((حسام الدين تمر تاش بن ايلغازي الأرتقي)) – صاحب ماردين– وابن عمه ((داود بن سقمان)) – صاحب حصن كيفا– ومعهما صاحب آمد قد اجتمعوا لحربه في عشرين ألف مقاتل، وهم يريدون قصده، واسترجاع نصيبين، لأنها من المدن المهمة، ومنها يكون انطلاق جيوشه إلى الامارات الأرتقية في منطقة ديار بكر، وعماد الدين قد دبر أمورها واتخذها مركزاً حربياً لتسيير جيوشه منها.

فسار إليهم في أربعة آلاف مقاتل، وشدد في حربهم وضربهم، فاندحروا، وفر الأرتقيون، فزحف إلى ((سرجة))(×) – سرجين– وملكها ثم إلى دارا واستولى عليها مع عدة قلاع، وأراد أن يداوم بزحفه إلى حصن كيفا ويستولي عليها، ولكن وعورة الطريق وقلة جيشه حالا دون هذا.[1]

–9–

كان عماد الدين يراقب سير الأمور فيما يكون بين الخليفة والسلاجقة بتحفظ، فيحفظ توازنه، ويكون مع الطرف الذي يستفيد من محالفته.

ففي سنة 525هـ توفي السلطان محمود، وأراد عماد الدين أن يغتنم الفرصة فيحمل الخليفة المسترشد على أن يقيم الخطبة ببغداد للملك السلجوقي ((ألب أرسلان)) أتابكه الذي كان عنده في الموصل، ليعزز مكانته في البلاد، ويكون صاحب الكلمة فيها.

فلم يوافق الخليفة لأن أرسلان كان صبياً، وكان والده قد عهد بالأمر من بعده لولده داؤد – وقد خطب له الأمراء والحكام– وأن البت في هذا يكون بأمر

(×) حصن بين نصيبين ودنسير ودارا(معجم البلدان).

(2) الكامل: 10: 253، الباهر: 38– 39.

السلطان الكبير ((سنجر بن ملكشاه))، فهو عم الأولاد، وله الكلام الفصل في مثل هذا الأمر.[1]

كان سلاطين السلاجقة في نزاع مستمر على العرش السلجوقي، وعماد الدين يكون مع من يرجو نفعه، ولما تنازع السلطان مسعود مع أخيه ((سلجوق شاه بن محمد)) على السلطنة، ساعد عماد الدين السلطان مسعود على أن يعطيه مدينة أربل، ولكن جيشه اندحر قرب المعشوق وخسر عدداً من قواته بين قتيل وأسير وسار عماد الدين إلى تكريت وكان يتولى قلعتها ((نجم الدين أيوب بن شادي)) – والد صلاح الدين– فقدم له المعبر وأعانه في تدبير أمره ولم ينس عماد الدين هذا الفعل الجميل لنجم الدين، فقربه وأنعم عليه، واتخذه من رجاله، فكان سبباً لظهور أسرة أيوب[2].

إن مسعود وسلجوق كانا يحذران من عمهما ((سنجر)) إن استمر في النزاع، فإنه سيقضي عليهما، واتفقا على قتاله، فلجأ سنجر إلى عماد الدين على أن يقوم هو و ((دبيس بن صدقة)) في مساعدته باحتلال بغداد. والخطبة له فيها، على أن يولى عماد الدين شحنكية بغداد إضافة إلى ما كان بيده، وإقطاع الحلة ((لدبيس بن صدقة))[3].

أما الخليفة فكان مع سنجر، ولما اقترب عماد الدين ودبيس من بغداد تصدى لهما الخليفة وهزمهما.

ساءت العلاقة بين السلطان مسعود وعماد الدين، خاصة وأن مسعوداً غدا سلطاناً على سلاجقة العراق وفارس بعد أن قضى على خصومه، وكان مسعود

---

(1) مفرج الكروب: 46، 47، الباهر: 43، 119– 120، الكامل: 10: 257، المنتظم: 10: 25.

(2) مفرج الكروب: 46، 47، الباهر: 43، 119– 120، الكامل: 10: 257، المنتظم: 10: 25.

(3) الكامل: 10: 257– 258، الباهر: 244 المنتظم: 10: 25– 26.

(1) الكامل: 11: 2، الباهر: 47 مفرج الكروب: 1: 52، المنتظم: 10: 30.

يحذر جانب عماد الدين، ويرغب في استمالته إليه، كما كان الخليفة يريد أن يكسبه إلى جانبه.

وفي سنة 527 هـ كانت الحرب بين السلاجقة، ولجأ بعضهم إلى بغداد، فزاد نفوذ الخليفة، وصار يجني الأموال لحسابه، وأراد أن يغتنم الفرصة، فأرسل إلى عماد الدين الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الأسفراييني في رسالة فيها خشونة وتهديد، وزادها الأسفرييني ثقة منه بقوة الخليفة، وأنه يتكلم باسم أمير المؤمنين، فقبض عليه عماد الدين وأهانه، وأعلم الخليفة السلطان مسعود بما جرى، وسار الخليفة لحصار الموصل في ثلاثين ألف مقاتل، فترك عماد الدين الموصل إلى سنجار، وأبقى قسماً من جيشه فيها بقيادة نصير بن جقر ليدافع عنها، فحصن جقر الموصل ورمم سورها، وعمق خندقها، وتمكن من صد هجوم الخليفة ويفتك به، وقطع عنه الميرة ولم يتمكن الخليفة من فتح الموصل، فطالت مدة الحصار وجيشه في تناقص وضعف، كما أن السلطان مسعود لما علم بانشغال الخليفة بالحصار، توجه إلى بغداد، ومعه دبيس بن صدقة، فاضطر الخليفة إلى رفع الحصار والانحدار إلى بغداد قبل وصول مسعود إليها.[1]

رأى الخليفة المسترشد من مصلحته أن يصالح عماد الدين بعدما رأى من قوته وتدبيره، فأرسل إليه سنة 528 هـ يطلب التصالح، فأجابه عماد الدين لأن كلاً منهما كان ضد السلطان مسعود، ولما استمرت الهدايا والوفود بين الطرفين، فأرسل الخليفة قاضيه إلى عماد الدين، وفي سنة 529 هـ أرسل عماد الدين ابنه سيف الدين غازي إلى الخليفة مؤكداً له ولاءه وطاعته، فاستقبل استقبالاً حافلاً في موكب يسير إلى دار الخلافة وأنزل في دار أعدت له خصيصاً.[2]

-10-

---

(1) الكامل: 11: 10- 11، الباهر: 49، المنتظم: 45- 47.

كان عماد الدين قد وجه قوته إلى بلاد الجزيرة، للقضاء على الدويلات الضعيفة، وضرب الصليبيين في الشام وبلاد الجزيرة والحد من قوتهم، ولم يكن يهتم بالبلاد الشرقية المجاورة له، لأنه لم يكن فيها من يخشى منه، كما كانوا يحذرون جانبه.

ولما عظم امره وحارب الخليفة السلاجقة، ورأى من التدبير أن يستولي على هذه البلاد، فيكون في مأمن من أن يحالفهم الخليفة أو السلاجقة، خاصة وأنه رأى ميل بعضهم إلى الخليفة عندما حاصر الموصل سنة 528هـ، فأن عيسى الحميدي جمع الأتراك وساعد الخليفة في الحصار، فسار إلى بلاد الأكراد الحميدية واستولى على قلعتي العقر[1] وشوش[2] انتقاماً من عيسى الحميدي الذي ساعد الخليفة، وأجلى الحميدية عن بلادهم.

ولما رأى ((أبو الهيجاء بن عبد الله بن أبي الخليل بن مرزبان الهكاري)) صاحب قلعة: آشب والجزيرة ونوش ما فعله عماد الدين بالأكراد الحميدية، سار إلى عماد الدين في الموصل وطلب الأمان، وحمل إليه الأموال والهدايا، وبقي عنده في الموصل، وأعطى ابنه أحمد قلعة نوش، وترك في آشب نائبا عنه اسمه ((باو الأرجي)) وبها ابنه الصغير علي لتكون له.

وبعد موت أبي الهيجاء سار ابنه أحمد إلى آشب ليملكها، فمنعه باو، فاغتنم عماد الدين الفرصة وسار إلى آشب واستولى عليها وعاد إلى الموصل، وخرب نصير الدين جقر قلعة اشب، وبنى قلعة العمادية[3]((قلعة الجلاب))، واستولى

---

(2) العقر: وتسمى عقر الحميدية: يسكنها أكراد حميدية. وهي تابعة لمحافظة نينوى، وفيها قلعة حصينة، وتسمى اليوم ((عقرة)) وهي مدينة جميلة فيها بساتين كثيرة (منية الادباء: 54)

(3) شوش: قرية كبيرة تابعة لعقرة، فيها قلعة قديمة، والقرية في سفح الجبل. مشهورة بجودة التين . (منية الادباء: 54)

(1) العمادية:من امنع القلاع الهكارية تبعد عن الموصل 168 كيلو مترا تحف بها الوديان من جهاتها الاربع وكانت في العهد الاشوري تسمى آمات، والعمادية مشيدة على النقاض قلعة آمات سنة 537 ه واما آشب فهي قلعة خربة قرب العمادية تسمى في الوقت الحاضر (قلعة آشوا)

على قلاع المهرانية، وبلاد الهكارية، وقلعة أردمشت وبذا استولى على القلاع المنيعة التي كانت في الجهة الشرقية من بلاده، فأمن جانبهم[1].

-11-

رأى عماد الدين أن يستولي على الطريق الذي بين أربل وبغداد، وما حوله من قلاع ليأمن جانب الخليفة والسلاجقة، فسار إلى ((داقوق)) سنة 531 هـ وشدد الحصار عليها، وفتحها.

وبما أن ((شهرزور)) وسط سهل واسع يمتد بين أربل وهمدان يسكنه الأكراد ويحكمهم الأمير ((قفجاق بن أرسلان تاش التركماني)) وكان نافذ الكلمة في البلاد، ويرى التركمان طاعته مما جعل الملوك والأمراء يتجنبون بلاده، ولايخفى ما لهذا من خطر على ممتلكات عماد الدين –وكان أصحابه يحذرونه بعدم التعرض له، ولكنه رأى لا بد من منازلته وإزالة الخطر الذي يحذره منه، إذ ربما تحالف مع السلطان مسعود عليه، فيكون خطره أكبر مما هو عليه الآن.

وفي سنة 534 هـ سير جيشاً قوياً إليه، وأخذ قفجاق يستدعي الأتراك، ولكن جيش عماد الدين كان يتلقاهم بشجاعة وثبات، ويفتك فيهم، فانهزموا تاركين أثقالهم، واستمر زحف جيش عماد الدين إلى قلعة شهرزور ودخلوها بلا مقاومة، ثم أخذوا يطاردون الأتراك وفرقوهم، وأمرهم عماد الدين بحسن معاملة الأكراد، وإصلاح حالهم، وإزالة التكاليف التي كانوا يلقونها من الأتراك، ثم بذلوا الأمان لقفجاق فأجابهم، ودخل يعمل في جيش عماد الدين، وهكذا سيطر عماد الدين على هذا الموقع المهم[2].

-12-

منية الادباء: 218- 220

(2) الكامل: 11: 5- 6، ابو الفدا: 3: 8، مفرج الكروب:1 :55- 56.

(1) الكامل: 11: 31، الباهر: 57- 58.

كان عماد الدين لا يترك الصليبيين بلا حرب، فكان يباغتهم ويفتك بهم ولا يمهلهم ليجمعوا قوتهم وفي سنة 530 هـ أرسل – على حين غفلة– جيشاً كبيراً إلى اللاذقية، ولم يكن الصليبيون يتوقعون حربه، ففتك جيشه في المدينة قتلاً وأسراً، وغنموا غنائم كثيرة، وأسروا سبعة آلاف اسير وعادوا إلى ((شيزر)) مثقلين بالغنائم بعد أن خربوا المدينة. كانت هذه الواقعة ضربة قوية للصليبيين، أعلمتهم أن حروبه مع غيرهم لم تثنه عنهم، فهو لهم بالمرصاد. كما أنها عززت مكانته عند المسلمين وصار يخشاه أهل البلاد المجاورة ويخطبون وده[1].

–13–

لما اشتد النزاع بين الخليفة الراشد والسلطان مسعود، لجأ الخليفة إلى عماد الدين، وسار معه إلى الموصل، وهذا ما حمل السلطان أن يخلع الخليفة ويبايع المتقي لأمر الله.

كان عماد الدين يريد أن يقوي مركزه بوجود الخليفة الراشد عنده، فأرسل وفداً إلى بغداد، وعليه كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري ليفاوض السلطان في أمر تقرير الخلافة للراشد. كما أرسل الخليفة الراشد رسولاً آخر معه، أما رسول الخليفة فلم تسمع رسالته، ولكنهم احتفوا برسول عماد الدين وأكرموه كثيراً، ولما حضر الديوان أعلمهم أن أمير المؤمنين عندهم في الموصل، وأن بيعته في رقاب المسلمين، ولا يجوز مبايعة غيره.

ثم أنهم استمالوه بالهدايا والتحف والمال ورغبوه في مبايعة المتقي، وشهد الشهود بما يوجب خلع الخليفة الراشد. فرضي الشهرزوري على أن يعطي عماد الدين ما يرضيه من عطاء الخليفة، صريفيين ودرب هارون وأن يزاد في القابه. وهذا إنعام لم يسمح لأحد من أمراء الأطراف أن يكون له في أملاك الخليفة في العراق اقطاع، وعاد الشهرزوري بعد أن حلف السلطان، واستحلفه السلطان لعماد الدين[2].

---

(2) الكامل:11: 16– 17، ابن القلانسي: 255، أبو الفدا: 3: 11.

(1) الكامل:11: 17– 19، الباهر: 53– 54، ابو الفدا: 3: 11، زبدة الحلب: 2: 259– 260.

التفت عماد الدين بعد هذا إلى الشام، وحاصر قلعة ((بارين)) – بعرين– سنة 531هـ، وضيق عليها، فخف الصليبيون لانقاذها، فصدهم وفرق شملهم، وعرض عليه أهل بعرين يطلبون الأمان، فشرط عليهم تسليم الحصن وخمسين ألف دينار، ففعلوا، واغتنم فرصة اندحار الصليبيين ففتح المعرة و كفرطاب، وأعاد أملاك المسلمين التي كان قد اغتصبها الصليبون إلى أصحابها[1].

وفي سنة 532هـ تسلم حصن المجدل، وكان لصاحب دمشق، وراسله صاحب بانياس وأطاعه[2].

خاف الصليبون عاقبة هذا الزحف القوي، فجمعوا أمرهم، واستنجدوا بملك البيزنطيين ((يوحنا الثاني كالوجوهانيز colohogome))، ولم يكن لعماد الدين قدرة على استمرار مقاومتهم، فسعى في بث التفرقة بينهم، وحذر الصليبيين من الملك البيزنطي وقوته، وأنه سيقوم بالاستيلاء على بلادهم، وأوهم ملك البيزنطيين أن الصليبيين غير مطمئنين به، وأنهم سيتخلون عنه، ففرق بينهم، فانسحب ملك البيزنطيين عن مدينة شيزر، وترك ما كان عنده من أدوات الحرب، وطارد عسكر عماد الدين ، وفتك بهم، ثم انثنى على الصليبيين وفرقهم، وفي هذا يقول المسلم بن الخضر ابن المسلم بن قسيم الحموي:[3]

المنتظم: 10: 67– 68، مفرج الكروب: 1: 70.

(2) الكامل: 11: 32، أبو الفدا: 3: 12– 13.

(3) الكامل: 11: 32، أبو الفدا: 3: 12.

(1) الكامل: 11: 28– 29، الموصل في العهد الاتابكي: 24.

بعزمـــك أيهـــا الملـــك العظـــيم ... تـــذل لـــك الصـــعاب وتســـتقيم
ألـــم تـــر أن كلـــب الـــروم لمـــا ... تبـــين أنـــك الملـــك الـــرحيم
فجـــاء يطبـــق الفلـــوات خـــيلاً ... كـــأن الجحفـــل الليـــل البهـــيم
فحـــين رميتـــه بـــك فـــي خمـــيس ... تـــيقن أن ذلـــك لا يـــدوم
وأبصـــر فـــي المفاضـــة منـــك ليثـــاً ... فـــأخرق – لايســـير ولا يقـــيم
كأنـــك فـــي العجـــاج شـــهاب نـــور ... توقـــد، وهـــو شـــيطان رجـــيم
أراد بقـــــاء مهجتـــــه فولـــــى ... ولـــيس ســـوى الحمـــام لـــه حمـــيم
يؤمـــل ان تجـــود بهـــا عليـــه ... وأنـــت بهـــا وبالـــدنيا كـــريم
أيلـــتمس الفـــرنج لـــديك عفـــواً ... وأنـــت بقطـــع دابهـــا زعـــيم
وكـــم جرعتهـــا غصـــص المنايـــا ... بيـــوم فيـــه يكتهـــل الفطـــيم
ولمـــا أن طلبـــتهم تمنـــى الـــ ... منيـــــة جوســـــلينهم اللئـــــيم
فســـار – ومـــا يعادلـــه مليـــك ... وعـــاد – ومـــا يعادلـــه ســـقيم–
إذا خطـــرت ســـيوفك فـــي نفـــوس ... .. فـــأول مـــا يفارقهـــا الجســـوم

كانت مدينة دمشق من أهم الحواضر التي سعى عماد الدين بأخذها من أبناء ((طغتكين))، وصار يترقب الفرص. وكان أميرها اسماعيل بن بوري سيء السيرة ظالماً، لم يرض أهل دمشق عن أعماله، وهم معه في نزاع مستمر، فلجأ هذا إلى عماد الدين، وكتب إليه أن يسلمه المدينة على أن ينتقم له من خصومه، وإلا فإنه سيسلمها إلى الصليبيين، وأن أهل البلد دبروا مع امه فاغتالوه سنة 529هـ وأقاموا أخاه محمود في محله، فزحف عماد الدين إلى المدينة، وشدد عليها الحصار، فدافع أهلها عنها،وقدموا خمسين ألف دينار للخليفة على أن يحمل عماد الدين على رفع الحصار، وهم يدفعون له كل سنة هذا المبلغ، فرفع الحصار عنها، وتوجه إلى حماة واستعادها، ثم زحف إلى حمص فحاصرها إلى سنة 530هـ، فلم يتمكن من فتحها خاصة بعدما علم أن الصليبيين يريدون مباغتته، وبعد أن دحر الصليبيين واستولى على حصن المجدل وبعلبك وبانياس، وهي معاقل مهمة لآل

طغتكين، هم أن يزحف إلى دمشق ولكن تهديد امبراطور البيزنطيين أشغله عنها[1].

لجأ عماد الدين إلى الطرق السلمية في معالجة الموقف مع الدمشقيين، فوطد علاقته معهم بالمصاهرة، فتزوج من ((صفوة الملك زمرد خاتون بنت الامير جاولي)) والدة محمود حاكم دمشق، وزوج حاكم دمشق من ابنته، سنة 532هـ وتم الأمر على أن يسلموه حمص ويعوض وإليها حصن بعرين[2].

وفي سنة 533هـ قتل شهاب الدين محمود مماليكه، فكتب ((أنر)) نائبه إلى أخيه الصغير ((جمال الدين محمد بن بوري)) يستحثه، فأسرع هذا إلى دمشق وحلف له الجند، وصار((أنر)) هو الحاكم المطلق في البلد، وفي سنة 534هـ أعاد عماد الدين الكرة على حصار دمشق، وفاتح أهلها ومناهم وبذل لصاحبها جمال الدين بعلبك وحمص، فلم يأمن أهل البلد جانبه، ومات جمال الدين، فأقاموا ابنه مجير الدين ارتق بن محمد و((أنر)) هو صاحب الدولة، فاستجار بالصليبيين فتقدموا لنجدته، وصدهم عماد الدين، ولم يفلح في فتح دمشق.

ولو قدر لعماد الدين أن يفتح دمشق ويستولي على أملاك بني طغتكين، لكان نصراً مبيناً للمسلمين، وفي استطاعته أن يضرب الصليبيين اقوى ضربة، ولكن مطامع ذوي النفوس الدنيئة، وتقديم مصالحهم الخاصة على مصالح البلاد، دفعهم أن يستنجدوا بأعدائهم، وأخروا تحرير البلاد من الدخلاء.

وفي سنة 540هـ استعد عماد الدين ما أمكنه لفتح دمشق، ولما كان في الرها علم أن سكانها من الأرمن قد راسلوا ((جوسلين الأرمني))، وهم يستعدون لاعادتها إلى الصليبيين، فتوجه إليهم ونكل بهم.

حاصر قلعة ((جعبر)) وهي ((لعلي بن سالم العقيلي)) فاغتاله مماليكه بتدبيرمن الصليبيين وأمراء السوء الذين باعوا البلاد والعباد لاعدائهم. قتله مملوكه يرنقش

---

(1) ابن القلانسي: 248، 252، الكامل: 11: 15– 16، زبدة الحلب: 2: 259– 262.

(2) الكامل: 11: 32، ابن القلانسي: 266– 267، مرآة الزمان: 8: 165.

في 5 ربيع الأول، وفر إلى قلعة جعبر، ولما أعلمهم بقتله، قالوا له: اذهب إلى لعنة الله، قتلت المسلمين كلهم بقتله[1].

-15-

كان عماد الدين أقوى شخصية في الشرق الأوسط، الكل يحذرونه ويداروه ويخشون بأسه، ولا شك بأن حادثة قتله كانت مؤامرة دنيئة دبرها أمراء الأطراف مع الصليبيين والباطنية، وكلهم أعداؤه، قد كسر شوكتهم، ونكل بهم، فكانت حياته دوراً فاصلاً في تاريخ الشرق، قضى على الإمارات الهزيلة والنفوس الذليلة التي كانت تتحكم في أهل البلاد، وجمع القوات الإسلامية تحت راية واحدة، فانثنوا على الصليبيين ودحروهم، وحرروا بلاداً كثيرة من ظلمهم – وصاروا مهاجمين بعد أن كانوا مدافعين، ولو مد الله في حياته لوجدناه يطهر البلاد من الصليبيين وأذنابهم، فهو الذي بعث في أهل البلاد العزة والكرامة، فكانت أعماله وسيرته قدوة صالحة، سار عليها ولده نور الدين، واقتفى أثره صلاح الدين الأيوبي، فكانت أعمالهما إتماماً لما قام به عماد الدين، فهو الذي خطط ونظم.

لم يرث عماد الدين ملكاً أو ثروة، وإنما شب منذ نعومة أظفاره على الحرب وقيادة الجيوش وتدبير المعارك، لم يعرف الراحة، مجداً في أعماله، يهدف إلى جمع القوى تحت راية واحدة لتطهير البلاد من الدخلاء – الصليبيين- فهو رجل حرب وضرب وسياسة وتدبير، يكون أمام جيشه عند اشتداد الأمر، وقدوة صالحة في التفادي والهجوم على الأعداء، تمكن بدهائه وحسن تدبيره أن يؤسس دولة مرهوبة الجانب، تمتد من شهرزور شرقاً إلى أواسط بلاد الشام غرباً، ومن آمد وديار بكر وجبال الأكراد الهكارية والحميدية شمالاً إلى الحديثة جنوباً، فكان الملوك يسترشدون برأيه ويستعينون بشجاعته وقوة جيشه، فكانت حياته: ((إما لصد عدو يقصده، أو لانقاذ بلد، أو لغزو الفرنج- الصليبيين- وسد الثغور،

---

(1) الكامل: 11: 44- 45، مرآة الزمان: 8: 190- 191، زبدة الحلب: 2: 282.

فكانت مياثر السروج آثر عنده من وثير المهاد، والسهر في حراسة المملكة أحب إليه من عرض الوساد، وأصوات السلاح ألذّ في سمعه من غناء القينات))[1].

وامتاز عماد الدين بصفات أكسبته النصر والظفر، وذلك:

(1) كان يحسن اختيار الرجال ذوي الهمم العالية، والآراء الصائبة، والأنفس الأبية، ويوسع عليهم في العطاء، فاجتمع عنده من رجال الادارة والسياسة والجيش والتدبير والعلم والدين ما لم يجتمع عند غيره. يقول ابن الأثير: ((كانت دولة أتابك مملوءة بالرجال والأجناد وذوي الرأي والتجربة))[2].

وكان يمتحنهم فإذا وثق من عامل لا يتغير عليه أبداً، فلا يرفع أحداً فوق قدره الذي يستحقه، ولا يضعه دونه، ويثق إلى كل منهم على قدر ما يعلم منه، ويقول ابن الأثير عنه: ((كان قليل التلون والتنقل، بطيء الملل والتغير، شديد العزم، لم يتغير على أحد من أصحابه مذ ملك إلى أن قتل، إلا بذنب يوجب التغير، والأمراء المقدمون الذين كانوا معه أولاً الذين بقوا أخيراً من سلم منهم من الموت، فلهذا كانوا ينصحونه ويبذلون نفوسهم في خدمته)).

(2) كان يجزل لهم العطاء ويعطيهم ما يفيض عن حاجتهم، قيل له مرة: إن كمال الدين الشهرزوري يحصل له كل سنة منك ما يزيد على عشرة الاف دينار أميرية، وغيره يقنع منك بخمسمائة دينار، فقال لهم: بهذا العقل والتدبير تديرون دولتي؟ إن كمال الدين يقل له هذا القدر، فإن شغلاً واحداً يقوم به كمال الدين خير من مئة ألف دينار.

---

(1) الباهر:58.

(2) الباهر: 79، 83 وممن نقلهم من حلب إلى الموصل، ليستفيد منعلمهم وتدبيرهم: الشريف زهرة بن علي بن محمد بن ابراهيم الاسحاقي والحسيني كان من أكابر الرجال وذوي الرأي والأصالة والوجاهة مقدماً في بلده، يرجع الناس إلى أمره ونهيه، معظم القدر نقله عماد الدين سنة 539 إلى الموصل، ونقل معه القاضي ابا الحسن بن الخشاب، وعز الدين أبا عبدالله محمد بن اسماعيل الحلبي وغيرهم، الاعلاق الخطيرة: 1: 1: 97.

ونحن نعلم من هو كمال الدين، ومواقفه مع عماد الدين مذ تولى إلى أن توفي، فهو من مدبري دولته، ومن أخلص الناس له في حياته وبعد مماته.
هذا العطاء الواسع لرجال دولته، وشدته معهم، كفهم التسلط على أموال الناس، فلم يبق لهم عذراً في ذلك.

(3) يمنع أصحابه من اقتناء الأملاك، لأنه يعلم حق العلم أن الأملاك إذا صارت إلى ذوي السلطان، فإنهم يظلمون الناس ويغصبون حقوقهم، وكان يقول لأصحابه: ((مهما كانت البلاد لنا فأي حاجة لكم إلى الأملاك، فإن الاقطاعات تغني عنها، وإن خرجت البلاد عن أيدينا فإن الأملاك تذهب معها، ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم أملاكهم)) [1].

(4) منع رجال دولته من أثقال أهل البلاد بالضيافات كما كان عليه الأمر، وعين لكل قادم محل ضيافته: فإن كان جندياً اشتمل عليه الأجناد وأضافوه، وأن كان صاحب ديوان قصد أهل الديوان، وأن كان عالماً قصد القضاة بني الشهرزوري، فيحسنون إليه ويؤنسون غربته، وأراح أهل البلاد مما كانوا يلاقونه من الضيافات.

(5) كان لا يمكن أحداً من رجال دولته من مفارقة البلاد، خشية أن يستعين به العدو في الوقوف على أسرار بلاده ويقول: إن البلاد كبستان عليه سياج فمن كان خارج السياج يهاب الدخول، فإذا خرج منها من يدل على عورتها، ويطمع العدو فيها، زالت الهيبة وتطرق الخصوم إليها [2].
ولا يمكن رسول ملك يعبر في بلاده بغير أمره، فإذا استأذنه رسول في هذا، أرسل إليه من يسيره، ولا يتركه يجتمع بأحد من الرعية ولا غيرهم، فكان الرسول يدخل بلاده ويخرج منها ولم يعلم من أحوال شيئاً[3].

---

(1) الباهر: 76، 83، 99.

(1) – (2) الباهر: 76، 83، 99.
(3) الباهر: 78.

(6) شديد العناية بأخبار أمراء الأطراف، وما يجري لأصحابها، حتى في هذا خلواتهم، ولا سيما أخبار السلاطين السلاجقة، ويبذل المال الكثير في هذا، فكان له من يوافيه بأخبارهم، وما يجري في خلواتهم ليلاً ونهاراً، من أخبار الحرب والسلم، وهزل وجد، يصل إليه كل يوم من عيونه ما يطلعونه به.

(7) شديد العناية والتقصي لما يكون في بلاده، فكان يطلع على الأمور صغيرها وكبيرها، ويبدي رأيه فيها، ويقول: إذا لم يعرف الصغير ليمنع، صار كبيراً[1].

(8) يعنى بجيشه عناية فائقة: يحسن تدريبه وتجهيزه بأحسن العدد الحربية وأقواها، ويقود الجيوش بنفسه ويجعل نفسه قدوة لهم في التفادي والهجوم على الأعداء. فحروبه دينية، هي محاربة الصليبيين الذين عاثوا في البلاد، فهو يسير في جهاد مقدس، والجهاد في الاسلام من أفضل العبادات التي تقرب العبد من ربه، فكان يشوق جيشه ويحثهم على إنقاذ البلاد من الطغاة الذين نكثوا في البلاد والعباد.

شديد الهيبة على عسكره، يعطيهم ما يفيض عن حاجتهم، ويمنعهم من أن يعتدوا على أحد، فإذا سار بجيشه مشى العسكر خلفه كأنهم بين خطين، مخافة أن يدوس العسكر شيئاً من الزرع، ولا يجسر أحد أن يدوس عرقاً منه، ولا يمشي فرسه فيه، ولا يجسر أحد من أجناده أن يأخذ لفلاح علاقة تبن إلاّ بثمنها، أو بخط من الديوان وإن تعدى أحد صلبه، يكف جيشه عن الظلم وهم يخشون جانبه ويحذرون عقابه[2]، ومن ذلك نزل بجزيرة ابن عمر – وكان الفصل شتاء – ونزل العسكر بالخيام، ونزل أحد أكابر أمرائه عز الدين أبو بكر الدبيسي – وكان من ذوي الرأي عنده – بدار إنسان يهودي أخرجه منها، فاستغاث اليهودي بعماد الدين والدبيسي إلى جانبه، فنظر عماد الدين إليه نظر مغضب، ولم يكلمه كلمة واحدة، فتأخر الدبيسي القهقرى، ودخل البلد، وأخرج خيامه وأمر بنصبها خارج البلد، وأخلى دار اليهودي من ساعته[3]. شديد المحافظة على أسر الجنود الذين

---

(1) زبدة الحلب: 2: 283– 284.

(2) الباهر: 76.

يسيرون معه وإذا تعرض أحد لهم فإنه ينال أشد العقاب منه، كما فعل في دزدار جزيرة ابن عمر: وكان يقول: إن جندي لا يفارقوني في أسفاري، وقلما يقيمون عند أهلهم، فإن نحن لم نمنع من التعرض إلى حرمهم هلكن وفسدن. يحرص على دفع رواتب جيشه في أوقاتها، ويغضب أشد الغضب على المسؤولين إذا ما قصروا في دفعها: شكا إليه بعض الخراسانية تأخر رواتبهم، ولم يرفعوا أمرهم إلى المسؤولين. فسألهم عماد الدين: أشكوتم أمركم إلى الديوان؟ قالوا: لا. قال: فهل ذكرتم حالكم لصلاح الدين أمير حاجب؟ قالوا : لا فعاتبهم بأن عليهم أن يرفعوا أمرهم إلى المسؤولين، فإن أهملوا رفعوا أمرهم إليه.

كما أنه عاتب الديوان وصلاح الدين وقال لهم: " إذا كنتم تهملون أمر جندي الذين تحت ركابي، ومن هم ملازمي في سفري وإقامتي، وبهم من الحاجة إلى النفقات في أسفارهم ما تعلمونه، فكيف يكون الحال من بعد عني؟" وأنكر عليهم[1].

(9) كان يتفقد أحوال بلاده ويستفيد من قابليات بعض القبائل في الحروب، وسد الثغور، ومقاتلة الأعداء، ويملك بعضهم ما يستفيدونه من بلاد الصليبيين، لكي يثبتوا في محلاتهم، ويضاعف قواتهم في الجهاد والحرب.

ومن ذلك ما فعله مع طائفة من التركمان الايوانية ((فانهم كانوا أهل حرب وبأس وتدبير، فنقلهم إلى مدينة حلب مع أميرهم ((الياروق)) وأمرهم بجهاد الصليبيين، وأملكهم كل ما استنقذوه من البلاد، وجعل الياروق ملكاً عليهم، فكانوا اقوى جيش لاقاه الصليبيون، لا ينفكون عن قتالهم واستولوا على الكثير من الحصون، وحموا الثغور وبقيت البلاد بأيديهم إلى نحو سنة ستمائة للهجرة[2].

فقد أحسن التدبير في دفعهم عن بلاده، واستفاد منهم في مقاومة العدو، فكانوا سداً منيعاً بوجه الصليبيين، يغزونهم ويفتكون بهم.

---

(1) – (2) الباهر:76، 86، 99، الكامل: 11: 36.

(3) الكامل: 11: 36.

ولما ملك مدينة الحديثة سنة 537هـ وجد بها جماعة قوية من بل مهارش العقيلي، وعليهم غلام بن سليمان بن مهارش العقيلي، ورأى من الصواب أن ينقلهم من حديثة عانة التي كانت ملكاً لهم، فعزل غلام ونقل الحديثيين إلى الموصل فأمن جانبهم واستفاد منهم في الحروب[1].

(10) ومن حسن سياسته انه كان لا يظهر الخروج على السلطان أو حربه، فإذا ما بدر من السلطان، فأنه كان يحمل أمراء الاطراف على الخروج على السلطان، فإذا فعلوا، استعان به السلطان، وطلب إليه أن يحملهم على طاعته، فيكون عماد الدين كالحاكم على الجميع كلهم يدارونه وينقادون إلى ما يقرره[2].

وإذا تحالف ضده أعداؤه، فإنه كان يسعى في التفريق بينهم، فيخيف بعضهم، من بعضهم، فيفرقهم ويأمن شرهم.

ولم يركز إلى قوته إلى جهة معينة، وهو محاط بعدة دول وإمارات، فكان يقصد هذا مرة، ويأخذ من غيره، ويصانع الآخر، ويغض الطرف عن البعض حتى تحين له الفرصة، حتى ملك البلاد.

(11) وكان ديوانه يضاهي دواوين السلاطين السلاجقة في الفخامة والتجمل وعظم الحاشية والخرج ليظهر قوته أمام أعدائه ومنافسيه[3].

يوزع ثروته في عدة بلاد، فيجعل بعضها في الموصل، وبعضها في سنجار، وبعضها في حلب، إن جرى على بعضها خلل أو حيل بينها وبينه، استعان على سد الخلل في المال الذي في غيرها[4].

وهكذا ساد بلاده الأمن والرخاء بحسن سياسته، وعدله على أيدي المعتدين، وإعطاء كل ذي حق حقه، فهاجر الناس إليها، واتخذوها دار اقامة وأمن وعزة.

---

(4) الروضتين: 1: 44.

(1)- (2) الروضتين: 1: 44.

سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي
541- 544هـ

لما قتل عماد الدين كان معه ابنه نور الدين محمود، والملك ((ألب أرسلان بن محمود السلجوقي)). أما ابنه سيف الدين غازي فكان في بلاد شهرزور.

والمتنفذ في الدولة وزيره ((جمال الدين محمد بن علي المعروف بالجواد الأصفهاني))، وأمير حاجب ((صلاح الدين محمد الياغيسياني))، وبينهما عداوة، فخاف الأصفهاني من الياغيسياني واختفى عند أحد الأمراء، ثم بدا له أن يفاتح الياغيسياني في تقرير أمر البلاد قبل فوات الفرصة، لأن ألب أرسلان قد اجتمعت عليه الجيوش، ولربما فقدا مكانتهما في الدولة.

فأرسل جمال الدين إلى الياغيسياني يعلمه: أن الأمر سيخرج من أيديهم، وأن المصلحة أن نترك ما كان بيننا وراء ظهورنا، ونسلك طريقاً يبقى به الملك في أولاد صاحبنا، جزاء لاحسانه إلينا، فإن الملك قد طمع في البلاد، واجتمعت عليه العساكر، ولئن لم نتلاف هذا الأمر في أوله، ونتداركه في بدايته، ليتسعن الخرق، ولا يمكن رقعه.

فأجابه الياغيسياني إلى ذلك، وركبا إلى الملك، وخدعاه بأن قالا له: إن أتابك – عماد الدين– كان نائباً عنك في البلاد، وإنا بإسمك كنا نطيعه، فظن قولهما حقاً، فقربهما واطمأن لهما.

ثم أنهما أرسلا إلى زين الدين يعلمانه بأن يستدعي سيف الدين غازي – الولد الأكبر لعماد الدين– من شهرزور ويمكنه في الموصل، وأشار أسد الدين شيركوه على نور الدين محمود أن يسير إلى حلب ودبر البلاد، خشية من هجوم الصليبيين.

أما جمال الدين فكان يحلف الأمراء لسيف الدين غازي، ويأمرهم بالمسير مع العساكر إلى الموصل، فأخذوا يتسللون إليها، ولم يبق مع الملك ألب أرسلان إلا عدد قليل من الجيش، وقد أشغله جمال الدين بالشرب والقيان، حتى تمكن أمر سيف الدين غازي.

سار ألب أرسلان إلى الرقة، ومنها إلى ماكسين وهو مشغول بلذاته، وأمره في ضعف وإدبار، ولما توجه إلى سنجار، أرسل جمال الدين إلى دزدار – محافظ قلعة سنجار أن يعلم ألب أرسلان بولائه وأنه تابع للموصل، فمتى دخلت الموصل سلمت إليك، فسار ألب أرسلان في نفر قليل من الجيش إلى بلد، وعبر الجانب الثاني من دجلة، وقد تمكن سيف الدين غازي بالرجال والعدد، فأرسل إلى ألب أرسلان الأمير عز الدين أبا بكر الدبيسي في جيش، فأسره واعتقله في قلعة الموصل، وكان آخر العهد به.

وأقر سيف الدين غازي على ما كان عليه من ولاية الموصل، وجعل الأصفهاني وزيره.

إن سيف الدين تربى في بلاط السلاجقة، وكان لهذا تأثير حسن في توجيهه وإطلاعه على أمور الحرب والسلم، وعلى إدارة البلاد، وسياسة المملكة، فكان يقلد السلاطين السلاجقة في زيه وركوبه ولإظهار قوته، وهو أول من حمل على رأسه السنجق[1] من الأطراف، فإنه لم يكن فيهم من يفعله لأجل السلاطين السلاجقة.

---

(1)السنجق: العلم.

وهو أول من أمر عسكره أن لايركب إلا والسيف في وسطه، والدبوس[1] تحت ركابه سفراً وحضراً، لم يكن يفعل ذلك في سائر البلاد إلا في السفر، وكان شديد العناية بجيشه، يعنى بطعامهم وراحتهم، فكان يذبح لجيشه كل يوم مائة شاة لطعامهم بكرة، فينزل الجند في خدمته ويحضرون الطعام، ويعد لهم سماطاً في آخر النهار، وكان يذبح يوم العيد ألف رأس من الغنم الجيد، سوى الجمال والبقر والدجاج، ويمد السماط لجيشه وخواصه ومن يحضر في بلاطه.

فكان جيشه مضرب المثل في العدد والعدد والبأس والشدة يستعين به الأطراف، كلما ضاقت بهم الأمور.

وبعد وفاة عماد الدين ظن الصليبيون أنهم قادرون على استرجاع ما أخذه منهم، ولكن سيف الدين أعطاهم درساً بقوة جيشه، هو وأخوه نور الدين محمود قوة كبيرة تصدهم وتكبح جماحهم، فسار إلى أخيه نور الدين محمود في الشام، ليريهم أنه هو وأخوه دولة واحدة، في وجه من تسول له نفسه قصد البلاد.

وفي سنة 543هـ توجه ملك الألمان بجيش كبير إلى دمشق، واجتمع معه صليبيو الشام. وكان أنر المتحكم في دمشق والمدبر للبلد والعسكر، عاقلاً ديناً، حسن السيرة فدافع عن المدينة دفاعاً قوياً، وكتب إلى سيف الدين يستغيث به، ويستنجده ويعلمه شدة الأمر، فأجابه سيف الدين: قد حضرت ومعي كل من يطيق على حمل السلاح من بلادي، وأرسل سيف الدين إلى الصليبيين يتهددهم، ويعلمهم انه يقصدهم إن لم يرجعوا. كما أرسل ((انر)) إلى ملك الألمان يهدده بسيف الدين ويقول له: قد حضر ملك الشرق ومعه العساكر ما لاطاقة لكم به، فأن أنتم رحلتم عنا وغلا سلمت البلد إليه، وحينئذ لا تطمعون في السلامة منه".

كما أرسل إلى صليبيي الشام الذين انضموا إلى ملك الألمان، يحذرهم بطش سيف الدين، وأنه لا يبقي عليهم إذا ما تغلب على ملك الألمان، ولأن سيف الدين سيتوجه إلى بيت المقدس، ولا تقدرون عليه، فانفضوا عنه – كان هذا بتأثير قوة سيف الدين وتدبير انر.

وعلم الصليبيون أن عماد الدين قد سلم الأمانة إلى أولاده الذين تدربوا على يده فكانت البلاد آمنة مطمئنة.

---

(2) الدبوس: قضيب من حديد في نهايته كتلة من حديد – وهو من اسلحة الحرب.

توجه سيف الدين بعد هذا إلى استرجاع بعض البلاد التي استولى عليها ((تمرتاش)) صاحب ماردين، ففي سنة 544هـ استولى على داراً وحصن كيفا، ثم زحف إلى ماردين وشدد في حصارها، فاضطر صاحبها على مصالحته، وزوجه بابنته.[1]

وفي سنة 544هـ اشتد به المرض فاستدعى من بغداد الطبيب ((وحيد الزمان [×] فلم يفده علاجه، وتوفي في جمادى الآخرة من نفس السنة وعمره أربعون سنة.

واجمع الذين كتبوا عنه أنه كان من خيار الملوك، وأحسنهم سيرة، وأجودهم سريرة، وأصبحهم صورة، حازماً شجاعاً كريماً عاقلاً منطوياً على خير وصلاح، يحب العلم وأهله، قصده الشعراء ونالوا جوائزه، وممن مدحه: الحيص بيص الشاعر[2] بقصيدة اولها:

إلام يراك المجد في زي شاعر وقد نحلت شوقا فروع المنابر

فأجزل له العطاء، وأعطاه ألف دينار سوى الخلع.[3]

---

(1) وتوفي قبل الزواج منها: فتزوجها اخوه قطب الدين.

(×) هبة الله بن ملكا أبو البركات وحيد الزمان (أوحد الزمان) كان يهوديا وأسلم آخر عمره وله عدة كتب وتوفي في أواسط المائة السادسة(2) مختصر الدول: 363- 366. اخبار العلماء: 224- 227.

(1) الامير شهاب الدين ابو الفوارس سعد بن محمد التميمي البغدادي (492- 574 هـ) انظر ديوانه(2: 316. 322) خريدة القصر: 257- 258.

(2) انظر عنه: الكامل: 11: 56، الباهر: 88- 93، وفيات الاعيان: 1: 401، البداية والنهاية: 227- 228، النجوم الزاهرة: 5: 286، مرآة الزمان: 8: 123، ابو الفدا: 3: 20، الروضتين: 1: 47- 48، مرآة الجنان: 3: 283، صبح الاعشى: 1: 416، 4: 40، الموصل في العهد الاتابكي: 28- 29. رسائل تاريخية : 14: 12، 13.

بنى بالموصل المدر (2) سنعرض لذكر المدرسة والرباط عند كلامنا عن خطط الموصل.

سة الاتابكية العتيقة، وهي من أحسن المدارس وأوسعها، وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية، ودفن فيها، وبنى للصوفية رباطاً على باب المشرعة ووقف عليه الأوقاف الكثيرة[1].

قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي

544- 565هـ

كان المتحكم في دولة سيف الدولة ووزيره ((الجواد الأصفهاني))، و ((زين الدين علي كجك))، ومقدم الجيش ((عز الدين الدبيسي))، فاتفقت كلمتهم على أن يولوا قطب الدين مودود، لأنه كان لين الجانب كثير الحلم، فاحضروه وحلفوه وحلفوا له، واستبد بالأمر الوزير الأصفهاني وزين الدين.

كان بعض أرباب الدولة يحسدون الأصفهاني وزين الدين، وما لهما من نفوذ في الدولة، فكاتبوا نور الدين محموداً وطلبوه ليولوه، وممن كاتبه المقدم والد شمس الدين محمد دزدار قلعة سنجار ليسلم غليه سنجار، ولما علم الأصفهاني وزين الدين بالأمر استدعيا المقدم إلى الموصل، فسار متثاقلا ينتظر وصول نور الدين، ولما وصل تلعفر اعلنه ابنه أن نور الدين قد وصل سنجار، فعاد اليه وسلمه البلد، ولم يكن مع نور الدين جيش يقاومهم به، فكاتب فخر الدين قرأ أرسلان بن داؤد صاحب الحصن يستنجده، فسار إليه مجدداً.

لم يرض الأصفهاني وزين الدين بالأمر، وحمل قطب الدين على أن يسير جيشه إلى سنجار، ولما كانوا في تلعفر أرسلوا إلى نور الدين ينكرون عليه ما فعله، ويهددونه بقصده إنْ لم يرجع. فأجابهم: إنني أنا الأكبر، وأنا أحق أن أدبر أمر أخي منكم، وما جئت إلا لما تتابعت إلي كتب الأمراء، يذكرون كراهيتهم لولايتكما عليهم، فخفت أن يحملهم الغيظ والأنفة على إخراج الأمر عن أيدينا، أما

تهديدكم أياي بالقتال، فأنا لا أقاتلكم إلا بجندكم، وكان قد هرب إليه جماعة من أجنادهم والتحقوا به.

خافا عاقبة الأمر، وأشار عليهم الجواد الأصفهاني أن يكفوا عن الحرب التي تكون عاقبتها وبالاً علينا وعلى المسلمين. وقال لهم: نحن نظهر للسلطان والخليفة أننا تبع لنور الدين، ونور الدين يظهر للفرنج أنه يحكمنا ويتهددهم بنا، فإن كاشفناه وحاربناه، فإن ظفر بنا طمع فينا السلطان، وإن ظفرنا به طمع فينا الفرنج، والرأي أن نسلمه حمص – وكانت لصاحب الموصل– ونأخذ سنجار، واستقر الصلح بينهما على هذا. لم يكن قطب الدين سبباً في هذا النزاع، وإنما كان قد غلبه على أمره الوزير الأصفهاني وزين الدين، وهما اتفقا مع نور الدين على الصلح.

كان قطب الدين لا يرى مخالفة أخيه نور الدين، وخطب له من تلقاء نفسه، كما كان نور الدين حريصاً على معاونة أخيه، وكل واحد منهما لا يصدر إلا عن أمر أخيه.

أراد نور الدين أن يبعد الجواد الأصفهاني عن أخيه ليضعف أمر المتسلطين عليه، فقد كان الأصفهاني أسدهم رأياً، وأحسنهم تدبيراً، وأقواهم سلطة في الدولة. قال نور الدين للجواد الأصفهاني: لابد أن تكون عندي فلي الحق من الحق مثل ما لأخي، وأنا أحوج إليك منه.

والأصفهاني يعلم ما يريده نور الدين، فلم يبد استياءً أو ريبة من طلبه، وأجابه بما أقنعه وجعله يعدل عن أخذه، فقال لنور الدين: أنت فيك من الكفاية ما يستغنى به عن وزير ومشير، وليس عندك من الأعداء مثل ما عند أخيك، لأن عدوك كافر، فالناس يدفعونه ديانة، وأعداء أخيك مسلمون فيحتاج من يقوم بدفعهم وإذا كنت عند أخيك فالنفع عائد إليك."

لم يؤثر هذا الحادث على ما كان بين الأخوين من محبة ومساعدة. فكان نور الدين يفضل أخاه قطب الدين على غيره من إخوته، لما يراه فيه من عقل ودين. ولما مرض سنة 553هـ وكان يخشى أن يدركه أجله، رأى رجال دولته يميلون إلى أخيه نصرة الدين (أمير أميران) ولكنه لم يكن راضياً عن أخلاقه وتصرفه، فأوصى بالملك لأخيه قطب الدين، وقال لهم: " إنني قد عزمت على وصية إليكم بما يقع في نفسي، فكونوا سامعين لها مطيعين، وبشروطها عاملين، إنني مشفق على الرعايا وكافة المسلمين ممن يكون بعدي من الولاة الجاهلين، والظلمة

الجائرين، وإن إخي نصرة الدين (أمير أميران)، أعرف من إخلاقه، وسوء أفعاله، ما لا أرتضي معه بتوليته أمرا من أمور المسلمين. وقد وقع اختياري على اخي الأمير قطب الدين مودود متولي الموصل، لما يرجع إليه من عقل وسداد، ودين وصحة اعتقاد، بأن يكون في منصبي بعدي، والساد لثلمة فقدي، فكونوا لأمره بعدي طائعين، ولحكمه سامعين. فاحلفوا له بصحة من نياتكم وسرائركم، وإخلاص من عقائدكم وضمائركم فحلفوا له.[1]

وأسرع نور الدين فأرسل إلى أخيه يعلمه بالأمر، واتفاق الأمراء على توليته بعده، وطلب إليه الحضور إلى الشام بعساكره، فتجهز قطب الدين وخرج على رأس جيشه من الموصل، فجاءته الاخبار بابلال نور الدين من مرضه. فارسل قطب الدين وزيره جمال الدين الأصفهاني إلى أخيه نور الدين يبلغه استعداد قطب الدين لمعاونته، فشكره وأرسل له هدايا كثيرة.

كان قطب الدين وجيشه خير معاون لأخيه نور الدين في حروبه، فكانت الجيوش الموصلية من أهم الجيوش التي تلبي طلب نور الدين كلما أحتاج إلى مساعدة ففي سنة 559هـ عزم نور الدين على حرب الصليبيين في بلاد الشام ليمنعهم من مساعدة ((عمورى)) الذي كان يريد حرب مصر. فكتب يستدعي الجيوش من الأطراف ليقوم بحملة قوية يقاوم بها تجمع الصليبيين عليه، فخف قطب الدين مع جيشه لمساعدة أخيه، وأبلى جيش الموصل بلاءا حسنا في الفتك بالأعداء وتشتيت شملهم، وهجم زين الدين في عسكر الموصل على الصليبين، فأفناهم قتلاً وأسرا، وانهزم الصليبيون، وفرق شملهم بعد أن قتل منهم عدة آلاف، وأسر أكثر امرائهم الذين كانوا في الحرب وهم ((بوهيمند الثالث))امير انطاكية و ((ريموند الثالث)) امير طرابلس، و((قسطنطين كولومان)) حاكم قيلقية البيزنطي ((وتوروس الثاني)) الأمير الأرمني، وغيرهم وساقهم أسرى إلى حلب، وكان لجيش الموصل فضل كبير في الفتك بالأعداء والاستيلاء على ((حارم))[2].

وفي سنة 562هـ استغل نور الدين ارتباك الحالة في طرابلس، لأن أميرها مأسور عنده في حلب، فكتب إلى أخيه قطب الدين يعلمه بما عزم عليه، فتوجه

---

(1) ابن القلانسي: 355.

(1) الحركة الصليبية: 2: 685، زبدة الحلب:2: 319.

قطب الدين بجيشه وعليه زين الدين واجتمع مع أخيه بحمص، وفتكوا بعدة قلاع ومدن، وغنموا واسروا وعاد جيش الموصل منتصرا[1].

حاول قطب الدين ورجال دولته أن يوسعوا بلادهم، فكانوا يميلون مع الكفة الراجحة، ففي سنة 551هـ سار سليمان شاه بن السلطان محمد إلى بغداد، واتفق مع الخليفة المقتفي أن يشرفه ويخلع عليه، وخطب له ببغداد، ولقبه ((شاهنشاه المعظم غياث الدنيا والدين)).

وأرسل الخليفة إلى ملكشاه بن السلطان محمود أخي سليمان شاه واستدعاه، فحضر ومعه ألف فارس، وقرر الخليفة الأمر بينهما وجمع لهما الأموال والعدد وسيرهما لحرب السلطان محمد.

أما السلطان محمد فانه كتب الى قطب الدين مودود، ونائبه زين الدين، يطلب منهما المساعدة، ويبذل لهما البذول، فأجابه، وسار زين الدين بجيش كثير قاصدا معاونة السلطان محمد، ولما كان بشهرزور علم أن السلطان محمد قد فرق جيش سليمان شاه وملكشاه قرب همدان، وأن سليمان شاه يريد بغداد، ولما كان قرب شهرزور قبض عليه زين الدين وحمله معززا مكرما وحبسه في الموصل.

وفي سنة 553هـ سار السلطان محمد إلى بغداد، وأرسل قطب الدين يستنجده بالعساكر، فأمده بجيش بقيادة زين الدين وحاصروا جانبي بغداد، وكاتب الخليفة ولاة الأطراف، يحثهم على قصد بلاد السلطان محمد، فتحرك امراء الأطراف وقصد أخوه ملكشاه، همدان واحتلها، وما زال الخليفة يكاتب زين الدين حتى استماله وعدل عن القتال – وهذا مما حمل السلطان محمد أن يعود إلى همدان.

وفي سنة 554هـ توفي السلطان محمد، فاتفق أكابر الدولة على أن يولوا سليمان شاه مكانه، فأرسلوا إلى قطب الدين مودود سنة 555هـ يطلبون إليه أن يرسل سليمان شاه السلطنة، واتفقوا على أن يكون سليمان شاه سلطانا، وقطب الدين اتابكه، وجمال الدين الأصفهاني – وزير قطب الدين– وزيره، وتحالفوا على هذا، وجهز قطب الدين بالاموال والآلات، ومعه عسكر الموصل بقيادة زين الدين إلى همدان.

ولو تم الأمر لسليمان شاه لكانت الدولة السلجوقية بيد قطب الدين ورجاله، ولكن سوء تصرف سليمان شاه أفسد الأمر.

---

(2) الكامل: 11: 132، اروضتين: : 147، دولة الاسلام: 2: 54.

ولما قاربوا بلاد الجبل، أقبلت العساكر عليهم بكثرة، ورأى زين الدين أن سُليْمان لا يَصْلح للسَلطنة، يَميْلُ إلى المُسَاخَرة، عَكُوفاً عَلى الخَمْر واللهو، لا يلتفت إلى نصح الامراء، بعيدا عن الحكمة والتدبير، قد سلم الامر إلى ((كردبازو)) من خدم السلجوقية، فيه دين وحسن تدبير وميل إلى الخير، وكان يلوم سليمان شاه على تهتكه وينصحه، ولكنه لم يفد معه، فاتفق هذا مع الأمراء على خلعه وقبض عليه وقتله سنة 556هـ.

أما زين الدين فإنه خاف على نفسه، وعلى الموصل من تسلط الجيش على سليمان شاه، فعاد إلى الموصل.

كان جمال الدين الأصفهاني أحد أركان دولة عماد الدين، قد وثق بإخلاصه وتدبيره، وجعله مشرف مملكته كلها، وحكمه تحكيما لا مزيد عليه، وهو الذي حفظ الدولة بعد قتل عماد الدين ودبر أمورها، فكان وزير سيف الدين، ثم وزر لقطب الدين، وكان قد حلف هو وزين الدين أحدهما للآخر، وصار أصحاب زين الدين يوغرون صدر قطب الدين عليه، كما كان قطب الدين نفسه يخشى من زين الدين وتسلطه على الجيش، وهذا ما حمله أن يعتقله بقلعة الموصل، وتوفي سنة 559هـ.

وكان زين الدين قد أصابه عمى وصمم، وفي سنة 563هـ سار إلى أربل وفيها بيته وخزائنه وأولاده، وسلم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع إلى قطب الدين مودود، وإن قطب الدين لم يستغل هذا الوضع فيتولى إدارة البلاد بنفسه ، فاعتمد على ((فخر الدين عبد المسيح))، وكان هذا ظالماً سيء السيرة فكرهه الناس، ومع أن قطب الدين كان يعاضد أخاه نور الدين ويكون تحت إمرته، فإن نور الدين لم يكن مرتاحاً من الذين تسلطوا على اخيه قطب الدين وكان يريد منه أن يكون رجل حرب وتدبير.

وفي سنة 565هـ توفي قطب الدين، وكان عفيفاً عن أموال الناس، حسن الأخلاق، يحاسب عماله على الظلم ويجزل لهم العطاء.[1]

---

(1) الكامل: 11: 57– 144، الباهر: 118– 150، أبو الفدا: 3: 36، ابن الفرات: 1: 98– 101، ابن خلكان: 2: 129، مرآة الجنان: 2: 204– 205، البداية والنهاية: 12: 261.

سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود
565- 576هـ

كان قطب الدين قد عهد بالملك من بعده لابنه عماد الدين، وهو أكبر أولاده، وهذا تربى مع عند عمه نور الدين، وزوجه من ابنته، ونور الدين يكره فخر الدين عبد المسيح المتسلط على الدولة لظلمه وعسفه، فخاف فخر الدين من عماد الدين اذا ما تولى مكان أبيه، فإنه سيعزله ويقصيه عن البلد.

اتفق عبد المسيح مع الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش- زوجة قطب الدين ووالدة سيف الدين – على أن يوصي بالملك لابنه سيف الدين، وما زالوا به حتى أوصى له، فرحل عماد الدين إلى عمه نور الدين يستنصره.

استبد فخر الدين عبد المسيح في أمور الدولة، فكان الحاكم فيها، المتصرف في أموالها، وليس لسيف الدين من الأمر إلا الاسم، وهو في عنفوان شبابه وغرة حداثته.

لم يرض أهل الموصل ما آل إليه حال الأمر في البلد، فكاتبوا نور الدين يعلمونه بالأمر، ويحثونه على التوجه إليهم، وتخليصهم من فخر الدين.

وفي مستهل محرم سنة 566هـ توجه نور الدين إلى الموصل واستولى على البلاد التي في طريقه، وجاءه نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا، وفي طريقه تسلم سنجار وسلمها إلى عماد الدين ابن أخيه، واستمر إلى الموصل وحاصرها، وحلف أن لايدخلها إلا من أمنع ابوابها – باب السر[1].

---

(1) أحد أبواب قلعة الموصل – وسنتكلم عنه عند كلامنا عن القلعة.

أما فخر الدين فإنه حمل سيف الدين غازي على أن يرسل أخاه عز الدين إلى أتابك شمس الدولة ((ايلدكز))، صاحب همدان وبلاد الجبل وأذربيجان وأصفهان والري، يستنجده على عمه نور الدين.

أرسل ((ايلدكز)) رسولاً إلى نور الدين ينهاه عن التعرض إلى الموصل، ويحذره عاقبة الأمر: ويقول له: أن هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها.

لم يلتفت نور الدين إلى هذا وقال للرسول، قل لصاحبك: أنا أصلح لأولاد أخي منك، فلا تدخل نفسك بيننا، وعند الفراغ من إصلاح بلادهم، يكون الحديث معك على باب همدان، فإنك قد ملكت هذه المملكة العظيمة وأهملت الثغور، حتى غلب الكرج عليها، وقد أبليت أنا – ولي مثل ربع بلادك– بالفرنج، وهم أشجع العالم، فأخذت معظم بلادهم، وأسرت ملوكهم، ولا يحل لي السكوت عنك، فإنه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت، وإزالة الظلم عن المسلمين.

إن هوى أهل الموصل مع نور الدين، كما أن الأمراء جاهروا لفخر الدين بالعصيان وتسليم البلد، فاضطر فخر الدين إلى طلب الأمان، ودخل نور الدين القلعة من باب السر. وقال لفخر الدين: لا سبيل إلى مقامك في الموصل، بل تكون عندي في الشام، فإني لم آت لأخذ البلد من أولادي، إنما جئت لأخلص الناس منك، وأتولى تربية أولادي، وأقر سيف الدين غازي في الموصل، وألبسه خلعة كان قد أرسلها الخليفة المستضيء بأمر الله إلى نور الدين، وولى بقلعة الموصل ((سعد الدين كمشتكين))، وجعله دزداراً فيها، وأمر سيف الدين أن لا ينفرد عنه بقليل من الأمور ولا بكثير، وأطلق المكوس الذي كان في الموصل، وأمر ببناء الجامع النوري[1] وعاد إلى الشام ومعه فخر الدين عبد المسيح، وغير اسمه فجعله عبد الله.

كان نور الدين يريد أخذ مصر من صلاح الدين الأيوبي، واستدعى ابن أخيه سيف الدين غازي ليكون أمام الصليبيين في الشام، فسار سيف الدين غازي وعلى مقدمة الجيش ((كمشتكين)). وفي الطريق بلغه موت عمه نور الدين سنة 569 هـ ولو أنه دبر الأمر بحزم مع كمشتكين لتمكن أن يستولي على ملك عمه، ويكون محله، ولكن تسرعه في الأمر جعله يستولي على بلاد الجزيرة، ويهمل بلاد الشام.

---

(1) سيأتي الكلام عنه عند كلامنا عن ((جوامع الموصل)).

وقدم إليه فخر الدين عبد المسيح – وكان بسيواس– أملا أن يعيده إلى ما كان عليه، وحرضه أن يقصد الشام، ويستولي على أملاك عمه نور الدين، ولكن الأمير عز الدين محمود المعروف بزلفندار منعه من هذا وقال له: قد ملكت أكثر من والدك، والمصلحة أن تعود، فعاد إلى الموصل فرحاً لأنه خلص من كمشتكين الذي كان ولاه عمه على القلعة، وأمره أن لا يخرج عن رأيه، ولما رجع إلى الموصل عاد الأمر فيها على ما كان من بيع الخمور، والتجاهر بالمعاصي، واعادة المكوس، فخسر نفسه، وخسر ثقة شعبه.

كان صلاح الدين رجل حزم وتدبير، وبعد وفاة نور الدين تولى مكانه ((الملك الصالح))، فأظهر له صلاح الدين طاعته، وخطب له في البلاد، وضرب السكة باسمه، وكتب إلى رجال دولة الملك الصالح يعتب عليهم، لأنهم لم يعلموه باستيلاء سيف الدين على البلاد الجزرية.وموت نور الدين ترك فراغاً كبيراً في الشام: فابن الداية واخوته، وسعد الدين كمشتكين تمكنوا في حلب، وشمس الدين بن المقدم تمكن في الشام، وأغار الصليبيون على مدينة بانياس وغيرها من المدن، ودبر ابن الداية مع سعد الدين كمشتكين على نقل الملك الصالح إلى حلب، فنقله إليها بعد منع من اصحابها، واعتقل كمشتكين ابن الداية واخويه المتنفذين في حلب، فكان يدبر الأمور، وتمكن تمكناً عظيماً، حتى كاد يحجر على الملك الصالح.

أما أمراء دمشق فإنهم خافوا من سعد الدين كمشتكين أن يقصدهم مع الملك الصالح، ويعاملهم كما عامل ابن الداية وأعوانه، فكاتبوا سيف الدين غازي ليسلموه البلد، فلم يجبهم خوفاً من مكيدة دبرت عليه.

فراسلوا صلاح الدين الأيوبي سنة 570 هـ – وهو ما كان يطمع فيه– يعرضون عليه تسليم دمشق، فأسرع إليها وتسلمها، ولم يقطع خطبة الملك الصالح، وإنما قال: إني إنما جئت لأخدم مولاي وابن مولاي، وأسترد له بلاده التي أخذها ابن عمه، ثم زحف إلى حماة، واحتلها، وتقدم إلى حلب، فدافع عنها الحلبيون، وأرسل كمشتكين مبلغاً من المال إلى ((سنان)) زعيم الإسماعيلية ليقتلوا صلاح الدين، فنجا منهم، ثم ملك حمص وبعلبك.

استنجد الملك الصالح بابن عمه سيف الدين، فأرسل جيشاً بقيادة أخيه عز الدين مسعود، وراسل اخاه عماد الدين صاحب سنجار ليسير معه – وكان هذا

مع صلاح الدين– واقتتلوا عند ((قرون حماة))،بتل السلطان، فانهزم جيش الموصل وغنم صلاح الدين أثقاله وعدده، وقطع خطبة الملك الصالح.

لم يحافظ سيف الدين على الدولة الأتابكية، فكان في نزاع مع أخيه عماد الدين صاحب سنجار، ولم يسو علاقته مع الملك الصالح، فأضعف الدولة، وهو ضعيف الرأي والتدبير ميال إلى اللهو والغناء، مغلوب على أمره.

ولو كان ذا سياسة واقتدار، وحسن تدبير لسار إلى الشام ووحد القطرين، فيكون الوصي على ابن عمه الملك الصالح، وحافظ على قوة الدولة، ولكن إهماله إدارة البلاد والمصالح العامة مما أطمع صلاح الدين الأيوبي في الدولة الأتابكية، وسهل له الاستيلاء على بلاد كثيرة ووحدها – ونعم ما فعل – ثم أخذ يهدد أملاك سيف الدين.

ومن سوء تدبير سيف الدين أنه لم يحسن اختيار رجال مخلصين، يعتمد عليهم في إدارة الدولة، بل أنه نكل ببعضهم مثل جلال الدين أبو الحسن علي بن جمال الدين محمد علي الأصفهاني الذي استوزره سنة 571 هـ وفوض إليه أمر البلاد، وكان هذا عارفاً بقواعد الدول، وأوضاع الدواوين، مطلعاً على الأمور، فأحسن إدارة البلاد، وأحبه الناس، وجرت بينه وبين مجاهد ٱلدين قيماز مشاحنة، فحمله على اعتقال جلال الدين سنة 573 هـ وسجنه، ثم شفع فيه كمال الدين بن نيسان وزير صاحب آمد، وكان قد زوجه ابنته – فاطلق من الحبس وتوفي سنة 574 هـ.

وكان الأجدر أن يستفيد منه ومن قيماز، فيسوي الأمور بينهما، ولكنه عاد فنكل بمجاهد الدين قيماز الذي ولاه دزدارية قلعة الموصل سنة 571 هـ وكان هذا من الأمراء المقتدرين، ميالا إلى الخير والإحسان إلى الناس، بنى الكثير من الجوامع والربط والخانات والقناطر في الطرق، حسن الإدارة، فكان هو السلطان في الحقيقة، يراسل الملوك والأمراء وسيف الدين منهمك في لذاته، غير موفق في سيرته، مما حمل أهل البلد أن يقصدوه ويطلبوا إليه أن يفيق من سكرته، فيمنع

بيع الخمور وكثرة الملاهي، وهجموا على محلات بيع الخمور وكسروا الآنية، وحدث هرج ومرج في البلد، كل هذا أضعف الدولة الاتابكية.[1]

عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود
576- 589 هـ

كان سيف الدوين قد أضعف الدولة – بعد أن كانت مرهوبة الجانب- وقبل وفاته أراد أن يعهد بالأمر لابنه معز الدولة سنجرشاه – وعمره اثنتا عشرة سنة- فلم يرض عز الدين بهذا، كما أن أصحاب الرأي، وعليهم قطب الدين قيماز أشاروا على سيف الدين أن يجعل الأمر في أخيه عز الدين، لما كان عليه من الإقدام والجرأة، وسداد الرأي والتدبير وحسن السياسة، وكان صاحب المواقف في الحروب التي خاضها في زمن أخيه- خاصة وأن صلاح الدين متمكن في الشام، ويخشى على الدولة إذا ما تولاها صبي، وأصروا على أن يولي أخاه من بعده، فرضي بهذا، على أن يعطي ولديه بعض البلاد، ويكون مرجعهما إلى عز الدين، فاعطى جزيرة ابن عمر وبلادها لولده سنجرشاه، وقلعة الحميدية لولده ناصر الدين كسك[2]، وبذا أضعف الدولة.

وفي سنة 577 هـ توفي الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود، وقبل وفاته أوصى الأمراء والأجناد بتسليم البلد إلى ابن عمه عز الدين مسعود، لقوته وسداد رأيه – واستحلفهم على هذا- فأشار بعضهم أن يسلموا البلد إلى عماد الدين – ابن عمه- صاحب سنجار، وأعلموه أن عز الدين له من البلاد من الفرات إلى همدان، ولا حاجة له بحلب، فأجابهم: ((لم يغب هذا عني، ولكن قد علمتم ان صلاح الدين قد تغلب على عامة بلاد الشام، سوى ما بيدي، ومتى

---

(1) الكامل: 11: 144- 188، الباهر: 149- 189، ابن خلكان: 2: 72- 74، 1: 401- 402، الروضتين: 2: 232- 259، النجوم الزاهرة: 5: 384، صبح الاعشى: 4: 25- 40، ابو الفدا: 3: 55، ابن الفرات: 1: 102- 104، 111- 114، زبدة الحلب: 2: 331- 334، 3: 9- 45 ، ابن كثير:12: 285، مرآة الزمان: 12: 324- 363، ابن شداد: 38- 42.

(1) الكامل:11: 188- 189، مفرج الكروب: 2: 93- 94، الباهر: 181.

(2) الكامل: 11: 192- 193، مفرج الكروب: 106- 110، الباهر: 181- 182.

سلمت حلب إلى عماد الدين عجز عن حفظها، وإن ملكها صلاح الدين لم يبق لأهلنا معه مقام، وإن سلمتها إلى عز الدين أمكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده))، فاستحسنوا رأيه وبعد وفاته أرسل الأمراء إلى عز الدين وسلموه حلب، وثار أهل حماة على عمر بن أخي صلاح الدين، ونادوا بشعار عز الدين، وكان هوى أهل الشام مع الدولة الاتابكية، وأشاروا عليه أن يقصد دمشق وغيرها من البلاد الشامية، لغياب صلاح الدين عنها في مصر، ولكنه أبى وقال: ((بيننا يمين فلا نغدر به))[1]، وأراد عماد الدين أن يأخذ من أخيه عز الدين حلب، ويعطيه سنجار عوضاً عنها، فأبى، ولكنه هدد بإعطاء سنجار إلى لصلاح الدين، ولا يخفى ما لهذا من خطر على أملاك عز الدين، فأشار عليه أن يرضى بالأمر.

خاف صلاح الدين على بلاد الشام عندما استولى عز الدين على حلب، ولكنه لما علم بتسليمها إلى عماد الدين، هان عليه الأمر[2].

ومما حد من قوة عز الدين أنه كان يحذر من قيماز لقوته، كما أن قيماز كان يخشى عز الدين بعد أن انضم عليه عسكر حلب وأطاعوه، ولم يلتفتوا هم وعسكر الموصل إلى قيماز، وهذا مما أدى إلى ضعف قوة الدولة.

ولما علم صلاح الدين أن حلب صارت إلى عماد الدين، توجه إلى بلاد الشام ليستولي عليها، وقصد عز الدين حلب ليصده عنها، وبعد عبور الفرات مال بعض الأمراء إلى صلاح الدين، فخاف عز الدين عاقبة الأمر وعاد إلى الموصل.

بعد أن تمكن صلاح الدين في بلاد الشام، سار إلى بلاد الجزيرة والخابور وملكها، ثم زحف إلى نصيبين، واستولى عليها، وانحدر إلى الموصل، وكان عز الدين وقيماز قد حشدا فيها العساكر الكثيرة، وأعدا من السلاح وآلات الحصار، وهب المواصلة يشاركون الجيش في الدفاع عن مدينتهم، ولما اقترب صلاح الدين من البلد هاله ما رآه من استعداد المواصلة في الدفاع عن مدينتهم، وعظم سور

---

(1) الكامل: 1:193.

(2) الباهر: 183، أبو الفدا : 3: 61.

المدينـة وفصـيلها، وقد مـلأه بالرجـال وآلات الحـرب، وأهل المدينـة يتفرجـون غيـر عابئين بقوة صـلاح الدين، فعلم صـلاح الدين أنه لا يمكن الاستيلاء على مثل هذه المدينة.

وأخذ يحتال في الانسحاب عنها، ومع هذا فإن عز الدين كان لا يرغب في الحـرب، وإضـعاف الدولـة أمـام الصـليبيين، فأرسـل القاضـي ((بهـاء الـدين ابـن شداد)) إلـى الخليفـة الناصـر يعلمـه بسوء العاقبـة، وأن يحمـل صـلاح الـدين عـن الحرب، وتسوية الخلاف وجمع كلمة الطرفين.

استشار صـلاح الدين أصحابه، فأشار عليه بعضـهم أن يحكم حصـار المدينـة، ويشدد عليها، فنزل صـلاح الدين محاذي ((بـاب كندة)) وأنزل نـور الـدين صـاحب حصن كيفا بباب الجسر، وأنزل تاج الدين أخاه عند الباب العمادي.

أمر عز الدين الجيش أن لا يخرجوا لمهاجمة جيش صـلاح الدين، وأن يجمعوا قواهم على السور، فدافعوا هم وأهل البلد دفاعاً مجيداً، ما أعجز صـلاح الدين.

وأشـار علـى صـلاح الـدين عمـه تقـي الـدين بنصـب منجنيـق لضـرب سـور المدينـة، فقـال لـه صـلاح الـدين– وقـد هالـه مـا علـى السـور مـن المقاتلـة وآلات الدفاع– مثل هذا البلد لا ينصب عليه منجنيق ومتى نصبناه، أخذوه، ولو ضربنا برجاً من يقدر على الدخول للبلد، وفيه هذا الخلق الكثير؟

الـح تقـي الـدين وقـال: نجربهم بـه، فنصـب منجنيقـاً، فنصـب عليـه مـن البلـد تـع منجنيقات، وخرج جماعة من أهل البلد فأخذوه، وجرى عنده قتال كبير، فأخذ بعض أهل البلد لالكة من رجله فيها مسامير كثيرة ورمـى بها أميراً يقال لـه جاولي الأسدي – مقدم الأسدية و كبيرهم– فأصـاب صـدره، فوجد لذلك ألما شـديداً، فأخذ اللالكة وعاد عن القتال إلـى صـلاح الـدين وقـال لـه ((قد قاتلنا الموصـل بحماقات، مـا رأينـا بعد مثلها، وألقى اللالكة (واللالكة نوع من الحذاء)، وحلف أن لا يعود يقاتل أنفة حيث ضرب بهذه)).

ودبر مجاهد الدين خطة خدع جيش صـلاح الدين، فكان في بعض الليالي يخرج جماعة من بـاب السر الذي للقلعة، ومعهم المشاعل، فإذا كانوا قرب دجلة مما يلي

عين الكبريت، أطفأوا المشاعل، فخاف صلاح الدين أن ينثني عسكر الموصل عليهم، فوهن عزمهم، وأخذ صلاح الدين يحتال للانسحاب[1].

كما أن عساكر الموصل الذين هم بسنجار كانوا يقطعون الطريق على من يقصد صلاح الدين العساكر، ولم يصله مدد، فانسحب جيش صلاح الدين عن المدينة، وحاول الخليفة الناصر أن يصلح بين الطرفين فلم يتفقا، وهكذا نجت الموصل ببسالة أهلها.

وفي عودة صلاح الدين حاصر مدينة سنجار وفيها ((شرف الدولة أمير أميران هندوا)) أخو عز الدين، وكان في إمكانه أن يصد عنها صلاح الدين، ولكن أحد أمراء الأكراد من ((الزرزاية)) خان شرف الدولة، وأشار على صلاح الدين أن يهاجم من ناحية ((الباشورة)) التي كان هو فيها، وسلم المدينة إليه، وعاد شرف الدين إلى الموصل[2].

كان مجاهد الدين قيماز صاحب قوة وسلطان في الدولة، وأكثر البلاد في يده وتحت إمرته، وكان عز الدين طموحاً لم يرض بما عليه قيماز، وكان من المستحسن أن يستفيد من قوته فيسوي العلاقة بينهما، ولكن منافسي قيماز عز الدين محمود زلفندار، وشرف الدين أحمد بن أبي الخير – الذي كان أبوه صاحب الغراف– وهما من أركان دولته حسنا له القبض على قيماز، واعتقاله فقبض عليه في جمادى الأولى سنة 581هـ وحبسه في قلعة الموصل، واستولى على أمواله وخزائنه، وولى زلفندار قلعة لموصل، وشرف الدين أمير حاجب، فانتصب عليه أكثر البلاد التي كانت لمجاهد الدين، واستولى الخليفة على ((دقوقا))، وكما أن صاحب اربل وجزيرة ابن

---

(1) الكامل: 11:196– 197، مفرج الكروب: 2: 123، النوادر السلطانية: 46 مضمار الحقائق: 106– 110.

(2) الكامل: 11: 198، مضمار الحقائق: 110– 111.

(3) الكامل: 11: 203، الباهر: 183– 184، مفرج الكروب: 2: 153– 154.

عمر أرسلا إلى صلاح الدين يعلمانه بطاعتهما، ولم يبق لعز الدين سوى العقر وشهرزور.[1]

ندم عز الدين على ما بدر منه، وقبض على المحرضين وسجنهما– خاصة بعدما تمكن صلاح الدين في بلاده– وأخرج قيماز من سجنه وأعاده إلى ما كان عليه، بعدما خسر ما خسر.

وفي سنة581هـ وقد تمكن صلاح الدين في بلاد الجزيرة وأربل وغيرها، حرضه مظفر الدين كوكبوري على أن يقصد الموصل، وانضم إليه معز الدين سنجرشاه – صاحب جزيرة ابن عمر– أخو صلاح الدين، فقصد الموصل ولم يكن عز الدين ضعيفاً أمامه، فقد استعد ما أمكنه، وكان يخشى عاقبة الحرب التي تضعف المسلمين أمام الصليبيين فأراد أن يدفعهم بالتي هي أحسن، فأرسل إليه وفداً من أعيان البلد، يحذرهم عاقبة الأمر، وتسوية الخلاف فيما بينهما– ومع الوفد والدته وابنه محمود– استشار صلاح الدين أصحابه، فوافقوه على هذا، ولكن الفقيه عيسى وعلي بن أحمد المشطوب أشارا عليه أن مثل الموصل لا يرتد عنها.[2]

حشد عز الدين الجيش وهيأ العدد، وهب أهل المدينة يعاضدون الجيش ويشاركونه في القتال – كما في الحصار الأول، وجرت بينهما مناوشات ظاهر الباب العمادي، أبدى بها المواصلة شجاعة وإقداماً في الدفاع عن مدينتهم، فكانوا يعبرون دجلة ويغيرون على جيش صلاح الدين الذي في الجانب الأيسر منه، مما اضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار، وسار منها إلى ((خلاط)) لموت صاحبها، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها، فعاد إلى الموصل في شعبان، وترددت الرسل بينهما في الصلح، فرضي صلاح الدين: على أن يسلم إليه عز الدين شهرزور وأعمالها، وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب من أعمال، وأن يخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكة، ولما كان بكفرزمار، مرض مرضاً شديداً.

---

(1) الكامل: 11: 203، الباهر: 183– 184، مفرج الكروب: 2: 153– 154.
(2) الكامل: 11: 207– 209، 310، مفرج الكروب: 2: 170– 171.

عز الدين رجل حرب وكفاح في حياة أخيه سيف الدين، وبعد توليه الدولة، ولكنه لم يتمكن أن يسد الخلل الذي كانت قد منيت به الدولة الاتابكية، فقيماز متسلط على الدولة، والاتابكيون منقسمون على أنفسهم، وصلاح الدين قوي في بلاد الشام.

وفي سنة 589هـ توفي صلاح الدين فاستشار عز الدين أصحابه فيما يفعله، فأشار عليه أبو السعادات بن الاثير أن يقصد البلاد الجزرية، ويستردها قبل أن يتمكن الايوبيون فيها، فلم يوافق قيماز، وحذره من أمراء الاطراف، وهذا مما ساعد الملك العادل أبو بكر بن أيوب أن يتمكن في البلاد[1].

قصد عز الدين نصيبين، فأصابه اسهال بنزيف قوي، حد من قوته، واجتمع مع عماد الدين ليقصدا الرها لمحاربة الملك العادل، ففاتحه العادل يطلب الصلح على أن تكون البلاد الجزرية: الرها وحران والرقة وما معها بيده، على سبيل الإقطاع من عز الدين، فلم يرض بهذا واشتد به المرض وتوفي ودفن بمدرسته العزية التي أنشأها في الموصل[2].

كان عز الدين رجلاً محبوباً من أهل البلاد، كثير الإحسان خير الطبع، متمسكاً بدينه حج إلى بيت الله الحرام، محسناً عاقلاً منصفاً، يميل إلى الحق وتطبيق أحكام الدين، يحب الصالحين يستشير الشيوخ وأهل الرأي في أموره يقرب أهل الدين، لبس خرقة التصوف من الشيخ عمر النسائي[3] – شيخ مشائخ الموصل – وبنى له مسجداً في داره يصلي فيه، منع الخمور والملاهي وأمر باراقتها، وحث الصالحين على مراقبة بيعها، فهو من خيار الاتابكيين الذين أقاموا الحق في البلد[4].

وكان رجل حرب وسياسة، جريئاً مقداماً، حاول إنقاذ الدولة من الضعف والانقسام، وجمع الكلمة بالتي هي أحسن، ولكن المطامع التي عليها بعض الملوك حدت من نجاحه.

---

(1)الكامل: 12: 40– 41، النجوم الزاهرة: 6: 133، الباهر: 185.

(2) سنتكلم عنها عند كلامنا عن المدارس.

(3) هو شيخ مشايخ الصوفية في الموصل انظر عنه: عمدة الاخبار في مدينة المختار(ص: 120–121) للشيخ احمد بن عبدالحميد العباسي.

(4) الكامل: 12: 41– 43، الباهر: 184– 189، مفرج الكروب: 3: 20، 22.

نور الدين أرسلا نشاه بن عز الدين مسعود
589- 607هـ

كان عز الدين قد عهد بالملك لابنه نور الدين أرسلا نشاه وعمره عشرون سنة، وعارضه في هذا شرف الدين بن قطب الدين مودود، بأنه أحق بالملك من ابن أخيه، وعاضدته والدته في الأمر، وهدد شرف الدين بالإستعانة بالملك العادل بن ايوب، فلم يعبأ هذا بعز الدين، وأوعز إلى مجاهد الدين بن قيماز، ومجد الدين بن الأثير أن يحلفا لولده نور الدين.

كان مجاهد الدين يحب السلم، ويخشى انقسام الاتابكة وما تؤديه الحروب من نتائج سيئة على البلاد، ولكن مجد الدين كان أكثر ثباتاً وتبصراً منه، وأعلمه أن التباطؤ في الأمر يزيد في الخرق، ويوسع الانقسام، وأكد على قيماز أن يسرع في تحليف الجند وأولي الأمر له – خاصة وأن والده عز الدين يلح في الأمر وهو مشرف على الموت[1].

جمع مجاهد الدين الجند، وأهل الرأي ومشائخ المحال وعرفاء الأسواق، وحلفوا له، ثم أركب نور الدين من الغد في موكب والده وحمل السنجق[×] على رأسه، ومشى في ركابه راجلاً قد حمل الغاشية[××]، فطمأن له الناس وانصرف أنصار شرف الدين عنه، وبعد يومين توفي عز الدين، فتم الأمر لابنه نور الدين، وكان هذا التدبير من مجد الدين أبي السعادات بن الأثير، مما زاد في مكانته عند نور الدين، فاتخذه وزيراً يعول عليه ويستشيره في الأمر فيما يعرض له، ولما اقعد مجد الدين في داره وعجز

---

(1) الباهر: 189- 191.

(×) العلم.

(××) الغاشية: السرج أو الغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الفرس فوق البرذعة، وكان سلاطين السلاجقة والايوبيين يخرجون في المواكب وبين أيديهم (انظر عنها السلوك: 1: 1: 214 صبح الاعشى 4: 7).

عن الحركة، صار نور الدين يزوره ويرجع إلى قوله ورأيه فكان رجل دولته إلى أن توفي[1].

وفي سنة 594هـ حدث نزاع بين نور الدين وعمه عماد الدين بن قطب الدين مودود – صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة– على قرى له في نصيبين، وحاول حسم النزاع بالتي هي أحسن، فلم يرض عمه، وتوفي وملك بعده ابنه قطب الدين، وفاتحه نور الدين بتسوية الأمر، فأصر على ما كان عليه أبوه، فسار نور الدين إلى نصيبين واستولى عليها، وهرب قطب الدين إلى حران، واستنجد بالملك العادل بن أيوب، وأصاب جيش نور الدين المرض، فاضطر إلى العودة للموصل، وتوفي عدة أمراء من جيشه، كما توفي عدد من أفراد جيشه، وممن توفي مجاهد الدين قيماز، على أن نور الدين لم يترك الحرب مع الملك العادل، فسار سنة 595هـ إلى ماردين لإزالة العادل عنها وحاصرها، وفي أثناء الحصار توفي الملك العزيز بن صلاح الدين الأيوبي – وكان عسكره مع عمه العادل– وتولى بعده أخوه الملك الأفضل علي، وكان بينه وبين عمه نفرة، فسحب العسكر المصري من عمه، واتفق الأفضل مع نور الدين لمحاربة عمه، فسار نور الدين ومعه ابن عمه قطب الدين بن عماد الدين ومعز الدولة بن عم سيف الدين – صاحب جزيرة ابن عمر– وضيقوا على ماردين واستولوا عليها[2].

هذا الانقسام اضعف الدولتين: الاتابكية والصلاحية: فكانوا في حروب مستمرة مع بعضهم، فارتبك المر وضعفت قواهم.

ومنها سنة 600هـ خطب قطب الدين بن عماد الدين زنكي بن مودود – صاحب سنجار– للملك العادل في بلاده، وحالفه ابن عمه نور الدين أرسلانشاه، مما حمل نور الدين أن يقصد نصيبين، فاستعان قطب الدين بالملك الأشرف بن الملك العادل، وقصدوا نور الدين وهزموه هزيمة قبيحة وشتتوا جيشه، ونجا إلى الموصل ومعه أربعة

---

(1) الكامل: 12: 55– 56، تراجم الرجال.

(2) الباهر: 191– 193، الكامل: 12: 64، الجامع المختصر: 9: 4.

أنفس، وهذا مما زاد في الانقسام وضعف الدولة[1]، مما مكن أبناء صلاح الدين في الشام ومصر.

كان عصر نور الدين كله حروباً بين الأتابكة مما أضعفهم وجعل بلادهم مطمعاً لكل قاصد، وخاصة أبناء صلاح الدين، وهذا مما عجل في انقراضهم.

ولما اشتد به المرض سنة 607هـ عهد بالملك لابنه القاهر- عز الدين مسعود- وعمره عشر سنين، والوصي عليه مملوكه الأرمني بدر الدين لؤلؤ، وحلف له الجند وأعيان الناس، وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زنكي قلعتي عقرة وشوش، وسيره إلى العقر، وتوفي نور الدين ودفن بالمدرسة التي أنشأها مقابل داره[2].

إن سيرة نور الدين لم تكن مرضية، يذكر ((سبط بن الجوزي)) عنه: أنه كان متكبراً جباراً بخيلاً فاتكاً سافكاً للدماء، حبس أخاه علاء الدين ومات في حبسه، وولى الموصل ظالماً يقال له السراج، أهلك الحرث والنسل.

ويذكر عنه أبو شامة: أنه كان سيء التدبير. وهو الذي أضعف الدولة وزاد في انقسامها، بينما يثني عليه ابن الأثير، ويذكر عنه: أنه كان شهماً شجاعاً عادلاً ذا سياسة للرعية، شديداً على أصحابه، يمنع بعضهم أن يتعدى على بعض، وكانوا يخافونه خوفاً شديداً، فلا يجسرون بسبب الخوف منه على الظلم الخ.....

على أن كلامه هذا فيه ما يستر على نور الدين لانه معاصر له ومؤرخ دولتهم.

باب المنبر صنعه محمد بن علي الموصلي لجامع حلب في القرن السابع للهجرة

---

(1) الباهر: 194- 196، الكامل: 12: 62-63.

(2) مرآة الزمان: 546، ذيل الروضتين: 70- 76، مفرج الكروب: 3: 203- 205 وسنعرض لاخبار المدرسة عند كلامنا عن المدارس.

2- دور بدر الدين لؤلؤ

القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلا نشاه	607- 615	المتولي عليهم
نور الدين ارسلا نشاه الثاني بن القاهر	615-	بدر الدين
ناصر الدين محمود بن القاهر	615- 630	لؤلؤ
بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله	630- 657	
الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ	657- 660	

من الكتابات المطعمة والزخارف النافرة في المرمر والتي تزين جدران مشهد الامام يحيى بن القاسم

القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلانشاه

320

607- 615هـ

في عهد القاهر تسلط بدر الدين لؤلؤ على الدولة، وهو مملوك أرمني من مماليك نور الدين أرسلانشاه بن عز الدين مسعود، كان واسع الحيلة، ذا دهاء وتدبير مما جعل سيده يعتمد عليه، خاصة بعد موت مجاهد الدين قيماز، ومجد الدين بن الأثير، حتى صار المتحكم في الدولة.

وقبل وفاة نور الدين عهد بالأمر إلى ابنه مسعود، وأعطى ولده الأصغر عماد الدين قلعة شوش والعقر والحميدية، وسيره إلى العقر، ولا شك أن هذا كان بتدبير بدر الدين، الذي سعى إلى اضعاف الدولة لكي يتسلط عليها، وسلك اختلاف الطرق في القضاء على الاتابكة واحداً بعد الآخر، وأخرج من الموصل الذين يخشى منهم، وتقرب للخليفة ورجاله، وهادن المغول وساعدهم، واتبع الترغيب والترهيب في توطيد حكمه، حتى تم له الأمر.

لما توفي نور الدين كتم بدر الدين خبر وفاته، ودبر الأمر، وأحكم ما أراد: حلف الجند وأرباب الحكم لعز الدين مسعود، وراسل الخليفة الناصر لدين الله، يطلب التقليد له، كما كاتب ملوك الأطراف يطلب منهم تجديد العهود على ما كانوا عليه زمن أبيه، فاستبد في البلاد، ثم قعد للعزاء، فجاءه التقليد من الخليفة، ولقب عز الدين القاهر، على أن يدبر أمره بدر الدين لؤلؤ.

بعد أن تم هذا حجر بدر الدين على القاهر، وأشغله بملذاته وشهواته، وأبعد عنه كل من يخشى منه، ولم يبق سوى الاسم، فتفرد هو في الحكم، ولولا مظفر الدين كوكبوري الذي تربطه المصاهرة مع القاهر، لدبر أمر موته في أقرب وقت.

كان بدر الدين يسلك اختلاف الطرق في استمالة الناس إليه، كثير من الاحسان إلى الناس، مائلاً إلى شهواتهم ورغباتهم، كثير القتل والتشويه والمؤاخذة، فيه ظلم وقلة دين، يدبر الأمر الذي يريده بحزم واقتدار وظلم، وقد أجمع الذين تكلموا عنه: أنه كان ظالماً سافكاً للدماء يصادر الناس إذا دعا الأمر، لم يتقيد بمبدأ أو دين.

كان القاهر متذمراً مما هو عليه، وقد أحاطه بدر الدين بطبقة سوء من بطانته، وأبناء الأتابكة عاجزون عن مساعدته لضعفهم.

يقول ابن الأثير عن القاهر: ((كان كريماً حليماً، قليل الطمع في أموال الرعية، كافاً عن أذى يوصله إليهم، مقبلاً على لذاته، ينتهبها نهباً ويبادر إلى الموت)).

هذا التضييق الشديد الذي كان عليه جعله يسرف في لذاته، ليخفف عنه ما به من حال مؤلمة– وهو ما دبره له بدر الدين– فجرده من السلطة، وسلط عليه مغريات الحياة، وهو في مقتبل العمر، فكان يائساً من حياته، يكثر من ذكر الموت الذي كان يتوقعه على يد بدر الدين، كما أنه أعد لنفسه مدفناً كان يزوره ويتذكر مصيره الأخير.

قال ابن الأثير يصف حاله: ((وكان عنده رقة شديدة، ويكثر ذكر الموت، حكى لي بعض من كان يلازمه، قال: كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده، فقال لي: قد وجدت ضجراً من القعود، فقم بنا نتمشى إلى الباب العمادي، قال: فقمنا، فخرج من داره نحو الباب العمادي، فوصل التربة التي عملها لنفسه عند داره، فوقف عندها مفكراً لا يتكلم. ثم قال لي: والله ما نحن في شيء، أليس مصيرنا إلى ها هنا، وندفن تحت الأرض؟ وأطال الحديث في هذا ونحوه، ثم عاد إلى الدار، فقلت له: ألا نمشي إلى الباب العمادي؟ فقال ما بقي عندي نشاط إلى هذا، ولا إلى غيره، ودخل داره وتوفي بعد أيام)).

إن بدر الدين بعد أن ضيق عليه سقاه سما فمات ولولا مظفر الدين كوركبوري لكان قتله قبل هذا بسنين، لأن مظفر الدين زوج ابنتين له بولدي نور الدين، وهما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكي، ومما يدلنا على تسلط بدر الدين على الدولة ما أشار به ابن الأثير عند كلامه عنه: ((وهو الذي كان يتولى دولة القاهر، ودولة أبيه نور الدين قبله، وقد تقدم من أخباره ما يعرف به محله، وسيرد منها أيضاً ما يزيد الناظر بصيرة فيه[1].

نور الدين ارسلانشاه بن القاهر عز الدين مسعود

---

(1) انظر عن القاهر: الكامل: 12: 119– 122، 137، مفرج الكروب: 3: 261– 263، أبو الفدا: 3: 113– 118، معجم الالقاب: 4، 358– 359، البداية والنهاية: 13: 79– 81، المسجد المسبوك: 360– 361، شذرات الذهب: 5: 62، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية: 103، الموصل في العهد الاتابكي: 34– 35.

615هـ

توفي القاهر وعهد بالملك لابن نور الدين، وهو صغير السن عمره عشر سنوات، ولا شك أن بدر الدين الذي قتل والده حمله على هذا العهد ليبعده عن الذين يخشى جانبهم من الأتابكيين، وخاصة عماد الدين زنكي بن أرسلانشاه – صاحب العقر والحميدية– وأخو القاهر الذي كان في الموصل، وليس من مصلحة بدر الدين أن يتولى الملك رجل مدبر يتولى أمور البلاد بنفسه، فضرب على أيدي الطامعين وأبعدهم عن الموصل، فأخرج أخا القاهر منها، وتقرب للشعب، فأنعم بالخلع على الناس ((فلم يخص بذلك شريفاً دون مشروف، ولا كبيراً دون صغير، وأحسن السيرة، وجلس لكشف الظلامات بين الناس، وإنصاف بعضهم من بعض))، فتم الملك لنور الدين، والأمر الحقيقي لبدر الدين، واتبع بدر الدين معه نفس الطريقة التي اتبعها في القضاء على والده، فقتله قبل أن تمضي عليه سنة في ملكه.

قال ابن كثير في حوادث سنة 615هـ: ((وفيها توفي القاهر صاحب الموصل، فأقيم ابنه الصغير في مكانه، ثم قتل، وتشتت شمل البيت الاتابكي، وتغلب على الأمور لؤلؤ غلام أبيه)).

جاء في شذرات الذهب في حوادث نفس السنة: ((فلما مات القاهر أقام بدر الدين ابنه صورة وفي أتابكه مدة، ثم استقل بالسلطة)).

وهكذا فإن بدر الدين راسل الملوك والأمراء المجاورين، يطلب تجديد العهد لنور الدين الذي كان بينهم وبين أبيه، كما راسل الخليفة يطلب الولاية لنور الدين، فأرسل الخليفة الولاية لنور الدين، والنظر في أمر دولته لبدر الدين مع التشريفات لهما، فبعد أن تم هذا قضى على الطفل، فقتله.[1]

---

(1) انظر عن نور الدين: الكامل: 12: 137– 138، 143، أبو الفدا: 3: 120– 121، البداية والنهاية: 13: 81، مرآة الزمان: 8: 395، معجم الالقاب: 359، شذرات الذهب: 5: 289، الموصل في العهد الاتابكي: 35– 36.

لم يرض بهذا الأمر عماد الدين – صاحب العقر – وساعده مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين صاحب أربل – جد نور الدين لأمه– وخاصة بعد أن علما ما يكيده بدر الدين لهذا الطفل، فكان يبقى المدة الطويلة لا يظهره للناس، وهو المتسلط على الدولة، يتصرف بها كيفما يشاء، فجهز عماد الدين حملة كبيرة احتل العمادية وبقية قلاع الأكراد الهكارية والزوزان.

أما بدر الدين فإنه فاوض الملك الأشرف موسى بن الملك العادل صاحب ديار الجزيرة وخلاط، يطلب منه أن يكون في طاعته، على أن يعاضده على عماد الدين ومظفر الدين، وانتسب إلى الملك الأشرف، وضرب السكة باسمه، فقبل الملك الأشرف بهذا وأرسل بدر الدين حملة كبيرة إلى العقر واحتلها، وانهزم عماد الدين إلى أربل، وناشد مظفر الدين أن يكف عن الحرب، ورفع الأمر إلى الخليفة، فتوسط بينهم بالصلح فهدأت الأحوال لبدر الدين. ثم قضى على الطفل.

ناصر الدين محمود بن القاهر عز الدين مسعود
(616– 630هـ)

بعد قتل نور الدين لم يبق من أولاد القاهر غير طفل صغير لا يتجاوز عمره ثلاث سنين، وهو ناصر الدين محمود، ولا يخشى له بأس، فجمع بدر الدين الجيش

وأعيان البلد وحلفهم بالطاعة له. وأرسل إلى الخليفة يطلب للطفل التقليد والتشريف. وأرسل إلى الملوك وأصحاب الأطراف المجاورين، يطلب تجديد العهد لناصر الدين على القاعدة التي كانت بينهم وبين أبيه، كما ضبط أمر البلد.

ولم يكن الناس مطمئنين إلى ما يفعله بدر الدين بأولاد سيده، فقد قتل القاهر وابنه نور الدين، وهم مترقبون هذا الصبي، فكان الاستياء من أبناء الأتابكة وأنصارهم يتزايد مع الزمن.

وكان عماد الدين بن أرسلان شاه يكون تارة في الموصل وأخرى في عقرة – محل ملكه– يراقب ما يفعله بدر الدين في تثبيت ملكه والقضاء على الأتابكة واحداً بعد الآخر. فمنعه بدر الدين وأخرجه من الموصل سنة 615هـ. لجأ عماد الدين إلى أمراء الأطراف.، فراسل من في العمادية، وأعلمهم: أن ابن أخي قد توفي، ويريد بدر الدين أن يملك البلاد، وأنا أحق بملك آبائي وأجدادي، فاستدعاه من في العمادية وسلموها إليه في 18 رمضان سنة 615هـ. فأرسل بدر الدين جيشاً إلى العمادية لانتزاعها من عماد الدين، وكان الفصل شتاء، والثلوج تتساقط، وحاصروا المدينة، فلم يتمكنوا منها، وخف مظفر الدين كوكبوري لمساعدة حفيده، فراسله بدر الدين يذكره بالعهود التي كانت بينهما، ومنها أن لا يتعرض إلى شيء من أعمال الموصل، فلم يلتفت إليه، ودحروا جيش بدر الدين.

ثم راسله أهل قلاع الهكارية و زوزان ودخلوا في طاعة عماد الدين. فلجأ بدر الدين إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل – صاحب ديار الجزيرة وخلاط– وانتمى إليه، وضرب النقود باسمه، وصار في طاعته، ليستعين به على أعدائه.

وأخذ كل من الطرفين يستميل أمراء الأطراف والمتنفذين على عدوه وفي سنة 630هـ توفي مظفر الدين كوكبوري، فصفا الجو لبدر الدين ليقضي على الطفل ناصر الدين محمود ويقضي على نفوذ الأتابكة في الموصل، فطمس معالمهم من مدارس ودور حديث وأربطة، وغرق بعضهم، ولم يبق أمامه سوى هذا الطفل فقتله شر قتلة.

وذكر ابن كثير عند كلامه عن ناصر الدين: وقد أقامه بدر الدين صورة، حتى تمكن أمره، وقويت شوكته، ثم حجر عليه، فكان لا يصل إليه أحد من الجواري ولا

شيء من السراري، حتى لا يعقب، وضيق عليه في الطعام والشراب، فلما توفي جده لأمه مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل، منعه حينئذ من الطعام والشراب ثلاثة عشر يوماً، حتى مات كمداً وجوعاً وعطشاً- رحمه الله تعالى.[1]

وهكذا صفا الجو لبدر الدين، فأرسل إلى الخليفة المستنصر بالله هدايا وافرة، وعرض عليه أمر تقليده، فأرسل الخليفة سنة 631هـ الأمير بدر الدين سنقرجاه الظاهري، أمير آخور الخليفة المستنصر بالله إلى الموصل، ومعه خلعة السلطنة، وتقليد لبدر الدين لؤلؤ الرومي الأتابكي صاحب الموصل، فخلع عليه وأمطاه فرساً بمركب ذهباً، وكنبوش ابريسما(×)، وسيف ركاب، ومشدة في عنق الفرس، ولقب الملك المسعود، وأذن له أن يذكر اسمه على المنابر ببلده، ونقشه على سكة العين والورق.

قلع بدر الدين البيت الأتابكي بالكلية، واستقل بالأمر نيفاً وأربعين سنة.

كان بدر الدين لؤلؤ يترقب الفرص للتقرب إلى الخليفة العباسي ورجال دولته. فيقدم إليهم الطرف والهدايا الثمينة، ويوثق علاقته مع رجال الدولة بالمصاهرة والانتساب إلى الخليفة ورجاله في رمي البندق. وغير ذلك مما يعزز مكانته.

ففي سنة 632هـ أرسل إلى بغداد رسولاً، ومعه تحف وكراع وهدايا كثيرة، وطلب تزويج ابنته بمجاهد الدين أيبك الخاص ألمستنصري المعروف بالدويدار، كان هذا من أقرب مماليك الخليفة المستنصر بالله – فأجيب طلبه، وزفت إليه سنة 634هـ باحتفال مهيب، اشترك فيه رجال الدولة على اختلاف مراتبهم[2].

كما زوج إحدى بناته بالأمير علاء الدين ابي شجاع الطبرسي المعروف بالدويدار الكبير، وكان هذا حظياً عند الخليفة المستنصر بالله أيضاً[3].

---

(1) الكامل: 12: 140- 146، 174، 187، البداية والنهاية: 13: 136، النجوم الزاهرة: 6: 257، المختصر: 3: 198، تتمة المختصر: 2: 44، شذرات الذهب: 5: 94.

(×) الكنبوش: برذعة توضع تحت السرج، وهي معربة(الحوادث الجامعة: 52).

(1) الحوادث الجامعة: 72، 92، العسجد المسبوك: 465، 633.

(2) الحوادث الجامعة: 79- 81، العسجد المسبوك: 590- 591.

وحاول ان يزوج إحدى بناته من الملك المعز أيبك – صاحب مصر – ليوطد علاقته بملوك مصر، ولكن زوجة المعز (شجرة الدر) قتلته قبل الزواج[1].

وحمل أولاده على الانتساب إلى الخليفة ورجال دولته في رمي البندق – وهو من ألعاب الفتوة – وكان للفتوة شأن في هذا العصر، فقد جدد الخليفة الناصر لدين الله رسومها سنة 575– 622هـ، وتفنى له الملوك والأمراء والعلماء وانتسبوا إليه في رمي البندق[2].

ففي سنة 634هـ أرسل بشراً خادم ابنه إسماعيل، ومعه شخصان من رماة البندق، ومعهم طائر صرعه إسماعيل، وانتسب إلى شرف الدين إقبال ألشرابي، فقبله، وعلقه على باب البدرية، ونثر عليه ألف دينار، وخلع على الخادم، ومن معه ثلاثة آلاف دينار[3].

وفي سنة 638هـ أرسل إلى بغداد رسولاً ومعه طائر وجماعة من رمي البندق، شهدوا أن الأمير إبراهيم ولد بدر الدين لؤلؤ رماه بالبندق، وانتسب في ذلك إلى الخليفة، فقبل وعلق بباب البدرية، ونثر عليه ألف دينار، وخلع عليه وعلى الواصلين معه[4].

ولما توفي الخليفة المستنصر بالله سنة 640هـ أرسل في 8 شوال ابنه إسماعيل إلى بغداد لتقديم التعزية والتهنئة، فاستقبله الأمراء وعارض الجيش. ثم أرسل بدر الدين مع رسول في 14 شوال ومعه تعزية وتهنئة، وثوبان أطلس، وألف دينار برسم الغاسل الذي غسل الخليفة المستنصر بالله، فقبلت منه ونفذت إلى النقيب الحسين بن المهتدي.[5]

وأهدى إلى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي هدية، تشتمل على كتب وثياب ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار، وابن العلقمي لا يقل عن بدر الدين في لتدير، فحمل الهدايا

---

(3) النجوم الزاهرة: 6: 375.
(4) الفتوة في الاسلام: 42– 50.
(5) الحوادث الجامعة: 95– 96.
(6) الحوادث الجامعة: 143.
(1) الحوادث الجامعة: 165، العسجد المسبوك: 512.

إلى الخليفة، وأطلعه عليها، وعرض عليه قبولها، فقبلت، وأهدى إلى بدر الدين عوض هذه الهدية شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار [1].

إن بدر الدين سلك اختلاف الطرق في الهدايا والألطاف والانتساب إلى الخليفة والمصاهرة مع رجال دولته بما يعزز مكانته.

دبر بدر الدين القضاء على أبناء الأتابكة، فأخرج المعارضين له من الموصل، وقتل بعضهم، وحارب عماد الدين وانتصر عليه، وانتسب الى الملك الأشرف، وكان الناس معه بين خائف يترقب، وراغب في صلته، ومشفق على أبناء الأتابكة، وممن كان ينتقد أعماله، وما يقوم به من ظلم وقسوة وشنق وتشويه: موفق الدين الكواشي المفسر التقي، فقد كان من أكبر المؤلبين عليه وما يقوم به من أعمال [2].

وكانت الطريقة العدوية وعلى رأسها الشيخ شمس الدين حسن بن صخر قد تعاظم شأنها، وانتشر دعاتها في الهلال الخصيب، وخاصة بين الأكراد، وكان الشيخ حسن قد نظم دعوة يهدف بها إلى تأسيس دولة أموية، تحت ستار من الطريقة العدوية، وانتشر دعاتها وكثر الإقبال عليها، فكان بدر الدين يتحين الفرص للتنكيل بالشيخ حسن الذي اتخذ الموصل مركزاً لدعوته، فقاوم بدر الدين هذه الحركة بالدعوة إلى المذهب الشيعي، فجدد أضرحة بعض المشاهد لأبناء آل البيت، وأقام قبوراً لبعضهم في المدارس التي شيدها الأتابكيون، كما بنى بعض المشاهد الفخمة في المدينة، وزوقها واتخذها مراكز دعوة للمذهب الشيعي، فكان هو يتردد إليها، مظهراً زيارتها، ويحضر المجالس التي تعقد فيها لدعوته [3].

وكلف بعض العلماء بقراءة سيرة الإمام علي (ك) ومقتل الإمام الحسين (رض) في هذه المشاهد.ومنهم: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي المتوفى سنة 668 هـ، جمع هذا كتاباً في مناقب الإمام علي، فكان يقرأه في المشهد،

---

(2) الفخري: 338.

(3) الموصل في العهد الأتابكي: 78.

(1) ترجمة الأولياء (المقدمة).

ويحضر المجلس صدور البلد من النقباء والمدرسين والفقهاء وأرباب الحديث، وأكثر الحاضرين لم يؤيدوا هذا العمل، فكانوا يحضرون مكرهين ويعترضون عليه [1].

كما كلف بدر الدين الشيخ عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر الرسعني (589– 661هـ) بجمع كتاب عن مصرع الحسن، فجمع هذا الكتاب ونشره بين الناس [2].

ثم التفت إلى حركة الشيخ حسن، وصار يترقب الفرص للتنكيل به وبأصحابه. وفي سنة 644 هـ قبض على الشيخ حسن في قلعة الموصل وخنقه مع مائة من أصحابه، فقضى على أقوى منافس له في الموصل، ثم أخذ يتعقب أتباعه، ويكلفهم بتكاليف باهظة، ويثقل عليهم في الضرائب، فاطلقوا ألسنته فيه. فجرد عليهم سنة 652 هـ حملة قوية فتكت بهم فتكاً ذريعاً، ونبشوا قبر الشيخ عدي، وأحرقوا عظامه ثم أسر منهم جماعة، فصلب بدر الدين منهم مائة شخص، وقطع أعضاء أميرهم، وعلقها على أبواب الموصل، فقضى على أشد الناس خصومة له[3].

واستمال نصارى أهل الموصل، فأمر بالاحتفال بعيد الشعانين، وأظهر فيه من أسباب الخلاعة والمجون ما رغب به أهل البطالة، ونفَّر أهل البلد.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء عند كلامه عنه:[4]((وهو الأرمني الأصل، وكان يحتفل بعيد الشعانين – لبقايا من شعار أهله– فيمد سماطاً عظيماً إلى الغاية. ويحضَّر المغاني وأواني الخمر، فيتفرج وينثر الذهب من القلعة، ويتخاطفه الرجال))، وقيل فيه:

يعظم أعياد النصارى وعنده ... بأن إله العريش عيسى بن مريم

إذا نبهته نخوة عربية ... إلى المجد قالت أرمنيته نم

---

(2) نكت الهميان: 117، شذرات الذهب: 5: 366، تراجم رجال القرن السادس والسابع: 208.

(3) كفاية الطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب: أنظر مقدمة الكتاب.

(4) ذيل طبقات الحنابلة: 2: 275 وذيل مرآة الزمان: 2: 219– 220.

(1) اليزيدية: 80– 85.

ويذكر ابن تغري بردي في كتابه: المنهل الصافي[1] أنه: لمت رأى مظفر الدين يتغالى في المولد النبوي، ويغرم على القصاد أموالاً وافرة، ويظهر الفرح والزينة، عمد هو على يوم في السنة – وهو عيد الشعانين– فعمل فيه من اللهو والخمر والمغاني ما يضاهي فيه المولد، ويكون السماط خونجا طعام، وباطية خمر، وينثر الذهب على الناس من القلعة[2].

بدر الدين لؤلؤ رجل بصير بالأمور، يعرف كيف يتخلص من أعدائه، ولما زحف المغول على الشرق شارك في مقاومتهم، ودافع عن أربل سنة 617هـ مع مظفر الدين كوكبوري وكان يكاتب الخليفة بأخبار المغول، ويحذره عاقبة الأمر، يراقب حركتهم بحذر وتيقظ، ويسعى في صدهم كلما استنجد به أحد[3].

وفي سنة 635هـ ضعف موقف بدر الدين بموت الملك الأشرف الأيوبي، ولم يبق من يعوّل على قوته، فالبلاد ومن عليها في ضعف وتدهور، وأمراؤها في نزاع وتخاذل، وليس فيهم من يقدر على إعانته، وصار يميل إلى المغول، يصانعهم ويداريهم، كما استمر على الاتصال بالخليفة يعلمه بأمرهم بواسطة تاج الدين أبي المعالي محمد بن الصلايا العلوي– ناظر أربل من قبل الخليفة[4]– ومع هذا يقدم للمغول ما يطلبونه من ذخائر وعتاد [5].

وفي سنة 642 هـ عندما فرض المغول مبالغ على بعض البلاد، فإن بدر الدين شارك في جبايتها إرضاءً لهم، ودفعاً لشرهم، فأرسل القاضي زكي الدين بن محيي الدين بن أبي الفضل إلى الشام يعلمهم بأن يجمعوا للمغول مائتي ألف دينار – على الغني عشرة دراهم، وعلى الوسط خمسة دراهم وعلى الفقير درهم واحد– فقرأ عليهم

---

(2) نسخة دار الكتب المصرية: تاريخ: 5/ 1219: ص: 20.

(3) نسخة دار الكتب المصرية: تاريخ: 1113، جـ 3. ورقة 620. اعلام النبلاء: 120.

(4) الكامل : 12: 156، الذهبي: أمارة الموصل: 243.

(1) كان مظفر الدين قد تقدم إلى الخليفة بأن يتسلم أربل بعد وفاته سنة 630هـ، فأرسل الخليفة ابن صلايا ناظراً عنه فيها.

(2) ذيل مرآة الزمان: 1: 87، 88.

القاضي كتاب بدر الدين وطلب جمع المبلغ منهم[1]، فكان هذا اعترافاً منه بأنه من أنصارهم، وشارك مع المغول في حرب ديار بكر وبعض بلاد الشام [2].

ولما تعاظم أمر المغول واستولوا على كثير بلاد الشرق هددوا الخليفة العباسي، وزحفوا إلى بغداد، رأى بدر الدين أن لا أمل في دفاع الخليفة، فانحاز كلياً إلى المغول وسار في ركابهم.

ولما عاد المغول إلى حصار أربل سنة (634هـ) وعجزوا عن فتح قلعتها، استشاروا بدر الدين في الأمر، فأمدهم بجيش، وأشار أن يتركوها إلى الصيف، لأن الأكراد سكانها يفرون من الحر إلى الجبال، فعهدوا بحصارها إليه، وانسحبوا عنها، فشدد عليها الحصار وفتح قلعتها، وهدم أسوارها، وفتك بأهلها[3].

وكانت بلاده منطقة نفوذ لجيش المغول، وفي سنة 655هـ أمر هولاكو أن يسير جيشه المرابط في بلاد الروم عن طريق أربل – الموصل، ويعبر جسر الموصل، ويرابط في الجانب الغربي من بغداد[4]، ليشدد عليها الحصار من كل جهة، ولما حاصرت جيوش المغول بغداد أرسل بدر الدين ألف جندي بقيادة ابنه الملك الصالح اسماعيل ليشارك في الحصار ومعه هدايا وذخائر وعتاد، ووصلت الإمدادات متأخرة، وأن هولاكو لم يحسن مقابلة الملك الصالح، وقال له أتيتم بعد شك من أمرنا، ومطلتم نفوسكم يوماً بعد يوم، وقدمتم رجلا وأخرتم أخرى لتنظروا من الظافر في صاحبه، فلو انتصر الخليفة وخذلنا، لكان مجيئكم إليه لا إلينا، وقال له أيضاً قل لبيك لقد عجبنا منك تعجبا كيف ذهب عليك الصواب، وعدل ذهنك عن سواء السبيل، واتخذت اليقين ظناً، وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح[5].

---

(3) السلوك: 1: 315، 320.
(4) الحياة السياسية في العراق: 362.
(5) الحوادث الجامعة: 98، جامع التواريخ: 298– 299، مختصر الدول: 437.
(6) : ابن كثير: 13: 200، النجوم الزاهرة: 7: 48– 49.
(1) الحوادث الجامعة: 329.

وأمر هولاكو بحمل رؤوس الدويدار وابن الدويدار الكبير وسليمان شاه – وكان هذا من أخلص أصدقاء بدر الدين– فحملها الملك الصالح وعلقها على ظاهر سور الموصل، ليرهب بدر الدين وأهل الموصل[1].

تيقن بدر الدين أن هولاكو لم يزل يشك بصدقه وإخلاصه، فتوجه إليه في جبال همدان، وحمل ما في خزائنه من الأموال و اللآلىء والتحف، وصادر ذوي الثراء من أهل البلد، وجمع ما أمكنه، حتى حلي حظاياه وأولاده، وقدمها لهولاكو في رجب 656هـ، فأحسن هولاكو قبوله لكبر سنه ورق له، ووضع بيده في أذنيه حلقتين معه فيهما درتان ثمينتان[2].

وكان بدر الدين يحذر من ابن صلايا أن يطلع هولاكو على ما كان يقوم به بدر الدين من أخبار الخليفة بأعمال المغول، فحرض هولاكو على قتله، وقال له هذا شريف علوي، وربما يطاول أن يكون خليفة، وتبايعه على ذلك خلق كثير، فتقدم بقتله فقتله[3].

ولما عاد بدر الدين لؤلؤ من هولاكو، وقد أرعبه ما رآه من قوة جيشه وبطشه، مرض وتوفي وعمره نحو ثمانين سنة، ودفن بالمدرسة البدرية التي تجاور مشهد يحيى بن القاسم[4].

سلك بدر الدين طرقا متنوعة في الوصول إلى الحكم: ففي عهد سيده مور الدين أرسلانشاه، أظهر له الاخلاص والتودد له ولأبنائه، مما أكسبه ثقة الملك نور الدين به، يتدرج في المناصب الخطيرة، فتولى إمارة الجيوش وسياسة القبائل والعشائر، وهذا

---

(2) جامع التواريخ: 2: 301، الحوادث الجامعة: 337.
(3) السلوك: 1: 410، ذيل الروضتين: 1: 91.
(4) الحوادث الجامعة: 337، الباهر: 204، ابن خلكان: 1: 59.

(1) الذهبي: 2: 122، المنهل الصافي: 620، أعلام النبلاء: 70، العسجد المسبوك: 337، مختصر الدول: 456، منهل الأولياء: 1: 125– 126، منية الأدباء: 65– 66، 1250 126.

مـا حملـه أن يحسـن معاملـة الجـيش والنـاس، وإنصـافهم وإكـرامهم، فـازدادت منزلتـه عندهم.

وفي أول وصايته على القاهر، بذل ما في وسعه لكسب ثقة الجند وأرباب الحكم وأهل الرأي: تودد إليهم وخلع عليهم الخلع الفاخرة، وأغدق عليهم الأموال والهبات، وجلس لكشف ظلاماتهم وإنصاف مظلوميهم. بعد أن كاد لأولاد سيده الثلاثة، سلك شر الطرق في تحقيق وتوطيد حكمه: كثير القتل والتشويه والمؤاخذة، فيه ظلم وقلة دين، جباراً ظلوماً، قطع وشنق وقتل ما لانهاية له، ومثل بأبناء الأتابكة شر تنكيل، قتل بعضهم وخنق غيرهم وأغرق منهم، وهكذا سلك كل ما يمكنه لتحقيق مأربه[1].

ولا ننكر أنه كان مع هذا شجاعاً مهيباً سائساً، خبيراً بالأمور، يبذل للقصاد، ويداري من يخشى منه، ويقرب بعض العلماء أملاً أن ينوهوا بذكره.

الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ

657- 660 هـ

كان الملك قطز قد كسر شوكة المغول في واقعة عين جالوت[×] في 25 رمضان 658 هـ، وقتل منهم قتلة عظيمة[2]، فدب في نفوس المسلمين الثقة

(×) عين جالوت، بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين (معجم البلدان، 6، 254).
(1) ابو الفدا، 3، 205، ذيل الروضتين: 207، الحوادث الجامعة، 344.
(2) أبو الفدا، 3، 207- 209.

بأنفسهم في مقاومة المغول– ومنهم أولاد بدر الدين لؤلؤ فتطلعوا على الالتحاق بالشام لعلهم يعيدون الكرة على المغول ويخلصون من شرهم، فالتحق علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ– صاحب سنجار– بالملك قطز في الشام، فولاه مدينة حلب، أملا أن يكون على اتصال بأخيه الملك الصالح صاحب الموصل، يطلعه على أخبار المغول، ويحثه على الالتحاق به.

وفي سنة 659 هـ تبعه أخوه سيف الدين إسحاق– صاحب جزيرة ابن عمر– اما علاء الدين فإنه أساء السيرة في حلب، وصار يأخذ أموال الناس، فقبضوا عليه وصادروا أمواله وسجنوه[1].

والملك الصالح ليس له من الأمر شيء، فالأمر بيد ياسان الشحنة المغولي، وأعلمه أخوه بما هو عليه من المنزل الحسن والعزة والمنعة، وأن الملك الظاهر بيبرس البندقداري– الذي قتل الملك قطز وتولى مكانه– يحثه على الالتحاق به، وأنه سيفوض إليه بلاد الشرق ليسترجعها من المغول، وبينما كان الملك الصالح يتهيأ للالتحاق بهم وقع الكتاب الذي أرسله أخوه بيد ابن يونس البعشيقي. وكان هذا من قواد بدر الدين لؤلؤ. ومن المعتمدين عنده– فأسرع ابن يونس بايصال الكتاب الى هولاكو، تقرباً اليه، وخشية أن يفتك المغول بالموصل إذا ما حاربهم الملك الصالح[2].

ولما علم الملك الصالح بالأمر خرج من الموصل مع بعض رجاله وولده علاء الملك واثقاله قاصداً الملك بيبرس، واجتمع في دمشق وطلب منه جيشاً يستعين به على حرب المغول وتخليص بلاده، وتخلفت عن الملك الصالح زوجته تركان خاتون بنت السلطان جلال الدين خوارزمشاه، وهي التي كان قد زوجه بها هولاكو بعد واقعة بغداد– فإنها لم ترض بعمله، وكتبت إلى هولاكو تعلمه بالأمر.

---

(1) أنظر تفصيل الحادث في مختصر الدول، 493– 493، جامع التواريخ، 2، 337– 331.

(2) السلوك: 1، 1، 475.

(3) السلوك: 1، 460– 461.

أما الظاهر بيبرس فإنه أمد الملك الصالح بجيش عليه علم الدين سنجق- أحد قواد بدر الدين، ومن الذين رافقوا الملك الصالح- فتوجه الى الموصل، ولما علم المغول بالأمر أحكموا أمر البلد، وأرسلوا الى هولاكو يعلمونه فأمدهم بعشرة آلاف مقاتل، عليهم الملك صدر الدين التبريزي، ليعزز قوة ياسان الذي اعتصم مع زوجة الملك الصالح في القلعة[1].

ثم سافر الملك الصالح وأخوه سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة الى القاهرة فتلقاهما السلطان بيبرس، وبالغ في إكرامهما، وخلع عليهما خلعاً كثيرة، وشفعهما بعلاء الدين الذي كان مسجوناً في القاهرة. وقسم البلاد بينهم: فكتب للملك الصالح بالموصل ونصيبين وعقر وشوش، وداراً والقلاع العمادية، وكتب للمجاهد بالجزيرة[2]. وكتب لعلاء الدين بسنجار، وساروا جميعاً الى دمشق يترقبون مايقوم به علم الدين سنجق الذي قصد الموصل.

أما علم الدين فقد صعب عليه أمر الموصل، وصار يفاتح بعض أهل البلد، يعدهم ويمنيهم، فوثب محيي الدين بن زبلاق في طائفة من أهل البلد، وفتحوا له باب الجسر، فدخل منه، ثم توجه الملك الصالح الى الموصل ليأخذ أثقاله وخزائنه وذخائره يستعين بها على الحرب [3].

وأرسل المغول جيشاً بقيادة سمداغو، وشدد الحصار على الموصل، واعتصم الملك الصالح بالمدينة، ووزع المبالغ على الجيش، وحرضهم على الدفاع، وأعلمهم ان الملك الظاهر بيبرس سيمدهم بقوة، يقضون بها على المغول.

أما سنداغو فأقام المتاريس حول المدينة، وضربها بالمجانيق، فصمد جيش الموصل ودافعوا دفاعاً مجيداً، وتسلق سور المدينة ثمانون شخصاً من المغول

---

(1) الحوادث الجامعة: 344- 347، السلوك: 1: 467- 468.
(2) جامع التواريخ: 2: 328، 326- 327.

ليرعبوا أهلها. فهجم عليهم المواصلة وأبادوهم، ورموا برؤوسهم الى جيش سنداغو[1] فاضطر هولاكو أن يرسل جيشاً آخر مددا لهم.

أما الملك الظاهر فانه عندما علم بصمود أهل الموصل، وأن هولاكو عزز جيش سنداغو، فانه أرسل جيشاً بقيادة أغوش أزبرلو مددا للملك الصالح. ولما وصل هذا الجيش الى سنجار، كتب الى الملك الصالح يعلمه بوصوله، وأرسلوا الرسالة في جناح حمامة، ومن سوء الحظ أن حطمت الحمامة على منجنيق المغول، فاطلعوا على مافيها، فأرسل سنداغو عشرة آلاف جندي كمنوا للجيش القادم من الشام، وفتكوا بهم وبأهل سنجار، ودبروا خطة يخدعون بها أهل الموصل، فارتدى الجيش ملابس اهل الشام، وأطلقوا شعورهم جرياً على عادة الأكراد، ثم توجهوا الى الموصل، وأعلموا سنداغو بنصرهم وبما دبره من خديعة.

ولما اقترب هذا الجيش من المدينة خرج أهل الموصل لاستقبالهم ظناً منهم أنهم شاميون جاؤوا لامدادهم، فأحدق بهم جيش المغول من كل جانب، ولم يتركوا واحداً منهم حياً، كما فتكوا بأهل سنجار.

واما سنداغو فإنه شدد الحصار على المدينة، ونصب تجاه باب الميدان وباب الجصاصين ثلاثين منجنيقاً، ترمي ليلاً ونهاراً، وقابلهم الملك الصالح تجاهها بمجانيق تقابلهم بالضرب. وعلم سنداغو أن الضرب لايجدي نفعاً، وخير لهم أن يضايقوا المدينة حتى يفنى طعامهم، وكان لهم ماأرادوا، ففنيت ميرة أهل الموصل وتعذرت عليهم الأقوات، فطلب الملك الصالح من سنداغو أن يكف عن الحصار، وأن يخرج اليه بنفسه مظهراً الندم على مافات، على أن يصون حياته ويشفع له عند هولاكو ليخلصه من القتل، فأجابه سنداغو بالقبول.

فخرج الملك الصالح اليهم بالمغاني والطبول، فقبضوا عليه، وهجم الجيش المغولي على الموصل في رمضان 660هـ، وقتلوا أكثر السكان، وأسروا أهل الحرف والصناعات، بحيث كادت المدينة أن تخلو من أهلها.

اما الملك الصالح فأرسلوه الى هولاكو، فأمر أن يسلخ وجهه وهو حي، ثم قتلوه شر قتلة[1].

(1) جامع التواريخ: 2: 329– 330، الحوادث الجامعة، 346– 348، منية الأدباء: 68– 69، منهل الاولياء: 1: 126. ويذكر في جامع التواريخ انه بعد القتل سلم من اهلها مايقرب من الف شخص من بين الجبال والمغارات وتجمعوا.

محراب المدرسة العزية– والتي تعرف اليوم بمشهد الامام عبدالرحمن

خطط المدينة

كانت المدينة داخل السور الذي حفها به العقيليون، وقد تقلصت عمارتها على عهد السلاجقة وهجرها أكثر سكانها، نزحوا إلى البلاد المجاورة، فاستولى الخراب على كثير من أحيائها. ويذكر ابن الأثير ماكانت عليه من سوء الحال والدمار عندما تسلمها عماد الدين زنكي، نقلاً عن والده: أنه قال:

"رأيت الموصل– التي هي أم البلاد– في أول أيام الشهيد عماد الدين زنكي– وأكثرها خراب. وكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة، والى دور السلطنة، وكانت العرصة ترى من قريب مسجد التركماني– وهو قريب من الطبالين– وكان الجامع العتيق – الجامع الأموي– أيضاً بلا عمارة البتة. وكانت جميع المحال المجاورة للسور من ساير جهاته غير معمورة. وكان أدنى العمارة من السور مايكفي رمية حجر. وكان الناس لايقدرون على المشي الى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة"[1].

---

(1) الباهر: 737.

هذا هو حال البلد عندما ملكها عماد الدين، فإنه حمى البلاد، وكف أيدي الأقوياء، وضرب المفسدين، ونشر العدل والأمان بين سائر الناس، فساد الأمن والطمأنينة والعدل، فقصدها الناس من مختلف الجهات، واتخذوها دار إقامة لهم، فلم تزل العمارة في ازدياد وتوسع حتى درست كثير من المقابر وبنيت دوراً. وضاقت بسكانها، فخرجوا ظاهر السور الى الأرباض التي حولها، فعمروها وصارت بعض أرباضها تضاهي المدن العظام: كالربض الأعلى والربض الأسفل.

فصارت الموصل على عهدهم إحدى قواعد بلاد الاسلام، كما وصفها ياقوت الحموي بقوله: "الموصل المدينة المشهورة العظيمة، إحدى قواعد بلاد الاسلام، قليلة النضير، كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة"[1].

وامتازت بفخامة بناياتها، وجمال هندستها وزخرفتها، وتنسيق شوارعها وحدائقها، حتى صارت بعض محلاتها مضرب المثل.

ومن هذه المحلات: محلة سوق التركمان- محلة الخاتونية في الوقت الحاضر- تجاور الميدان، ذكر عنها ابن الفوطي في حوادث سنة 646هـ عند كلامه عن غرق بغداد فقال: "وغرق في الجانب الشرقي ما كان ظاهر السور من مساكن كانت استحدثت منذ أيام الخليفة المستنصر بالله، وبولغ في عمارتها، وكان بها أسواق عامرة، وحمامات وبساتين مثمرة، حتى كادت تشبه حاضر حلب، أو سوق التركمان في الموصل"[2].

---

(2) معجم البلدان: 8: 195.

(1) الحوادث الجامعة، 230- 231.
(2) آثار البلاد: 461.
(3) اعلام الصناع المواصلة: 28.

ويقول ابن عبدالحق عنها: "بها أبنية حسنة، وقصور طيبة على طرف دجلة، وبها بساتين نزهة، وفيها جواسق في غاية الحسن والطيب"[1].

ويقول عنها ابن سعيد المغربي: "هذه المدينة من أحسن البلاد منظراً في بناياتها وبساتينها وشواريقها التي على دجلة"[2].

الميدان

يفصل الميدان عن المدينة السور الذي بناه العقيليون، وفيه القلعة ودور المملكة، وهو أرض تمتد من ساحل دجلة الى باب سنجار، وهو ميدان للجيش وألعابه وتدريبه، وفيه كشك يكون فيه الملك إذا عزم الخروج الى حرب، ليشرف على تدريب الجيش وتهيئته.

وفي الميدان شارع واسع يمتد بموازاة السور العقيلي، يفصل دور المملكة والقلعة عن البلد، يكون من باب المشرعة- قرب عيسى دَدَه- الى المدرسة العزية- مشهد الامام عبدالرحمن في الوقت الحاضر- الى مقام الفتح الموصلي- الشيخ فتحي في الوقت الحاضر- الى باب سنجار.

وحف الأتابكيون الميدان بسور يمتد من القلعة الى باب سنجار، فصار للموصل سوران.

دور المملكة

تقع على دجلة، تجاور القلعة وتقابل الميدان، ولم تزل بقاياها تعرف باسم "قره سراي".

إن عماد الدين زنكي جدد هذه الدور التي كان قد بناها السلاجقة، لأنه وجدها لاتتناسب مع مايتطلبه من الفخامة، فوسعها وجعلها عدة دور، وصارت تعرف بدور الملكة[3]، وعني بزخرفتها بالنقوش الجبسية، والرخام المطعم، والكتابات

---

(1) وتعرف ايضاً بدور السلطنة.

المختلفة. وزخرف سقوفها بالذهب، فكانت من الدور الكبيرة التي تضاهي دور الخلفاء والسلاطين العظام، وزينها بتصاوير نافرة في الجدران، مختلفة الحجوم، فنجد في إحدى الغرف المطلة على دجلة في قره سراي صوراً صغيرة تحف بأعلى جدران الغرفة، كل صورة منها داخل دائرة قطرها 5 سم وربما كانت هذه الصور تمثل أزياء الجند، ويذكر نيبور عنها فيقول: "ورأيت على جدران الغرف صوراً جصية صغيرة بارزة، يتراوح عددها بين الثمانين والمائة تمثالاً".

وكانت بعض كتاباتها وزخارفها مذهبة، قال ابن القلانس يصف مافيها من الزخارف:

وكم بيت مال من نضار وجوهر ... وأنواع ديباج، حوتها مخاتمه

وكم قد بنى داراً تباهي بحسنها ... جنان خلود أحكمتها عزائمه

مزخرفة بالتبر من كل جانب ... وأغصان بقس قد تحلت جمائمه

ولما نكب بدر الدين أولاد الأتابكة وقضى عليهم، اتخذها داراً له، فزاد في تنسيقها وزخرفتها سنة 630هـ واتخذ بها الحدائق، وفيها النافورات والتماثيل حول البرك وتحت الأشجار الوارفة، يقول أحمد بن بوران بن سنقر بن عبد الله الموصلي النقاش يصف ما شاهده من بدائع الفن والجمال:))[1]

---

(1) وكانت تسمى"بالجوسق البدري"، انظر أعلام الصناع المواصلة: 207- 210، الفتحي الموصلي- 631 ويصف موضعاً بناه بدر الدين لؤلؤ(1: 444- 445: ابن المستوفي).

هـــي الـــدار لا ســـواها فقـــف بهـــا ... تـــرى منظـــراً بـــاليمن حســـن ابتســـامه
فـــالايوان: لا إيـــوان كســـرى ببابـــل ... لمـــا قـــد حـــواه مـــن فنـــون رخامـــه
إذا مـــا رنـــا طـــرف ليـــدرك شـــأوه ... يعـــود كلـــيلاً دونـــه لـــم يســـامه
تشـــارف فيـــه البـــر والبحـــر غـــامرا ... بحيتانـــــه فـــــي عـــــامر بنعامـــــه
تلاعـــب فيـــه الضـــب والنـــون دائمـــا ... فمـــن ســـابح أو ســـائح فـــي أكامـــه
تـــرى الـــروض مـــا أبـــدى رفيـــع ســـقوفها ... لطـــــائف مـــــن نـــــواره وثغامـــــه
تمـــيس غصـــون لـــم يمســـن ومـــا شـــدت ... علـــى الأيـــك منهـــا طـــائر مـــن حمامـــه
فكـــم مـــن نـــديم أوطـــأ الكـــأس كفـــه ... ولكنـــه لـــم يرتشـــف مـــن مدامـــه
وهيفـــاء أمســـت يوجـــع العـــود ضـــربها ... ومـــا هـــو عنهـــا مفصـــح بكلامـــه
وريـــــم رمـــــاه بابـــــل فأصـــــابه ... ومـــا ذعـــرت الاقّـــة مـــن نعامـــه
وكـــم مـــن هزبـــر فـــاغر فـــاه طالبـــاً ... كميـــاً، علـــى طـــرف ثنـــي بلجامـــه
وفتيـــان صـــدق مـــن جـــاءه مـــن ورائـــه ... فكـــل يـــرى عـــن حكمـــه لا احتكامـــه
فكـــل تـــرى مـــن جـــاءه مـــن ورائـــه ... جليـــاً كمـــن قـــد جـــاءه مـــن أمامـــه
ومـــن بـــازل مـــا نـــيط حبـــل عقالـــه ... ولا ســـائق يلـــوي مجـــر زمامـــه
لـــدى بركـــة حفـــت بوشـــي حـــدائق ... يخجـــل زهـــر الـــروض حســـن نظامـــه
تـــدفق فيهـــا المـــاء مـــن كـــل جانـــب ... فتطـــرب مـــن تصـــفيقه وانتظامـــه
كـــأن مـــدار القطـــب وجـــه بســـاطها ... تـــرى الشـــهب فـــي وحداتـــه وتؤامـــه
تصـــدق إن قلـــت الســـماء بأنـــه ... يـــرى البـــدر فيهـــا كـــاملا فـــي تمامـــه

ولـم تـزل بقايـا هـذه الـدار تـعـرف بقره سراي، وعـند صـيانتها عثرنـا علـى بقايـا زخـارف مذهبـة وبـعـض التصـاوير التـي فـي الإيـوان، وكتابـات تشـير أن بـدر الـدين لؤلؤ قد أعاد عمارتها وعني بزخرفتها وتزويقها بإشراف مولاه ((سنبك البدري))[1].

القلعة

(1) انظر الكتابات في: مجموع الكتابات المحررة في أبنية الموصل: 140– 141، الموصل في العهد الأتابكي: 117– 118.

تقع على الأرض التي تشرف على دجلة وعين الكبريت شمال الميدان، وأقدم ذكر لها سنة 378هـ.

ولما تولى عماد الدين عني بها، فبناها قلعة واسعة تتسع لآلاف من الجيش وما يحتاجونه من عتاد ولوازم حرب ومؤونة[1].

ومن اهتم بعمارتها، فرمم سورها وأحكم أبراجها وجدد ما هدم من مرافقها فخر الدين عبد المسيح وزير سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود.[2]

وكان يحيط بالقلعة سور هو غير سور مدينة الموصل، ووصفها ابن جبير سنة 579هـ بقوله: "وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصاً، ينتظمها سور عتيق البنية، وتتصل بها دور السلطان، وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع من أعلى البلد إلى أسفله)).

ومما يؤسف له أننا لم نقف على وصف مفصل لمرافقها، وقد وقفنا على أسماء بعض أبوابها: وهي:

باب القلعة: يؤدي منها إلى الميدان، والذي نراه أنه كان يقابل الغرب، أي أنه كان يقابل باب الميدان– الميدان الغربي– والمعروف بباب سنجار أيضاً.

باب السر: يؤدي منها إلى النهر من جهة عين كبريت، وهم من أمنع أبوابها، ولما حاصر نور الدين محمود الموصل سنة 566هـ حلف أن لا يدخل القلعة إلا من بال السر، ودخل منه.

أما سعتها فيظهر لنا أنها كانت تمتد إلى دور المملكة، وكان مشهد الامام يحيى بن القاسم فيها، ومن ساحل النهر إلى مقبرة آل النقيب مقبرة الست فاطمة– .

كانت القلعة مركزاً مهماً في الدولة، يكون بها العتاد والذخيرة وأموال الدولة النفيسة، ويتولى حراستها جيش يشرف عليهم (محافظ)– ويسمونه ((دزدار)) معروف بالشجاعة والحزم والتدبير.

---

(2) الكامل– لابن الأثير (9: 239)، (10: 172)، (11: 134).

(3) المصدر نفسه.

وممن تولى دزدارية القلعة:

- سعد الدين كمشتكين الخادم، ولاه سيف الدين غازي(566- 576هـ).
- فخر الدين عبد المسيح، تولاها بعد زين الدين علي كجك(565- 566هـ).
- مجاهد الدين قيماز الرومي، تولاها لسيف الدين غازي الثاني- سنة 571هـ.

بقيت القلعة عامرة حتى سنة 660هـ، وفي هذه السنة حاصر الموصل ((سنداغو))، قائد المغول ونصب عليها المنجنيقات، وتحصن في القلعة ((ياسان))، وشدد المغول الحصار عليها، ورموها بالأحجار والنار، فهدموا القلعة وقتلوا من فيها

ولم تزل بقاياها تعرف اليوم باسم. ((باش طابية))[1].

السور

ولما تولى الأتابكيون الموصل وجدوا السور الذي بناه العقيليون بحالة غير مرضية، فجدد بناءه عماد الدين زنكي. وبنى للميدان سوراً آخر يمتد من القلعة إلى باب سنجار، يحف بالميدان، أن فيه دور المملكة والقلعة، ورفع السور من سائر جهاته وأحكمه، وعمق الخندق الذي يحف بظاهر السور، كان هذا سنة 527هـ فصار للميدان سوران، أحدهما السور العقيلي، والثاني السور الأتابكي[2].

ووصف ابن جبير عظمة هذا السور وما فيه من أبراج محكمة، وبيوت كثيرة للجيش فقال عند كلامه عن الموصل: ((هذه المدينة عتيقة ضخمة، حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن، وقد كادت أبراجها تلتقي انتظاماً لقرب مسافة بعضها من بعض، وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض، مستديرة بجدارة المطيف بالبلد كله، كان قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه، وللمقاتلة في هذه البيوت حرز ووقاية، وهي من المرافق الحربية))[3].

---

(1) سومر (10: 100- 102) والموصل في العهد الأتابكي: 118- 120.

(1) الباهر(78)، وفيات الأعيان(1: 114).

(2) رحلة ابن جبير: 188.

كان للسور عدة أبواب في العهد الأتابكي:

– **الباب العمادي:** فتحه عماد الدين زنكي سنة 527هـ، وهو يؤدي إلى الربض الأعلى من المدينة، وسمي باسمه، وموقعه محطة تزويد الوقود (النفط) التي بجانب بناية مديرية دار ابن الأثير للطباعة والنشر (مطبعة الجامعة)، وأمامه ظاهر المدينة مشهد الطرح– بنجة علي–.

– **باب سنجار:**[1] وهو من أقدم أبواب المدينة وأعظمها، يقع في اللحف الغربي من تل الكناسة، ولم يزل محله يعرف بهذا الاسم، وكان من أوسع أبواب المدينة وأعظمها، يحف به من الداخل مرافق كثيرة للجيش وخيوله وعتاده، وآخر من جدده بدر الدين لؤلؤ سنة 641هـ.

– **باب كندة:** وهو من الأبواب التي كانت تقع غربي المدينة بين باب البيض وباب سنجار، ولما حاصر صلاح الدين الأيوبي الموصل سنة 578هـ نزل محاذي باب كندة، وأنزل صاحب حصن كيفا محمد بن قرار على باب الجسر، وأنزل تاج الملوك عند الباب العمادي[2]–ولعله يكون قريباً إلى باب البيض أكثر من قربه إلى باب سنجار.

– **باب الجصاصة:** الجصاصة أو الجصاصون هم الذين يشتغلون بقلع المرمر وعمل الجص، ويكثر المرمر في القسم الشمالي الغربي من المدينة، فلعله كان يقع مقابل هذا المكان.

---

(3) ويعرف أيضاً بباب الميدان، لأنه يؤدي إلى الميدان، اما تل الكناس: فهو يعرف اليوم بتل كناس، نسفت البلدية أكثره عند دفن الخندق الذي كان يحف بالسور سنة 1937.

(1) الكامل: (11: 197)، (9: 146– 147)، (10: 172).

وللجصاصين شأن في إحكام سور المدينة أو تخريبه، ولما حاصر السلطان محمود السلجوقي جاولي صاحب الموصل سنة 502هـ اغتاظ أهل المدينة، وخرج الجصاصة نهار الجمعة وفتحوا الباب إلى السلطان[1].

ومن دروب الموصل المشهورة: درب الجصاصة أو درب الجصاصين، ولا شك أنهما كانا يؤديان إلى باب الجصاصين، وكان عمل الجص من الحرف المهمة في المدينة.

– **باب العراق:** كان يؤدي إلى الجهة الجنوبية –جهة العراق– ولم يزل محله معروف بهذا الاسم، كما أن المحلة التي بنيت قريباً منه تسمى بمحلة باب العراق.

– **باب القصابين:** من الأبواب التي كانت تؤدي إلى الجهة الجنوبية من المدينة يؤدي إلى سوق القصابين، ولعله كان بين باب الطوب وباب السراي.

– **باب الجسر:** وهو من أقدم أبواب الموصل، يؤدي إلى الجسر، ولم يزل محله معروفاً بهذا الاسم.

– **باب المشرعة:** كان يقع قريباً من دور المملكة–دور السلطنة– يؤدي إلى النهر، بنى عليه الملك سيف الدين غازي سنة 541هـ رباطاً، ويسمى محل الرباط اليوم ((مقام عيسى دده)).

– **الباب الغربي**

باب المشرعة– باب شط المكاوي

---

(2) المصدر نفسه.

الجوامع والمساجد

يذكر سبط ابن الجوزي أنه كان بالموصل سنة 600هـ: من الجوامع خمسة وثلاثون جامعاً، وأربعمائة مسجد، وهذا يدلنا على تمسك القوم بأمور دينهم، وأشهر جوامع الموصل إذ ذاك:

الجامع الأموي

وقد تقدم الكلام عنه

وصارت حالة الجوامع غير مرضية في القرن الخامس للهجرة، ولما تولى الأتابكيون عنوا بتجديد مرافقه، وذلك سنة 543هـ على عهد سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي. وبعد تجديد الجامع النوري صاروا يسمون الجامع الأموي " الجامع العتيق))، تمييزاً عن الجامع الجديد– الجامع النوري–.

واهتم الأتابكيون بزخرفته وتزيينه، ومما لاحظه ابن جبير في الجامع النافورة الجميلة التي كانت في صحنه، قال عنها: ((وفي صحن هذا الجامع قبة، داخلها سارية رخام قائم، قد خلل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها، وفي أعلاها خصة رخام مثمنة، يخرج عليها انبوب من الماء خروج انزعاج وشدة، فيرتفع في الهواء أزيد من القامة، كأنه قضيب من البلول معتدل، ثم ينعكس أسفل القبة)). [1]

ومن آثار الاتابكيين الجميلة في هذا الجامع المحراب المتخذ من المرمر– من اجمل محاريب الموصل– مزخرف بزخارف نباتية متشابكة ومتناظرة، صنعه سنقر البغدادي سنة 543هـ، كما هو مكتوب عليه.[2]

وعندما رمم الجامع النوري الشيخ محمد النوري القادري، ذكروا له هذا المحراب بين أنقاض الجامع الأموي، فأمر بنقله إلى الجامع النوري، وصار يعرف بمحراب الجامع النوري، وعمروا به منارة كمنارة الجامع النوري، مزين ظاهرها بزخارف آجرية– ولم تزل تبعد عن الجامع بمسافة (150) متراً.[3]

الجامع النوري

انشأه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة 566هـ وذلك أنه زار الموصل في هذه السنة ومكث بها أربع وعشرون يوماً، وكانت الموصل قد توسعت وضاق الجامع الأموي بالمصلين، وذكروا لنور الدين أن في وسط

---

(1) رحلة ابن جبير (ص: 188).

(2) انظر جوامع الموصل(ص: 31– 34) فيها وصف المحراب وتصويره.

(1) في جوامع الموصل(ص: 3: 17) بحث مفصل عن الجامع المذكور.

الموصل خربة واسعة يستحسن أن ينشأ عليها جامع، فأشار شيخه معين الدولة عمر بن محمد الملا أن يشتريها وينشيء عليها جامعاً، فوافق نور الدين على هذا ورأى أن خير رجل يقوم بمثل هذا العمل الخيري هو شيخه عمر الملا، ففوض إليه أمر بنائه وأن يشتري ما يجاور الخربة من الدور والحوانيت، وأن تؤخذ من أصحابها برضاهم بعد أن يدفع إليهم اثمانها.

إن بعض اتباع نور الدين كانوا يرغبون أن يعهد إليهم بالعمل، فقالوا له عن عمر الملا: ((إن هذا الرجل لا يصلح لمثل هذا العمل.)) فأجابهم نور الدين: " إذا وليت العمل بعض أصحابي من الأجناد أو الكتاب أعلم أنه يظلم في بعض الأوقات، ولا يبنى الجامع بظلم رجل مسلم. وإذا وليت الشيخ غلب على ظني أنه لايظلم، فإذا ظلم كان الإثم عليه لا علي)).

باشر الشيخ عمر ببناء الجامع سنة 566هـ، وكان يملأ تنانير الجص بنفسه، وبقي يشتغل بعمارته إلى سنة 568هـ.

وفي هذه السنة زار نور الدين الموصل، وتفقد عمارة الجامع، وفرشه بالبسط والحصران وعين له مؤذنين وخطيباً ورتب له ما يلزمه.

وأوقف نور الدين على الجامع قرية من قرى الموصل، ويذكر العمري في منهل الأولياء عند كلامه عن العقر الحميدية: أنها كانت وقفاً على الجامع النوري، كما أوقف عليه قيسرية كبيرة كانت أعظم قيسريات الموصل، وذكروا أن عدد دكاكينها كانت 699 دكاناً.

وأنشأ مدرسة في الجامع.

وفي زيارة نور الدين هذه كان في أحد الأيام جالساً على دجلة، فتقدم إليه شيخه عمر الملا، وقدم إليه دفاتر الخرج، وقال له: " يا مولانا أشتهي أن تنظر فيها فقال له نور الدين: "يا شيخ عملنا هذا لله فدع الحساب ليوم الحساب وأخذ الدفاتر ورماها في دجلة.

يذكر عنه ياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ عند كلامه عن الموصل: ((وسورها يشتمل على جامعين، تقام فيه الجمعة، أحدهما بناه نور الدين محمود، وهو وسط السوق، وهو طريق للذاهب والجائي، مليح كبير)).

أما أبو شامة المقدسي المتوفى سنة 665هـ فإنه وصف الجامع بقوله:

((إليه النهاية في الحسن والاتقان)).

أما بناء الجامع الحالي فإنه حديث العهد لم يحتفظوا بأكثر آثاره النفيسة، فبعضها نقل إلى المتحف العراقي في بغداد، وبعضها تلف، وبعضها احتفظ به في الجامع.

ومن آثاره الجميلة المحراب الذي كان في الجامع، يقابل الباب الرئيسي في المصلى، مزين بزخارف وكتابات جميلة جداً، وتظهر آثار تقليد الفنانين لزخارف هذا الجامع في المحاريب التي أنشئت بعد هذا التاريخ[1].

ومن آثار الجامع واجهة جصية كانت فوق محراب مزخرف بالجص في شرقي المصلى وعند تجديد الجامع هدم المحراب ونقلت هذه القطعة الرائعة إلى المتحف العراقي في بغداد، وكلها غنية بالكتابات والزخارف، فقد اتخذت الكتابات على شكل زخارف، تتخللها زخارف نباتية مختلفة، تتكون هذه الواجهة من ثلاثة أقواس مرتفعة تجمع بينها أعمدة.[2]

محراب المصلى الصيفي: وهذا المحراب كان في المصلى الصيفي للجامع النوري، وهو من المحاريب الرائعة لما يحويه من زخارف وكتابات جميلة، ومما يؤسف له أن بعض أقسامه فقدت.

يحف بالمحراب من جانبيه زخارف دقيقة كل وحدة منها ما يشبه المحراب وهي تستمر إلى أعلى المحراب.[3]

المنارة: وهي أطول منارة في العراق، يبلغ ارتفاعها 55 متراً، تمتاز بما يزينها من زخارف آجرية نافرة، على شكل حلقات تحف بظاهرها، يفصل بين كل قسمين منها شريط مزين بزخارف آجرية.

---

(1) في كتابنا عن جوامع الموصل(ص: 17- 55) بحث مفصل عن الجامع.

(1) انظر ما في هذه الواجهة من كتابات جميلة زينت بها في ((نصوص في المتحف العراقي)): 8: 38- 41.

(2) انظر ما في هذا المحراب من كتابات وزخارف في نصوص ((في المتحف العراقي)): 8: 34- 37.

وتتألف المنارة من:

القسم المنشوري: وهو الذي تستند عليه المنارة، ويتألف من منشور رباعي، ضلع قاعدته 50.70 متراً وارتفاعه 15.80 متراً.

القسم الاسطواني: وهو الذي يعلو القسم الأول، ويشتمل على سبعة أقسام زخرفية.

وللمنارة طريق من الأرض يؤدي إلى أعلى المنارة.

والطريق الثاني– وهو في الأروقة التي تقع في السفح الشرقي من القسم المنشوري– وهذا الطريق يلتقي مع الطريق الأول ويؤدي إلى أعلى المنارة[1].

الجامع المجاهدي

انشأه أبو منصور قيماز بن عبد الله الزيني الملقب مجاهد الدين من أهل سجستان، كان من مماليك زين الدين والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري، وقدمه في دولته.

وفي سنة 571هـ انتقل إلى الموصل وتولى دزدارية قلعتها، ورث آثاراً حسنة في الموصل وأربل، بنى في أربل مدرسة وخانقاهاً للصوفية، وأوقف لهما الوقوف الحسنة.

وبنى في الموصل عمارات خيرية كثيرة– ذكرناها عند كلامنا على المدرسة المجاهدية.

كان الربض الأسفل كالمدينة بكثرة عماراته، وازدحام السكان فيه، والأسواق الكثيرة، وكان يصعب على الناس الصلاة في الجامعين اللذين في داخل المدينة.[2]

وفي سنة 572هـ باشر ببناء جامع على دجلة في الربض ليريح الناس، واستخدم في بنائه أمهر البنائين والفنانين، وأنفق عليه مبلغاً كبيراً، واستمر العمل

---

(3) في سومر(5: 291– 296) تصوير المنارة، والواح توضح الزخارف الآجرية لقاعدة المنارة، والواح توضح زخارف المقاطع السبعة للمنارة.

(1) الجامع الأموي الجامع العتيق والجامع النوري، الجامع الجديد.

به أربع سنين، فكان من الجوامع المعدودة في بلاد الجزيرة، وأقيمت فيه صلاة الجمعة سنة 575هـ قبل أن تكمل مرافق الجامع.[1]

كان الجامع أكبر مما هو عليه الآن، ومن أجمل الجوامع، ذكر عنه ابن جبير الذي زار الموصل سنة 580هـ، وصلى فيه، وأعجب به غاية الإعجاب لما شاهده من جمال موقعه، ودقة هندسته، وتنوع زخارفه وكتاباته، فقال عند كلامه عن الربض الأسفل: ((وأحدث فيه بعض أمراء البلدة – وكان يعرف بمجاهد الدين جامعاً على شط دجلة ما أرى وضع جامع أحفل منه بناء، يقصر الوصف عنه، وعن تزيينه وترتيبه، وكل ذلك نقش في الآجر، أما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة، ويطيف بها شبابيك حديد، تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة، لا مقعد أشرف منها ولا أحسن، ووصفه يطول، وإنما وقع الالماع بالبعض جرياً إلى الاختصار.))

أما قبته فقد طمست الزخارف والكتابات التي كانت تزينها.ووصلنا من آثاره المهمة المحراب، وهو أكبر محراب في الموصل، مزخرف بزخارف نباتية متشابكة مع زخارف هندسية، يتخللها صور حيوانات كالأسد والغزال وطيور أليفة كالبط والحمام، متداخلة تداخلاً كلياً مع غيرها من الزخارف، وبصورة متناظرة بحيث تكون متممة للزخارف النباتية، ويصعب على الناظر تمييز ما فيها لأول مرة، وهذا يدلنا على إبداع الفنان في هذه الزخارف والتصاوير وكلها نافرة.

والجامع في الوقت الحاضر أصغر مما كان عليه.

---

(2) في كتابنا: جوامع الموصل(ص: 55– 73) بحث مفصل عن هذا الجامع.

محراب الجامع المجاهدي– المعروف اليوم بالجامع الأحمر أو جامع الخضر

مسجد ابراهيم المهراني الجراحي

شيد هذا المسجد الشيخ إبراهيم المهراني الجراحي، من أتباع عدي بن مسافر الهكاري، وكان يحضر عنده السماعات التي يقيمها الشيخ عدي في جبل لالش. واتخذ بجانب المسجد تربة له ولزوجته ((حسنة خاتون القرابلي)) وذلك في سنة 498هـ ودفن هو وزوجته فيها.

ومن آثاره التي فيه: حجر أسود من الكرانيت، مساحته(33× 15 سم)، منقوش عليه صورة الكعبة المشرفة ومكتوب فوقها البسملة،

" **أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً**" "هذا المسجد الذي عمره الأمير ابراهيم الجراحي، وهذه التربة المجاورة له تربة حسنة خاتون بنت القرابلي رحمة الله عليهما وعلى ابراهيم الجراحي–عمل عبد الرحمن بن ابي حمزة،)).

ثم إن بدر الدين اتخذ فيه مشهداً للامام ابراهيم المجاب بن جعفر الصادق، ولا يزال يعرف بهذا الاسم، وزينه برخام وكتابات من نقش وكتابة الاستاذ نوري بن يونس– كما هو مكتوب عليه[1].

---

(1) أعلام الصناع: 167، الموصل في العهد الاتابكي: 160، منية الادباء: 108.

مسجد الخلال

أسس المسجد الشيخ محمد الخلال، ودفن فيه، وقبره في غرفة متصلة بشرقي المصلى، وهو محمد بن حسن بن عشائر الخلال المتوفى سنة 634هـ، وينتهي نسبه بأبي بكر الصديق – رضي الله عنه.

وقبره من حجر الحلان، فيه نقوش نافرة، وكتابات غائرة، وهو من القبور الجميلة[1].

مسجد الرحماني

ويسمى أيضاً مسجد الحكيم، وهو ما نرى مشيد على أنقاض المسجد الذي شيده سعيد بن عبد الملك عندما تولى الموصل، وتوليته بيد آل الرحماني المعروفة ببيت حكيم أفندي، وهم أموريون، والمسجد بحالة غير مرضية، متداع كله، وفيه ألواح وزخارف وكتابات لعصور مختلفة.[2]

مسجد الملا عمر

هو المسجد الذي شيده الشيخ الملا عمر بن محمد الذي تولى بنفسه عمارة الجامع النوري، وبجانب المصلى تربة له، ودفن فيه بعد موته، وكان يسمى المسجد ((مسجد الشيخ عمر))، وسميت المحلة باسمه.

وفي سنة 1394هـ هدمت البلدية المسجد على أثر توسيع الشارع، ونقلت رفات الشيخ عمر إلى الجامع النوري.[3]

مسجد عبد الحميد

---

(2) الموصل في العهد الأتابكي: 162، سومر: 23: 228 فيه تصاوير مختلفة لقبره. ترجمة الأولياء: 81.

(1) سومر: 5: صورة 12.

(2) الموصل في العهد الأتابكي: 266. جوامع الموصل 49– 50.

يقع في محلة شهر سوق، ولا نعلم أول تأسيسه بالضبط، وعليه كتابة تشير انه جدد سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة. كما هو مكتوب على ألمحراب الرخامي الذي فيه، وهو محراب جميل بزخارفه وكتاباته، (تطوع بعمله لوجه الله تعالى حاجي خضر بن بندار التبريزي– تقبل الله منه وأثابه.)

وعلى يمين المحراب رخامة سوداء محفور عليها: البسملة: **(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)**. تمت عمارة هذا المسجد المبارك في مستهل شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.))

وعلى يسار المحراب رخامة أخرى تشير أنه جددت عمارته سنة ست وثمانين وتسعمائة.

أما عبد الحميد فكان يقرىء الأولاد في هذا المسجد، فغلب اسمه عليه، ويذكر المواصلة أن المسجد المذكور أحد مساجد الصوفية السبعة في الموصل وهي أقدم المساجد فيها.[1]

مسجد أمين الدين ياقوت

يقع في الربض الأعلى ظاهر الموصل على الأرض التي أنشىء عليها قصر الحاج توفيق أفندي الفخري، ظهر عند الحفر لوحة مكتوب عليها: ((بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوقفه وقفاً مؤبداً على ولده وولد ولده، لايباع ولا ينذر ولا يبدل ولا يغير أمين الدين ياقوت بن عبد الله الملكي البدري))، وهو مسجد لله تعالى، فيه تربة ولده أحمد تغمده الله برحمته، توفي في ذي القعدة سنة 637هـ، سبع وثلاثين وستمائة **فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه**)).

فالمسجد المذكور اسسه أحد مماليك بدر الدين لؤلؤ لأمين الدين، واتخذ فيه تربة لولده.[2]

---

(1) مجموع الكتابات: 94– 95، نصوص في المتحف العراقي: 8: 70– 71 فيه وصف مجمل للمحراب وتصويره.

(2) مجموع الكتابات: 206.

مسجد منصور الحلاج

من المساجد القديمة في الموصل، أسسه الحديثيون الذين نقلهم عماد الدين زنكي إلى الموصل، وكانت تسمى المحلة باسم "محلة ((الحديثيين)) ولا نعلم اسمه الحقيقي، ودفن فيه قبل قرنين من الزمن شخص حلاج اسمه منصور، كان يسكن المسجد ويتولاه، فسمي مسجد منصور الحلاج[1].

مسجد التركماني

يقع في حظيرة السادة، ويسمى في الوقت الحاضر مسجد الملا علي – شخص كان يعلِّم فيه– كما يسمى مسجد السبيل خانة لأنه كان فيه سبيل خانة على الطريق.

والمسجد ورد ذكره في القرن السادس، وهو يقع في محلة التركمان، وكان فيه محراب جميل من العهد الأتابكي، وعندما أعيد تعميره، سنة 1373هـ ثبت المحراب في الأروقة التي أمام المصلى[2].

المدارس

ازدهرت الحركة العلمية في الموصل على أيدي الأتابكة، وامتاز ملوكها بحبهم لنشر العلوم والمعارف، والاغداق على العلماء وترغيبهم في التدريس والتأليف، وأسسوا معاهد العلم المختلفة من مدارس ودور حديث ودور قرآن وأربطة، واستقدموا العلماء من البلاد الأخرى، وأجزلوا لهم العطاء، فكانت الموصل على عهدهم من مراكز العلم والأدب، قصدها الطلاب من اختلاف البلاد، ودرسوا في معاهدها، وتخرجوا على علمائها.

---

(3) ترجمة الأولياء: 116– 120، منهل الأولياء: 2: 216– 224.

(1) مجموع الكتابات: 191.

ذكر سبط، ابن الجوزي أنه كان في الموصل سنة 660هـ: 28 مدرسة، و18 داراً للحديث، و27 رباطاً، وغير ذلك من الكتاتيب وغيرها.

وكانت مدارس الموصل من أجمل البنايات مزينة بالكتابات المختلفة والنقوش الهندسية، والرخام المطعم، ولم تزل بقايا هذه المدارس تشهد بما كانت من جمال البناء وروعة الفن وطيب الموقع.

ووصف ابن جبير بعض مدارسها التي كانت على دجلة فقال: ((وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد، على دجلة، فتلوح وكأنها القصور المشرفة))، ومما يؤسف له أن بدر الدين لؤلؤ حول أكثر المدارس إلى مقامات ومشاهد لأبناء آل البيت، وذلك لكي يعفي آثار أسياده الأتابكيين، ويقاوم الحركة العدوية– كما قدمنا– وما زالت حركة العلم في تأخر في عهده حتى كانت موجة التتر التي هاجمت الموصل سنة 660هـ، فدمرت أكثرها وطمست معالم العلم من البلد.

المدرسة النظامية

بناها الوزير السلجوقي المشهور (408– 485هـ) قرب الجامع النوري، وأول من درس بها القاضي أبو بكر محمد بن علي بن أبي خالد الخالدي المعروف بالسديد قاضي الموصل[1].

ودرس فيها أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري (510– 586هـ)[2]

وأحمد بن نصر بن الحسن أبو العباس الأنباري المعروف بالشس الدنبلي المتوفى سنة 598هـ، كان هذا من علماء الموصل، ودرس ايضاً بالأتابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القضوية.[3]

---

(1) رحلة ابن جبير : 180.

(2) اللباب في الانسان: 1: 3.

(3) طبقات الشافعية: 4: 57.

والذي نراه اليوم أن مقام علي الأصغر المعروف بمقام ابن علي أو ابن الحنيفة اتخذه بدر الدين لؤلؤ في هذه المدرسة فهو يقابل الجامع النوري، يفصل بينهما شارع.

والمدرسة في الوقت الحاضر عبارة عن فناء صغير، ينزل منه إلى ما يشبه المصلى، وينزل من هذا القسم إلى بناية المدرسة، ولم يبق من آثارها إلا محراب نفيس من المرمر الأزرق المطعم بمرمر أبيض وحوله مكتوب بخط كوفي: "البسملة ... إنما يعمر مساجد الله ... (إلى) أن يكونوا من المهتدين.))

المدرسة الأتابكية العتيقة

بناها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي، وكان من خيرة الملوك يحب العلم وأهله منطوياً على خير وصلاح، ودفن فيها بعد موته سنة 544هـ.

وكانت المدرسة من أحسن المدارس وأوسعها، وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفين، وبنى رباطاً للصوفية مجاوراً لباب المشرعة، ووقف عليهما الوقوف الكثيرة، وممن درس فيها:[1]

أبو البركات عبد الله بن الحسين المعروف بابن الشيرجي المتوفى سنة 574هـ، وهذا درس على ابن شداد العالم المشهور[2].

أما الرباط فكان يقع على باب المشرعة الذي يؤدي إلى النهر، والذي اليوم مقام عيسى دده، ولعل المدرسة كانت تجاور الرباط، فإن صح هذا فإنها كانت تقع على دجلة أيضاً.

مسجد زين الدين– المدرسة الكمالية

---

(1) طبقات الشافعية: 4: 57.

(2) الروضتين: (1: 65)، (مرآة الجنان: 8: 123).

بناها زين الدين أبو الحسن علي بن بكتكين المتوفى سنة 563هـ، والد الملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري صاحب أربل، وفوض تدريسها إلى رضي الدين يونس بن منعة (508- 576هـ). ودرس بعده ابنه كمال الدين فصارت تعرف بالمدرسة الكمالية.[1]

قال ابن خلكان عند كلامه عن كمال الدين بن يونس بن منعة(551-639هـ). ودرس بعد وفاة والده سنة 576هـ بالمسجد المعروف بالأمير زين الدين صاحب أربل وهذا المسجد رأيته وهو على وضع المدرسة وتعرف بالكمالية.[2]

وعلى هذا فمسجد زين الدين كان قد بني على شكل مدرسة.

وكان لهذه المدرسة شهرة واسعة عندما كان يدرس بها كمال الدين، وغلب اسمها على مدارس الموصل، فإذا قالوا المدرسة أرادوا بها مدرسة كمال الدين.

ولم تزل بنايتها باقية إلى اليوم تشرف على دجلة، وتعرف في الوقت الحاضر بمدرسة ابن يونس.

واتخذ بها أحد المتصوفة تكية له ثم دفن بها فصارت تعرف بجامع شيخ الشط وفي سنة 1219هـ رمم القبة وبنى أروقة أمامها أحمد باشا ابن بكر أفندي الموصل، وأقام منبراً داخل المدرسة، فصارت تعرف أيضاً بجامع الشهوان لأنها تقع في محلة الشهوان.

المدرسة الزينية

بناها زين الدين أبو الحسن علي بن بكتكين المتوفى سنة 563هـ- الذي تقدم ذكره - وكان هذا محباً للخير، قال عنه ابن خلكان: ((أن له بالموصل أوقافاً كثيرة مشهورة:من مدارس وغيرها منها المدرسة الزينية))[3]- وهي غير مسجد زين الدين دَرّس عماد الدين بن يونس بن منعة. وكان معيداً عنده أبو علي الحسن

---

(3) وفيات الأعيان(2: 32).

(4) المصدر نفسه.

(5) وفيات الأعيان(1: 435).

(1) الجامع المختصر(9: 309).

عثمـــــــــان بـــــــــن علـــــــــي الجزلـــــــــي المتـــــــــوفى سنة 606 هـ.[1] وفي نفس الوقت كان يدرس أخوه كمال الدين في مسجد زين الدين، وعلى هذا فمسجد زين الدين غير المدرسة الزينية.

المدرسة العزية

بناها عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود (576- 589هـ) بباب دار المملكة وجعلها للفريقين الحنفية والشافعية، وقرر للفقهاء ما ليس لمدرسة اخرى من الفواكه والحلوى والدعوات في المواسم والأعياد، والتسريج للوقود والفحم وغير ذلك، وقرر في وقفها الكثير من الصدقات كل أسبوع، وفي الأيام الشريفة والليالي المباركة شيئاً كثيراً، وأنشأ له تربة فيها، دفن بها بعد موته، وشاهد المدرسة ابن خلكان وقال عنها ((ورأيت المدرسة والتربة وهي من أحسن المدارس والترب، ومدرسة ولده نور الدين أرسلان شاه في قبالتها، وبينهما مساحة كبيرة)).[2]

والمدرسة العزية اتخذها بدر الدين لؤلؤ مقاماً للإمام عبد الرحمن، كما اتخذ مدرسة ولده نور الدين أرسلان شاه- النورية- مقاماً للإمام محسن.

ولم يبق من المدرسة العزية سوى غرفة واحدة فيها محراب مطعم بالمرمر الأزرق، وهو على ما نرى يعود إلى القرن السادس الهجري، فيه كتابة كوفية جميلة هي البسملة وسورة الإخلاص.

المدرسة النورية

---

(1) الباهر: 189، الكامل: (12: 42)، الروضتين (2: 18، 226-227) وفيات الأعيان(2: 95).

بناها نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود الأول(589– 607 هـ)، كان شهماً شجاعاً، أعاد هيبة الدولة الأتابكية، فأحبه الشعب.

ومن محاسن أعماله المدرسة التي أنشأها بباطن الموصل– مقابل دار المملكة– وهي من أحسن المدارس وأوقف لها الوقوف الكثيرة، وجعلها وقفاً على ستتين فقيهاً من الشافعية، سوى ما فيها من الصدقات الدارة والتعهدات للصوفية والفقراء، وبنى له تربة فيها.[1]

ويذكر ابن خلكان عنها: وبنى مدرسة للشافعية في الموصل قلّ أن توجد مدرسة في حسنها.[2] وهذه المدرسة تعرف اليوم بمقام الإمام محسن وممن درس فيها:

– أبو حامد محمد بن يونس بن منعة(535– 608 هـ) وكانت إليه الخطابة في الجامع المجاهدي، مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينية والنفيسية والعلائية.

– درس بها في القرن الثامن الهجري العلامة السيد ركن حسن بن محمد شرف شاه الحسيني الاسترابادي المتوفى سنة 715 هـ، اشتغل علي النصير الاطوسي، وحصل منها عوماً، وصار معيداً في درس أصحابه، ثم وفد إلى الموصل، وولي تدريس المدرسة النورية، وفوض النظر في أوقافها، وبها صنف غالب مصنفاته.

وبعد هذا التاريخ تطمس أخبارها ولم يبق فيها ما يستحق الذكر، فقد اتخذت حولها مقابر على أرضها، وفيها بعض القطع الرخامية المطعمة تعود إلى عصرها الأول [3].

مدرسة الجامع النوري

---

(2) الباهر: 198، 201، الروضتين(2: 272).

(1) وفيات الأعيان(1: 62).

(2) انظر عنها سومر: 13: 110– 189.

(3) الروضتين في اخبار الدولتين: 15: 198.

بعد أن انتهى نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي من بناء جامعه: الجامع النوري، سنة 586 هـ رأى من المستحسن أن يجمع بين الدين والعلم في هذا الجامع، فأنشأ مدرسة فيه، ووصل الموصل في نفس السنة الفقيه عماد الدين أبو بكر التوقاني الشافعي، من أصحاب الإمام محمد بن يحيى، فسأله نور الدين أن يكون مدرساً في المدرسة المذكورة.[1]

وقد حدثت تغييرات في بناء الجامع، فلم نقف على المحل الذي بنيت فيه هذه المدرسة.

المدرسة الكمالية القضوية

أسسها أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله بن أبي القاسم الشهرزوري الفقيه الشافعي(492– 572 هـ) من أشهر علماء الدولة الأتابكية، تولى القضاء ثم الوزارة من نور الدين محمود، وكان أديباً شاعراً كاتباً خبيراً بتدبير الملك، عظيم الرياسة، مسموع الكلمة عند الملوك والخليفة العباسي، أوقف أوقافاً كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق والمدينة المنورة، فبنى المدرسة الكمالية القضوية في الموصل، وأوقف لها أوقافاً كثيرة للنفقة على من يتعلم ويدرس بها[2]،وممن درس فيها:

- قاضي القضاة محمد بن كمال الدين الشهرزوري(510– 586 هـ) تفقه ببغداد، وولي قضاء حلب ثم الموصل، ودرس بمدرسة أبيه وبالمدرسة النظامية بالموصل[3].
- أحمد بن نصر المعروف بالشمس الدنبلي المتوفى سنة 598 هـ، درس بالنظامية والأتابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القضوية بالموصل[4].

---

(1) وفيات الاعيان: 1: 472، المنتظم: 1: 268.

(2) طبقات الشافعية: 4: 100.

(3) طبقات الشافعية: 4: 57.

(4) وفيات الأعيان: 2: 355، شذرات الذهب: 5: 158.

- أبو المحاسن يوسف بن شداد الفقه الشافعي، صاحب التآليف الكثيرة في الفقه والتاريخ والحديث، كان معيداً بالمدرسة النظامية ببغداد، ثم أصعد إلى الموصل، فدرس في المدرسة الكمالية القضوية، وتوفي سنة 599 هـ.[1]

المدرسة اليوسفية

جاء عنها في الجواهر المضية عن ابن السمين: "نصر الله علي بن نصر الله بن علي أبو الحسن الموصلي، ولد في رمضان سنة 587هـ، وكان من فقهاء الحنفية، ودرس فقه الأمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه بالمدرسة اليوسفية بالموصل على دجلة)).[2]

والذي نراه أن المدرسة المذكورة هي التي عرفت بمدرسة الطغرائي خطأ لأننا لم نقف على نص أولي يذكر أن الطغرائي بنى مدرسة في الموصل، أو أنه درس في مدرسة فيها.

المدرسة القاهرية

بناها القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه الأول(608- 615هـ)، وبنى له تربة في المدرسة ودفن فيها بعد موته[3].

وأول من درس فيها أبو الفتح كمال الدين بن يونس بن منعة(551- 639هـ)، ذكر ابن خلكان عند كلامه عنه: "ولما توفي أخوه- عماد الدين محمد- تولى المدرسة العلائية موضع أخيه، ولما فتحت القاهرية تولاها، ثم تولى المدرسة

---

(1) الجواهر المضية: 2: 198- 199.
(2) الكامل(12: 121- 122)، االبداية والنهاية(3: 79- 81).

البدرية في ذي الحجة سنة 620هـ.)) وجاء عن أبي الفضل أحمد بن كمال الدين موسى بن يونس–(575– 622هـ) أنه درس في المدرسة القاهرية سنة 617هـ.

أما موقع المدرسة فنرى أنها كانت بين المدرسة النورية والباب العمادي.

المدرسة المجاهدية

أبو منصور قيماز بن عبد الله الزيني الملقب مجاهد الدين، تولى دزدارية قلعة الموصل، وكان من خيرة رجال الدولة الأتابكية، يحب الخير والعلم، وأنشأ كثيراً من المعاهد الخيرية.[1]

بنى في أربل مدرسة وخانقاهاً للصوفية، ووقف لهما الوقوف الكثيرة. وبنى في الموصل الجامع المجاهدي والمارستان والجسر ورباطاً، ومكتباً للأيتام وتربة له، والمدرسة المجاهدية، وكلها في الربض الأسفل من الموصل.[2]

ونستدل مما ذكره المؤرخون أنها كانت تقابل الجامع، ولم يبق من آثارها ما يستحق الذكر.

المدرسة البدرية

بناها أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المتوفى سنة 657هـ، في قلعة الموصل، تجاور مشهد يحيى بن القاسم، بناها على انقاض مسجد كان قد بناه الحسين بن سعيد بن حمدان التغلبي.

وممن درس فيها:

أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي(542– 615هـ)، وعليه فالمدرسة بنيت قبل سنة 615هـ[3] ودرس فيها أيضاً كمال الدين ابن يونس سنة عشرين وستمائة، وكان الأثير معيداً عنده في المدرسة البدرية.[1]

---

(1) وفيات الأعيان(1: 32)، (2: 134).

(2) جوامع الموصل(70– 72) سومر(11: 170– 179).

(3) البداية والنهاية(13: 82).

(4) اثير الدين الابهري: صاحب التعليقة في الخلاف والزيج درَّس باربل، ثم اعاد البدرية(وفيات الاعيان: 2: 134).

وفي سنة 637هـ شيد بدر الدين مشهداً للإمام يحيى بن القاسم بجانب المدرسة ولم يبق من آثار المدرسة شيء. وأما المشهد فلم يزل باقياً.

المدرسة المهاجرية

أبناء المهاجر من الأسر العلمية التي كانت في الموصل، كان أبوهم تاجراً فنشأ أولاده تجاراً وعلماء، وشيدوا في الموصل دارحديث وفوقها مدرسة، ودرسوا فيها، والذي بنى المدرسة أبو القاسم علوان بن مهاجرين علي بن مهاجر، وكان يدرس بها محمد بن علوان بن مهاجر(542– 615هـ) وساد أهل زمانه بعلمه وصلاحه.

ولا نعلم متى بنيت المدرسة، وأن دار الحديث المهاجرية كانت مبنية سنة 552هـ، وعلى هذا فالمدرسة بنيت بعد هذا التاريخ.

وممن أقام في المدرسة عبد اللطيف البغدادي سنة 585هـ، ويقول عن دخوله الموصل: فلم أجد فيها بغيتي، ولكني وجدت بها الكمال بن يونس .... فاخترت مدرسة ابن مهاجر المعلقة، ودار الحديث التي تحتها وأقمت في الموصل.[2]

والذي نراه أن المدرسة كانت في مسجد شط الجومي وتحتها دار الحديث، وهو الذي يقع في الشارع المؤدي من الميدان إلى مدرسة ابن يونس.

مدرسة أم الملك الصالح

الملك الصالح هو إسماعيل بن نور الدين المتوفى سنة577 هـ، ولم يخلفه أحد، وسار عز الدين مسعود بن قطب بن مودود إلى حلب، وصعد القلعة واستولى على خزائنها، وتزوج أم الملك الصالح، وعاد إلى الموصل.

أما المدرسة فكانت في الميدان في دار الأمير ناصر الدين بوري بن جمركش، فانه بنى داره هذه، وبعد وفاته أوقفتها أم الملك الصالح مدرسة باسم ابنها.[3]

---

(1) طبقات الشافعية(5: 32)، عيون الانباء(2: 4: 2).

(2) **سيرة صلاح الدين: 44، مرآة الزمان(8: 234).**

(3) وفيات الأعيان(: 476).

المدرسة النفيسية

لا ندري من بنى هذه المدرسة، وممن درس فيها: عماد الدين بن يونس المتوفى سنة 608[1]هـ؛ إذاً فقد كانت المدرسة قبل هذا التاريخ، ويرجح أن بدر الدين لؤلؤ اتخذ فيها مقاما للست نفيسة كما اتخذ في غيرها مقامات، وفي الموصل عدة أماكن باسم الست نفيسة.

ففي محلة باب السراي دار تسمى بالست نفيسة، وقد هدمت عند فتح شارع خالد بن الوليد، ويذكر أهل الموصل أنها كانت مدرسة يدرس فيها،. ومقابل حمام السراي بناء قديم متصل بمسجد حمام السراي، وفيه محراب قديم، وقد اتخذ فيه مقام للست نفيسة، ولعلها كانت مدرسة ثم اتخذ فيها المقام وغير ذلك.[2]

المدرسة العلائية

لم نقف على من بناها، جاء عن عماد الدين بن يونس المتوفى سنة 608 هـ أنه كانت إليه الخطابة في الجامع المجاهدي مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينية والنفيسية والعلائية، وجاء عن أخيه كمال الدين بن يونس أنه درس في المدرسة العلائية بعد وفاة أخيه.

ومن أبناء الأتابكة: علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود بن مودود فلعله هو الذي بنى المدرسة [3].

مدرسة ابن بلدجي

كان جدهم بلدجي، من كبار أمراء الدولة السلجوقية، ومن أبنائه الذين اشتهروا بالعلم أبو محمد محمود بن مودود بن محمود البلدجي الموصلي(543– 623 هـ) فبنى المدرسة، ودرس بها مذهب الإمام أبي حنيفة وتخرج عليه أولاده، ولا أثر للمدرسة في الوقت الحاضر[4].

---

(1) منهل الأولياء(2: 82: 84).

(2) مخطوطات الموصل(ص: 10)

(3) انظر ابناء البلدجي(ص:) من هذا الكتاب. ابو محمد الحنفي عمر بن سعيد الموصلي كان معيداً بمدرسة بلدجي بالموصل (10: 237: تاريخ اربل).

باب المسألات

يذكر صاحب الانتصار للأولياء عند كلامه عن النبي دانيال[1]: وهو في مسجد قديم من بناء المتقدمين، والآن مهجور لا يصلي فيه، يسميه العامة باب المسهلات لتسهيل الأمور المتعسرة فيه. والذي نراه أنه كان في النبي دانيال مدرسة مشهورة يقصدها الناس للسؤال عما يشكل لهم، وسموها باب المسألات.

ويذكر صاحب منهل الأولياء عند كلامه عن بنجة علي[2]: "وفي الموصل مكان آخر يسميه العوام ((باب المسألات)) يزورونه ويقولون أنه كان هناك مدرسة لبعض العلماء الصالحين، كانت تأتيهم ناس للسؤال وكشف المعضلات))

على أن المساجد لم تخل من حلقات علمية وخزائن كتب، ومجالس تدريس، ومن المساجد التي وقفنا على وجود تدريس بها هي:

مسجد العماد بن الجلادين، وبه خزانة كتب موقوفة على أهل العلم، وممن درس به ثابت بن قرة الحاوي، وأخذ عنه الشيخ محيي الدين بن عربي عندما كان في الموصل سنة 601هـ. ذكر ابن عربي انه قرأ من كتبه تآليفه، وقفها ثابت بروايتها بمسجد العماد بن الجلادين بالموصل.[3]

- **مسجد النبي**، وجاء عن علي بن خليفة بن علي النحوي الموصلي المعروف بابن المنقي المتوفى سنة 562هـ "وكان إماماً فاضلاً، تأدب عليه أكثر أهل عصره من أهل بلده. وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل[4]– ولعل هذا المسجد النبي جرجيس الذي توسع فيما بعد وصار جامعاً.

---

(1)مخطوط: نسخة منه في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل.
(2) (2: 225– 226).
(3) جامع كرامات الأولياء(1: 123).
(4) معجم الادباء (12: 15).

- **مسجد ابن بركة الكتبي:** وجاء عن الشيخ المقري أبو إسحاق إبراهيم ابن يوسف بن بركة الكتبي: أنه كان له مسجد بالموصل يعرف به، وكان يحدث في مسجده هذا، وممن أخذ عنه الرسعني الكنجي.[1]

- **مسجد ابن الحدوس:** عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي السنام الموصلي المعدل المعروف بابن الحدوس (532- 625 هـ) أخذ عن جماعة من أهل الموصل، وكان فاضلاً أديباً، مشهوراً بكتابة الشروط، وكان وراقاً ونزل عنده في مسجده الشميم الحلي الشاعر المشهور [2] وتوفي بالموصل.

دار الحديث المهاجرية

وذكر سبط ابن الجوزي ان في الموصل سنة 660 هـ(180) داراً للحديث، وهو خطأ في النسخ ولعلها(18) داراً وقد وقفنا على أخبار بعضها منها:

أنشأها ابو القاسم علي بن علوان بن مهاجر بن علي التكريتي الموصلي الوزير بسنجار، جاء عنه: كان من أولاد الأكابر والوزراء، وبيتهم معروف بالفضل والحشمة والنبل، وكان من أهل الخير والصلاح والسماح، وبنى بالموصل في سكة (ابي نجيح) دار الحديث، ووقف عليها الوقوف والكتب النفيسة [3].

وممن تولى مشيختها: أبو اسحاق البرني المتوفى سنة 552 هـ[4].

---

(1) كفاية الطالب: 260، معجم الالقاب(4: 485).
(2) انباء الرواة (2: 246) شذرات الذهب: 5: 142.
(3) تلخيص معجم الالقاب: 4: 193.
(4) شذرات الذهب: 5: 100.

وأبو عبد الله بن يوسف بن محمد الرسعني، ورد الموصل سنة 623هـ. ورتبه بدر الدين لؤلؤ بدار الحديث المهاجرية، يحدث في فضائل آل البيت[1].

- ابراهيم بن المظفر الحربي الموصلي(546- 622 هـ) فإنه تولى مشيخة الدار المذكورة [2] وغيرهم.

دار الحديث المظفرية

بناها مظفر الدين كوكبوري- صاحب أربل- المتوفى سنة 549 هـ، على دجلة وممن تولى مشيختها:

عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن الرهاوي(526- 612 هـ)، ولد بالرها ونشأ بالموصل وتنقل في البلاد، وكان مملوكاً لبعض التجار، فأعتقه وطلب العلم وأخذ الحديث عن عدة شيوخ، وسكن دار الحديث المظفرية يحدث بها، وانهدمت فأعاد عمارتها على غير ما كانت وكانت الدار تطل على دجلة[×] ثم مات بحران[3].

---

(1) مناقب الامام علي: 201، معجم الالقاب: 4: 193.

(2) ذيل طبقات الحنابلة: 2: 151.

(×) ابن المستوفي: 1: 132، 168.

(3) معجم الالقاب: 4: 337- 338، ذيل الروضتين: 90.

احد محاريب الجامع النوري كان في الجانب الشرقي من المصلى

الأربطة

وكان في الموصل عدة أربطة للعلماء وأهل الفضل والمتصوفة، ولم تكن ملجأ للعطلة والكسالى، "فلا رهبانية في الاسلام)) فكانت هذه الأربطة مدارس علم وأدب، ومجالس وعظ وإرشاد، فيها أجل العلماء الذين تصدروا للتدريس والتأليف وإرشاد من يقصدهم. وذكر ابن سبط الجوزي أنه كان بها سبعة وعشرون خانقاه (رباطاً)[1].

فكان رباط أبي السعادات ابن الأثير– في درب دراج – مقصداً لطلاب العلم والأدب، تعقد به حلقات التدريس والمناظرة. كما نجد في رباط –(قصر حرب) لابن الأثير أيضاً حركة علمية، عكف الطلاب على أبي السعادات، يدرسون ويحققون، وهم مكفولون في الرباط، ينفق عليهم بما أوقفه أبو السعادات. وفيه ألف أبو السعادات أكثر كتبه، كما جمع فيه أخوه عز الدين كتابه الكامل في التاريخ، وهو من أجل كتب التاريخ.

ورباط الوزير ظاهر الموصل، كان من مراكز العلم في البلد.

ومن الأربطة التي وقفنا عليها:

–1–

– **رباط سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي**(541– 544) بناه على باب المشرعة، ووقف عليه وعلى مدرسته الوقوف الكثيرة – ولعل مقام عيسى دده أنشيء في محل هذا الرباط.

–2–

– **الرباط الزيني:** بناه زين الدين أبو الحسن علي كجك بن بكتكين– صاحب أربل– المتوفى سنة 563هـ، ولا نعلم موقع هذا الرباط.

---

(1) منية الأدباء (ص: 66).

-3-

- **رباط ابن الشهرزوري:** بناه كمال الدين بن الشهرزوري(492- 572هـ) الذي بنى المدرسة الكمالية القضوية- التي تقدم ذكرها- ذكر عنه المؤرخون أنه أوقف أوقافاً كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق، والذي نراه أن الرباط كان ظاهر الموصل قرب رباط قضيب البان الموصلي.

-4-

- **الرباط المجاهدي:** بناه مجاهد الدين قيماز الرومي(-595هـ) بعد أن بنى الجامع المجاهدي بنى الرباط والمدرسة والبيمارستان وكلها متجاورات تقع على دجلة في الربض الأسفل من الموصل فبناء الرباط كان بعد سنة 576هـ، وهي السنة التي انتهى فيها من بناء جامعه.

-5-

- **رباط درب دراج** - لأبي السعادات ابن الأثير، كانت دار ابن الأثير في محلة درب درَّاج، اتخذها رباطاً درس فيه ودفن فيه بعد موته، ووقف أملاكه على هذا الرباط وعلى ((رباط قصر حرب))، والذي نراه أن الرباط يقع قرب ((دوسة علي)). ففي هذه المنطقة عدة مساجد متقاربة من بعضها: مسجد ابن العراقي، مسجد ابن طلى، مقام الصالح بن الصالحين وتجاورها مقبرة تعرف بمقبرة دوسة علي، وقد أنشأت وزارة الأوقاف عليها عمارة بعد أن رفعت القبور، ولم تزل دوسة علي تحت الطريق المجاور للعمارة شمالاً فلعلها أنشئت في محل رباط أبي السعادات[1].

-6-

---

(1) الموصل في العهد الأتابكي:156- 157.

- **رباط قصر حرب لأبي السعادات ابن الأثير:** بنى القصر حرب بن عبد الله الرويدي صاحب الحربية ببغداد سنة 145هـ- وقد تقدم الكلام عنه.

واتخذ أبو السعادات رباطاً له قرب قصر حرب، ذكر عز الدين ابن الأثير عنه: "وعنده يومنا هذا قرية كانت ملكاً لنا، فبنينا رباطاً للصوفية، ووقفنا عليه القرية، وقد جمعت كثيراً من هذا الكتاب- الكامل- في هذه القرية، وفي دار لنا بها، وهي من أنزه المواضع وأحسنها، وأثر القصر باق إلى الآن)).

ويذكر ابن خلكان عند كلامه عن أبي السعادات ابن الأثير: "وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى قصر حرب، ووقف أملاكه عليه، وعلى داره التي يسكنها في الموصل)) [1].

وأن أبا السعادات انقطع في هذا الرباط آخر أيامه، يدرس ويؤلف إلى أن أدركه أجله. [2]

-7-

رباط الشيخ قضيب البان: بنى الرباط أبو عبد الله الحسن قضيب البان الموصلي(471- 573هـ) وكان على جانب من العلم، ودفن في رباطه بعد موته، وهذا الرباط بالمعلاة ظاهر المدينة، خارج باب سنجار، يجاور مقبرة المعافى بن عمران الموصلي، وبعد أن اتخذ قضيب البان رباطه الذي دفن به، عرفت المقبرة بمقبرة قضيب البان الموصلي ، ودفن بها كثير من علماء الموصل وأدبائها وفضلائها، ومنهم:

- سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي الموصلي المتوفى سنة 596هـ[3].

---

(1) الكامل: 5: 231، وفيات الأعيان: 1: 441.

(2) المصدر نفسه.

(3) أنظر: سومر: 8: 99- 106. في جوامع الموصل(260- 269) بحث عن رباط قضيب البان الموصلي وجامع قضيب البان.

- الخطيب الطوسي(مجد الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد) المتوفى سنة 578هـ[1].
- أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري المتوفى سنة 586هـ[2].
- أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي المتوفى سنة 601هـ[3].
- أبو الحزم مكي بن ريان النحوي المتوفى سنة 603هـ، ودفن جوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي[4].
- الطبيب مهذب الدين بن هبل المتوفى سنة 610هـ[5].
- شمس الدين محمد بن أبي العز الوراق الموصلي المحدث النحوي المعروف بابن الخروف – المتوفى سنة 727هـ[6].
- عز الدين بن الأثير المؤرخ المشهور المتوفى سنة 630هـ[7].
- عفيف الدين معتوق الموصلي المتوفى سنة 643هـ[8].
- إبراهيم بن المظفر الحربي المتوفى سنة 622هـ[9].

المشاهد

---

(1) وفيات الأعيان: 1: 209/ 2: 354.
(2) المصدر نفسه.
(3) وفيات الأعيان: 1: 474/ 1: 345.
(4) المصدر نفسه.
(5) وفيات الأعيان: 2: 132، ابن ابي اصيبعة: 2: 305.
(6) ذيل طبقات الحنابلة: 2: 381– 382.
(7) الموصل في العهد الأتابكي: 177– 178.
(8) معجم الألقاب: 4: 539.
(9) ذيل طبقات الحنابلة: 2: 151.

ومن المشاهد التي كانت في ذلك العصر:

-1-

مشهد النبي يونس

وقد تقدم الكلام عنه.

وفي القرن السادس للهجرة وسعوا البناء، واتخذ فيه دور ومطاهر وسقايات وصار به محلاً مقدساً المحل الذي وقف به النبي يونس عليه السلام، ولهذا المحل باب مرصع، وستر ينسدل عليه.

زممن زاره ابن جبير الرحالة الأندلسي: "وقال عنه : ((وفي هذا التل – أي تل توبة– بناء عظيم هو رباط، يشمل على بيوت كثيرة ومقاصير ومطاهر وسقايات، يضم الجميع باب واحد، وفي وسط البناء بيت ينسدل عليه ستر، وينغلق دونه باب كبير مرصع كله يقال أنه كان الموضع الذي وقف فيه يونس– عليه السلام– ومحراب هذا البيت يقال أنه كان في بيته الذي كان يتعبد فيه، ويطيف بهذا البيت شموع كأنه جذوع النخل عظماً، فيخرج الناس إلى هذا الرباط كل ليلة جمعة ويتعبدون فيه)).

وعليه فالبناء كان مشهداً بناه أحد المماليك من سلاطين آل سلجوق، وكان يقصده أهل الموصل كل ليلة جمعة يبيتون فيه ويقضون ليلهم في التعبد والصلاة ثم يقصدون عين يونس– عين الدملماجة– فيتطهرون بمائها ويتنزهون بما حولها من أزهار وتنزهات[1].

-2-

---

(1) الموصل في العهد الأتابكي: 164، جوامع الموصل: 78– 79.

مشهد النبي جرجيس

يقع في سوق الشعارين، وكان مشهداً داخل غرفة، وهو من المشاهد المقصودة في الموصل.

يقول ابن جبير عند كلامه عن الموصل: ((وخص الله هذه البلدة بتربة مقدسة، فيها مشهد جرجيس–عليه السلام– وقد بنى فيه مسجد، وقبره في زاوية أحد البيوت عن يمين الداخل إليه)).

فنستدل من كلامه أنه كان في المشهد مسجد بجانبه، ومن آثاره باب من الخشب دقيق الزخرفة، ويستدل أنه من القرن السادس للهجرة[1].

–3–

مشهد الطرح

يقع ظاهر الموصل يقابل الباب العمادي الذي يؤدي إلى الربض الأعلى من الموصل.

والذي نراه أن بدر الدن لؤلؤ اتخذ هذا المشهد في رباط الوزير، الذي كان بظاهر الموصل.

ومشهد الطرح به آثار لكف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأدركنا المشهد وفيه محراب نفيس مزخرف بزخارف محفورة بالمرمر، وعلى جانبي المحراب طاقتان في الطاقة اليمنى أثر كف محفور بالرخام يذكرون أنها آثار كف الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

والمحراب النفيس بزخارفه وكتاباته، نقلته مديرية الآثار العامة إلى متحف بغداد[1].

---

(1) جوامع الموصل: 109، الموصل في العهد الأتابكي: 164– 165، وفي (نصوص المتحف العراقي: 8: 128– 131) وصف الباب الذي في النبي جرجيس وما فيه من كتابات.

-4-

مشهد الإمام يحيى بن القاسم

بناه بدر الدين لؤلؤ سنة 637هـ على أرض من قلعة الموصل بجانب المدرسة البدرية، وقد اعتنى بهذا البناء، فاستخدم فيه مهرة الفنانين، فكان من آثار الموصل المعدودة، واتخذ فيه قبراً للامام يحيى بن القاسم، وكان يتردد هو إلى زيارته، ويجمع صدور البلد والنقباء والمدرسين والفقهاء، ويكلف العلماء بتلاوة سيرة الإمام علي – كرم الله وجهه– وما جاء من الأحاديث الشريفة في حقه وحق آل بيته، كان هذا لمقاومة الحركة العدوية.

لم يبق من بناء المشهد سوى غرفة واحدة، يعلوها قبتان، إحداهما فوق الأخرى، والقبة الداخلية مزينة بافريز من الرخام الأزرق مطعم بكتابات برخام أبيض، يحف بالغرفة من أسفلها، تحت هذا الأفريز، إفريز آخر فيه زخارف نباتية تمثل أزهاراً تحف بجدران الحضرة.

يزين جدران القبة من الداخل أيضاً وحدات زخرفية على شكل مشكاوات متقابلة ومتناظرة، مزينة أرضيتها بزخارف دقيقة مخرمة، تعلوها طبقة أخرى من زخارف هندسية خشنة متقاطعة، وكلها بالآجر المزلج وقد تلف معظمها.

وبعض هذه الوحدات فيها كتابات إحداها تشير أن الذي أشرف على عمارتها سنبك البدري من ممالك بدر الدين لؤلؤ.

وفي الحضرة محراب يشبه في تخطيطه وزخرفته المحراب الذي كان في الجامع النوري، والذي صنع سنة 453هـ، ومزين بزخارف هندسية ونباتية مورقة، وكلها على مستوى واحد، والمحراب يتألف من قطعتين تجتمعان في الزاوية التي تقابل القبلة، وفي أعلاه تاريخ صنعه سنة 637هـ.

أما الصندوق الذي صنعه بدر الدين لؤلؤ، فهو من أجمل الصناديق الأثرية بزخارفه وكتابته بأحجام مختلفة.

---

(1) الموصل في العهد الأتابكي: 165، وفي(نصوص في المتحف العراقي: 8: 64-69) وصف ما في هذا المشهد من آثار وما فيها من كتابات وزخارف.

ويزين واجهة الحضرة كتابات داخل مشكاة تشبه المحراب، مكتوب في إحداها: " اسم بدر الدين لؤلؤ الذي عمر المشهد".[1]

وقد بسطنا القول عن مشهد الإمام يحيى بن القاسم في بحث نشرناه في مجلة (سومر: 24: 171- 181) وفيه بحثنا عن آثاره المختلفة وما فيها من كتابات.

-5-

مشهد الإمام عون الدين

ويسمى أيضاً " مشهد ابن الحسن" بناه بدر الدين لؤلؤ سنة 646هـ، واتخذ فيه مشهداً للإمام عون الدين، وهو يشبه في هندسته وزخارفه مشهد الإمام يحيى بن القاسم.

وللحضرة باب مصفح بالنحاس، مزخرف بشرائط تؤلف أشكالاً هندسية جميلة، مكتوب اسم صانعه " عمر بن الخضر وليّ آل محمد سنة 646هـ".

-6-

مشهد علي الهادي

من المشاهد التي اتخذها بدر الدين لؤلؤ في الموصل للامام علي الهادي المتوفى في سامراء، يقع في محلة المحمودين، كان المشهد في سرداب وبه قبر من المرمر الأزرق، مطعم بكتابات وزخارف دقيقة بالمرمر الأبيض، وقد بسطنا القول عنه في منية الأدباء، ص: 107- 108، مجموع الكتابات: 98- 99.[2]

-7-

---

(1) الموصل في العهد الأتابكي: 167- 168، اعلام الصناع المواصلة: 193- 195.

(2) منية الأدباء: 107- 108، مجموع الكتابات: 98- 99، منهل الأولياء: 2: 73- 76.

مشهد الإمام الباهر

وهو من المشاهد التي اتخذها بدر الدين لؤلؤ للإمام الباهر بن الإمام جعفر الصادق، ولعله اتخذ المشهد في إحدى المدارس الأتابكية، وفيه آثار جميلة منها الباب الرخامي للحضرة، وهو من أجمل المداخل التي في الموصل، يشبه مدخل الحضرة للإمام عون الدين، يحف بالمدخل وحدات زخرفية على شكل محاريب صغيرة، وتستمر إلى أعلى المدخل، وكلها غنية بزخارف دقيقة[1].

نقلته مديرية الآثار العامة إلى بغداد، وحفظته في المتحف العراقي.

-8-

مشهد أولاد الحسن

ويسمى أيضاً مشهد بنات الحسن، وهو أيضاً من المشاهد التي اتخذها بدر الدين لؤلؤ لأبناء الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب-ﷺ- ويقع في سوق الصاغة، وبه محراب جميل مطعم بزخارف المرمر الأبيض، وكتابات، وقد نقل إلى متحف الموصل[2].

هذه أهم المشاهد التي فيها آثار جميلة تستحق الذكر.

الكنائس والأديرة

---

(1) انظر عنه: منهل الأولياء: 2: 79- 280، نصوص في المتحف العراقي: 18، 60- 63: وصف للمحراب الذي كان فيه، وللمدخل الرخامي، وما فيهما من كتابات.

(2) انظر عن هذا المشهد: منية الأدباء: 104، مجموع الكتابات: 192- 193، "وفي نصوص في المتحف العراقي": 8: 86- 87، وصف لهذا المحراب وما فيه من كتابات.

أما الكنائس: فأخبارها قليلة، لم نعثر على مصادر تساعدنا في أخبارها بصورة مفصلة، وممن كتب عنها في أيامنا هذه: المطران سليمان الصائغ. في كتابه تاريخ الموصل –الجزء الثالث– وبحثه هذا لم يتعد ذكر القديسيين والشهداء، وما قاموا به من خوارق العادات، كما نشر المطران بولس بهنام، والمطران روفائيل بيداويد في مجلتي المشرق والنجم، وأبحاثهما لم تزد على ما ذكره المطران الصائغ، وأخبار العمارة والريازة قليلة جداً.

والكنائس التي كانت في الموصل، قد تكلمنا عنها في القسم الأول من كتابنا هذا وهي: بيعة مارتوما، ومارحوذيمي: وقد جددت عمارته، وفيه آثار جميلة، وكتابات بالعربية والسريانية، منقورة بالمرمر– وكذا في بيعة مارتوما زخارف وكتابات ترجع إلى العصر الأتابكي.

أما الديارات فنجد الاقبال عليها أقل مما كانت عليه قبل، ولم نجد لها ذكراً في دواوين الشعراء – سوى دير سعيد ودير ميخائيل– فكان يرتادهما بعض الشعراء يتمتعون بموقعهما الجميل، وخمرهما المعتق.

وممن ذكرهما في شعره– بعد أن زار الديرين "موفق الدين القاسم بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني(590– 656هـ) قال في دير سعيد:"

أنعم بدير سعيد أيها الساقي ... وأمزج وخذ وأعطني من غير إشفاق
من خندريس كأني حين أشربها ... ملسوع هم، تحسى كأس درياق
نار، ولكنها للماء عاشقة ... تزداد من وصلة ضوءاً باشراق
شجت فألبست الساقي بصبغتها ... ثوباً وألبسنيه ذلك الساقي
وذي قوام تثنى في غلائله ... مثل القضيب تثنى بين أوراق
نظمت من غزل في حسن صورته ... عقداً، تقوم به الدنيا على ساق
ياعقرب الصدغ في الخد الأسيل أما ... لمن لسعت شفاء منم أو راقي

وقال أيضاً في دير ميخائيل ووصف ما فيه:

كـل الـورى فيـك حسـادي وعـذالي | يـا فاقـد المثـل مـا العشـاق أمثـالي
بكـاي وقـف علـيكم بعـد فـرقتكم | لا للوقـــوف علـــى ربـــع وأطـــلال
يـا سـاكني ديـر ميخائيـل لـي قمـر | لكنـــه بشـــر فـــي شـــكل تمثـــال
قريـــب دار، بعيـــد فـــي مطالبـــه | غريـــب حســـن وألحـــان وأقـــوال
سـكرت مـن صـوته لمـا أشـار بـه | مالسـت أسـكر مـن صـهباء جريـال
مـا رمـت أمسـك نفسـي عنـد رؤيتـه | إلا تغيـــرت مـــن حـــال إلـــى حـــال
يـاليتني بفنـاء الـدير لسـت كمـن | يقـــول يـــا ليتنـــي بالشـــيح والضـــال
قد صرت أنشد بيتاً صار لـي مثلاً | لـولا وصـالك لـم يخطـر علـى بـالي
ولـو اشـتريت بعمـري سـاعة سـلفت | مـن عيشـتي معكـم مـا كـان بالغـالي

وله غير هذه الأبيات في دير ميخائيل[1]. ومن الديارات التي فيها آثار جميلة وتعود إلى هذا الدور، وهو دير الجب المعروف اليوم بدير مار بهنام[2]، وهو من الديارات الكبيرة للسريان في ظاهر الموصل، ويبعد عن المدينة بمسافة 35 كيلو متراً جنوب نينوى.

في هذا الدير آثار جميلة، بعضها محفورة بالمرمر، ومزينة بكتابات وتصاوير وزخارف تحف في مداخل الأبواب والشبابيك.

وفي الجانب الأيمن من مدخل الكنيسة، قطعة من الآجر المزلج الأزرق، فيها صور ثلاث غزلان بيضاء اللون، نافرة في اللوحة.

وفي الدير زخارف جبسية جميلة، وصورة للقديس مار بهنام ممتطياً صهوة جواده، مثبتة في جدار الكنيسة، تقابلها صورة أخته ساره، وهما من أنفس الآثار الجبسية النافرة، وفيه آثار معمارية كثيرة كلها من صنع التكارتة الذين هاجروا إلى الموصل في القرن السادس للهجرة. وقد ألف الخوري أفرام عبدال كتاباً اسمه"

---

(1) عيون التاريخ: (20: 163– 165)
(2) ويسمى أيضاً "دير الخضر".

اللؤلؤ النضيد في أخبار مار بهنام الشهيد" وصف به آثار الدير بصورة حسنة، وفيه تصاوير كثيرة لآثار الدير.

ومن الأديرة التي في ظاهر الموصل دير مار متي "وليس فيه ما يستحق الذكر من الآثار سوى أن موقعه جميل في سفح جبل مقلوب– وهو للأرثوذكس. وفيه غرفة يذكرون أن " ابن العبري" كان يسكن بها، ودفن بها بعد موته.

دير الربان هرمزد: وهو في جبل ألقوش يبعد عن شمال الموصل قرابة خمسين كيلو متراً، وفيه بعض الغرف المنقورة، وألف عنه الأستاذ كوركيس عواد كتاباً اسمه "أثر قديم في العراق– دير هرمزد".

المقابر

دفنوا في عدة مقابر بأطراف البلد، وبعضها كانت داخل المدينة، ومنها:

1- **مقبرة النبي جرجيس:** وهي من أقدم المقابر التي دفن بها أهل الموصل، وكانت تسمى "مقابر قريش" لأنهم كانوا يدفنون موتاهم فيها، وبعد أن شيد مسجد النبي جرجيس بجوارها، صارت تعرف بمقبرة النبي جرجيس، وممن دفن فيها، الشيخ عبد الملك بن حماد الكناني الموصلي المتوفى سنة 571هـ[1].

في سنة 1975 رفعت محافظة الموصل كافة القبور التي كانت تحف بجامع النبي جرجيس، ونقلت إلى المقابر الجديدة ظاهر الموصل.

2- **مقبرة الجامع العتيق:** وهي أيضاً داخل المدينة تجاور – الجامع العتيق– الجامع الأموي– ولعلها كانت في قسم من فنائه بعد أن جدد الجامع، وأخرج مساحة من أرض فنائه الكبير– وممن دفن فيها:

---

(1) روضة الناظرين: (ص: 122).

أبو زكريا يحيى بن سالم بن مفلح البغدادي نزيل الموصل المتوفى سنة 609هـ[1].

3- **تربة غسان**، وهي التي تجاور مسجد العناز، وتعرف أيضاً بمقبرة العناز. أما غسان: فلعله دفن غسان بن الربيع الأزدي الموصلي المتوفى سنة 226هـ[2].

ويونس بن منعة بن مالك الأربلي المتوفى سنة 576[3]، وابنه كمال الدين بن يونس المتوفى سنة 639هـ[4].

وفي سنة 1970م رفعت القبور من هذه المقبرة، وأنشىء عليها مدرسة وظهر خلال رفع القبور مشاهد قبر من حجر الحلان مكتوب عليه ((محمد بن سليمان الدقاق توفى سنة 617هـ ".

4- **مقبرة الباب العمادي:** وهي تقع ظاهر الباب العمادي للموصل، تجاور مشهد الطرح الذي كان يعرف في زماننا بمشهد البنجة[5]. وأدركنا حول المشهد كثيراً من القبور. وفي الحرب العالمية الثانية اتخذ الجنود الأتراك العثمانيون مقبرة تجاورها، ودفنوا بها موتاهم من الجنود الذين كانوا مرابطين في الموصل، وكانت تسمى " مقبرة الشهداء".

وممن دفن فيها في العهد الأتابكي مجاهد الدين بن قيماز الرومي المتوفى سنة 570هـ يذكر ابن الأثير: أن قبره ظاهر البا العمادي مشهور هناك[6].

5- وظاهر الباب العمادي مقبرة أخرى في المسجد الذي شيده أمين الدين ياقوت بن عبد الله الملكي البدري، ودفن به ولده أحمد المتوفى سنة 637هـ وقد ظهر

---

(1) ذيل طبقات الحنابلة (ص: 265).

(2) لسان الميزان (4: 418) منية الأدباء(ص: 115).

(3) وفيات الأعيان (2: 419، 420) مرآة الجنان(3: 406).

(4) وفيات الأعيان(2: 132- 134).

(5) انظر مشهد الطرح.

(6) الكامل: 11: 173.

حجر فيه وقفية المسجد، لم تزل مثبتة في قصر الحاج توفيق أفندي الفخري المطل على عين الكبريت[1].

6- مقابر تل توبة: وهي تقع على تل توبة، تجاور مشهد النبي يونس وممن دفن بها: ناصر الدولة الحمداني المتوفى سنة 358هـ[2].

وقرواش بن المقلد المتوفى سنة 445هـ[3].

والوزير فخر الدولة بن جهير الثعلبي المتوفى سنة 483هـ[4].

عبد الله بن أحمد السبتي البغدادي الوراق المحدث المقرىء نزيل الموصل المتوفى في العشر الأخير من شهر رمضان سنة 588هـ[5].

أبو جعفر بن السمين عبيد الله الموصلي المتوفى سنة 588هـ[6].

7- **مقابر العلويين:** وكانوا يدفنون موتاهم في عدة مقابر منها: مشهد الطرح، ومشهد الإمام عون الدين- ابن الحسن- المعروف بمشهد البرمي. ومشهد النقطة الحسينية الواقعة قرب دير سعيد- دير مار إيليا- وقرب قبرعمرو بن الحمق الخزاعي، وهي التي تعرف بمقبرة الست فاطمة تجاور الإمام محسن[7].

---

(1) انظر مجموع الكتابات(ص: 206).

(2) انظر الموصل في العهد الاتابكي(178).

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) ذيل طبقات الحنابلة(1: 378).

(6) شذرات الذهب(4: 293).

(7) انظر عن المشاهد المذكورة: منية الأدباء، والجزء الثاني من منهل الأولياء.

(3) انظر عن المشاهد المذكورة: منية الأدباء، والجزء الثاني من منهل الأولياء.

8- **مقبرة ظاهر باب الجصاصة:** ولم نقف على موقعها بالضبط، وربما كانت ظاهر الموصل، قريبة من مقبرة الشيخ قضيب البان الموصلي، وممن دفن فيها
- المبارك بن أحمد بن موهوب المعروف بابن المستوفى الأربلي، وسكن الموصل بعد أن فك التتار الحصار عن قلعة أربل وتوفى سنة 637هـ[1].
- وشيطان الشام (العز بن يوسف الأربلي) سكن الموصل، وتوفي بها سنة 638هـ[2].
- أبو عمرو بن جلوك الموصلي- 592هـ ودفن بمقبرة باب الجصاصة[3].

9- مقبرة الشيخ قضيب البان الموصلي – وقد تكلمنا عنها، وعمن دفن فيها، عند كلامنا على رباط الشيخ قضيب البان (الموصلي).

ملحق رقم -3-

إحصاء ما كان في الموصل من العمارات، ونفوس المدينة سنة 660هـ كما جاء في كتاب مرآة الزمان- لسبط ابن الجوزي.

كان بها من الجوامع خمسة وثلاثون جامعاً، وأربعمائة مسجد، وثمان وعشرون مدرسة، ومائة وثمانون داراً للحديث[4]، والخانقاهات سبعة وعشرون، ومائتا حمام زوج[5]، وعشرة مفردة للأبكار[6]، وخانات الحياكة تسعمائة وثمانون[7]، ودارات

---

(1) وفيات الاعيان (1: 444).

(2) المصدر نفسه.

(3) ابن المستوفي: 1: 183.

(4) الذي نراه ان عدد دور الحديث هو 18.

(5) زوج حمام: أي كانت الحمام ذات جانبين، منفصلين عن بعضهما، يستحم الرجال في جانب، والنساء في جانب.

(6) كان في الموصل حمامات خاصة للبنات اللاتي لم يتزوجن، وتسمى هذه الحمامات" حمامات للابكار"

(1) يريد بالخانة: المحل الذي يكون به عدة أنول لشخص، ويشتغل عنده حاكة باجرة مقطوعة، ولم يزل أهل الموصل يستعملون هذا اللفظ.

الطحن أربعة الآف وعشرون[1]، وبزارات الدهن مائة وعشرون[2]، ومعاصر السمسم تسعة وتسعون[3]، والمزملات لسبيل الماء مائة وخمس وعشرون[4]، وجوم الحياكة خمس وسبعون ألفاً[5]، والقناطر بأزقة الموصل ألف وستمائة[6]، وأبواب المدينة تسعة[7]، والقفافيز ستة وعشرون ألفاً[8]، والدور المثمنة ستة وثلاثون ألفاً، والحجر المربعة عشرة آلاف، والبساتين داخل الموصل ستة وثلاثون، وبساتين الخضرة خمسة وتسعون، والرحى[9] على الماء ثمان وستون، والدواليب على نهر

---

(2) المدار: آلة لطحن الحبوب، يديرها بغل أو كديش، ويكون في سرداب أو داخل مدار، وأدركناها في الموصل كثيرة، حتى كان في بعض الأزقة أربعة منها أو أكثر، وقضت عليها ماكينة الطحن التي تدار بالنفط.

(3) البزارات: جمع بزارية. وهي المحل التي تعصر بها الحبوب الدهنية، لاستخراج الدهن منها، ولم يزل بعض أهل القرى يسمونها بزارية أو بزورية.

(4) أدركنا في الموصل عدة معاصر للسمسم يعصر بها ويستخرج منه الشيرج.

(5) إناء متوازي المستطيلات، يتخذ من حجر الحلان، يوضع به الماء، ويمون في الطرق والمحلات العامة، يشرب منها الناس، وفي الموصل يسمونها"مزملة سبيل" أو "سبيلخانة" وأدركنا عشرات منها في مداخل الجوامع والمساجد والمدارس، وفي المحلات العامة، ولم يبق منها سوى عدد لايتجاوز أصابع اليد الواحدة

(6) الجوم جمع جومة، ويراد بها النول.

(7) القناطر: جمع قنطرة، وهي الطاق الذي يبنى فوق جانبي شارع أو زقاق، كانت كثيرة في الموصل، ولم يبق منها الا عدد قليل.

(8) انظر سور الموصل.

(9) لم نقف على ما يريده.

(10) الرحى: طاحونة تدار بواسطة الماء. ولم تزل هذه معروفة في قرى الموصل التي فيها عيون ماء، وقد قل عددها لانتشار مكائن الطحن التي يديرها النفط.

دجلة ستة عشر[1]، وسفن الماء مائتان وخمسون، كنائس اليهود ستة عشر[2]، وبيع النصارى ثمان وخمسون[3].

وعدد النصارى ثلاثة وأربعون ألفاً، وعدد اليهود ستة وثلاثون ألفاً.[×]

وجسران على دجلة[4]، وثمان عشرة درجية[5].

والسراديب ألف وستمائة. والقرى الشرقية ألفان وثلمائة. والقرى الغربية ألف وخمسمائة.

وأسواق الموصل ستة وثلاثون سوقاً، وحوانيت القيسارية مائة وعشرون حانوتاً[6] ، وحوانيت الأسواق ثمانية وأربعون ألفاً وخمسمائة وخمسة عشر.

والطمغة[6] في كل يوم عشرة آلاف درهم، وجباية دور الضرائب ألف درهم، ودكاكين قيسارية المسك أحد عشر دكاناً، هذا ما ذكره صاحب مرآة الزمان.

---

(11) الدواليب التي ترفع الماء من دجلة لسقي الحدائق والمزارع.

(1) اننا نشك في هذا العدد، فاليهود لم يكن لهم سوى كنيسة واحدة يصلون بها، وكان قد أعلمني سليمون رئيس طائفة اليهود في الموصل، انها بنيت منذ أول مجيء اليهود إلى الموصل، ولم يعمروا غيرها إلى زمنه.

(×) ونرى ان نفوس المسلمين في المدينة تقارب نصف المليون، نظراً لما كان فيها من دور وأسواق وغيرها.

(2) ونشك أيضاً في هذا العدد، فلو أحصينا كنائس النصارى الموجودة في ذلك العصر إلى يومنا هذا– مع التي اندثرت فانها لا تتعدى العشرين كنيسة.

(3) الجسر الذي أنشأه مروان بن محمد، وكان يعرف عندنا بالجسر القديم، والجسر الذي أنشأه مجاهد الدين قيماز الرومي قرب جامعه المعروف اليوم بجامع الخضر.

(4) الدرجية: تبنى على شاطيء النهر دركات تؤدي إليه، تستعمل لتحميل الأكلاك وتفريغها، وهي تكون من حجر الحلان.

(5) وقفنا على أخبار قيساريتين في الموصل إحداهما التي أوقفت للجامع النوري، ذكروا أن عدد دكاكينها 699 دكاناً، والثانية التي بناها مجاهد الدين قيماز في سوق الموصل، لربما كان المراد بها هذه القيسارية.

(6) يراد بها الطمغة التي تجبى من الأسواق، ولم يزل أهل الموصل يسمونها الطمغة ويريدون بها الضريبة التي تجبى عن عدد المواشي التي تذبح يومياً، فعلى كل دابة طمغة معينة– تجنبها دائرة البلدية.

العلـــــم والأدب

كان الفتح الاسلامي للبلاد، فتحاً في الدين واللغة والعلم وتحرير الشعوب، فإن الأمم التي أظلها الاسلام أقبلت على اللغة العربية، يكتبون ويؤلفون بها، وساهمت في النهضة العلمية التي أذكاها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فكانوا عرباً مسلمين، تجمعهم لغة القرآن، وكلمة التوحيد، فإذا هم أمة واحدة تسعى لهدف واحد، إعزاز دين الله، ونشر اللغة العربية.

والأتابكة نشأوا في هذا المحيط، فتأدبوا بآدابه، وتثقفوا بثقافته، شجعوا العلماء والأدباء وأخذوا عنهم، وأجزلوا لهم العطاء، فكانوا حماة الدين وأنصار العربية، زينوا مجالسهم بأهل الفضل، وما كان يدور فيها من مواضيع مختلفة، فكانوا يشاركون فيها ويتذوقون الشعر ويهتزون بالبيت المؤثر، فزخرت دواوين الشعراء بمدحهم.

كان جدهم عماد الين– مؤسس الدولة الأتابكية– من أكبر المشجعين للعلماء وأهل المعرفة، يسمع الشعر العربي ويؤثر فيه، ويجزل العطاء للشعراء والمغنين، غناه مغن– وهوعلى قلعة جعبر–

ويلي من المعرض الغضبان أن نقل ال واشـــي اليـــه حـــديثاً كلـــه زور
سـلمت فـأزور يـزوى قـوس حاجبـه كـــأنني كـــأس خمـــر وهومخمـــور

فطرب لها طرباً شديداً، وسأل لمن هذه؟ فقيل: لابن منير الطرابلسي المتوفى سنة 548هـ– وهوبحلب– فكتب إلى والي حلب ليسيره إليه سريعاً.[1]

وذكـروا أنـه كـان فـي أول أمـره شـديداً، وعنـده بعـض ظلـم، فسـمع ليلـة – وهونازل بحماة – شخصاً يغني على شط العاصي:

اعـــــدلوا مـــــا دام أمـــــركم نافـــذاً فـــي النفـــع والضـــرر
واحفظـــــوا أيـــــام دولـــــتكم إنكـــم منهـــا علـــى خطـــر

فتأثر بهذا، وتبدلت شدته وأخذ يتحرى العدل[1]

---

(1) وفيات الأعيان:1: 50

وكان ابنه نور الدين محمود يجل الفقهاء والعلماء، ويناقشهم في كثير من المباحث، ولا يخلو مجلسه منهم، عارفاً بالفقه على مذهب الأمام أبي حنيفة، سمع الحديث وأسمعه طلباً للأجر، يحفظ من محاسن العرب، ومزايا الأدب الشيء الكثير، وله توقيعات في غاية البلاغة والإيجاز، بنى دار العدل وهوأول دار عدل في الإسلام، وكان ينظر في المظالم التي تقدم إليه.

كان ينظم الشعر، دخل مسجد سرير بحلب، عندما كان يريد الحج، ثم دخله سنة 557هـ وكتب على حائطه:

لك الحمد يا مولاي كم لك منّةُ ... علي، وفضل لا يحيط به شكري
نزلت بهذا المسجد العام قافلاً ... من الغزو، موفور النصيب من الأجر
ومنه رحلت العيس في عامي الذي ... مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فأديت مفروضي، وأسقطت نفل ما ... تحملت من وزر الشبيبة عن ظهري

وكانت أمه((صفوة الملك زمرد خاتون بنت جاولي)) قد سمعت الحديث واستنسخت الكتب، وقرأت القرآن الكريم، وبنت المسجد الكبير.

وأخوه سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي له ذوق جميل في نقد الشعر، ويثيب الشعراء، مدحه الحيص بيص بقصيدة أولها:

الأم يراك المجد في زي شاعر ... وقد نحلت شوقاً فروع المنابر

فوصله بألف دينار سوى الخلع.

ونظم العماد الأصفهاني المتوفى سنة 597هـ قصيدة جميلة في مدح نور الدين، أولها:

أدركت من كل المعالي المشتهى ... وبلغت من نيل الأماني المنتهى

---

(1) مفرج الكروب: 1: 101.

ولما وصلت إلى الموصل سامى قطب الدين صاحبها- أخو نور الدين- كل شاعر في الموصل أن يعمل على وزنها ورويها، لشدة إعجابه بها[1].

ومماليكهم الذين نشأوا عندهم، عرف بعضهم بالشعر والأدب، ومنهم:

- أبوالفداء إسماعيل بن يرنقش السنجاري- مولى عماد الدين، كان جندياً موصوفاً بالسخاء والفضل والأدب، وله نظم حسن، ومما كتبه إلى الملك الأشرف أبي الفتح موسى بن العادل يعزيه في أخ له كان اسمه يوسف[2]:

دموع المعالي والمكارم ذرف ... وربع العلى قاع لفقدك صفصف
غدا الجود والمعروف في اللحد ثاوياً ... غداة ثوى في ذلك اللحد يوسف
فتى خطفت كف المنية روحه ... وقد كان للأرواح بالبيض يخطف
سقته ليالي الدهر كأس حمامه ... وكان بسقي الموت في الحرب يعرف
فوا حسرتي لو ينفع الموت حسرة ... ووا آسفاً لو كان يجدي التأسف
وكانت على الأرزاء نفسي قوية ... ولكنها عن حمل ذا الرزء تضعف

مع العلم أن إسماعيل هذا توفى سنة 601هـ شاباً في الموصل.

وكان مجاهد الدين قيماز الرومي المتوفى سنة 595هـ يعرف الفقه ويحفظ من الشواهد والأشعار والحكايات شيئاً كثيراً، ويميز حسن الشعر من غثه، فمدحه الشعراء بقصائد كثيرة ونالوا جوائزه، وممن مدحه: سبط ابن التعاويذي بقصيدة سيرها إليه من بغداد، أولها: [3]

عليل الشوق منك متى يصح ... وسكران بحبك كيف يصحو
وبين القلب والسلوان حرب ... وبين الجفن والعبرات صلح

فأجازه بألف دينار وجائزة سنية.

---

(1) جريدة القصر وجريدة العصر- شعراء دمشق: 45.
(2) الجامع المختصر:9: 164.
(3) وفيات الأعيان: 1: 426- 427، جوامع الموصل: 70- 72.

ومدحه بها الدين أسعد بن يحيى السنجاري بقصيدته التي يتغنى فيها:

يـــا قلـــب تبـــاً لـــك مـــن صـــاحب كـــان الـــبلا منـــك ومـــن نـــاظري
لله أيـــــامي علـــــى رامـــــة وطيـــب أوقـــاتي علـــى حـــاجر
تكـــاد بالســـرعة فـــي مرهـــا أولهـــا يعثـــر بـــالآخر

فأحسن جائزته.

وكان كثيراً ما ينشد أبياتاً لأسامة بن منقذ المتوفى سنة 584هـ التي أولها:

إذا أدمـــت قوارضـــكم فـــؤادي صـــبرت علـــى أذاكـــم وانطويـــت
وجئـــت إلـــيكم طلـــق المحيـــا كـــأني مـــا ســـمعت ولا رأيـــت

وكان أبو السعادات بن الأثير كاتباً بين يديه، ومنشئاً إلى الملوك.

وعمل له أبوالمعالي سعيد بن علي الحظيري كتاب ((الإعجاز في حل الأحاجي والألغاز برسم الأمير مجاهد الدين قيماز))، فاجزل عطاءه[1].

وكان صلاح الدين الأيوبي– وهوممن نشأ في دولة الأتابكة – يحفظ من محاسن العرب، ومزايا الأدب، وأعاجيب السير، وقصائد القدماء، وشوارد الحكماء ما يستشهد فيه لكل حادث وحديث، يحب الشعر الجيد، ويكرم أهله. [2]

وما في بني أيوب الا وله المام بالشعر والأدب، ومذاكرة العلماء، ومكاثرة الحكماء، فنطقوا بكل غريبة علموا وعملوا، وقام فيهم شعراء، منهم:

– الملك المظفر الأجل عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن أخي صلاح الدين(–587هـ) كان ينظم الشعر طبعاً لكثرة مجالسته أهل العلم والأدب، عذب اللفظ، رائق المعنى، ومن شعره:

دمشـــق ســـقاك الله صـــوب غمامـــة فمـــا غايـــب عنهـــا لـــدى رشـــيد
عســـى مســـعد لـــي أن أبيـــت بأرضـــها الا إننـــي لوصـــح لـــي لســـعيد

---

(1) انظر الحاشية رقم (3)

(2) انظر عن ال أيوب: جريدة القصر: 76– 139.

جمع شعره التاج أبواليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي.

وكان أخوه عز الدين فروخ شاه(– 578هـ) ينظم الشعر الجيد، ومن شعره:

اذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقعه

فلا تصنع المعروف مع غير أهله فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

ومنهم تاج الملوك أبو سعيد بوري بن نجم الدين أيوب(– 579هـ)، كان شاعراً رقيق اللفظ، حلو المعنى، ومن قوله:

يا حياتي حين ترضى ومماتي حين تسخط

آه من ورد على خد يك بالمسك منقط

بين أجفانك سلطا ن على ضعفي مسلط

قد تصبرت وأن بر ح بي الشوق فأفرط

فلعل الدهر يوما بالتلاقي منك يغلط

ومن الأسر التي برزت في الأدب والعلم والسياسة، هي أسرة حسام الدين خشترين بن تليل بن أبي الهيجاء الكردي الحكمي(578– 618هـ)، وهوجندي كردي، كان شاعراً مجيداً، وإذا نظم أجاد وأحسن، وأبدع في المعنى، ومن شعره ما جاء في إحدى قصائده يرثي بها ملكة خاتون بنت الملك العادل الأيوبي:

ما كنت أعلم أن الشمس قد غربت حتى رأيت الدجى ملقى على القمر

قل للغزالة أي الروع نفرها ودونها أسد وقف على الحذر

ناشدتك الله لا تنسى الوداد فقد بانت سعاد وهذا آخر الخبر

لم يبق للخلق قلب بعد ما ظعنت إلا وفيه لها بيت من الفكر[1]

وغيره كثير ممن نشأ في الهلال الخصيب وغيره، فالأتابكيون عنوا بتشييد المعاهد العلمية المختلفة: من كتاتيب ومدارس ودور حديث وربط– خانقاهات – وغيرها، وقلما نجد ملكا منهم لم يؤسس معهداً علمياً في الموصل، أو في

---

(1) ذيل مرآة الزمان: 1: 544، 2: 222– 230، مفرج الكروب: 4: 66– 74، مضمار الحقائق: 125– 130.

غيرها من البلاد التي حكموها، وسار رجال دولتهم على هذا، فأسسوا المعاهد العلمية، وعززوا النهضة بما أغدقوه على أهل العلم وطلابه، فلكل مدرسة أوقات مرصدة لها، فصارت الموصل قبلة العلماء والأدباء والقراء والمحدثين وأصحاب الفنون، يقصدونها، فيجدون سوقاً رائجة لبضاعتهم، وتشجيعاً من ملوكها، وإقبالاً من أهلها، قصدها الطلاب من مختلف الأقطار لتلقي العلوم في معاهدها فكانت الموصل على عهدهم من أشهر الحواضر العلمية في الإسلام.

وجاء نور الدين لؤلؤ الأرمني–(– 657هـ) وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب– وصار يقلد الملوك الأتابكة، وما كانوا عليه من مناصرة العلم وأهله، بنى المدرسة البدرية وبجانبها المشهد لتكون مركز دعاية له في نشر المذهب الشيعي.

ذكر المؤرخون: أن أكثر ما يجري في مجلسه، إيراد الأشعار المطربة، والحكايات الملهية، فإذا دخل شهر رمضان، أحضرت له كتب التواريخ والسير، وجلس الزين الكاتب، وعز الدين المحدث يقرآن عليه أحوال العالم[1].

وكان يكثر من مجالسه أهل العلم والأدب وخاصة الشعراء، ويقربهم ويجزل لهم العطاء، ويستمع إليهم وربما شاركهم، وقالوا عنه: كان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لكثرة مجالسته الأفاضل وخوضه في الأشعار والحكايات، يستنبط المعاني الحسنة، وينبه على النكت اللطيفة، فيستفيد منهم في السماع، ما فاته تعلمه بالكتاب، كل ذلك يقلد به أسياده الأتابكة.

وكان يحث الشعراء على مدحه والتنويه بأعماله، خاصة في الأعياد والمواسم، وينشدونه ما مدحوه به، وإذا جاءه رسول من ملك أو خليفة أوعز إلى الشعراء أن يحضروا المجلس، وينشدوا في مدحه أوالتنويه بعدله، وحب أهل البلد له.

كما كان يستميل الشعراء ذوي المكانة في البلد لكي يحملهم على مدحه، وتعزيز مكانته، وفعل هذا مع كمال الدين حيدرة عبيد الله الحسيني الموصلي شيخ أهله، ومقدمهم سناً وزهداً وفضلاً وروعاً، وأخذ يستميله ويجزل له العطاء، بما

---

(1) الفخري:8.

أسداه عليه من الأنعام، وما زال يغدق عليه حتى مدحه، وانخرط في زمرة شعرائه[1].

ومن شعراء بدر الدين لؤلؤ المقربين: ابن الحلاوي المتوفى سنة(656هـ) وكان هذا يمدح الملوك والأعيان، فقربه بدر الدين لينوه بذكره، وزاد في اعطاياته، وكان يأمر بإنشاد قصائده التي في مدحه عند حضور الوفود إليه، ورافقه عندما ذهب إلى هولاكو. [2]

وجمال الدين بن يحيى بن مطروح المتوفى سنة 649هـ، من الذين مدحوا بدر الدين لؤلؤ، ونالوا جوائزه وصار من ندمائه.

وأبو حفص بن المظفر البرطلي المخزومي، المتوفى سنة 650هـ، كان من شعرائه ومطربيه.

وكمال الدين احمد بن عبد الكريم المعروف بالكنيش القزويني الموصلي، كان من الشعراء الذين استغلهم بدر الدين في مدحه.

والشاعر جمال الدين علي بن المقرب الأحسائي، له قصائد كثيرة في مدحه، ثم انقلب عليه وهجاه بقصيدة جاء فيها: [3]

تسلطن بالحدباء عبد بلؤمه ... بصير، بلى عن نيل مكرمة عم
إذا أيقظته همة عربية ... إلى المجد قالت أرمنيته نم
يعظم أعياد النصارى وعنده ... بأن إله العرش عيسى بن مريم

وكذا أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن سيف التنوخي الموصلي الوتار(-663هـ) كان ممن مدحه ولكنه انقلب عليه لما رآه من ظلمه وتمثيله وعارضه في هذا وغيرهم من الشعراء الذين استغلهم لمدحه والتنويه بأعلامه.

وأوعز إلى عز الدين بن الأثير أن يكمل كتابه ((الكامل))، ويجعله باسمه، ففعل، كما أوعز إلى الكنجي أن يجمع كتاب((كفاية الطالب في مناقب الإمام

---

(1) الفخري:71.
(2) فوات الوفيات: 1: 69- 73.
(3) ديوان الاحسائي: 98.

علي بن أبي طالب)). وألزم عز الدين بن عبد الرزاق الرسعني بجمع كتاب عن مصرع الحسين عليه السلام، فجمع له ما صح له، ونشره بين الناس.

وأوعز إلى محمد بن أبي طالب البدري أن يكتب له نسخة مزوقة من كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ويظهر أن الكاتب كان من مماليكه، ففعل وكتبها سنة 614هـ، وصور عليها صورة بدر الدين لؤلؤ.

كل هذا يدلنا على أن بدر الدين لؤلؤ استغل الشعراء والكتاب أن ينوهوا بمدحه والثناء عليه، وساعده على ذلك امتداد النهضة العلمية التي كانت في العهد الأتابكي، مع أنه اتخذ في كثير من المدارس مشاهد ليعفي آثار أسياده، وأولياء نعمته.

وظهر في الموصل عدة أسر، اشتهرت بالعلم والفضل، ومنهم:

– **بيت الشهرزوري**، وجدهم أبو احمد القاسم بن المظفر، الذي تكلمنا عنه وقام منهم في الدور الأتابكي عدة قضاة اشتهروا بمختلف العلوم والآداب، قال عنهم ابن خلكان عند كلامه عن جدهم القاسم: ((وكان من أولاده وحفدته علماء نجباء كرماء، نالوا المراتب العلية، وتقدموا عند الملوك، وتحكموا وقضوا، ونفقت أسواقهم، وتقلدوا القضاء في مدن الجزيرة والشام، وإلى الآن من نسله جماعة من الأعيان والقضاة في الموصل)) [1]

ومنهم:

– **محمد بن القاسم الشهرزوري** المعروف بقاضي الخافقين (453– 538هـ) ولي القضاء بعدة مدن من بلاد الجزيرة، وكان من فضلاء زمانه. [2]

– **كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم**، قاضي القضاة(492– 572هـ)، ولاه نور الدين محمود قضاء الديار الشامية والنظر في أوقافها، كان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً، وقف أوقافاً كثيرة، منها مدرسة في الموصل، ومدرسة في نصيبين،

---

(1) وفيات الأعيان:(1: 421– 422)
(2) طبقات الشافعية(4: 95– 96)

ورباطاً بالمدينة المنورة، وعظمت منزلته عند صلاح الدين الأيوبي، وكان يزوره ويستشيره. [1]

– **محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم** قاضي القضاة (– 586هـ) ولي قضاء الموصل، ودرس بمدرسة ابيه كمال الدين، وبالمدرسة النظامية، كان جواداً كريماً، أنعم في بعض رسائله إلى بغداد بعشرة آلاف دينار على الفقهاء والأدباء والشعراء. [2]

– **القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم**(599هـ)، اتصل بصلاح الدين وأرسله مرارا إلى الخليفة ببغداد، ولي قضاء الشام، ثم انتقل إلى الموصل وولي قضاءها، ثم ورد مرسوم الخليفة من بغداد يطلبه، وقلد قضاء القضاة شرقاً وغرباً، وفوض إليه النظر على أوقاف الشافعية والحنفية، وكان فقيهاً فاضلاً عابداً مهيباً ذا ثروة، وله النثر والنظم.

– **علي بن القاسم بن المظفر بن علي**(– 532هـ) ولي قضاء واسط، ثم قضاء الموصل،والبلاد الجزرية والشامية،وكان من فضلاء زمانه [3]

وأخبار بيت الشهرزوري مستفيضة في كتب التراجم والطبقات، مثل: وفيات الأعيان، وطبقات الشافعية للسبكي وشذرات الذهب وغيرها.

أبناء يونس بن منعة

أصلهم من أربل، وأول من سكن الموصل منهم: يونس بن محمد بن منعة بن مالك، رضي الدين الأربلي(508– 576هـ) ودرس بمدرسة زين الدين، وكان فقيهاً شاعراً، وخرج من بيته جماعة من الفضلاء، انتفع بهم أهل البلاد وقصدهم الطلاب من بلاد العراق والعجم وغيرهما، وبقيت أسرتهم مشهورة بالعلم إلى القرن الثامن للهجرة، وهم من علماء المذهب الشافعي، [4] ومنهم:

---

(1) وفيات الأعيان(1: 472– 473)
(2) طبقات الشافعية(4: 99– 100)
(3) طبقات الشافعية (4: 280)
(1) وفيات الأعيان(2: 419– 420، مرآة الجنان:3: 406)

– **عماد الدين بن يونس**(535– 608هـ)، كان عالماً جليلاً، درس في عدة مدارس في الموصل، وقصده الفقهاء من مختلف الأقطار، وتولى قضاء الموصل، ومن مؤلفاته: ((الفتاوى الوسطية)) ، و((المسائل الموصلية))، و((المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط))، و((شرح الوجيز))، وغيرها[1].

– **كمال الدين بن يونس** (551– 639هـ) من أجل علماء زمانه، كان متضلعاً بعلوم كثيرة: في اللغة والنحووالفلسفة والرياضيات والطب وعلوم الحكمة والهيأة، وأنواع الحساب المفتوح منه: الجبر والمقابلة والأرثماطيقي، والموسيقى والمساحة وغيرها، أخذ عنه علماء كثيرون منهم: أثير الدين الأبهري– صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة، رحل إلى الموصل سنة 625هـ، وكان يجلس أمامه ويقول: ((ما تركت بلادي، وقصدت الموصل إلا للاشتغال على الشيخ)) في الوقت الذي كانت كتب الأثير تدرس في المدارس، وأخذ عنه أيضاً: عبد اللطيف البغدادي– الطبيب المشهور، وعلم الدين قيصر المعروف بتعاسيف المهندس، ونصير الدين الطوسي، والفخر المرادي ومجد الدين أبوالفرج محمد بن محمد الموصلي المنجم[2].

وكان يدرس المسيحيين واليهود كتبهم المقدسة، ويشرحها لهم شرحاً يعجز علماؤهم عنها، وممن درس عليه منهم علوم الحكمة: سويروس يعقوب الأول، قرأ عليه علم المنطق والفلسفة، ويعقوب البرطلي، وثاذوي الأنطاكي اليعقوبي.

درس بمسجد زين الدين، وعرف فيما بعد بالمدرسة الكمالية نسبة إليه، كما درس في المدارس: البدرية والعلائية والقاهرية، ويحضر درسه أصحاب الطيالس من العلماء، فيحل لهم ما أشكل عليهم.

---

(2) وفيات الأعيان:1: 476– 477، طبقات الشافعية:5: 45– 46.

(3) من المصادر التي تبحث عنه: وفيات الأعيان: 2: 132– 134، عيون الأنباء: 1: 308، طبقات الشافعية: 5: 158– 162، مرآة الجنان: 3: 262، 406، ابن العبري: 477، اللؤلؤ النضيد: 502، دفقات الطيب: 105.

وردت عليه عدة أسئلة من بغداد وبلاد الروم والشام في الرياضيات، فأجاب عليها، بعد أن عجز عنها العلماء، وممن مؤلفاته: ((كشف المشكلات وأيضاح المعضلات في تفسير القرآن))، ((شرح كتاب التنبيه في الفقه))- مجلدان- كتاب((مفردات ألفاظ القانون))، كتاب((علوم المنطق)) كتاب: ((لغز في الحكمة))، كتاب ((الأسرار السلطانية في النجوم)) وغيرها.

وخلف من الأولاد بمدينة الموصل كانوا من سادات المدرسين.

- شرف الدين بن كمال الدين بن يونس(575- 622هـ) درَّس في المدرسة القاهرية، وله عدة كتب في الفقه، منها: كتاب التنبيه في الفقه الشافعي، كان غزير المادة، تخرج به خلق كثير.

- تاج الدين بن رضي الدين بن عماد الدين بن يونس(598- 671هـ) كان فقيهاً، عين في الجانب الغربي من بغداد، وله مؤلفات في الفقه، منها: ((التعجيز في الفقه الشافعي)) [1]

- فخر الدين أبوالربيع سليمان بن جبرائيل بن منعة بن مالك بن يونس

(- 650هـ)، كان من أعيان الموصل وعلمائها، وأكابرها، وكان يعتمد عليه بدر الدين لؤلؤ، ويرسله في قضاء حاجاته، اشتغل بالتدريس وكان يدرس الفقه الشافعي. [2]

أبناء الأثير

محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجرزي المعروف بالأثير.

نزح أبوهم من جزيرة ابن عمر وسكن الموصل، وتقلد دواوين الإنشاء في أول الدولة الأتابكية، وأنجب ثلاثة أولاد، علماء أجلاء، يقول عنهم ياقوت الحموي: ((كل منهم إمام)) وهم:

---

(1) وفيات الأعيان: 1: 477، طبقات الشافعية: 5: 72، الحوادث الجامعة:374.

(2) تلخيص مجمع الآداب: 3: 179- 180.

– **مجد الدين ابوالسعادات**(544– 606هـ) الفقيه المحدث، صاحب التصانيف الكثيرة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث، منها: ((جامع الأصول في أحاديث الرسول))، ((النهاية في غريب الحديث))، ((الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف))، كتاب((البديع في النحو))، ((المرصع في الآباء والأمهات والبنين)) وغيرها[1].

– **المؤرخ عز الدين بن الأثير**(555– 630هـ)صاحب التصانيف المشهورة في التاريخ، منها: ((الكامل في التاريخ)) وهومن أعظم الكتب العربية في تاريخ العرب والإسلام، يمتاز بدقته وأمانته، و((أسد الغابة في أخبار الصحابة))، و((اللباب في الأنساب)): اختصر به كتاب الأنساب للسمعاني،وزاد عليه زيادات معتبرة.((الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية)) [2]

– **الوزير ضياء الدين بن الأثير**(558– 637هـ)، الكاتب المشهور، صاحب"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، و" الوشي المرقوم في حل المنظوم" وكتاب "المعاني المخترعة في صناعة الانشاء" وغيرها.[3]

– **محمد بن ضياء الدين**(585– 622هـ)، له نظم ونثر حسن، وله عدة مجاميع وتصانيف وغيرها، منها:"نزهة الأبصار في نعت الفواكه والثمار"، و((غرة الصباح في أوصاف الاصطباح)) وكتاب ((روضة النديم)) ومجموع جمعه للملك الأشراف الأيوبي أحسن فيه ذكر جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه[4].

أبناء مهاجر

---

(1) وفيات الأعيان: 1: 447 طبقات الشافعية: 5: 153– 154.

(2) وفيات الأعيان: 1: 347– 348.

(3) وفيات الأعيان: 2: 158– 161، مطالع البدور: 1: 127.

(4) الجامع المختصر:9

جدهم علوان بن مهاجر التكريتي: كان تاجراً ذا ثروة كبيرة، بنى بالموصل مدرسة للفقهاء، في سكة أبي نجيح، ووقف عليها وقوفاً ونشأ أولاده على العلم والفضل[1]، منهم:

محمد بن علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر، الإمام شرف الدين أبوالفضل الموصلي(542– 615هـ) تفقه في الموصل، وورد بغداد سنة 560هـ، قاصداً الحج، وبعد عودته درس بالمدرسة النظامية، ثم صار معيداً بها، وعاد إلى الموصل ودرس بالمدرسة التي أنشأها أبوه علوان قرب بيته، وبمدارس أخرى، وكان صالحاً كثير الخير والدين، سليم القلب، وله تعليقة في الفقه[2].

أبوالقاسم علي بن علوان بن مهاجر، وهوالذي اسس دار الحديث المهاجرية[3]

أحمد بن محمد بن علوان بن مهاجر: كان من علماء زمانه، قرأ القرآن والفقه والخلاف، وقصد بغداد وسكن بالنظامية، وجالس العلماء، وبعد وفاة والده تولى مكانه في النظامية، وخلع عليه. [4]

محمد بن مهاجر التاجر: قصد بغداد، ونزل ليسبح في دجلة سنة 601هـ، فغرق، ووجدوا في عمامته مكتوب رقعة فيها:

يا أيها الناس كان لي أمل ... قصَّر بي عن بلوغه العمل
فليتق الله ربه رجل ... أمكنه في زمانه العمل
ما أنا نقلت حيث ترى ... كل إلى مثله سينتقل

فكأنه قد ناح على نفسه، ووعظها بهذه الأبيات[5]

أبناء بلدجي

---

(1) تلخيص معجم الآداب: 2: 675.
(2) الوافي بالوفيات: 4: 98– 99، طبقات الشافعية: 5: 32.
(3) تلخيص معجم الآداب: 1: 193.
(4) تلخيص معجم الآداب: 2: 675.
(5) الجامع المحتاج: 125– 153.

كان جدهم بلدجي من أمراء الدولة السلجوقية، وقام من أولاده علماء نجباء، منهم:

– **أبو محمد محمود بن مودود بن محمود البلدجي الموصلي**(543– 623هـ) كان عالماً ودرس في مدرسته في الموصل، وتخرج على يده أولاده وغيرهم، وهو من مشائخ العلماء، ومن فقهاء الحنفية، وله شعر جيد.

– **عبد الله بن محمود البلدجي، أبوالفضل مجد الدين**(599– 683هـ)، وهو صاحب المختار للفتوى وكتاب"الاختيار لتعليل المختار"، درس في مشهد الإمام أبي حنيفة ببغداد، وكان من كبار فقهاء الحنفية عالماً فاضلاً عارفاً بالمذهب ورجال الحديث، وعلم الخلاف، ودفن بمشهد أبي حنيفة.

– **عبد الدايم بن محمود البلدجي**(604– 680هـ) أخذ عن والده الكثير مع إخوته، وكان من علماء الحنفية البارزين، مدرساً فاضلاً مفتياً، ودفن في مقبرة قضيب البان الموصلي[1]

– **أبوالفضل عبد الكريم بن محمود البلدجي**(– 623هـ) كان فقيهاً فرضياً، عالماً بالتفسير، درَّس بمشهد الإمام أبي حنيفة.

– **عبد العزيز بن محمود البلدجي**، كان فقيهاً بارعاً، وتقلد القضاء.

أبناء هبل

أصل هذه الأسرة من بغداد، ثم استوطنت الموصل، وقام منهم عدة أطباء، أشهرهم:

– **مهذب الدين علي بن أحمد بن علي بن هبل**(515– 610هـ)، وهوأول من سكن الموصل، وأفاد فيها، فكان الناس يترددون إليه في سكة أبي نجيح يدرسون عليه الحديث والأدب والطب، وله كتاب في الطب سماه"المختار" يقع في أربعة

---

(1) انظر عن أبناء بلدجي: الجواهر المضية: 2: 162: 291: 298: 327،321. البداية والنهاية: 13: 116، الحوادث الجامعة: 445، الدرر الكامنة: 443.

مجلدات، وكتاب " الطب الجمالي" ألفه للوزير الجواد الأصفهاني ودفن في ظاهر الموصل في مقبرة الباب العمادي بجوار القرطبي.

– **شمس الدين أحمد بن هبل** المتوفى سنة 548هـ، وهو من فضلاء الموصل، وله ولدان من أعيان الفضلاء وأكابرهم.

أسرة النقيب

من الأسر العريقة في الموصل، قام منها عدة أعلام، اشتهروا في العلم والدين والأدب والسياسة، منهم:

– **ابن الحاجب الموصلي نقيب العلويين في الموصل**(–550هـ)، كان شاعراً حسن النظم، ومن شعره: [1]

هل لأيامنا الأولى من معيد ... بين دير الأعلى ودير سعيد
وزمان لهوت فيه فأفنيت ... شبابي ما بين ناي وعود
بين باب العراق فالبا صلوثا ... ت بأكناف بيعة الجارود

عز الدين أبو محمد علي بن فخر الدين عبيد الله بن عز الدين الحسيني الموصلي النقيب.

من سادات النقباء بالموصل وأعمالها، كان شاعراً مجيداً، ومن شعره ما كتبه في رسالة: [2]

إذا هزني شوقي إليكم ولم أجد ... سبيلاً سوى حمل الرسائل والكتب
مررت على أبياتكم متلفتاً ... كما التفت الظامي إلى البارد العذب

– **عز الدين أبوالحسن علي بن أبي الفتح محمد بن أبي جعفر أحمد ابن زيد العلوي الموصلي الأديب**، نقيب الموصل، ومن شعره:

---

(1) خريدة القصر: 2: 253.
(2) تلخيص معجم الآداب: 1: 254.

لهفي على عمري الذي ضيعته ... في كل ما أرضى ويسخط مالكي
ويلي إذا عنت الوجوه لربها ... ودعيت مغلولاً بوجه حالك
ورقيب أعمالي ينادي شامتاً ... يا عبد سوء أنت أول هالك
يبق من بعد الغواية منزل ... إلا الجحيم وسوء صحبة مالك[1]

– عماد الدين أبو محمد إسماعيل بن علي بن محمد بن زيد العلوي الموصلي النقيب.

من النقباء السادة الأشراف، كان صاحب همة علية، ونفس أبية، شاعراً، ومن شعره:

لا تصحبن من الورى ... من لا يريبك في الصحاب
فالثوب ينفر صبغه ... فيما يليه من الثياب[2]

– **ابوالقاسم المرتضى بن محمد بن زيد بن محمد** نقيب الطالبين في الموصل، كان أديباً فاضلاً وله شعر جميل، توفى سنة 601هـ، ومن شعره يمدح وزير الموصل جلال الدين الأصفهاني:[3]

جلال الدين مولانا الوزير ... مناقبه محبرة تسير
ومن كفاه تحي كل ميت ... وتحميه إذا عز النصير
ومن يعطي الكثير بلا سؤال ... ويتبعه البشاشة والسرور
ومن أغنت مواهبه البرايا ... وأوسعهم فليس يرى فقير

– الشريف ضياء الدين أبوعبد الله زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني– نقيب العلويين بالموصل(563هـ)، وهوالذي كتب إليه ابن الدهان الموصلي، عندما ضاقت به الحال، وعزم على قصد الصالح بن زريك– وزير مصر، وصعب عليه استصحاب زوجته معه، فأرسل معها إلى النقيب الأبيات الآتية:

---

(1) تلخيص معجم الآداب: 1: 256.
(2) تلخيص معجم الأداب: 2: 691.
(3) الجامع المختصر: 9: 166.

وذات شجوأســـال البـــين عبرتهـــا كانـــت تؤمـــل بالتفنيـــد أمســـاكي
الجـــت فلمـــا رأتنـــي لا أصـــيخ لهـــا بكـــت، فـــأقرح قلبـــي جفنهـــا البـــاكي
قالـــت وقـــد رأت الاجمـــال محدجـــة والبـــين قـــد جمـــع المشكووالشـــاكي
من لي إذا غبت في ذا المحل قلت لها الله وابـــــن عبيـــــد الله مـــــولاك
لا تجزعـي بانحبـاس الغيـث عنـك فقـد ســـألت نـــوء الثريـــا جـــود مغنـــاك

فتكفل الشريف المذكور لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدة غيبته عنها.

وللنقيب زيد أبيات يغنى بها، منها:

يـا بانـة الـوادي التـي سكفت دمـي بلحاظهـا، بـل يـا قنـاة الأجـرع
لـــي أن أبـــث اليـــك مـــا القـــاه مـــن ألـــم الهـــوى، وعليـــك أن لا تســـمعي
كيـــف الســـبيل إلـــى تنـــاول حاجـــة قصـــرت يـــدي عنهـــا كزنـــد الاقطـــع

ومن نظمه الرقيق قوله:

قـالوا سـلا، صـدقوا عـن السـلوان لـيس عـن الحبيـب
قـــالوا فلـــم تـــرك الزيـــارة قلـــت مـــن خـــوف الرقيـــب
قـالوا وكيـف تعـيش مـع هـذا؟ فقلـت مـن العجيـب[1]

وأخوه **الأميـر شـمس الـدين ناصـح الإسـلام أبوعبـد الله محمـد**، كـان لـه من الشرف والفضل والأدب، فطلبه الخليفة من سيف الدين غازي بن عماد الدين، وأرسله رسولاً عنه إلى بلاد الشام، يستنهض الولاة وطوائف التركمان، على نصرة المسلمين ومجاهدة الصليبيين، بعد أن تفاقم شرهم في البلاد، وأقام بدمشق ما

---

(1) وفيات الأعيان: 256– 257.

أقام، وظهر من سداد رأيه، وحسن كلامه ما نال من جميل الذكر، ووافر الشكر، وعاد إلى بغداد في 11رجب سنة 543هـ[1]

– **كمال الدين حيدرة بن عبيد الله الحسيني**، وقد تقدم الكلام عنه، إن بدر الدين لؤلؤ استماله، وأجزل له العطاء حتى مدحه، وألقى بعض قصائده عندما ورد رسول الخليفة الناصر لدين الله، على تقليد بدر الدين مدبراً لأبناء الملوك الأتابكة، وأقام بدر الدين إحتفالاً حضره وجوه البلد وأنشد فيه الشعراء، ومما قاله النقيب في هذا الحفل:

هنيئـاً بجـد سـاعدتك سـعوده وتـم لـه يـوم التفـاخر عيـده
وبشـرى بأقبـال أهـل بشـيره كمـا وفـدت عنـد الهنـاء وفـوده
وأنـي لبـدر الـدين للفخـر والعلـى نديـداً، وكـلا أن يصـاب نديـده[2]

---

(1) ابن القلانسي:301.
(2) الفخري: 71.

الشعراء

وعانى صناعة الشعر أكثر العلماء، ونظموا في أغراض مختلفة، واشتهر بالشعر جماعة منهم من أقبل على نظم الموشحات مثل:

– ابن الدهان الموصلي (عبد الله بن اسعد الفقيه الشافعي النحوي) (521–581هـ) وله موشح جميل[1]

– عثمان بن عيسى البلطي المتوفى سنة 599هـ، نسبه إلى مدينة بلد(بلط) المعروفة اليوم بأسكي موصل، وله عدة مصنفات، وموشح يمدح به القاضي الفاضل.

– يوسف بن يوسف بن سلامة بن زبلاق الهاشمي العباسي (603–660هـ) كان من الفضلاء وله رسائل مشهورة، وكان شاعراً مجيداً، تولى كتابة الانشاء، وله عدة قصائد وعدة موشحات.

– شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني التلعفري (– 675هـ)، درس في الموصل، وكان شاعراً مجيداً، مبتلى بالقمار، وله موشح في ديوانه، وضع لقطب الدين مودود في بعض السنين تقويماً، وكتب عليه من شعره:

تضمن حسبان مجرى النجوم وباح لديك بسر الفَلكْ
فما كان شراً فللحاسدين وما كان خيراً وبشرى فَلكْ

– أحمد بن الحسين بن العلي، شهاب الدين الموصلي، من أهل القرن السادس للهجرة، صاحب موشحات بديعة ونظم رائق، فاضلاً بارعاً ناثراً، مكثراً من الموشحات، وممن عارض موشحاته شهاب الدين الفزاري (– 710هـ) ومحمد بن دانيال الموصلي، وهما من أهل القرن السابع.

– محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي(647– 710هـ)، نشأ ودرس في الموصل، وبعد نكبتها على أيدي التتر سنة 660هـ، رحل إلى القاهرة واتخذ له دكاناً يكحل به العيون، وهو صاحب خيال الظل، يمتاز شعره بالرقة، وله نوادر ومجون، وله عدة موشحات.[2]

---

(1) ديوان الموشحات الموصلي: 22– 55.

(2) ديوان الموشحات الموصلي: 22– 55.

ومـن الشـعراء الـذين بـرزوا فـي الموصـل: محمـد بـن شـقاقة الموصـلي[1] (533هـ)وعلي بن أبـي الوفاء بن مسهر الموصلي[2]وابن درة الموصلي(545هـ)، وشميم الحلي.(601هـ) النحوي اللغوي الأديب، صاحب التصانيف الكثيرة في الأدب[3] وأبوزكريا يحيى بن سعيد بن الدهان الموصلي(569- 656هـ)، وأحمد بن بوران بن سنقر النقاش الموصلي- من أهل القرن السابع، برع في صناعة النقش والتصوير، شاعر جيد الوصف، ومن شعره قصيدة يصف بها ما في الجوسق البدري من نقوش وتصاوير وعلم الدين الشاتاني من أهل القرن السادس، ومن شعره كتب إلى أولاده في الموصل وهو في دمشق يتشوق إليهم: [4]

يـا أهـل سـكة بشـران تحيـة مـن حشـا فـراقكم أحشـاءه حرقـا
يبكـي فتجـري بجيـرون مدامعـه فتشكي أهلهـا مـن فيضـها الغرقـا

وسكة بشران محلة بالموصل- وغير هؤلاء كثير.

---

(1) وفيات الأعيان: 1: 361- 362.
(2) معجم الأدباء: 5- 208.
(3) وفيـات الأعيـان: 2: 411، ذيـل مـرآة الزمـان: 1: 513- 524، 262، 281، خريـدة القصـر: 2: 367، أعـلام الصـناع المواصـلة: 207- 210 الموصـل فـي العهد الأتابكي: 107- 108.
(4) المصدر نفسه.

المذاهب

وكان أكثر المذاهب انتشاراً هو المذهب الشافعي، حرص السلاجقة والأتابكة على نشره في البلاد، واشترطوا في أكثر المدارس التي شيدوها أن يكون المدرس شافعي المذهب، ويدرس فقه الشافعية، وكان في بعضها يدرس فيها الفقه الشافعية والحنفية معاً،ولم نجد سوى مدرسة واحدة كان يدرس فيها الفقه الحنفي، كما نجد انتشار فقه الحنابلة عند بعضهم، كان ذلك بتأثير حنابلة بغداد، وحرصهم على نشر مذهبهم.

واشتهر رجال المذهب الشافعي: أبناء يونس بن منعة، أبناء مهاجر، أبناء الأثير، بيت الشهرزوري، ابن شداد الموصلي، خطيب الموصل عبد الله بن أحمد(468– 578هـ) وابنه عبد المحسن (580هـ) وابن أبي عصرون التميمي الموصلي(492– 585هـ) درس في أكثر بلاد الجزيرة والشام، وهو إمام أصحاب الشافعي في عصره، وصاحب الفتوى المعروفة باسمه، كما كان إمام في القراءات[1].

– وابن الحدوس الموصلي المتوفى سنة 630هـ وله: كتاب الكامل في الفقه، كتاب مطول.

– ابن عبد السلام: عز الدين بن عبد العزيز الشافعي المتوفى سنة 660هـ، وله كتاب:"الفتاوى الموصلية" ويسمى أيضاً فتاوى ابن عبد السلام في الفقه الشافعي[2]

– ابن الصلاح الشرخاني الشهرزوري الملقب تقي الدين(577– 643هـ)، أحد فضلاء عصره في الفقه الشافعي، والتفسير والحديث وأسماء الرجال، وما يتعلق باللغة، وله مشاركة في فنون كثيرة– فكان من فقهاء الشافعية في عصره.[3]

---

(1) طبقات الشافعية: 4: 237– 239.

(2) كشف الظنون: 2: 1219، وفيات الأعيان: 1: 312– 313.

(3) المصدر نفسه.

– الحسن بن شرف شاه بن ركن الدين العلوي، مدرس الشافعية وشارح"مختصر ابن الحاجب"، وله شرح على"الحاوي"توفي في الموصل سنة 715هـ[1]

أما أشهر فقهاء الحنابلة:

– أبوالمحاسن المجمعي الموصلي الحنفي المتوفى سنة571هـ، أحد فقهاء الحنابلة المواصلة، جمع كتاباً اشتمل على طبقات الفقهاء، من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل. [2]

– أبوجعفر بن السمين المقرىء المحدث الفقيه الحنبلي المتوفى سنة 588هـ. [3]

– أحمد بن علي بن أحمد الموصلي الفقيه المعروف بابن الوندة المتوفى سنة622هـ[4]

– أبوالذخر خلف بن محمد اللنري الفقيه الحنبلي المتوفى سنة627هـ [5]

– أحمد بن علي الحنبلي الزاهد بابن الوتارة. [6]

– أما فقهاء الحنفية فأشهرهم:

أولاد البلدجي، وقد تقدم الكلام عنهم.

---

(1) طبقات الشافعية: 6: 86.

(2) شذرات الذهب:240، 241، 293، 5: 99، 123،100، وفيات الأعيان: 1: 209– 210.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

المفسرون والقراء

ومن الذين كتبوا في تفسير القران الكريم:

– أبوالسعادات ابن الأثير، له تفسير الأنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف [1]

– المعافى بن إسماعيل بن الحسين الموصلي– 630هـ: له: البيان في تفسير القران [2]

– الشيخ موفق الدين الشيباني الكواشي الصوفي المفسر(591– 680هـ)، وله: التفسير الكبير، والتفسير الصغير. [3]

– عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني– 661هـ، وله تفسير جيد للقرآن الكريم. [4]

وكان في الموصل حركة مباركة في قراءة القرآن الكريم، والتراتيل الدينية، لما يقام فيها من مجالس الوعظ والذكر والسماعات، التي تكون في زوايا أهل الطرق، وما ينشد فيها من المدائح النبوية، وخاصة في حفلات المولد الشريف، التي كانت تقام في كل مناسبة دينية أو دنيوية، كما يتخلل حلقات الذكر التي تقام في التكايا والزوايا مدائح نبوية وموشحات دينية، فكان في البلد نهضة مباركة في قراءة القرآن الكريم، وترتيل المدائح، ونبغ فيها عدة أعلام، تركوا كتباً جليلة في القراءات والألحان ومعاني الحروف.

ومن الذين اشتهروا في قراءة القرآن الكريم:

– ابن أبي عصرون التميمي الموصلي(492– 585هـ) درس في أكثر بلاد الجزيرة والشام، وهو إمام في الفقه الشافعي وفي القراءات. [5]

---

(1) جمع بين تفسير الثعلبي، وتفسير الزمخشري المتوفى 538هـ.
(2) كشف الظنون: 2: 1751.
(3) شذرات الذهب: 5: 366، طبقات الشافعية: 5: 18.
(4) العبر: 5: 224.
(5) غاية النهاية: 1: 455، تكملة الصابوني: 100– 103، شذرات الذهب: 4: 283، ذيل المرآة: 1: 389

– يحيى بن سعدون القرطبي– 567هـ، وكان أحد الأئمة في القراءات، وعلوم القرآن الكريم أخذ عنه الكثير. [1]

– الفخر الموصلي محمد بن أبي الفرج بن معالي بن بركة بن الحسين(539–621هـ)، درس في النظامية، وله كتاب: الدر الموصوف في مخارج الحروف. [2]

– شعلة الموصلي(623–656هـ)– وقد تقدم الكلام عنه– كان شيخ القراء في الموصل، متضلعاً بالعربية، نظم الشمعة في القراءات السبعة، وله كتاب كنز المعاني في حرز الأماني، وهوشرح الشاطبية، والعقود في النحو، والناسخ والمنسوخ [3]

– عبد المجير بن محمد بن عشائر القبيصي الموصلي الخطيب(537–631) كان من أعيان الفقهاء، ومن القراء المجودين الذين يؤخذ عنهم [4]

– عماد الدين علي بن ابي الزهرون الموصلي(622– 682هـ) كان شيخ القراء في الموصل، وله كتاب التجريد في التجويد [5]

– أبوالعباس النصيبي الخرقي– 664هـ، كان بارعاً في الفقه والقراءات، وشيخ القراء، وله عدة مؤلفات في هذا [6]

– ابن الشحنة عمر بن محمد– 606هـ، كان مشهوراً بالقراءات وشواذها[7]

– عبد الله بن إبراهيم الضرير الموصلي– 679هـ، كان شيخ القراء في الموصل، وأخذ عنه كثيرون [8]

---

(1) وفيات الأعيان: 2: 226.
(2) غاية النهاية: 2: 228– 229، ابن الدبيثي: 168، العبر: 5: 86، البداية والنهاية: 13: 105.
(3) غاية النهاية: 2: 80– 81، الوافي بالوفيات: 2: 122.
(4) غاية النهاية: 1: 467.
(5) غاية النهاية: 2: 24، دول الإسلام: 2: 143.
(6) دول الإسلام: 2: 140.
(7) بغية الوعاة: 363– 364.
(8) غاية النهاية: 1: 403.

واشتهر في الموسيقى والألحان ابن الدهان الموصلي– 687هـ، أبوعبد الله الحسيني بن الحسن: كان ماهراً في الشعر والأدب والموسيقى، فريد عصره في صناعة الطرب، وكان شعره يتغنى به، وله مؤلف في الموسيقى [1]

– منتخب الدين عمر بن المظفر المخزومي البرطلي:– 650هـ

كان يعاني الحياكة، ومهر في الشعر والأدب، ثم اشتغل في الموسيقى وفن الطرب،واتخذ الموصل دار إقامة له، وتوفى فيها. [2]

– عبد الرحمن بن المعلم الموصلي الأديب– 660هـ، كان ينشد في الأسواق، وينظم شعراً حسناً، ويؤدي ما ينظمه حلواً، بصوت شجي حنين مطرب مبك، وله كلام في أرباب الطرق والتصوف، وعبارته حلوة، ومن شعره قصيدة أولها:

أيهـــــا الظبـــــي الغريـــــر كـــن مـــن البلـــوى مجيـــري

وهي قصيدة طويلة [3]

المحدثون

---

(1) الموسيقى العراقية: 35– 36. العراق بين احتلالين:1: 293
(2) إعلام الصناع المواصلة: 64، الوافي بالوفيات: 2: 262.
(3) ذيل مرآة الزمان: 506– 510.

وكان أصحاب الحديث على وقف باللغة، ورجال السند، والتفسير والقراءات والأخبار، ومنهم من ألف في عدة علوم كعبد الرزاق الرسعني، ألف في التاريخ والتفسير والفقه، ومنهم:

– أبوالحسن السراج الجهيني المتوفى سنة529هـ، كان إماماً ورعاً وعالماً بالحديث، عاملاً بعمله[1]

– ابن ودعان المتوفى سنة 594هـ، كان إماماً في الحديث، وله كتاب في الحديث جمع فيه أربعين خطبة للنبي (ﷺ)، ويعرف"بأربعين ابن ودعان".[2]

– ابوزكريا يحيى بن سالم بن مفلح البغدادي الموصلي الحنبلي، حدّث بالموصل، وأخذ عنه جماعة وتوفى بها سنة 608هـ، ودفن بمقبرة الجامع العتيق.[3]

– علي بن محمد بن علي الموصلي المحدث، حدث بالموصل وتوفى سنة 614هـ[4].

– الحافظ زين الدين عمر بن زيد بن بدر بن سعيد الحنفي الموصلي، له كتاب " المغنى في علم الحديث"رتبة على الأبواب، وحذف الأسانيد، وقرىء عليه سنة 619[5]، وتوفى سنة 622هـ[6].

– عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف عز الدين أبومحمد المحدث الرسعني(589– 661هـ) سمع الكثير وحدث، وكان فاضلاً أديباً شاعراً، له المكانة العلمية، ورد الموصل سنة 623هـ، ورتب بدار الحديث المهاجرية بسكة أبي نجيح، وله عدة كتب، واتصل ببدر الدين لؤلؤ، فقدمه وأنعم عليه، ثم انتقل

---

(1) طبقات الفقهاء للسبكي: 4: 278، كشف الظنون: 1: 715.

(2) المصدر نفسه.

(3) شذرات الذهب: 5: 39.

(4) شذرات الذهب: 5: 60.

(5) كشف الظنون: 2: 1751.

(6) شذرات الذهب: 5: 99.

ألى سنجار وتوفى بها ودفن بظاهرها شرقي البلد[1]. وابنه إبراهيم(642- 695هـ) كتب الأنشاء لبدر الدين لؤلؤ.

- وابنه المحدث العدل شمس الدين محمد، روى عن ابن روزبة وغيره، وكان من كبار الشهود، وله شعر جيد، توفى سنة 685هـ[2].

والدنبلي أبوالحسن بن أبي بكر سليمان الموصلي حدث في بغداد.

---

(1) ذيل مرآة الزمان: 1: 545، 5: 305، المنهل الصافي: 1: 85، التكملة 153- 154، شذرات الذهب 153.

(2) التكملة: 154.

الأطباء

ومن الأطباء الذين عانوا التطبيب في الموصل، وفي بيمارستاناتها، كما درسوا الطب فيها، فتخرج عليهم أطباء في الموصل وغيرها من البلاد:

1- **شمس الدين احمد بن علي بن هبل**- 584 وله ولدان[1]

2- **مهذب الدين علي بن احمد بن هبل الموصلي**(515- 610هـ)،كان يدرس الحديث والأدب والطب، واشتهر بالطب، وله كتاب:"المختار" في أربعة مجلدات، وكتاب" الطب الجمالي" ألفه للجواد الاصفهاني وزير صاحب الموصل وكان من أطباء زمانه. وتخرج عليه ولده شمس الدين أحمد وكان من فضلاء الموصل، ولهذا ولدان من أعيان الفضلاء واكابرهم[2].

3- **المهذب علي بن أحمد بن هبل الموصلي**(-610هـ)، كان من أطباء زمانه، وله تصنيف حسن في الطب، كما كان كثير الصدقة على الفقراء، وتخرج عليه جماعة من أهل الموصل[3].

4- **أبوعبد الله عبد اللطيف بن يوسف بن محمد** المعروف بابن اللباد الموصلي ويعرف بعبد اللطيف البغدادي الطبيب النحوي اللغوي الفيلسوف الاخباري الملقب موفق الدين(557- 629هـ) كان من أوعية العلم، عانى صناعة الطب في الموصل، وأخذ عنه الطلبة، وألف في عدة علوم. [4]

---

(1) الوافي بالوفيات:7: 188- 189.

(2) عيون الانباء(1: 304- 306)، انباء الرواة (2: 231)، نكت الهيمان: 206.

(3) الوافي بالوفيات(7: 188- 189) ، منادمة الاطلال: 254.

(4) العسجد المسبوك: 450.

5- **كمال الدين محمد بن الحسن الموصلي** الطبيب، وله كتاب" كنز الطبيب" ألفه لعمر بن يوسف بن علي بن رسول- نسخة منه في معهد مخطوطات الجامعة العربية. [1]

6- **أبوالحسن علي بن أبي الفتح بن يحيى كمال الدين الكباري الموصلي(634هـ)** عاش ما يقارب مائة سنة. وكان يرجع إليه لغزارة عمله. [2]

---

(1) عيون الانباء(1: 308)، المخطوطات الطبية في معهد المخطوطات العربية

(2) معجم الاطباء: 298- 299، البداية والنهاية: 13: 67.

المؤرخون

ومن الذين تركوا آثاراً في التاريخ:

– **ابن خميس الكعبي:** تاج الاسلام مجد الدين الحسين بن نصر الموصلي(– 552هـ) وله كتاب طبقات الأولياء، ويسمى أيضاً "مناقب الابرار في محاسن الأخيار"، وقد اختار منه مجد الدين أبوالسعادات بن الأثير كتاباً سماه: المختار من مناقب الأخيار. [1]

– **شعلة الموصل:** أبوعبد الله محمد بن أحمد الموصلي(656هـ)، شيخ القراء في زمانه، له كتاب تاريخ الموصل، وجاء في كشف الظنون عنه أنه: نظم منثور الكلام في ذكر الخلفاء الكرام، من خلافة أبي بكر إلى خلافة الظاهر بالله[2]، وكتاب فضائل الأئمة الأربعة، وغيرها من كتب القراءة.

– **عز الدين أبوالحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير:**(555– 630هـ) وله:

– **التاريخ الكامل:** وهومن أوثق كتب التاريخ وأجلها، انتهى به إلى سنة 628هـ طلب إليه بدر الدين لؤلؤ أن يكمله ويجعله باسمه، ففعل.

– الباهر في أخبار الدولة الاتابكية: انتهى به إلى نور الدين أرسلان شاه المتوفى سنة 607هـ.

– **أسد الغابة في أخبار الصحابة:** ترجم فيه لصحابة رسول الله (ﷺ).

– **اللباب في الأنساب:** اختصر به كتاب الأنساب للسمعاني المتوفى 510هـ، واستدرك عليه فيما فاته. [3]

– **مجد الدين أبوالسعادات المبارك بن الأثير**(544– 606هـ) وله من الكتب:[4]

المرصع في الآباء والأمهات والأبناء والأذواء والذوات.

المختار من مناقب الأخيار– وقد تقدم الكلام عنه.

---

(1) فهرس المخطوطات المصورة– التاريخ: 2: 155، 167، 432، 3: 260– 261.
(2) غاية النهاية: 2: 80– 81، شذرات الذهب: 5: 181، هدية العارفين: 10.
(3) وفيات الأعيان: 2: 419– 420، شذرات الذهب: 5: 22: 137.
(4) المصدر نفسه.

- **ابـن الحـدوس الموصـلي:** أبـوالفتح المعـافى بـن إسـماعيل الشـيباني الـوراق الموصـلي(532- 630هـ) وكـان أديبـاً فاضـلاً مشـهوراً بكتابـة الشـروط، ولـه مـن الكتـب: انـس المنقطعـين، وتفسـير البيـان، وكتـاب أحـداق الأخبـار فـي أخـلاق الأخيار. [1]

- **ابن الشعار الموصلي:** المبارك بن أحمد بن حمدان(593- 655هـ)، وله من الكتب:

- عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، يقع في اثني عشر مجلداً تكلم به عن شعراء المائة السابعة للهجرة.
- تحفة الوزراء: ذيل به معجم الشعراء للمرزباني، ذكر فيه كل من نظم شعراً إلى آخر أيامه. [2]

- **ابن باطيش:** عماد الدين إسماعيل بن هبة الله الموصلي(575- 655هـ) وله من الكتب: [3]

- التمييز والفصل بين المتفق في الخط والنقط والشكل، وهو في مشتبه أسماء البلدان، والكلام على رجاله، وطبقات الشافعية، وتاريخ الموصل.

- **ابـن شـداد الموصـلي:**(539- 632هـ) قاضـي القضـاة يوسـف بـن رافـع الأسدي[4]، ولـه كتـاب النـوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسـفية، فـي سـيرة صـلاح الدين الأيوبي وكتاب تاريخ حلب.

- **علي بن انجب الساعي:**أبوطالب علي بن انجب بن عبد الله المعروف بابن الساعي(593- 672) وله من الكتب: [5]

---

(1) ابن الفوطي: 1: 485- 486، انباء الرواة: 2: 246، شذرات الذهب: 5: 143.
(2) ذيل مرآة الزمان: 1: 33، معجم ابن الفوطي: 219- 220، وفيات الأعيان.
(3) طبقات الشافعية: 5: 51، الوافي بالوفيات: 1: 84، شذرات الذهب: 5: 267- 268.
(4) العسجد المسبوك: 627، وفيات الأعيان: 2: 354- 360.
(1) سومر: 14: 42، مقدمة الجامع المختصر، المجلد التاسع التي كتبها الدكتور مصطفى جواد.

- **المعلم الأتابكي:** في تاريخ الدولة الأتابكية، عمله لنور الدين أرسلان شاه بن زنكي بن أرسلان شاه في أخبار البيت الأتابكي.
- ذيل على تاريخ الكامل لابن الأثير في عدة مجلدات وغيرهما.

– **أبوالمحاسن المجمعي** محمد بن عبد الباقي الموصلي الحنبلي(– 571هـ)، جمع كتاباً في طبقات الفقهاء من أصحاب الأمام أحمد، وهوأحد الفقهاء الحنابلة المواصلة.

ومن العلماء البلدانيين:

– **الهروي السائح:** علي بن أبي بكر الخراط الموصلي(611هـ) ذكروا عنه[1]: أنه لم يترك براً و لا بحراً، ولا سهلاً ولا جبلاً، إلا كتب خطه بحائطه، وكان يعاني خرط الزجاج ومولعاً بالسيمياء، ومن كتبه"الارشادات إلى معرفة الزيارات" وصف به ما اطلع عليه من قبور الأنبياء والصالحين في البلاد التي زارها والتذكرة الهروية في الحيل الحربية.

– **نور الدين علي بن عثمان الموصلي**، وله: [2]

– **رحلة نور الدين:** من الموصل إلى قرا قوروم دار ملك القاآن المغولي في القرن السابع للهجرة.

– **عز الدين سعد بن منظور بن أبي سعد بن هبة الله الكموني الاسرائيلي الموصلي**(– 683هـ)، [3]وله من الكتب:

كتاب في البلدان، اتبع فيه طريقة معجم البلدان.

النحويون

واشتهر جماعة بالنحو وألفوا عدة كتب، ومنهم:

---

(2) وفيات الأعيان: 1: 346.

(3) مجلة المجمع العلمي العراقي: 9: 132.

(4) مخطوطات دار الكتب الظاهرية– الجغرافية وملحقاتها.

– **علي بن خليف النحوي المعروف بابن المنقى** المتوفى سنة 562هـ،كان إماماً فاضلاً، تأدب عليه أكثر أهل بلده، وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي(ﷺ)، وصنف مقدمة في النحو سماه ((المعونة))، وله شعر حسن[1].

– **سعيد بن المبارك النحوي**(494– 569هـ) من أعيان النحاة، وأفاضل اللغويين، ألف في علوم مختلفة، منها: تفسير القرآن الكريم في أربعة مجلدات، وشرح الايضاح لأبي علي الفارسي في أربعين مجلداً، والغرة في شرح اللمع لابن جني[2].

– **أبوالحزم صائن الدين مكي الضرير النحوي** المتوفى سنة 603هـ وكان الغالب عليه النحووالقراءات[3].

– **دهن الخصا، وهوالحسين بن هبة الله الموصلي** المتوفى سنة 608هـ، أحد نحاة عصره، تصدر للاقراء في الموصل[4].

– **شمس الدين أحمد بن الحسين بن أحمد المعروف بابن الخباز الأربلي الموصلي الفقيه الشافعي**(589– 639هـ) كان ضريراً، علامة زمانه في النحواللغة والفقه والعروض والظرائف، صنفاً كتباً مفيدة في النحو وغيره، وتفقه به الناس، وله أشعار حسنة، ومن مؤلفاته: النهاية في النحو، شرح الفية ابن معط، وسماها الغرة المخفية في شرح الألفية[5].

– **أبوالبقاء يعيش بن علي بن يعيش الصائغ الموصلي**(553– 643هـ) وهوأحد علماء زمانه المبرزين استفاد منه أهل الموصل، له شرح المفصل، وشرح تصريف ابن جني[6].

---

(1) معجم الأدباء – لياقوت(14: 215).
(2) انباء الرواة (2: 47– 50)، معجم الأدباء(11: 219– 223).
(3) وفيات الأعيان(2: 121– 122) نكت الهيمان(296– 297)
(4) معجم الأدباء(10: 178– 180).
(5) نكت الهيمان(96) بغية الوعاة: 131، العبر(5: 159)
(1) بغية الوعاة (419– 420).

- **ابـن الـدهان النحـوي الموصـلي**(589- 639هـ) اشـتهر بالتـأليف، صـنف شرحاً للايضاح والتكملة في ثلاثة وأربعين مجلداً، وأخذ النحوعنه ابنه يحيى[1]

(2) وفيات الأعيان(1: 256- 257)، انباء الرواة(2: 103- 104)

الصناعـــــات

الصناعات

نشطت الصناعات في الموصل، وأقبل إليها الصناع من البلاد الأخرى، يعرضون صناعاتهم، أو يأخذون عن الصناع المواصلة. ففي سنة 595هـ هاجر

إليها الصناع من مصر، على اثر المجاعة التي حلت بوادي النيل، فكانوا عاملاً في نشر صناعاتهم[1]، كما هاجر إليها الصناع والبناؤن من تكريت، ونقلوا معهم صناعة تزيين المباني بزخارف وتصاوير نافرة أو غائرة في الجبس والرخام، فكانوا عاملاً آخر في تنشيط صناعة البناء وزخرفته[2].

والموصل مركز تجاري لبضائع الشرق والغرب وصناعاتهم وتحفهم، فكان هذا من العوامل التي أثرت على الصناعات والفنون الموصلية، فاقتبسوا منها ما يلائم عاداتهم وفنونهم.

ومن الصناعات التي تفوقت في المدينة، النسيج الموصلي، وتطعيم المعادن، وزخرف الخشب والرخام وتطعيمهما، وصناعة الخزف الملون، والباربوتين، وصناعة البناء وغير ذلك، وغدت الموصل قبلة لأرباب الصناعات والفنون، يرحلون إليها، ويأخذون عن أساتذتها الذين أبدعوا في عملهم، وجمال زخارفهم وحسن الإتقان يصدرون منتوجاتهم إلى إيران والهند شرقاً، وإلى بلاد الشام غرباً، ومنها تصدر الى أوربا ومصر، وجنوباً إلى العراق.

صناعة النسيج

-1-

عرفت الموصل بصناعة النسيج في اختلاف العصور، وازدهرت في هذا الدور الذي ساد فيه الأمن والاطمئنان. ولاقت تشجيعاً وعناية من أرباب الحكم. فتوسعت صناعة النسيج. وصار فيها سنة660هـ (75000) نول للحياكة[3]. (980) خانات لإعمال الحياكة: من صبغ ودق ونقش وتطريز وقصر. وكانت تنتج في اليوم ما يقدر بنصف مليون متر. وهو يفيض عن حاجة البلد فيصدرونه إلى بلاد الشرق والمغرب. وصار النسيج الموصلي مضرب المثل في الدقة والجودة والجمال. ومن هذه المنسوجات:

---

(1) قصة عبد اللطيف البغدادي:67 .
(2) التاريخ السرياني المجهول: 343. أنباء الزمان: 33.
(3) منية الأدباء:66-68.

الشاش الموصلي: يكون من القطن، دقيق الصنع، ناصع البياض، ناعم الملمس، يوازي نسيج الحرير، وبعضه كان يفضل على نسيج الحرير، وأنتجوا منه أنواعاً: منه تتخذ العمائم الجميلة، وانتشرت هذه العمائم في كثير من البلدان، فإذا ما وصفوا رجلاً بحسن البزة قالوا: على "رأسه الشاش الموصلي"[1]. "وهذه عمامة وزراء إلا أنها موصلية"[2]. وذكر في التعليق على رحلة ماركوبولو، أنه شاهد في سمرقند سنة 618هـ – 1221م – رجال الطبقة العامة والقسس يلفون حول رؤوسهم قطعة من هذا الشاش الجميل الموسليني[3].

واتخذوا من الشاش الموصلي الغلالات الجميلة، والقمصان التي تكون تحت الثياب، فكان الفتيان والمترفون يتفاخرون بارتدائه وقت الظهيرة، وعند النوم[4]. وطرزوا حواشيه بالحرير الملون، واتخذوا منه النساء ثياباً للزينة، وأزراً، كما اتخذن منه الأحزمة التي تفوق بجمالها أحزمة الحرير[5].

وأعجب الزهري الذي زار الموصل في القرن السادس الهجري، بجودة نسيج الكتان الذي يصنع في تونس[6]. ويقول دوزي عن هذا النسيج: بأنه يضاهي ثياب الحرير، إذا قورنت برفعة الأقمشة الهندية وأن هذه الأقمشة توازن بالموصلي، بدقته وجمال صنعه[7].

كما أعجب الزهري بنوع من هذا الشاش الفائق الصنع، ويسمه"الاشكرنات" فيقول عنه عند كلامه عن مدينة الموصل:

---

(1) ألف ليلة وليلة: حكاية هارون الرشيد مع محمد بن علي الجوهري.
(2) مجلة المجمع العلمي العراقي: 3: 146، الجغرافية: 55.
(3) 66 : 1 : Travel of Marco polo
(4) المصدر نفسه.
(5) معجم دوزي: 155، 172، 149.
(6) الجغرافية: 109.
(1) معجم دوزي: 155، 172، 149.

"وفي هذه المدينة يعمل الربنيون الاشكرنات الرقاق، التي لا توجد في معمور الأرض إلا فيها، وهي ثياب أرق من ثياب الحرير، وهي من القطن قياما وطعمة، وقد يعمل ببلاد العراق أنواع من هذه الثياب، ولكن ليست كهذه"[1].

واتخذوا من النسيج القطني الثياب الظاهرة، فكانوا يعلمونه بألوان زاهية، ونقوش وزخارف جميلة، يكون لثياب النساء، وقد يخلطون مع القطن قليلاً من الحرير، يزينون به النقوش، وتكون القطعة الواحدة على قدر الثوب الواحد، وتسمى (طاقة) – ويعلّمون طاقات الرجال بزخارف تناسبهم، فكان هذا النسيج مما يقبل عليه أهل الشرق والغرب وعرف في أوربا باسم Mosline أي الموصلي.

تسربت هذه الصناعة من الموصل عن طريق فارس إلى الهند. واختصت المدن الهندية"كمدارس" و"دكة" التي نالت شهرة واسعة في صناعة النسيج القطني الموصلي، وتطريزه بخيوط الذهب والفضة، وصبغه بالألوان الزاهية على ما كان يصنع بالموصل، وامتاز بسعره الباهظ وإقبال الناس عليه، فالقطعة التي طولها ثلاث ياردات، وعرضها يارد واحد، كانت تزن خمس الأونس لدقته وجماله، وبلغ سعرها أربعين ديناراً إنكليزيا، ويرى بعض العلماء أن صناعة النسيج القطني تسربت من الهند إلى إنكلترا في القرن السابع عشر للميلاد، واختصت به بعض المدن الإنكليزية كمنشستر وغيرها.

ونسجوا من الحرير أنواعاً جميلة مختلفة الزخارف والألوان، بعضه يكون من الحرير الخالص لثياب النساء. وينقش بنقوش زاهية الألوان. وقد تطعم حواشيه بالقصب أوالذهب، ويتخذن منه الأزر الجميلة المزركشة بالذهب[2].

وشاهده مركوبولو السائح الإيطالي عند مروره بالموصل، وأثنى على دقة ومهارة الصناع المواصلة، وذكر أن أهل الموصل يتاجرون مع الأقطار المختلفة بالأقمشة الحريرية المطرزة بالذهب فكانت من أنفس ما يتهاداه الملوك والمترفون[3].

---

(2) الجغرافية: 55

(1) ألف ليلة وليلة: حكاية الحمال مع البنات.

(2) رحلة مركوبولو: 1: 66.

وبعد موجة التتر هاجر أكثر الصناع الذين سلموا من القتل، ونشروا صناعتهم في البرد الأخرى ومنهم: يوسف بن عبد الكريم بن هبيل الذي هاجر

إلى اليمن. ومن جميل قوله يصف قطعة من نسيج الحرير، كان قد طرزها ووشاها، ورفعها إلى الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول التركماني اليمني المتوفى سنة 694هـ. وكتب معها[1].

يا إمام الزمان في كل فن وبديعاً- قد بذ شأو البديع
قد رفعنا إلى معاليك روضاً من حرير في غاية التوشيع
دوحة في أواخر الصيف فاختر ها. كما جاء في زمن الربيع

وعز الدين أبوالفضل الحسن بن الحسين بن يوسف النقاش الموصلي 642هـ -710هـ، كان يتعانى صناعة النقش وخياطة الزركش، سافر إلى تبريز واتصل بالخاتون ((بلغان)) زوجة محمود غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو وحصل له منها جاه ومال كثير[2].

كانوا يصدرون كميات كبيرة من منسوجات القطن والحرير، ولاقت رواجاً واسعاً وإقبالاً عليها، فكان ينقلها الجنويون والبنادقة وأهل مرسيليا إلى أوربا، وبيعت عندهم بأثمان باهظة، وعرفت بالموسليني. وفي أيامنا هذه حاولوا الاستفادة من اسمها، فأنتجوا قماشاً دقيقاً أبيض اللون سموه ((بالموسليني))، نسبة إلى القماش الموصلي، ليلاقي رواجاً في أسواق العالم – ويعرف عندنا بالموصل في الوقت الحاضر باسم ((موزلين)).

-3-

ونسجوا من الصوف أقمشة مختلفة، منها ما يلبس في الشتاء، ومنها ما يستتر به أويفرش، وهذه تكون أقمشة سميكة، تعلم حواشيها بنقوش وجامات، يستتر بها

---

(3) أعلام الصناع المواصلة: 67، 54- 55.
(4) المصدر نفسه.

فوق اللحاف، وتسمى((جواجيم)) مفردها ((جاجيم))، ونسجوا مثلها من غزل القطن، يستترون بها في فصل الصيف، ويسمى الواحد منعا ((إحْرامْ)) ويجمعونها على ((إحْرامات)).

وجاء عن تلمسان: يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف[1]، والأحاريم- الإحرامات- محرفة عن المقارم التي عرفت في بعض البلاد.

واتخذوا من شعر المعز بيوت الشعر الكبيرة الواسعة المحبوكة النسيج، ولم تزل الموصل معروفة بهذا النسيج، وقد مر بنا أن أحد أسواقها القديمة منذ القرن الأول للهجرة يسمى ((سوق الشعارين)) لبيع هذا النسيج فيه، ويعرف بهذا الاسم إلى اليوم.

التحف المعدنية

الغنى يدفع إلى التمتع بمباهج الحياة، وجمال الزينة، من بناء وثياب وأدوات ورياش، فالزخرفة بمواد ثمينة، ودقة الصنع مما يكسبها جمالاً وبهاء، والموصل في هذا العصر كانت من المراكز الفنية في العالم، وهذا ما أدى إلى تفوق الصناع ونبوغهم في صناعات كثيرة، كتطبيق الأدوات المعدنية، وزخرفتها بالذهب

---

(1) الجغرافية: 113.

والفضة، وتطبيق الرخام الأزرق برخام أبيض، وزخرفة الخشب وجمال البناء....الخ.

أما صناعة التحف المعدنية. فهي قديمة في بلاد بين النهرين، زين بها الآشوريون أوانيهم وأدواتهم وتحفهم. وورث الصناع المواصلة عنهم هذه الصناعة. وأضافوا إليها ما تأثروا به من الصناعات الأخرى، وأجروا عليها من عمليات التنقيح والحذف والإضافة، وابتكروا عناصر زخرفية جميلة مطبقة بالفضة والذهب، حتى صارت مدرسة الموصل في التطعيم قبلة الصناع، يأخذون عن أساتذتها، ويحتذون حذوهم. وكانت تحفهم التي يبدعون في إنتاجها، مما يتنافس الملوك والمترفون في تزيين دورهم، وموائد طعامهم وشرابهم بها. وبقيت الموصل مدة القرنين– السادس والسابع للهجرة– إليها المراجع في هذه الصناعة. وهذا ما حمل القزويني أن يقول: ((وأهل الموصل أهل تدقيق في الصناعات)). ويقول ابن سعيد المغربي عنها: ((وفي الموصل صنائع جمة. لاسيما أواني النحاس المطعم. يحمل منها إلى الملوك)).

والطابع الموصلي في الزخرفة كان بين الكتابة على التحفة بخطوط متنوعة، وتصاوير تمثل مظاهر الحياة والترف، ومجالس الإنس والطرب. ومظاهر القنص والصيد، واللعب بالكرة والصولجان. ومظاهر فلكية، كالنجوم والقمر والأجرام السماوية، وبعض الحيوانات والطيور، وزخارف نباتية وهندسية دقيقة جميلة.

واستعمل الفنانون طرقاً في زخرفة التحفة، وأجملها وأدقها هوالتطعيم بالذهب والفضة. وهو مما أبتكره الفنان الموصلي، وتأثر به غيره. وحاولوا تقليده وهذا ما حمل علماء الآثار أن ينسبوا إلى الموصل كثيراً من التحف المعدنية التي يظهر عليها تأثير مدرسة الموصل، ولم يكتب عليها صانعوها أسماءهم.

وصار في أم الربيعين محلات عديدة لإنتاج التحف المعدنية، يشرف على كل محل أستاذ ماهر بصنعة النقش والتطعيم، يشتغل عنده عدة أشخاص، يأخذون عنه، ويتدربون تحت إشرافه، ثم يتولى هو إجازتهم في العمل. فكان أحدهم إذا ما عمل تحفة، كتب عليها أنه أخذ على الأستاذ الفلاني لتنال إقبالاً.

ومما هو مكتوب على شمعدان: ((عمل الحاج إسماعيل، نقش محمد بن فتوح أجير الشجاع الموصلي)).

وكان الشجاع الموصلي من الأساتذة البارزين في هذه الصناعة، وتخرج عليه عدة أشخاص.

ومكتوب على علبة من النحاس المطعم: ((نقش إسماعيل بن ورد الموصلي، تلميذ إبراهيم بن مواليا وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخرة سنة 617هـ)).

وكان يتعاون في إنتاج التحفة الواحدة عدة أشخاص: يقوم الصفار بعمل التحفة وصقلها، ثم يتولى الأستاذ نقشها، ثم يتولى الحفار حفر النقوش أوالصور، ثم تقدم إلى المطعم، فيقوم هذا بملء الحفر بالذهب والفضة، لتظهر النقوش والكتابات والتصاوير جلية واضحة.

ونجد على بعض التحف أسماء من قام بعملها، واسم المدينة وتاريخ العمل، ومن عملت له، مكتوب على قدر من النحاس: ((من عمل محمد بن عبد الواحد الموصلي، وتطعيم مسعود بن أحمد الموصلي سنة 559هـ)).

ومكتوب على إبريق صنع في دمشق: ((عز لمولانا الملك الناصر العالم العادل المجاهد صلاح الدنيا والدين أبي المظفر يوسف بن الملك العزيز غازي. نقش حسين بن محمد الموصلي بدمشق المحروسة سنة سبع وخمسين وستمائة)).

ويكتبون على التحفة أيضاً ما يناسبها، ومن صنعت له، ومن ذلك مكتوب على محبرة جميلة من صنع الموصل مكفتة بالفضة.

إذا فتحت دواة العز والنعم فاجعل مدادك من جود ومن كرم

وعلى وجه الغطاء مكتوب:

تصرف ووقع بما بي ففي أمان من حيل الزمان

ففي ذي الدواة سرور الصديق وكيد العدو ونيل الأماني

وصنع محمد بن ختلج (خطلغ)– قطلق.، جدولاً للحساب الفلكي مطعماً بالذهب والفضة، وعليه صور لعلامات فلكية، وكتابات جميلة في ظاهره وباطنه، صنعه لمحمد المحتسب البخاري، سنة 639هـ، وكتب عليه اسمه وتاريخ عمله ومن عملت له والأبيات الآتية:

أنـــا ذوالبلاغـــة والمحـــدث صـــامتا وبمنطقـــي الترغيـــب والترهيـــب
يخفـــي اللبيـــب ضـــميره فأبينـــه فكـــأن أعضـــائي خلقـــن قلـــوب
أنـــا كاشـــف الأســـرار فـــي بـــدائع مـــن حكمـــة وغرائـــب وغيـــوب
لكـــن بســـطت أديـــم خـــدي صـــاغراً وجعلتـــه عـــوض التـــراب يتـــوب

وذكروا أن بدر الدين لؤلؤ نذر في أول حكمه، أن يرسل في كل سنة إلى مشهد الأمام علي بن أبي طالب– كرم الله وجهه– قنديل ذهب بألف دينار، وشمعدانا مطعماً بالذهب والفضة، ولم يزل على ذلك حتى مات، فحكي أنه عد في المشهد أربعون قنديلاً، وأربعون شمعدانا وعليها اسمه.

هذه التحف الموصلية كانت تشمل: القناديل والشمعدانات والمحابر والمباخر، وأدوات المناضد والطشوت، والصواني وأواني الشرب والمزهريات وغير ذلك، وهي مزينة بزخارف نباتية وهندسية وتصاوير ، وكتابات بخطوط مختلفة، تكون على شكل شرائط تحف بالإناء. أما التصاوير فقد تكون داخل جامات متتالية حول الإناء أوداخل شريط. وتكون الكتابات على أرضية مزخرفة بزخارف دقيقة، وهي تنتشر في الإناء.

وبعد نكبة الموصل سنة 660هـ هاجر أكثر الصناع الذين سلموا من فتك المغول إلى سوريا ومصر واليمن، ونشروا صناعتهم فيها، وتركوا تحفاً كثيرة عليها أسماء صانعيها المواصلة، وتاريخ صنعها، والمدينة التي صنعت بها وأكثر هذه التحف كانت في مصر، لإقبال المماليك عليها، خاصة الملك قلاوون(678–689هـ) فإنه كان أكثرهم تشجيعاً، واستقدم الصناع المختصين بها، وأجزل لهم العطاء، فأنتجوا تحفاً كثيرة متنوعة، ثم سار خلفاؤه على هذا، فتأسست محلات في القاهرة يعمل فيها صناع مواصلة، وصار في مصر سوق خاص لصناعة التطبيق في النحاس والخشب عرفت((بسوق الكفتين)).

ويرى بعضهم أن هذه الصناعة تسربت من مصر إلى مدن البحر الأبيض المتوسط في أوربا، فكان يعمل بها صناع من الموصل. منهم: محمود الكردي الذي كان يشتغل في البندقية.

وقد بسطنا القول عن صناعة التحف المعدنية في الموصل، والطرق التي كانت تتبع في الزخرفة، وأعلام الصناع الذين وقفنا على ذكرهم، والتحف التي صنعوها، وذلك في كتابنا((الموصل في العهد الأتابكي)) وكتابنا ((أعلام الصناع المواصلة)).

وكانوا يصنعون الهاونات من البرونز الأصفر، ويجعلون للهاون قاعدة واسعة، ويكون أعلى الهاون واسعاً أيضاً يزينونه برؤوس تماثيل لأسود أو كباش أوغير ذلك، ويصورون حول الهاون صوراً مختلفة لحيوانات ونباتات، وكتابات مطعمة بالفضة أوالذهب.

ويصنعون من البرونز أو الحديد مدقات تثبت فوق الأبواب. وتكون على أشكال مختلفة، فمنها ما تكون على شكل رأس كبش، أو رأس أسد أو تكون على شكل طير، وهي مزينة بزخارف هندسية أونباتية متشابكة.

زخرفة الرخام

إن كثرة الرخام ظاهر مدينة الموصل، ومطاوعته للنحت والصقل والحفر، حمل المواصلة أن يستعيضوا به عن الفسيفساء في تزيين منشآتهم العمرانية– كما كان مادة مهمة في البناء: اتخذوا منه مداخل الأبواب والشبابيك، وزينوا جدران البنايات الداخلة برخام مطعم، ومنه أقاموا الأروقة والأواوين والمنابر والمحاريب، وقبور بعض الصالحين، ونحتوا منه القبور التي أقاموها في قصورهم، والتصاوير التي تكون فوق الأبواب، وتفننوا في زخرفته بزخارف مختلفة وكتابات متنوعة تدلنا على دقة العمل والإبداع.

طبقوا الرخام برخام ابيض ناصع، اتخذوه على شكل ألواح متسلسلة تحف حول الجدران الداخلية للمنشآت، وهي مزينة بكتابات مطعمة أوزخارف.

وكانت بعض الزخارف نباتية فيها أزهار وأوراق، نافرة في المرمر، تكون على شكل شريط، يحف حول الجدران الداخلية فوق المرمر المطعم- كما نرى هذا مرقد الإمام يحيى بن القاسم، ومرقد الإمام عون الدين، وغيرهما.

وقد تكون الزخارف المطعمة على شكل وحدات، تثبت في الجدران متقابلة ومتناظرة، تزين الجدران وعليها كتابات تؤرخ للمكان، أو آية كريمة وأحاديث شريفة.

ومن طرق زخرفتهم: الحفر: تحفر الزخارف نافرة أوغائرة، كما في محراب الجامع النووي، الذي صنعه سيف(سنقر) البغدادي سنة 543هـ عندما جدد الأتابكيون الجامع الأموي: [1]والمحراب من المرمر الأزرق مزين أعلاه بزخارف هندسية ونباتية، متعانقة وبعضها متنافرة، قد حفرت على مستويات متفاوتة، بعضها أكثر عمقاً من التي فوقها، ويظهر من هذه الزخارف المتفاوتة في العمق قطعة فنية رائعة، ونجد تقليد هذا المحراب واضحاً في المحاريب التي صنعت في الموصل بعده، كمحراب ابن الحسن، ومحراب يحيى بن القاسم وغيرهما.

ونلاحظ نحت الصور نافرة في المرمر فوق أبواب الخانات والمشاهد وأبواب المدينة، وتكون كثيرة في الكنائس والأديرة، ومن أروع المداخل الأثرية التي سلمت من عوادي الدهر: مدخل حضرة الإمام الباهر[2]:وهومن المرمر الأزرق، يحف به صورتا ثعبانين ملتفين على بعضهما، ويتألف منهما على جانبي المدخل نطاق من مستطيلات، كل منهما على شكل محراب صغير تستمر إلى أسفل الركنين، ويكون رأسا الحيتين متقابلين في أعلى الباب.

---

(1) الجامع الأموي: أنظر عنه: جوامع الموصل: 2-16.

(1) جوامع الموصل: 187- 196.

أما داخل المستطيلات– المحاريب الصغيرة– ففي كل منها زخارف هندسية ونباتية دقيقة بالرخام، يعلوها زخارف على شكل مقرنصات، فتظهر محاريب صغيرة تحف بجانبي المدخل.

وأن الفنان قد استفاد من التفاف الحيتين فأظهر منهما هذه المحاريب الصغيرة، مزج بين الصور والزخارف، واتخذ منها وحدات هندسية داخلها قطع زخرفية، فكان موفقاً في عمله هذا.

ومن صناديق الأضرحة الجميلة المزينة برخام أزرق مطعم برخام أبيض، هوصندوق ضريح الإمام علي الهادي[1] تزينه زخارف دقيقة الصنع، تمثل أغصاناً وأزهاراً متداخلة ومتشابكة، وكتابات بارزة بالرخام، وكلها مطعمة، وفي أعلى الصندوق زهرة نافرة، يتدلى منها قنديل، وفي جانبي القبر سطران مطعمة كتابتها بالرخام الأبيض، وهي البسملة ونسب الإمام علي الهادي، إما جوانب الصندوق فمزينة بكتابات نافرة، تحتها جامات على شكل محاريب صغيرة متعاقبة، تحف بالصندوق، داخل كل جامة قطعة زخرفية جميلة.

وأقاموا تماثيل لحيوانات أليفة ومفترسة، وطيور كانت في حدائق دورهم، تكون حول أحواض، في وسط كل حوض نافورة من المرمر، فيدفع منها الماء إلى الحوض.

وزينوا أركان الأبواب بزخارف دقيقة تشبه خلايا النحل، وهي كثيرة في الموصل، ونجد نماذج جميلة جداً منها في دير الجب– دير الخضر– كما نحتوا صوراً لأسود وحيوانات مفترسة، وأفاعي وطواويس وحمام، وحيوانات خرافية تكون فوق الأبواب، كما كان هذا فوق باب سنجار[2]، وباب الموصل في العمادية، وباب الخان– قرب سنجار– وفي دير الجب، وكنيسة مار حوذيمي، وكانوا في الكنائس يستعيضون عن الحيتين بصورة إنسان يطعن التنين بالرمح، وهي من الصور التي نجدها كثيرة في الكنائس، ويجعلون على جانبي الشخيم الذي يكون

---

(2) أعلام الصناع المواصلة: 154– 155.

(1) أحد أبواب مدينة الموصل.

بأعلى جانب الإيوان، صورة رأس كبش من المرمر نافرة في الجدار– ويسمونها الكبش، فإذا ما أراد أحد أن يصعد إلى الشخيم، ثبت حبلاً بالكبش، وتسلق الحبل وصعد.

واتخذوا من الحلان أحواضاً لشرب الحمام، تكون في الدور بجانب البئر– والحوض عبارة عن قطعة من الحلان، قد نقروا فيها حوضاً على شكل نجمة، مسدسة الشكل، وينحتون تحت كل نجمة في مقدم الحوض، رأس كبش أو أسد نافر، فاغر الفم، يسيل الماء من الحوض إليه، ويندفع من فمه.

وفي الموصل آثار كثيرة من المرمر تدل على تفوق القوم في نحته وتطعيمه وتزينه بزخارف ونباتات وكتابات، منها بالخط الكوفي المربع، أوالخط الكوفي المثلث، مكتوبة على أرضية غنية بأزهار وأوراق نافرة، وقد ينهون الحروف بتفريعات، نباتية مورقة أيضاً، فكان من أجمل الخطوط في الإتقان.

ومن الألواح الجميلة: قطعة من حجر الكرانيت الأسود (33× 15سم)، كان على يمين الداخل إلى حضرة الإمام إبراهيم، نحت عليه ((عبد الرحمن بن أبي حمزة الموصلي)) البيت الحرام والكعبة المعظمة، وكتب فوقها، البسملة ((**ومن دخله كان آمناً**)). وكتب فوق هذه الآية: ((**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين مقام إبراهيم**)).

وكتب تحت الشكل: هذا المسجد عمره إبراهيم الجراحي[1]، وهذه التربة المجاورة له تربة حسنة خاتون بنت القرابلي، رحمة الله عليها وعلى إبراهيم الجراحي. عمل عبد الرحمن بن أبي حمزة.

الزخارف الجبسية

---

(1) الأمير الشيخ إبراهيم المهراني صاحب قلعة الجراحية، كان معاصراً للشيخ عدي بن مسافر في القرن السادس للهجرة، أخذ عنه الطريقة العدوية، وهوالذي عمر المسجد وإلى جانبه تربة زوجته حسنة خاتون: الموصل في العهد الاتابكي: 159– 160. مجموع الكتابات: 70– 72، منية الأدباء :104.

وزينوا البنايات بزخارف جبسية جميلة متنوعة، فيها عناصر من الزخارف العربية التي كانت في سامراء، نقلها التكارتة إلى الموصل، وجعلوها مع العناصر الموروثة في البلد. كما نجد التصاوير التي نشرها السلاجقة في هذا الدور، وتفننوا فيها، وامتازت بدقتها وجمالها، وهذه الزخارف أما أن تكون داخل وحدات متناظرة الأبعاد ومتقابلة، وقد تكون على أرضية مزينة بزخارف دقيقة.

أو تكون نافرة في البناء، وهي من زخارف نباتية وهندسية، متشابكة مع بعضها أو متنافرة، وقد يتخللها كتابات، ومنها ما تكون زخارف نباتية مورقة ومزهرة، وهي كثيرة في الجوامع والمراقد.

نجد في الزخارف الجبسية نوعاً طريفاً من زخرفة فيها صور أشخاص وحيوانات وطيور، تكون متداخلة مع الزخارف النباتية والهندسية، ومتناظرة مع بعضها، بحيث تظهر التصاوير كأنها مكملة للزخارف، وكلها على مستوى واحد، كما في محراب الجامع ألمجاهدي.

ومن القطع الجميلة المزخرفة بكتابات ونقوش غنية بديعة النقش، هي التي كانت فوق المحراب في مصلى الجامع النوري: تتألف من ثلاثة أقواس، قد زخرفت جميع أجزائها بزخارف نباتية جميلة، ومكتوب عليها بالخط الكوفي كتابات دينية: البسملة وآيات من القرآن الكريم، ولفظ الجلالة....وكتابات أخرى، وكلها نافرة في الأقواس، وعلى الأعمدة التي تستند عليها الأقواس[1].

وفي الرواق الشمالي من دور المملكة وعلى ارتفاع أربعة أمتار إفريز، داخله صور جبسية، كل صورة داخل دائرة صغيرة قطرها 5سم، وهي تحيط بالرواق، ولم يبق منها سوى عدد قليل، ويظهر أن الرواق المذكور كان غنياً بالزخارف والكتابات، تحيط بالرواق المذكور[2].

---

(1) نقلتها مديرية الآثار العامة وعرضتها في القاعة الإسلامية الثانية من متحف بغداد. أنظر ما فيها من الكتابات في: ((نصوص من المتحف العراقي: 8: 38-40)).

(2) وذكر نيبور الذي زار الموصل 18/ مارس سنة 1766م انه رأى من هذه الصور الثمانين والمائة وقد عبث بها(رحلة نيبور إلى العراق: 110)

وفي دير الجب تمثالان نافران في جدران الكنيسة، أحدهما لمار بهنام، يقابله تمثال لأخته سارة، وهما من صناعة التكارتة الذين نزحوا إلى قره قوش في القرن السادس للهجرة، وقد لعبت أيدي الجهال بهما فشوهت بعض معالمهما.

وزخرفوا جدران البنايات بألواح متناظرة، فيها كتابات تؤرخ للبناء، ومن بناه، وقد تكون الكتابة على شكل شريط يحف بجدران البناية.

زخرفة الكتب

كان السلاجقة يرغبون في التصاوير، نجدها على البنايات التي شيدوها، والكتب التي كتبت لهم، والنقود التي ضربوها، والأواني التي أنجها الفنانون، نشطت هذه الصناعة في الموصل في القرنين السادس والسابع للهجرة، وتركوا آثاراً كثيرة تنطق بما كان عليه فن التزويق، وتزيين الكتب بمختلف الزخارف النباتية المزهرة، والزخارف الهندسية الدقيقة، نجدها في أفاريز الكتب التي كتبوها بخطوط جميلة مختلفة.

وصار للموصل مدرسة في التصوير، بلغ من تأثيرها ما حمل علماء الآثار أن ينسبوا أليها بعض الكتب التي لم يذكر فيها اسم كاتبها[1].

وفي خزائن الكتب الموصلية نفائس المخطوطات الجميلة التي تمتاز بجمال الخطوط، ودقة التجليد وتنوع الزخارف[2]فكانوا يزينون أغلفة الكتب بزخارف نافرة مطعمة بالذهب والفضة والألوان الزاهية.

ومن ذلك نسخة من القرآن الكريم، بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان جلده مطبقاً بالذهب، وزوق في غاية الدقة، ولما دمر المغول الموصل سنة 660هـ وعبثوا بكنوز أم الربيعين، نزعوا ما كان في جلده من ذهب وتطبيق، فتلف من أوله ثماني قوائم[3].

---

(1) أعلام الصناع المواصلة: 204.

(2) في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داؤد الجلبي نماذج كثيرة منها.

(3) الموصل في العهد الأتابكي: 67.

وفي المتحف البريطاني قطعة من مصحف، مؤلفة من (51) ورقة، تحتوي على الجزء الخامس والعشرين من القرآن الكريم، مكتوب بخط جميل، كله بالذهب، كتب سنة 701هـ للسلطان الجايتو[1].

ومن النقاشين الذين تفوقوا في التزويق والنقش، وتصوير الدور والكتب وتذهيبها: أحمد بن بوران بن سنقر بن عبد الله الموصلي النقاش (596هـ)، فاق أهل زمانه في هذه الفنون، كما كان شاعراً جيد الوصف، ومن نظمه الجميل، يصف ما في الجوسق البدري من التصاوير والتماثيل والبساتين والبرك[2].

والأمير عز الدين مسعود البرسقي، الذي تولى الموصل بعد والده (520-521هـ) كان متفوقاً بالتصوير والتزويق والقص، ومن أحسن الناس نقوشاً وتصاوير- كان يتخذ علامات سرية بينه وبين أتباعه، فاتخذ صورة غزال مع التوقيع علامة بينه وبين نائبه في حلب، يجعلها في التواقيع السرية المهمة[3].

وعمر بن علي بن مبارك الموصلي (من أهل القرن السابع) اشتهر بتوقيع الكتب وزخرفتها، وترك عدة كتب جميلة تدل على براعته في فنه، ففي المتحف البريطاني نسخة من مقامات الحريري، قام هو بتزويقها، وصور فيها إحدى وثلاثين صورة جميلة، وكتب اسمه وتاريخ عمله: عمر بن علي بن مبارك الموصلي في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ستمائة وأربعة وخمسون.

ومنها نسخة أخرى زينها بأربع وثمانين صورة جميلة[4].

ومحمد بن أبي طالب البدري، كتب سنة614هـ نسخة من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني- لبدر الدين لؤلؤ- صاحب الموصل، وزينها بتصاوير منها صورة لبدر الدين لؤلؤ.

وأبوالدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الملقب ((أمين الدولة))،المتوفى سنة 618هـ كان متفوقاً بالخط والتزويق[1]. ولم يكون في آخر زمانه من يقاربه بحسن

---

(4) المخطوطات المصورة: 304، أعلام الصناع المواصلة:205.

(5) سومر: 24: 229- 230.

(1) التصوير عند العرب: أعلام الصناع المواصلة: 211.

(2) التصوير الإسلامي: 106، 145- 155، أعلام الصناع المواصلة: 213- 214.

الخط، وقصده الناس من اختلاف البلدان، وأخذوا عنه، وترك عدة نسخ من قاموس الصحاح للجوهري تنطق بدقة عمله [2].

البطريارك ميخائيل الكبير المتوفى سنة 596هـ -1199م أتقن التزويق بماء الذهب والفضة، ومن آثاره انجيل نفيس زوقه وزين جلده بالفضة، وهومحفوظ بمكتبة باريس[3].

ومن المصورين المواصلة: أبو يوسف بهنام بن موسى الموصلي من أهل القرن السادس.

ومن آثاره التي لم تزل باقية: نسخة من كتاب الحشائش، أو خواص العقاقير لديسقوريدس. وتتألف من 244 ورقة، قد زين جلدها برسوم هندسية ونباتية دقيقة ورائعة، وزوقت المخطوطة بغنى حيث وضع المزوق بها 562 صورة لنباتات وحيوانات وثلاثة طيور، بالإضافة إلى منمنمة الإهداء وصورة المؤلف، وطالب وصورة رجل يقوم بعمل ما بالقرب من شجرة وكتب اسمه وتاريخ إنجازها ولمن عملت.

نجزت المقالة الخامسة من كتاب ديسقوريدس على يد العبد الضعيف الراجي رحمة ربه اللطيف أبو يوسف بهنام بن موسى بن يوسف الموصلي المتعلم صناعة الطب في عشية يوم الخميس سابع وعشرين صفر سنة ستة وعشرين وستمائة هجرية، وهواليوم الخامس والعشرين من كانون الثاني سنة ألف وخمس مائة وأربعين للاسكندر حامداً لله تعالى.

ومن النسخ الجميلة إنجيل كان في كنيسة قره قوش، حمله المطران جرجس دلال إلى روما، وأهداه إلى البابا بيوس الحادي عشر، وحفظ في مكتبة الفاتيكان- كتب الإنجيل الراهب مبارك بن داؤد البرطلي، بحروف مستديرة، وزينه بأربع

---

(3) أعلام الصناع المواصلة: 204.
(4) وفيات الأعيان: 2: 207- 208.
(5) اللؤلؤ المنثور: 39.

وخمسين صورة ملونة في غاية الدقة والإتقان، وافتتح فصول الإنجيل بحروف مذهبة، انتهى منه سنة 1220م-617هـ[1].

الراهب باخوس الخديدي الطواف المتوفى سنة 1251م- 649هـ، وعرف هذا بتزويق الكتب وتزيينها، ومن آثاره:انجيلان مصوران، أحدهما بأورشيلم وفيه عدة تصاوير جميلة، والآخر في المكتبة الأهلية بباريس[2].

وكانوا يزينون دورهم وحدائقها بتماثيل جميلة لحيوانات كاسرة وأليفة، وطيور في أوضاع مختلفة، تكون حول البرك، وبين الأشجار المورقة والرياحين العطرة، وهذا مانجده في البيت الموصلي منذ القرن الرابع للهجرة، فلهم عناية خاصة باتخاذ الجنائن في دورهم وغرس الأزهار والرياحين فيها، وأشهر هذه الجنائن: هي التي اتخذها بدر الدين لؤلؤ في الجوسق البدري، على دجلة والتي وصفها بن بوران، وقد تقدم الكلام عنه.

زخرفة الخشب

إن تفاوت درجات الحرارة في فصل السنة، حمل الصناع المواصلة أن يتخذوا المحاريب والمنابر، وبعض صناديق الأضرحة من المرمر، لتوفره وسهولة زخرفته، ومحافظته على ما فيه من معالم، وتحمله إختلاف درجات الحرارة التي تؤدي إلى تفكك الخشب وتلفه، ومع ذلك فان زخرفة الخشب وتطعيمه لم تكون متأخرة، وما أدركناه منها- على قلته- يدلنا على تفوق الصانع الموصلي في زخرفته، وحفره وتطعيمه بالعاج والأخشاب الملونة، هذه الآثار غنية بالتخريم، ودقة الزخارف والكتابات بخطوط متنوعة فوق أرضية مزينة بزخارف هندسية، ونباتية مورقة على أبعاد متفاوتة، تكون كل وحدة داخل مربع أو مستطيل الشكل، فيفصل بين كل وحدتين شريط مزين بزخارف جميلة وكتابات بديعة[3].

---

(1) عصر السرياني الذهبي: 88، اللؤلؤ النضيد: 220-228.
(2) خزائن الكتب العربية في الخافقين: 2: 523.
(1) أعلام الصناع المواصلة: 184- 188.

ومن الصناديق الخشبية التي سلمت في الموصل صندوقان، هما في غاية الدقة والإتقان، مصنوعان من الخشب، يزين ظاهر كل منهما مهاد مخرمة وكتابات بالخط الكوفي نافرة فوق المهاد.

فصندوق الإمام يحيى بن القاسم، الذي أمر بإنشائه بدر الدين لؤلؤ سنة637هـ تتجلى فيه دقة الزخارف، وجمال الكتابة، مكتوب عليه آيات من القرآن الكريم، وتاريخ صنع الصندوق:((تطوع بعمله العبد الفقير الراجي رحمة ربه لؤلؤ بن عبد الله ولي آل محمد سنة سبع وثلاثين وستمائة))[1].

أما صندوق الإمام ابن الحسن فنجد فيه ألقاب بدر الدين لؤلؤ بعد أن تمكن في الملك، وأمر بصنعه سنة 646هـ، ولا نجد هذه الألقاب فوق صندوق الإمام يحيى بن القاسم، الذي صنع قبل هذا بتسع سنين[2].

ومن الأبواب الجميلة باب الحضرة للإمام ابن الحسن، أمر بصنعه بدر الدين لؤلؤ بعد أن أنشأ الحضرة سنة 646هـ، ويتألف الباب من مصراعين، كسي كل مصرع بصحيفة من النحاس، مثبتة بشرائط نحاسية رقيقة متقطعة، تؤلف زخارف هندسية وهو الباب الوحيد الذي وصلنا من هذا الطراز.

مكتوب على المصراع الأيمن:((عمل عمر بن الخضر ولي آل محمد))، وعلى المصراع الأيسر:((الملكي البدري رحمه الله تعالى)) سنة 646هـ.

وباب كان في جامع العمادية، مزين بكتابات وزخارف، تدل على أنه صنع للملك الصالح ابن بدر الدين لؤلؤ(657–660هـ). أشرف على صنعه أبيك الطويل، مملوك بدر الدين لؤلؤ، وكان في جامع العمادية منبر جميل الصنع، علي ابن أبي النهى، إبراهيم بن جامع، وعلي بن سلامة الجزريين سنة 548هـ، وزينوه بكتابات وزخارف نافرة وغائرة. [3]

---

(2) مجموع الكتابات: 195– 196، سومر: 42، 179– 181.

(1) سومر: 6: 200– 201.

(2) سومر: 5: 58– 59 نصوص في المتحف العراقي: 8: 124– 127، معجم الألقاب: 1: 31.

والمنبر الذي صنعه محمد بن علي الموصلي، لجامع حلب في القرن الثامن للهجرة مزين بزخارف مطبقة رقاق من العاج، تؤلف وحدات زخرفية، وكتابات جمبلة، وكتب عليها: ((عمل العبد الفقير إلى الله محمد بن علي الموصلي)). [1]

الزخارف الآجرية

واستعملوا الآجر في بناء المنابر والقباب، وزينوا به ظاهر البنايات وداخلها، ومنارة الجامع ألنوري من أجمل البنايات التي زينت بزخارف آجرية نافرة، تكون على شكل وحدات تحف بجسم المنارة، يفصل بين كل وحدتين، وحدة على شكل حلقة.

واستعملوا الآجر في بناء القباب، فزينوا داخلها بزخارف على شكل مقرنصات، في كل مقرنصة زخارف دقيقة أو كتابة، وتستمر هذه المقرنصات فتجتمع بأعلى القبة بزخرفة مستديرة.

وشيدوا القباب المزدوجة: فالقبة الظاهرة مكسوة بآجر مزلج، لونه أزرق، مائل إلى الخضرة، أما واجهات البنايات فزينوها بألواح مكتوبة أو مزخرفة بالآجر المزلج، كما نجد هذا في مقام يحيى بن القاسم، ففي الجانب الغربي من باب الحضرة، وعلى ارتفاع مترين عن الأرض، وحدة على شكل نافذة مسدودة، مساحتها 0.75م × 1.5م مزينة بزخارف دقيقة، في منتصف هذه القطعة لوحة مستطيلة الشكل، مكتوب داخلها بالخط الكوفي المجدول: ((بسم الله الرحمن

---

(3) أعلام الصناع المواصلة: 196– 198.

الرحيم)). وهي من أروع القطع المكتوبة على أرضية مزخرفة، والكتابة والزخرفة كلها بالآجر المزلج.

وفوق هذه بارتفاع 50 سم وحدة أخرى مكتوب داخلها: ((تطوع بعمارته لوجه الله تعالى العبد الفقير لؤلؤ بن عبد الله)).

وفي الجانب الشرقي من المدخل وحدة كالتي في الجانب الغربي، وهي مناظرة لها في الزخرفة والكتابة، مكتوب داخل المستطيل: ((وما بكم من نعمة فمن الله)). وفوقها قطعة أخرى مكتوبة وقد طمست الكتابة.

أما داخل البناء فيزين الجدران وحدات مزخرفة أو مكتوبة، على شكل مربع أو مستطيل، متقابلة ومتناظرة، مزينة أرضيتها بزخارف دقيقة مخرمة، تعلوها زخارف هندسية خشنة متقاطعة مع بعضها ومتناظرة، ويظهر أن بعض هذه الوحدات كانت مزينة بكتابات جميلة. كل كلمة منها داخل وحدة تكون على شكل مسدس، وفي دير الجب لوحة مزينة بصور غزلان نافرة بالآجر المزلج، وهي في الأروقة التي أمام المصلى.

وقد أعجب ابن جبير بجمال هذه البنايات التي شاهدها في الموصل وما فيها من زخارف وكتابات متنوعة بالآجر، وخاصة ما كان في المنشآت التي شيدها مجاهد الدين قيماز في الربض الأسفل من الموصل، ومنها التي في الجامع ألمجاهدي فذكر عنه: ((أنه يقصر الوصف عنه، وأنه لم ير وضع جامع أحفل منه)).

الزراعـــــــة

التجـــــــارة

الزراعة

تحف بالموصل سهول خصبة، تزرع بها الحبوب والبقول والخضر، وتدر خيرات واسعة على أهل البلاد، وفي عهد العقيليين والسلاجقة من بعدهم، تأخرت الزراعة للنزاع الذي كان على الحكم، وكثرة المصادرات، وسوء إدارة العمال، وأصحاب الإقطاع، فلم يكن الفلاح آمناً على حاصله، فقلت الأرزاق وندرت الفواكه والبقول، وضاق الرزق في البلاد، وهجر السكان القرى الكثيرة، ونزحوا إلى البلاد الأخرى، ويذكر ابن الأثير عن ندرة الفواكه، فيقول: حتى كان الذي يبيع الفواكه، يكون عنده مقراض، يقص به العنب لقلته إذا أراد أن يزنه.

ولما تولى عماد الدين، نشر الأمن في البلاد، ومنع المصادرات، وضرب على أيدي الظالمين وأبقى الأرض بأيدي الفلاح، يزرعها آمناً مطمئناً، ويدفع الضريبة المقررة إلى السلطان، ومنع الإقطاع الذي كان سبب هلاك الفلاح، لأنه يعلم أن الأرض إذا أقطعت لأرباب الحكم، ظلموا الفلاح وأرهقوه، فعاد الفلاحون إلى قراهم، وجدوا في عملهم، لا يخشون حاكماً يسلبهم، ولا متنفذاً يسطوا عليهم، أو جندياً يغتصب منهم.

وشددوا عقوبة من يأخذ من فلاح شيئاً بلا ثمن، ((فلا يجسر أحد من أجناده وأن يأخذ من فلاح حفنة تبن إلا بثمنها، أو بخط من الديوان إلى رئيس القرية، وإنْ تعدى احد صلبه، فتحاشى الجيش التعرض للفلاحين ومزارعهم، كما حذر جيشه من العبث بالمزروعات، فكان إذا سار الجيش في طريق، يسير في خطين متجنباً ما هو مزروع.

زرعوا الحبوب: الحنطة والشعير والأرز، وزرعوا البقول والفواكه والخضراوات، فكانت الموصل تمير بغداد، وزاد عدد سكان القرى.

واشتهرت الموصل بزراعة القطن لحاجتهم إليه في الحياكة، وزرعوا منه حقولاً كثيرة.

فعمرت القرى، وعادوا إلى أماكنهم حتى صار عدد القرى الشرقية العامرة3700، والقرى الغربية 2300 قرية، وكان في الموصل 95 بستاناً لزراعة الخضرة، وبعد أن كانت الموصل أقل بلاد الله فاكهة، صارت أكثر بلاد الله في إنتاج الفاكهة، فالرمان يبقى إلى أن يدك العتيق الجديد، وكذلك الكمثري وقريب منه العنب والخوخ، فيجمع العتيق والجديد معاً، وكان بظاهرها 36 بستاناً للفواكه والأثمار، وفي ولايتها أضعاف هذا، فصارت الموصل ارخص البلاد، وأكثرها إنتاجاً لمواد العيش.

وعني الفلاحون بتربية الغنم والبقر والمواشي التي تؤمن حاجة البلد من موارد العيش: اللحم والدهن والحليب والجبن، ومن المواد التي يحتاجونها في صناعتهم، مثل الصوف الذي برع المواصلة في حياكته، وشعر المعز الذي يتخذون منه بيوت الشعر والغرائر، والجلود التي منها الدلاء والروايا، ويصنع السراجون ما يحتاجونه من لوازم الخيل والسلاح، ويصنعون منه الأحذية.

ويصدرون كل سنة عدداً كبيراً من الغنم إلى بلاد الشام، وتدر خيرات وافرة على أهل البلد.

وعنوا بتربية الخيول، ولهم من السهول الخصبة الكثيرة خير مساعد على هذا، فكانوا يملكون أجود الخيول في تنقلهم وفي حروبهم، والخيل مما يعنى به العرب ويتفاخرون بأنسابها.

ساد الرخاء في المدينة ولم تلاق قلة في الطعام إلا في بعض السنين التي تقل فيها الأمطار أو تفيض مياه دجلة فتغرق المزارع، أو تصاب ببرد شديد يتلف مزروعاتها كما حدث سنة 622هـ.[1]

التجارة

تقع الموصل في سهل جميل يجتمع بها طرق الشرق والغرب، وتزدحم في أسواقها وخاناتها بمختلف البضائع الواردة إليها، والتي تصنع فيها، ومنها توزع في البلاد.

يتفرع منها عدة طرق برية، فيها عدة قلاع، يشرف من فيها على حراسة الطريق ويؤمن راحة القوافل، وفي الطرق خانات فيها ما يحتاجه المسافر من طعام وماء وسكن، وتتألف القوافل التي تسير في الطرق البرية من:

1-البغال والخيل: وهي تحمل البضائع الثمينة، والتجار الذين يسرعون في سفرهم، وأكثر ما تكون قوافل البغال في المناطق الجبلية، والمناطق الوعرة، فتسير إلى إيران وبلاد أذربيجان وغيرهما.

2- وتسير قطارات الإبل منها وإليها، ويحمل الجمل أكثر مما يحمله البغل، ولكن سيره محدود، وأكثر ما تكون هذه القطارات في الطرق التي يقل فيها الماء فإن الجمل يتحمل العطش، ويصبر على الطعام القليل عدة أيام، فكانت القطارات كبيرة وكثيرة إلى بغداد وسوريا.

---

(1) أنظر الباهر: الكامل: 12: 184- 185، الروضتين: 43، زبدة الحلب: 2: 283-284، النجوم الزاهرة: (45، منية الأدباء: 67الموصل في العهد الاتابكي: 4-41).

3- الكروان: يسير في اختلاف الجهات، وأكثر ما يكون فيه الحمير، والبغال والكدش، ويكون عدد حيواناته كبيراً، يشرف على سيره وحط رحاله رئيس، ويرافق الكروان والقوافل التجار وغيرهم، وأكثر ما يكون ركوبهم على الخيل أوفي ((الكجاوة)) وهي تتألف من قفصين مربعي الشكل، ضلع الواحد منهما متر واحد، أو يزيد عليه قليلاً، يغلف بالقماش ليقي من فيه البرد والحر، ويتخذون في جوانبه فتحات- شبابيك يشرف منها المسافرون.

أما الطريق النهري فتجري فيه السفن والأكلاك، ولم تكن السفن صغيرة بل أنها تتسع لعشرات المسافرين مع بضاعتهم ولوازمهم. كما رتبوا رجالاً يحملون خرائط وهم الإدلاء والخفراء يسيرون مع القوافل ولهم معرفة بسلوك الطرق بين[1] مدينة وأخرى.

أما الأكلاك: فمفرده كلك يتألف من عشرات القرب، تنفخ وتنضد صفوفاً في النهر، ويثبت فوقها أعمدة من الخشب تكون متعاكسة، ويحمل فيه ما يراد نقله، فينحدر مع الماء، ويتولى تدبيره رجلان أوأكثر، يوجهانه بواسطة مجذافين إلى وسط النهر ليسرع انحداره، ويتخذون في وسط ألكلك عريشاً يجلس به المسافرون.

ويتوقف ما يحمله ألكلك على سعته، وقوة تيار الماء في النهر، ففي الربيع- وقت الفيضان- تكون الأكلاك كبيرة وسريعة، وتقطع السفن والأكلاك المسافة بين الموصل وبغداد في مدد متفاوتة، فقد تقطعها في يومين وساعتين من اليوم الثالث.

كانت دجلة غاصة بالسفن والأكلاك التي تنحدر إلى الموصل محملة بالبضائع، وبعد أن تفرغ حمولتها تشحن ببضائع أخرى وتنحدر إلى بغداد، وترسو بها ((بباب الشعير)) ثم تفرغ في خانات خاصة لما يأتي به تجار الموصل، ومما يدلنا على كثرتها ما ذكره ابن الجوزي أنه كان في الموصل سنة 660هـ(250سفينة) عدا الأكلاك.

---

(1) (المورد:10: 1: 289).

وكان في الموصل جسران، أحدهما الذي أنشاه مروان بن الحكم، والثاني الذي أنشاه مجاهد الدين قيماز في الربض الأسفل من الموصل، وفيها 18 درجية على دجلة لتحميل الأكلاك والسفن.

وصارت الموصل من المراكز التجارية في العالم، يقول عنها ياقوت: ((هي محط الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان، وكثيراً ما سمعت إن بلاد الدنيا العظام ثلاث: نيسابور، لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر إلا بها))، ويقول عنها أيضاً((وما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلا وجد فيها)).

وكان فيها عشرات الخانات الكبيرة والفنادق، والساحات الواسعة التي تحط فيها القوافل، والقيسريات والمحلات التجارية الواسعة والأسواق الكثيرة، والحمامات التي يحتاجها المسافرون، حتى صار بعض أرباضها يضاهي المدينة بحركته التجارية الواسعة، كما كان عليه الربض الأسفل.

وذكر سبط ابن الجوزي أن عدد أسواق الموصل الكبيرة كان (36) سوقاً لكل بضاعة أربعة أسواق أوأكثر، وفيها قيسرية خاصة لبيع الروائح العطرية تسمى قيسرية المسك، فيها(12) دكاناً.

وبلغ عدد حوانيت الموصل(48515) حانوتاً.

ومن القيسريات الكبيرة قيسرية الجامع ألنوري، وكان فيها(699) دكاناً، والقيسرية التي بناها مجاهد الدين قيماز الرومي المتوفى سنة595هـ وكانت من أجمل قيسريات البلاد، يقول عنها ابن جبير: ((وبنى أيضاً داخل البلد، وفي سوقه قيسرية للتجار، كأنها الخان العظيم، تنغلق عليها أبواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض، قد جلي ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لامثيل له، فما أرى في البلاد قيسرية تعدلها)).

ومما يؤيد لنا عظم الحركة التجارية في الموصل، أن بلغت الدمغة اليومية التي تجبى من أسواقها (10000) درهم في اليوم، وهو مبلغ كبير.[1]

(1) انظر عن هذا: معجم البلدان: 2: 16، 8: 195، 196، منية الأدباء: 67 الكامل: 12: 195، المحاسن اليوسفية: 46 رحلة ابن جبير: 188، الموصل في العهد الاتابكي: 41-43.

لجيـــــــــش

البريـــــــــــد

الحالة الصحيـــة

الجيش

نشأ عماد الدين في الحروب والقتال منذ نعومة أظفاره، فكان جندياً جريئاً، وقائد مدبراً، وهذا ما حمله أن يعنى بجيشه عناية فائقة في تجهيزه وتدريبه، خاصة وأنه رأى البلاد مقسمة، وأمراء الأطراف في نزاع وحروب، والصليبيون قد تفاقم

شرهم، ولا بد أن يعد جيشاً قوياً يقضي على الإمارات الهزيلة ويوحدها، ويصد الصليبيين على أعقابهم.

فاختار أحسن العناصر المحاربة وأشدها، وجهزهم بأقوى العدد وأمضاها، وجعل لهم ديواناً خاصاً، يعنى بطعامهم ومرتباتهم وأسلحتهم، فكان يتولى الجيش ((أمير حاجب)) يكون مرجعه إليه، وهذا يتولى الإدارة والتنظيم وتدبير معاشهم ودفع مرتباتهم كل ثلاثة أشهر، وأول من تولى هذا المنصب الخطير ((صلاح الدين بن أيوب الياغسياني)) الذي كان أحد أثنين دبرا أمر تولية عماد الدين.

كان يحرص على دفع رواتب الجيش في أوقاتها، ويغضب أشد الغضب إذا تأخر دفعها، وقال يوماً لموظفي الديوان الذين أخروا دفع رواتب الجيش: ((إذا كنتم تهملون أمر الجند الذين تحت ركابي، ومن هم ملازمي في سفري وإقامتي، وبهم من الحاجة إلى النفقات في أسفارهم ما تعلمونه، فكيف يكون حال من بعد عني[1]، وهذا ما حمل الجند أن يخلصوا له)).

يحرص على راحة عوائل الجند، شديد الغيرة على حريمهم، وينزل أشد العقوبة لمن يتعرض لهن، فكان يقول: ((إن جندي لا يفارقني في أسفاري، وما يقيمون عند أهليهم، فإن نحن لم نمنع من التعرض إلى حرمهم هلكن وفسدن)). لما بلغه إن والي جزيرة ابن عمر تعرض لحريم بعض الجند، عاقبه أشد العقاب وصادر أملاكه[2]– كما تقدم.

هذا الاعتناء بالجند وعوائلهم وتأمين معاشهم، حملهم على الطاعة والانقياد لأوامره، فكان له هيبة وسطوة في قلوبهم فسادهم النظام والطاعة.

وخلف عما الدين ابنه ((غازي)) وكان قد تربى في بلاط السلاجقة، مطلعاً على إدارة البلاد وسياسة المملكة، عالماً بتدبير الحروب، فسار على خطة أبيه في تنظيم الجيش وتعزيزه بالعَدَدْ والعُدَد، وإظهار القوة أمام العدو، فكانت ثيابهم،

---

(1) الباهر: 83، 85.

(2) المصدر نفسه

يرتدي الجنود الأقبية التترية[1]، والتكلاوات فوقها[2]، والقباء الإسلامي فوق ذلك، ويشد عليه السيف من جهة اليسار، والصوللق والكزلك [3]من جهة اليمين. والدبابيس تحت ركبهم، وأمرهم سيف الدين غازي أن يكونوا كذلك في الحضر والسفر، لكي يرهب العدو جانبهم[×].وإما ثياب أبدانهم: فيلبسون الكلوتات الصفر على رؤوسهم مكشوفة بغير عمائم، وذوائب شعروهم مرخاة تحتها، سواء في ذلك المماليك والأمراء وغيرهم.

أما المقدمون وأعيان الجند، فيلبسون فوق هذا أقبية قصيرة الأكمام، أقصر من القباء التحتاني، بلا تفاوت كبير في قصر الكم وطوله، مع سعة الكم القصير، وطول الأكمام الطويلة.

وكان علمهم من حرير أصفر مطرز بالذهب، وعليه ألقاب السلطان واسمه وتسمى العصابة، ورايات صفر صغار تسمى السناجق.

ويحمل الجندي فوق هذا في الحرب ما يحتاجه في سفره من الأدوات وهي: سكين، ودرفش ومسلة وخيوط ودسترك وغير ذلك.[4]

فكان جيشه في القوة والبأس والفتك لا يقل عن جيش والده عماد الدين، يخشاه الصليبيون ويبتعدون عنه، فهوواقف لهم في المرصاد، يذود عن بلاد الإسلام، ولما حاصر الصليبيون دمشق سنة 543هـ استنجد صاحبها بسيف الدين غازي لقوة جيشه وكتب إلى الصليبيين يقول:((قد حضر ملك الشرق ومعه من العساكر مالا طاقة لكم به))، ولما شاهد الصليبيون كثرة عساكر الموصل وقوتها وتتابع

---

(1) القباء التتري: ثوب يلبس فوق الثياب: وقيل: يلبس فوق الثياب ويتمنطق به، وهوعلى ما أرى يشبه ((الزبون)).

(2) غطاء للرأس، ويسميه العامة في الموصل((كلاو))

(3) الصوللق: جراب أو كيس من الجلد، يوضع على الجانب الأيسر من الحياصة. توضع به حاجات السفر من الزاد. والكزلك: فارسي معناه: خنجر أو سكين.

(×) صبح الأعشى: (4: 40– 41)

(4) درفش: علم. المسلة: إبرة، دسترك: منشار.

الإمداد إليهم، رفعوا الحصار عن دمشق وانسحبوا عنها، وهكذا كانت جيوش الموصل في طليعة الجيوش التي يخشاها الصليبيون ويحذرون بطشها وفتكها[1].

كانت جيوش الموصل على أنواع فيها التركمان والعرب والأكراد، وطوائف أخرى، وكلهم مدربون أحسن تدريب.

وفي الجيش الأتابكي فصائل مدربة على هدم الأسوار، وهم الحجارون والنقابون، يعاونهم في مهمتهم هذه فصائل أخرى، وهم النفاطون الذين يحسنون استخدام رمي النار العربية، وكانوا من أشد من يخشاهم الصليبيون.

ولما حاصر صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس سنة583 هـ ليستردها من الصليبيين، وضاق به الأمر، استنجد بملك الموصل عز الدين مسعود ابن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي، فأرسل إليه فصائل الحجارين، مع فصائل من رماة النفط، ومعهم أحمال من النفط الأبيض، فكانوا من أكبر المساعدين له على هدم السور وفتح بيت المقدس.

كما كان في الجيش من يحسن بناء الأسوار، وحفر الخنادق وتحصين المدن[2]. وفي سنة 587هـ أراد السلطان صلاح الدين أن يحصن بيت المقدس، فيكم سور المدينة، ويعمق خندقها، فأرسل إلى عز الدين مسعود يطلب منه خبراء يعينونه في هذا الأمر من جيش الموصل، فأرسل إليه عز الدين الجصاصين، فقاموا بالأمر خير قيام[3].

وكان للخيالة شأن في الجيوش الموصلية، يعنون بخيولهم، ومدربون أحسن تدريب، ولا يتركونهم يركنون إلى الراحة في الأيام التي ليس فيها حرب، بل كانوا يدربون الخيالة كل يوم في اللعب بالكرة والصولجان لكي تنشط خيولهم، وكان الميدان في الموصل الذي إمام دور المملكة والقلعة، المحل الذي تدرب به العساكر، وفيه كشك يشرف الملك فيه على عرض الجيوش والألعاب، ويشارك في الألعاب القادة والفرسان ورجال العلم والدين، وربما شارك الملك بنفسه.

---

(1) الباهر:89.

(2) الموصل في العهد الاتابكي: 73.

(3) الموصل في العهد الاتابكي: 73.

وكان نور الدين محمود يلازم اللعب بالكرة كل يوم بعد صلاة العصر، ولامه أحد المتصوفة، وكتب إليه يقول: ((ما كنت أظن أنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل بغير فائدة دينية)). ولم يعلم هذا أن اللعب كان لتدريب الجيش والخيل لا للهو واللعب.

فكتب إليه نور الدين بخط يده، يقول له: ((والله ما حملني على اللعب بالكرة اللهووالبطر، إنما نحن في ثغر، والعدوقريب منا، وبينما نحن جلوس، إذ يقع الصوت فنركب في الطلب، ولا ولا يمكننا أيضاً ملازمة الجهاد ليلاً ونهاراً، وشتاءاً وصيفاً، إذ لا بد من الراحة للجند، ومتى تركنا الخيل في مرابطها صارت جماماً لا قدرة لها على إدمان السير في الطلب، ولا معرفة لها أيضاً بسرعة الانعطاف في الكر والفر في المعركة، فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب، فيذهب جمامها، وتتعود سرعة الانعطاف، والطاعة لراكبها في الحرب، فهذا والله الذي يبعثني على اللعب بالكرة))[1].

البريد

تنظيم البريد من الأمور التي يعنى بها مدبرو الممالك والدول، ليطلعوا على ما يكون في البلاد، وأخبار أعدائهم ومجاوريهم، وإن عماد الدين نظم البريد في بلاده، وقرر قواعده، وعهد بأمره إلى أصدق رجاله وأكثرهم تحرياً لدقة الأخبار،

---

(1) الباهر: 164، 165، 186- 187.

ينقلون إليه يومياً أخبار بلاده، وأخبار البلاد المجاورة، وما يستجد بها من الحوادث، وما يدور في قصور السلاجقة والأمراء وقواد الجيش، وأخبار الصليبيين، يحملون إليه أخبارهم، وأخبار جدهم ولهوهم، في سرهم وعلانيتهم، فأنفق الأموال الطائلة على المرتبين لهذا وعلى السعاة، والحمام الزاجل وأبراجه، ومراكز البريد وما أعد فيها من خيول وبغال وجمال وغيرها، وعن الأتابكيين تعلم الأيوبيون تنظيم البريد وساروا على ما كانوا عليه.

استعملوا الحمام الزاجل في نقل الأخبار بسرعة، وعنوا بتربيته، وترتيب أبراجه، وتدريبه والمحافظة على أفراخه، والإنفاق على هذا بسخاء، وعهدوا بالإشراف على أبراجه وما تأتي به من البطائق، وفيها أصدق الأخبار المستعجلة التي تهمِ أمر الدولة، وتصل إليهم في ساعات معدودة.

يقول القلقشندي عند كلامه عن الحمام الزاجل: ((أول ما نشأ بالديار المصرية والبلاد الشامية من الموصل، إن أول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل الشهيد نور الدين زنكي صاحب الشام سنة 565هـ، وحافظوا عليه الخلفاء الفاطميون)) [1].

كانت أبراج الحمام منتشرة في مؤسسات الدولة، وقلما تخلو دار منها، فتصلهم الرسائل والأخبار المستعجلة في يومها.

واعتمدوا على السعاة في نقل الأخبار المستعجلة أيضاً، والسعاة هم الذين يقطعون المسافات البعيدة عدواً، وكانوا يتنافسون بهذا، وتقام المسابقات بينهم، وتقدم الهدايا للمتفوقين منهم.

ومن السعاة المتفوقين الذين وقفنا على أخبارهم((معتوق الموصلي المعروف بكوثر))، وينافسه ((علي بن الأربلي)). ففي سنة 646هـ سعى علي بن الأربلي من داقوق إلى بغداد، فوصل بعد العصر وفضل علي المعتوق الموصلي المعروف بكوثر نصف ساعة.

---

(1) صبح الأعشى: 14: 370، 390، الكامل: 11: 251، التعريف بالمصطلح الشريف:186، 187، زبدة كشف الممالك:116-117.

وفي سنة 643هـ جرى معتوق الموصلي المعروف بكوثر الكلام من داقوق ساعيا على قدميه، فوصل ((كشك الملكية)) وداخله، وكان الخليفة ورجاله في الكشك، فقدموا له مبالغ جليلة.

وفي سنة646هـ جرى كوثر الساعي من واسط إلى بغداد في يوم وليلة[1].

الحالة الصحية

مناخ الموصل لطيف، فهي أم الربيعين، خريفها ربيع، وربيعها تزينه الحقول الجميلة والأزهار التي تحفها، يقول عنها ياقوت ((إن الغريب إذا أقام ببلد الموصل

---

(1) انظر عن السعاة: الحوادث الجامعة: 234، 291، اللمعات البرقية: 225 العسجد المسبوك:566،435،المدرسة الشرابية:66– 67.

سنة تبين في بدنه فضل وقوة... وما نعلم لذلك سبباً إلا صحة هواء الموصل وعذوبة مائها)). فمناخها صحي، يبعث على النشاط والعمل.

إن توفر مواد الغذاء ورخصها، وتدفق الثروة على سكانها، حملهم على التمتع بمباهج الحياة، فعنوا بمدينتهم ودورهم، وحرصوا على نظافتها وتنسيقها، والمحافظة على صحتهم وسلامة أجسامهم، فلا نجد ذكراً للأوبئة والأمراض السارية في الموصل– في هذا العصر – الإ قليلاً، ومما يدلنا على اهتمام القوم بالنظافة وعنايتهم بصحة أجسامهم، أنه كان في الموصل(200) حمام للرجال، و(200) حمام للنساء، و(10) حمامات خاصة بالبنات فقط. [1]

وكان في المدينة ثلاث مارستانات– مستشفيات– أحدها داخل المدينة، والثاني في الربض الأسفل منها، بناه ((مجاهد الدين قيماز)) على دجلة[2] مقابل جامعه الذي لم يزل باقياً إلى اليوم ويسمى ((بالجامع الأحمر)). وهذا المارستان جميل جداً ببنائه وموقعه الذي يشرف على دجلة، والحقول التي تحف به، وفي المارستان ما يحتاجه المريض من أسباب المعالجة والترويح عن النفس مما يخفف مرضه، ويبعث إليه البهجة، وفي المدينة مارستان خاص بمعالجة المجانين.[3]

والمعالجة في المارستان بلا ثمن، يدخله المريض فتجرى عليه الفحوص اللازمة، ثم يقدم له الدواء من صيدلية المارستان، وإذا احتاج أن يكون تحت إشراف الطبيب، ينام في المارستان، ويجرى عليه الطعام والدواء والشراب وكل ما يحتاجه المريض.

وفي المارستان الأطباء والفصادون والكحالون والمجبرون وغيرهم من الخدم والفراشين والطباخين.

---

(1) منية الأدباء: 66

(2) رحلة ابن جبير: 189.

(3) مصارع العشاق:104.

فكانت نفوس الموصل في ازدياد، وتقدر بنصف مليون، وعدد النصارى فيها(43500) نسمة وعدد اليهود(3600) [1]نسمة، فضاقت المدينة بسكانها وخرجوا إلى الأرباض التي في ظاهرها، فعمروها، وصارت من المدن المعدودة في كثرة عدد سكانها حتى قالوا: أهل بقاع الدنيا عشرة مواضع منها: أذربيجان والموصل وأرمينية وشهرزور. [2]

---

(1) منية الأدباء :67.

(2) نهاية الارب: 1: 296.

الحالــة الاجتماعية

أهل الموصل ميالون إلى البر وعمل الخير، ويحسنون معاملة الغرباء، ولا يشتطون في معاملاتهم، يقول عنهم ابن جبير:((وأهل هذه البلدة على طريقة

حسنة، يستعملون أعمال البر، فلا تلقى منهم الإ ذا وجه طلق، وكلمة لينة، ولهم كرامة للغرباء، وإقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم))[1].

ويقول القزويني عن أهل الموصل: ((وأهلها أهل الخير والمروءة، والطباعة اللطيفة في المعاشرة والظرافة))[2]

وهم متمسكون في دينهم، يحافظون على تقاليدهم وعاداتهم الحسنة، ولا يتساهلون في شيء منها، وإذا رأوا منكراً أو ما ينافي الدين يستنكرونه، ومما يدل على شدة تمسكهم بدينهم ما كان عندهم من المساجد والجوامع والربط الكثيرة[3].

تدفقت الثروة في البلد بهذا العصر، فتأنقوا في إنشاء الدور الجميلة، مزينة بالرخام المطعم، والآجر المزلج، والزخارف المتنوعة، فيها حدائق وارفة، وبين خمائلها تماثيل لحيوانات وطيور، تنتشر بين أشجارها، وحول نافورات يتدفق الماء منها فيسقي الأشجار والأزهار، وما وصلنا من بنايات ذلك العهد تطلعنا على دقة هندستها، وإحكام بنائها، وجمال زخرفتها.

-1-

تفننوا في صنع المراوح من الخيش لتكون واسطة تبريد لهم في الصيف، وجمعوا الثلج من الجبال وادخروه في مخازن كبيرة، ينقل منها وقت الصيف، وله جمال خاصة بنقله وتوزيعه وقت الحاجة.

وظهرت طبقة من المغنين، أبدعوا في الإيقاع والغناء، كما كثر عندهم نظم الموشحات التي ينشدونها في مجالس أنسهم وطربهم.

ونرى مظاهر النعيم والترف في التصاوير التي فوق آنيتهم التي كانوا يزينون بها موائدهم ومجالسهم: مناظر الصيد والقنص، وألعاب الكرة والصولجان،

---

(1) رحلة ابن جبير: 223.
(2) آثار البلاد وأخبار العباد: 209
(3) الكامل:(11: 198)

ومجالس الأنس والطرب، وما فيها من عازفي القيثارات والأعواد والصنوج والدفوف.

-2-

عنوا بتربية الطيور والحيوانات التي كانوا يصطادون بها، كالباز والصقر والشاهين والعقاب، والكلاب السلوقية، كما كانوا يهارشون بين هذه الحيوانات والطيور – خاصة بين الكلاب، ومناطحة الكبوش، وبين الديكة مع بعضها والقبوج، ويسابقون بين الحمام، وكان للحمام شأن في الموصل لنقل الرسائل، ومنها نقله نور الدين محمود إلى بلاده ليسهل عليه الوقوف على أخبارها.

وتضاعفت عنايتهم بالخيول والجمال، لأنها واسطة التنقل بينهم، وفي نقل التجارة من الموصل وإليها، وفرسان الجيش وما يستعملونه في الحروب ونقل الذخائر والعتاد.

-3-

والموصل أم الربيعين: ففي الربيع ينتشر أهلها ظاهر المدينة بين الحقول والأزهار، يتمتعون بمناظر ربيعها ونسيمه العليل، ويقيمون الخيام ظاهرها، يبيتون فيها ليلاً، ونجد في أشعار أهلها ذكراً لمرابع المدينة التي كانوا يقصدونها وبعض أديرتها وما فيها من موقع جميل، وخمر معتق[1]:

هل لايامنا الاولى من معيد ... بين دير الاعلى ودير سعيد

وزمان لهوت فيه فافنيت ... شبابي مابين ناي وعود

بين باب الوان فالبا جعلوتات ... باكفاف بيعة الجارود

ودير سعيد لم يزل باقياً، ويسمى في الوقت الحاضر ((الدير الخربان)) وموقعه جميل، خاصة في زمن الربيع، وكان يقصده الفتيان والشعراء وأهل البطالة، وممن

---

(1) خريدة القصر: (2: 253).

قصده: ابن الحكاك الموصلي(-406هـ) وكان شيخاً ظريفاً، بات فيه وقال يصف شرابه وسقاته[1].

رهبـــان ديـــر ســـعيد بـــت عنـــدهم ... فـــي ليلـــة نجمهـــا حيـــران مرتبـــك
فجـــاء راهـــبهم يســـعى، وفـــي يـــده ... مدامـــة، مـــا علـــى شـــرابها درك
كالشـــمس مشـــرقها كـــأس، ومغربهـــا ... فـــم النـــديم، وكـــف الســـاقي الفلـــك
مازلـــت أشـــربها حتـــى زوت نشـــبي ... عنـــي، كمـــا زوت عـــن فـــاطم فـــدك
مـن كـف غيـد تحكـي الشـمس طلعتـه ... فـــي خـــده الـــورد والنســـرين منـــدعك

-4-

وفي الخريف يزرعون المباقل على شاطىء دجلة: الخيار والبطيخ واللوبيا والقرع وغير ذلك، ويسمى الحقل:(شاروق) يقيمون في كل شاروق عريشاً، يزرعون حوله الرياحين، فيخرج السكان في الأماسي إلى الشواريق، يتنزهون بمناظرها الخلابة وينامون فوق العريش في الليل.

وذكر القزويني هذه الشواريق عند كلامه عن الموصل فقال: ((وفي الجانب الشرقي، عند انتقاص الماء يبقى على طرف دجلة ضحضاح دجلة على أرض ذات حصباء، يتخذ الناس عليها سرراً وقباباً من القصب في وسط الماء، يسمونها الشواريق، ويبيتون فيها ليالي الصيف، ويكون هواؤها في غاية الطيب، وإذا نقص الماء وظهرت الأرض زرعوا بها القثاء والخيار، فتكون حول القباب مقثأة، ويبقى ذلك إلى أول الشتاء[2].

-5-

---

(1) الجامع المختصر:(9: 256- 257).
(2) آثار البلاد: 209.

ومن وسائل التسلية عندهم والتضحيك: كانوا يعملون تماثيل تشبه بعض الغلمان ورجال حاشية الملك أوغيرهم، ويدربون صقور الصيد على الانقضاض عليها، حتى إذا خرج الملك إلى الميدان يرسلونها على الشخص الذي دربوها على تمثاله، فتنقض عليه، فيضحكون منه، ويكون هذا في الموصل كثيراً[1].

-6-

وكان لخيال الظل شأن في الموصل، وهو يطلق على الروايات الهزلية- البابات- التي كانت تنتقد النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بأسلوب لاذع، يؤثر في الجمهور ويضحكهم، فكان من وسائل التسلية عندهم، يتخذونه في المجتمعات وأيام الأعياد والمواسم، وفي المتنزهات، حيث يكثر المشاهدون، كما كانوا يقيمونه في دور الملوك والأمراء والمتمولين. وابن دانيال - (-710هـ) من أبرز الممثلين في هذا، فكان يضع البابة ويلحنها، ويعين الأزياء للأشخاص، ويشترك هو بنفسه بالتمثيل، ويشرف على من يساعده، فكان هوالواضع والناظم والملحن والمخرج، ومن الموصل نقله ابن دانيال إلى مصر بعد نكبة الموصل على أيدي التتر سنة 660هـ[2].

-7-

ومن وسائل التسلية عندهم: الألعاب التي كان يقوم بها الفتيان والفرسان، ومنها: المبارزة بالسيوف، والمصارعة، وتكون هذه بين المتنافسين في الاحتفالات والأعياد، ويجتمع الناس لرؤيتها، وكذا سباق الخيل.

---

(1) التصوير عند العرب: 98.
(2) الموصل في العهد الاتابكي:88.

ومن الألعاب التي مارسوها بكثرة: اللعب بالكرة والصولجان، فكان الملوك والأمراء والجيش يقومون بممارستها بعد صلاة العصر في الميدان من كل يوم، ويجتمع الناس لمشاهدتهم وتشجيعهم.

كان عماد الدين زنكي مولعاً بها، وكان يلعب مع السلطان محمود السلجوقي، وسار أولاده على نهجه، فكان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي من أحسن الناس لعباً بالكرة، وكان ربما ضرب الكرة فتعلو، فيجري الفرس ويتناولها بيده من الهواء، ويرميها إلى آخر الميدان.

ويذكر ابن شداد عن نور الدين: ((أنه كان شديد الركض، ولعاً بلعب الكرة، بحيث من رآه يقول: ما يموت الأ من وقوعه على ظهر الفرس.

وكان يأمره كافة قواده أن يلعبوا بالكرة مع أفراد الجيش كل يوم بعد العصر خشية أن يركن الجيش إلى الكسل.

وقد لامه عمر الملاء في هذا بأنه يتعب خيول المسلمين من غير جدوى، فأجابه: أنه محاط بالأعداء وقد أوقف نفسه للجهاد، فإذا ترك الجيش يتعود على الخمول والكسل ويهملون خيولهم، ولذا فاللعب واجب لتدريب الجيش وتنشيطه كل يوم[1].

وكان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود لا يعفي أحد منها– حتى الطاعنين في السن– وكان في دولته الأمير بهاء الدين علي بن الشكري، رجل كبير له خدمة في الدولة، ويبالغ عز الدين في احترامه، ومع هذا كان يشركه باللعب، ويعطيه من دوابه الخاص ما يركبه ويلعب عليه[2].

–8–

وانتشرت ألعاب الفتوة في الموصل، وهي: الرمي بالبنادق، والانتساب في الرمي، وسباق الحمام، والبندق كرات تصنع من الطين، وتسمى (جولاهق) ترمي

---

(1) المحاسن اليوسفية: 226، الباهر:168– 169.

(2) الباهر: 186.

إما بواسطة القوس أو بسبطانة تتخذ من خشبة مستطيلة مجوفة الداخل، يرمون بها طيور الواجب، ويفتخرون بإصابتها وصرعها.

والفتيان ينتسبون في رمي الطيور إلى الخليفة أو أحد رؤساء الدولة، وأن الخليفة الناصر لدين الله العباسي، أمر الملوك أن تنتسب إليه في رمي البندق، ثم عمم هذا على كافة الطبقات، إذا أصاب الرامي المنتسب طيراً، يرسل الطير إلى بغداد، أو يحمله بنفسه إلى الخليفة، ومعه الشهود من الفتيان، يشهدون إن الرامي رمى الطير باسم الخليفة، فيأمر الخليفة بتعليق الطير بباب البدرية، ويكتب عليه اسم راميه، وأنه رماه باسم الخليفة، وينثرون الدنانير على الطير تكريماً للمنتسب، كما ينال جوائز من الخليفة.

وبعد وفاة الناصر صاروا ينتسبون إلى الخليفة أو رجال الدولة، ففي سنة 638هـ انتسب الأمير إبراهيم بن بدر الدين لؤلؤ في رميه طيراً باسم الخليفة، وأرسله مع رسول ومعه جماعة من الشهود أيدوا رميه باسم الخليفة فقبل، وعلق بباب البدرية، ونثروا عليه ألف دينار، وخلع على الواصلين معه.

وفي سنة 634هـ انتسب ركن الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ إلى شرف الدين أقبال الشرابي، في رميه، فحمله بشر – خادم ركن الدين – مع اثنين من رماة البندق إلى الشرابي، فأمر بتعليقه تجاه باب البدرية، ونثروا عليه ألف دينار، وأعطى للواصلين معه ثلاثة آلاف دينار[1].

وكما استعملوا الحمام في نقل البريد، كذلك استعملوه في سباق الغاية، يسابقون بين الحمام، وقد يصل سعر الحمام إلى عشرات الدنانير.

-9-

وكان للركض أهمية خاصة، ونشأ عندهم طبقة عرفوا ((السعاة))، فكانوا يقيمون مباريات بينهم، يشهدها الخليفة والناس، ويقدمون الهدايا للفائز.

---

(1) الفتوة في الإسلام:68- 75، الحوادث الجامعة: 95- 96، 143.

ومن السعاة المشهورين آنذاك: معتوق الموصلي المعروف بالكوثر، فأنه جرى سنة 625هـ من واسط إلى بغداد في يوم وليلة، وأعطي خلعاً وأموالاً من الدولة والتجار، فحصل له عشرون فرسا، وخمسة آلاف وأربعمائة دينار، وخلع قومت بألف وسبعمائة دينار.

وفي سنة 643هـ جرى من داقوق إلى بغداد، واتجه إلى كشك الملكية، وكان فيه الخليفة ورجال دولته، فقبل الأرض بين يدي الخليفة، فأعطاه خمسمائة دينار، وأعطاه الشرابي ثلاثمائة دينار، وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير.

وكان ينافسه علي بن الأربلي، فسعى سنة 646هـ من داقوق إلى بغداد، وفضل على الكوثر الموصلي بنصف ساعة، ولما وصل بغداد استقبله الخليفة المستعصم وأولاده في الكشك، فدار علي بن الأربلي حول الكشك، فأمر له الخليفة بفرس من مراكبه، وخلعة، ودار من الغد في البلد بالطبول والبوقات، فحصل له شيء كثير[1].

-10-

ويحتفلون بعيدي الأضحى والفطر، فيعدون النقل والحلوى قبل أيام، يهدي بعضهم إلى بعض، ويتفقدون الفقراء والمعوزين، ويأخذون أجمل زينتهم، ويكثرون من التزاور والابتهاج، وأن كان الفصل معتدلاً، خرجوا إلى ظاهر المدينة وشواطىء دجلة، يتنزهون ويبتهجون، وترى الفتيان قد امتطوا خيولهم الجميلة، وزينوها، يقيمون حلبات السباق بينهم.

-11-

---

(1) انظر عنهما: الحوادث الجامعة: 234، العسجد المسبوك: 435، 566، اللمعات البرقية في النكت التاريخية: 25.

ومن احتفالاتهم الكبيرة يوم ولادة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، يزينون الدور والأسواق ويوزعون الحلوى، ويجتمعون في الجوامع، يستمعون إلى تلاوة القرآن الكريم والسيرة النبوية، والموشحات الدينية، والقصائد التي يلقيها الشعراء، ويشارك في هذا الناس على اختلاف طبقاتهم.

وأكبر احتفال بهذا اليوم، هو الذي يقيمه عمر بن محمد الملاء، يحضره الملك والأمراء والعلماء والفقهاء، والناس على أختلاف طبقاتهم، ويعد فيه الأطعمة المختلفة، فيكون حفلاً مشهوداً يشترك فيه الشعب. (1)

وكان مظفر الدين كوكبوري يقيم احتفالاً مهيباً بهذه الذكرى المباركة، يستعد لها من شهر محرم، ويتوافد الفقهاء والعلماء والأدباء والصوفية إلى إربل من اختلاف البلاد فكان يقيم القباب الجميلة في البلدان، ويجمع بها القراء والمنشدين وأصحاب الخيال، ويستعد لها استعداداً كبيراً، وقبل المولد بيومين يخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً، ويزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني إلى الميدان، ويشرعون بنحرها ويعدون أنواع الأطعمة، وكان هو يتفقد الموائد ويدور بنفسه على التي تقدم للفقراء خاصة، كما كان يحضر ما يلقيه الشعراء والقراء والمنشدون، ويستمر في عرض الجيش في ذلك اليوم، فيكون من الأيام المشهودة، ثم يقدم الهدايا إلى العلماء والقراء والمتصوفة والشعراء وغيرهم، وعمل له أبو الخطاب ابن دحية كتاب ((التنوير في مولد السراج المنير)) فأعطاه ألف دينار (2).

---

(1) الكامل: 11: 147، الروضتين:1: 189.

(2) وفيات الأعيان: 1: 435- 438.

-12-

أما بدر الدين لؤلؤ فإنه لما رأى ما يقوم به مظفر الدين وأهل الموصل من الاحتفال العظيم، بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، فانه صار يحتفل بعيد الشعانين، ويقدم الخمور والملاهي وينثر عليهم الدراهم[1].

ويحتفلون في استقبال شهر رمضان، فيستقبلونه بالتكبير والتهليل وإقامة الصلوات في المساجد، والاجتماع لسماع مجالس الوعظ والارشاد، وحضور حلقات الذكر التي يقيمها المتصوفة.

-13-

ويحتفلون باستقبال موكب الحج من مكة المكرمة، فيخرج الناس رجالاً ونساءاً ممتطين خيولهم وقد زينوها بالحرير والوشي، وعلقوا عليها قلائد الذهب والفضة، ويعودون مع الموكب بالتهليل والتكبير، يتقدمهم العلماء وأصحاب الطرق.

ووصف ابن جبير هذا الاستقبال الذي رآه في اليوم الثاني من وصوله الموصل، فقال:

((ومن أحفل المشاهد الدنيوية المريبة، بروز شاهدناه يوم الأربعاء، ثاني يوم وصولنا الموصل للخاتون أم عز الدين صاحب الموصل[2]، وبنت الأمير مسعود، فخرج الناس على بكرة أبيهم، ركباناً ومشاة، وخرج النساء كذلك، وأكثرهن راكبات، وقد اجتمع منهن عسكر جرار، وخرج أمير البلد للقاء والدته مع زعماء دولته، فدخل الحاج المواصلة صحبة خاتونهم، على احتفال وأبهة، قد جللوا أعناق إبلهم بالحرير الملون، وقلدوها القلائد المزوقة، ودخلت خاتون المسعودية تقود عسكر جواريها، وأمامها عسكر رجالها يطفون بها، وقد جللت قبتها كلها سبائك الذهب مصوغة أهلة ودنانير، سعة الأكف، وسلاسل وتماثيل بديعة الصفات، فلا تكاد تبين من القبة موضعا، ومطيتاها تزحفان بها زحفاً، وصخب ذلك الحلي يسد

---

(1) إعلام النبلاء :ص: 120.

(2) هوعز الدين مسعود بن قطب الدين مودود(576- 589هـ).

المسامع، ومطاياها مجللة الأعناق بالذهب، ومراكب جواريها كذلك، مجموع الذهب لا يحصى تقديره، وكان مشهداً أبهت الأبصار وأحدث الاعتبار)).[1]

-14-

ومن الأماكن التي كانوا يتعبدون بها ليلة الجمعة، هو الرباط المجاور لمشهد النبي يونس، فيقضون ليلهم في الصلاة والقراءة والذكر، ثم يؤدون صلاة الجمعة، وقد حضر هذا ابن جبير الذي زار الموصل سنة580هـ فبات في الرباط، ثم قصد عين يونس وشرب من مائها، واغتسل بها، وصلى في المسجد المجاور لها[2]، وهو غير مسجد (النبي يونس) كان هذا فوق عين يونس التي تسمى اليوم(الدملماجة) وكنت قد اقترحت على مديرية الآثار العامة أن تنقب عنه فوق العين، ففعلت مشكورة وظهرت أسس ومعالم المسجد المذكور، وهي ظاهرة إلى اليوم.

الطرق الصوفية

وكان للطرق الصوفية شأن كالعدوية والقادرية والبدرية والسهروردية، قام مشائخ كمل، كانوا على جانب من العلم والزهد والأدب، أوقفوا أنفسهم لإرشاد

---

(1) رحلة ابن جبير: 223- 224.

(2) نشرت في مجلة سومر: المجلد الثاني والعشرون ص: 75- 78 بحثاً عن مسجد عين يونس، وعرفت بعين يونس، وهي التي تعرف اليوم بعين الدملماجة.

الضال، وتعليم الجاهل، ونصوح الظالم، والأخذ بيد العادل، جمعوا الشباب في زواياهم ووجهوهم إلى العلم والعمل النافع، والجهاد في سبيل الله، خاصة وإن عصرهم عصر كفاح وجهاد، وصد الزحف الصليبي الذي طغى على كثير من بلاد الشام، وكان لهم تأثير حسن في مقاومة هذا الزحف، والجهاد المقدس الذي أدى إلى تحرير بيت المقدس، وأزالوا عنه الظلم والطغيان.

قاوموا الفساد، ولم يسكتوا عن محرم، ينصحون الحكام، ويرشدونهم إلى الخير، وربما ثاروا عليهم، ولما رأى الشيخ أبو الفرج الدقاق المتوفى سنة (573هـ) بيع الخمور في البلد، أنكر الأمر وهجموا على دكاكين الخمارين، أراقوا خمورهم وكسروا آنيتهم. [1]

وكان الشيخ موفق الدين أبوالعباس أحمد بن يوسف الكواشي الزاهد المفسر ينقم على بدر الدين لؤلؤ– صاحب الموصل– وينكر ما يأتيه بدر الدين لؤلؤ من ظلم، وفتكه بأولاد سيده نور الدين أرسلان شاه، وما يلاقيه منه أهل البلد.

ولهذه الطرق الصوفية شيخ يرجعون إليه– شيخ مشائخ الصوفية– ويأخذون عنه، وممن تولى هذا الشيخ عمر النسائي السهروردي الموصلي المتوفى في مكة المكرمة سنة 556هـ، رحل إلى مكة المكرمة وجاور فيها، وهوالذي ألبس الملك عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود خرقة التصوف في مكة المكرمة عندما حج إليها، ثم رحل إلى المدينة المنورة، وجاورا فيها عدة سنين، وفي سنة 548هـ سمعوا هدة داخل الحجرة الشريفة، ولم يجدوا من يستحق النزول إليها سوى الشيخ النسائي، فتقدم إليه أمير المدينة قاسم بن مهنا الحسيني، والتمسه أن ينزل إلى الحجرة الشريفة، فقبل بعد امتناع وتهيب، فأنزله في الحبال، فرأى ردماً، فكنس ما وجده من تراب.[2]

ومن المشائخ الذين كان لهم أثر حسن في خدمة المجتمع:

---

(1) الكامل لأبن الأثير(11: 189).

(1) الباهر، لابن الأثير(188) عمدة الأخبار في مدينة المختار: 120.

– **الشيخ عدي بن مسافر الهكاري الأموي:**(465–557هـ) واليه تنسب الطريقة العدوية، كان فقيهاً، عالماً، أوقف نفسه للإرشاد والوعظ والتعليم في تكتية بجبل لاليش، وعكف عليه أكراد الجبال، فكان له شأن في هدايتهم وتوجيههم، حتى صار يعرف((بإمام الأكراد)).[1]

وخليفه ابن أخيه الشيخ أبوالبركات صخر بن مسافر العدوي، فحل محل عمه في الوعظ والإرشاد، ثم خلفه ابنه عدي بن صخر، وسار على مكان عليه أبوه وعمه، ثم خلفه ابنه الشيخ حسن شمس الدين(581–644هـ) وهوالذي استغل الطريقة العدوية لنيل الملك، فخنقه بدر الدين لؤلؤ في قلعة الموصل.

– **الشيخ معين الدولة عمر بن محمد بن خضر الملاء:** كان جليل القدر، يأكل من كسب يده، يملأ تنانير الجص بنفسه، وهوالذي أشار على نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في عمارة الجامع النوري ففعل، وكان يقيم احتفالاً كبيراً يوم ولادة الرسول الأعظم– صلى الله عليه وسلم– وله رسالة في سيرة الرسول، ودفن في رباطه الذي يقع في محلة الشيخ عمر التي نسبت إليه وفي سنة 1394هـ–1971م هدم المسجد وأدخل في توسيع الشارع ونقلت رفاته إلى الجامع النوري[2].

– **الشيخ عبد الملك بن حمد الكناني الموصلي المتوفى سنة 571هـ:** كان آباؤه من أمراء الجبل، وتقلد المناصب. وفي سنة555هـ حج إلى بيت الله الحرام، وصادف الشيخ احمد الرفاعي، فلازمه، وأخذ عنه الطريقة الرفاعية، وعاد إلى الموصل سنة 559هـ، وأوقف نفسه للإرشاد والتوجيه، وتوفي معمراً، ودفن في مشهد جامع النبي جرجيس في الموصل. [3]

– **الشيخ قضيب البان الموصلي:** أبوعبد الله الحسيني بن عيسى بن الخضر الحسيني الموصلي، (471–573هـ) درس الفقه والأدب، وأخذ الطريقة عن الشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان يتردد بالرسائل بينه وبين الشيخ عدي، وأخذ الطريقة

---

(2) انظر عن الشيخ عدي وخلفائه:(اليزيدية: 52– 77)

(3) جوامع الموصل(49– 50)

(1) العقود الجوهرية في مدائح الرفاعية: (39– 41، 111)

العدوية عن الشيخ عدي، ثم طلبه الشيخ الكيلاني يصلي إماماً عنده، وتولى تغسيل الشيخ الكيلاني بعد موته، عاد إلى الموصل، وبنى له رباطاً ظاهر باب سنجار، وتفرغ للوعظ والإرشاد والذكر، وأخباره مستفيضة. [1]

– **الشيخ محمد الغزالي المعروف بالغزلاني:** هو محمد بن علي الطائي الموصلي الرفاعي المتوفى سنة 605هـ: اتصل بالشيخ أحمد الرفاعي في أم عبيدة ولازمه، وأخذ عنه، فأجازه الشيخ الرفاعي وأمره بالعودة إلى الموصل، فسكن في مغار يقع في سفح تل عرف باسمه– تل الغزلاني– ودفن في زاويته، ولم يزل الغار الذي فيه زاويته وقبره، يقع شرقي لحف تل الغزلاني الذي عليه معسكر الغزلاني.

وخلفه ولده الشيخ أحمد الغزلاني، كان فقيهاً عالماً، أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الملك بن حماد الرفاعي، وسلك طريق الإرشاد والعلم، توفى سنة 620هـ. [2]

– **الشيخ محمد بن منصور الحداد الواعظ الموصلي،** كان عالماً جليل القدر، له كتاب ((البدور التامات في بديع المقامات))، وهو ثلاثون مقامة فرغ منها في رجب سنة 673هـ. [3]

– **الشيخ يوسف الكواشي:** وهو من العلماء الأجلاء، له تفسير للقرآن الكريم، وتقدم الكلام عنه.

ملحق رقم –4–

بدر الدين بن عبد الله

630– 657هـ

---

(2) جوامع الموصل: (261– 266)

(3) روضة الرياحين وخلاصة مناقب الصالحين:133.

(4) كشف الظنون:1: 231.

الملك الصالح صاحب الموصل 657- 660هـ	الملك المظفر علاء الدين علي صاحب سنجار وتلعفر 657-658هـ	الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب جزيرة ابن عمر 657- 658هـ

ملحق رقم -6-

أعمال الموصل في العهد الأموي:

ذكر أبوزكريا الأزدي في حوادث سنة 113 هـ أنها كانت واسعة منها: الكرخ[1]، وداقوقا[1]، وخانيجار[2]، وشهرزور[3]، وباعربا[4]، وتكريت[5]،

---

(1) الكرخ: ويراد بها كرخ سامراء، والذي كان يسمى كرخ فيروز، واتصل بسامراء بعد أن بناها المعتصم، وبقيت عامرة إلى القرن السابع للهجرة،(معجم البلدان: 7: 235)

والسن[6]، وباجرمي[7]، وقردى[8]، وسنجار[9]، والعمرانية[10]، إلى حدود اذربيجان.

ملحق رقم -7-

أعمال الموصل في عهد العباسيين

(في القرنين الثاني والثالث للهجرة)

أ- وفي القرن الثاني أخذ الخلفاء العباسيون يختزلون من أعمالها:

1- اختزل منها الخليفة المهدي(158-160هـ) كورة دراباذ، وكورة الصامغان.

---

(2) داقوقا: بين أربل وبغداد، ولم تزل باقية، ولها ذكر في الأخبار والفتوح(معجم البلدان:664)

(3) خانيجار: بلدة قرب داقوقا(معجم البلدان:4: 66)

(4) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمدان، وتشمل عدة مدن وقرى، وبها سهول خصبة، يسكنها الأكراد الجلالية والباسميان والحكمية والسولية، (معجم البلدان: 5: 312- 313)

(5) باعربا: تقدم الكلام عنها

(6) تكريت: مدينة معلومة، تقدم ذكرها، تقع غربي دجلة، تبعد عن سامراء بمقدار خمسين كيلومترا.ولها ذكر كثير في الفتوح والأخبار.

(7) السن: مدينة على دجلة عند مصب الزاب الاسفل، فوق تكريت، ولها جامع كبير وفي اهلها علماء(معجم البلدان:5: 154).

(8) باجرمي: قرب الرقة من أرض الجزيرة، ويذكر ياقوت انه في زمنه(القرن السابع للهجرة) من أعمال البليخ(معجم البلدان:1: 24)

(9) قردى: قرب جزيرة ابن عمر، يقابلها غربي دجلة بازبدي، ويضاف إلى قردى مائتي قرية(معجم البلدان: 7: 51)

(10) سنجار: من مدن الجزيرة المعلومة، تقع في لحف جبل يسمى باسمها، ولها اخبار كثيرة، ويذكر ياقوت عنها انها ذات اشجار نخل وترنج ونارنج(معجم البلدان: 5: 144)

(11) العمرانية: تقع قرب شوش متاخمة للمرج، فيها رستاق وكروم، ويذكر ياقوت أن قلعتها آلت إلى الخراب، ما بقى منها شيء، وبها كهف يقولون انه كهف داود بزار (معجم البلدان:6: 220).

يقع كهف داود في قرية((كندك)) وهي بين قرية شوش وعقرة، وللدكتور محمود الامين بحيث مستفيض عنه في مجلة (سومر: 4: 204- 211).

2- واختزل منها الخليفة هرون الرشيد (170-194هـ) كورة تكريت، وكورة الطيرهان.

3- واختزل منها الخليفة المعتصم(198- 218هـ) كورة شهرزور وأعمالها.

ب- ويذكر الاصطخري المتوفى سنة 300هـ أن كور الموصل هي:

تكريت[1]، الحضر[2]، الطيرهان[3]، السن[4]، الحديثة[5]، مرج جهينة[6]، نينوى[6]، باجلي[7]، باهُدري[8]، باعذري[9]، حبتون[1]، بانقلي[2]، حزة[3]، بابغيس[4]، المغلة[5]، رامين[6]، الحناية[7]، باحرمي[8]، (بالحاء)، خنياسابور[9]، دقوقا[10]، خانيجار[11].

---

(1) تقدم الكلام عنها، ويظهر انها اعيدت إلى الموصل، هي والطيرهان، بعد وفاة الخليفة المعتصم.

(2) مدينة تبعد عن جنوب غربي الموصل قرابة(150) كيلومتراً، نشأت على الطريق التجاري الذي تمر به القوافل من ساحل الخليج العربي، إلى ديار الجزيرة والشام، شيدتها القبائل العربية، ولها حضارة زاهية، واخبارها مستفيضة، وللاستاذين فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى كتاب يبحث عنها بصورة واسعة اسمه((الحضر مدينة الشمس)) نشرته وزارة الاعلام العراقية، بالمساهمة مع مؤسسة كولبنكيان.

(3) الطيرهان: لم نتوفق إلى معرفة موقعها.

(4) السن: مدينة على دجلة، فوق تكريت، لها سور وجامع كبير، وعند السن مصب الزاب الاسفل(معجم البلدان:5: 154).

(5) الحديثة: مدينة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الاعلى، وهي مدينة قديمة، وتسمى أيضاً((حديثة الموصل)) تمييزاً لها عن حديثة الفرات، وهي خربة في الوقت الحاضر(معجم البلدان: 3: 234-237).

(6) مرج جهينة: تقع جنوب حمام العليل، وهي اول منزل لمن يريد بغداد- وامامها مرج واسع يسقى بماء دجلة، يزرع به في الوقت الحاضر البنجر والقطن والخضر، وقد خربت المدينة، وبقربها قرية تسمى باسمها(معجم البلدان3: 184، وفيات الاعيان:1: 146)

(1) تقدم الكلام عنها ، واخبارها كثيرة جداً.

(2) لم نقف على ذكر لباجلي، ولعها باجرمي، وقد تقدم الكلام عن باجرمي.

(3) باهُدري: يذكر عنها ابن حوقل: انها من حد المغيثة إلى الخابور، ومن معلثايا إلى فيشابور.

(4) باعذري: يذكر عنها ياقوت انها من قرى الموصل(معجم البلدان:2: 40) وقرية باعذرة تقع في لحف جبل الشيخ عدي(جبل عين سفني) وهي قرية كبيرة تشرف على سهل واسع امامها، وفيها رئيس الطائفة اليزيدية، وهواراديها هذه القرية.

ويذكر أن خراج الموصل أربعة آلاف ألف درهم(المسالك والممالك: 94).

ملحق رقم 7

اعمال الموصل في القرنين الرابع والخامس للهجرة

وفي القرن الرابع للهجرة تكلم ابن حوقل[×] الموصلي عن مدينة الموصل، وما يتبعها من نواح ورساتيق[12] وكور[13]، وحاصلات كل ناحية وما فيها من

وباعذرة ايضاً: قرية في لحف عين الصفراء، تبعد عن برطلة ببضع كيلومترات وتسمى ((باعذرة عرب)).

(5) حبتون: يذكر عنها ياقوت في (معجم البلدان: 3: 207) جبل بنواحي الموصل، وفي تاريخ الموصل للصائغ(1: 60) يذكر انها في الجبل على سواحل الزاب الكبير، ولم يحدد موقعها، والمصدر الذي اخذ عنه.

(6) بانقلي: لم نتوفق في ضبط مكانها.

(7) حزة: يذكر ياقوت في (معجم البلدان: 3: 272) بليدة قرب اربل من اعمال الموصل.

(8) بابغيس: ناحية بين اذربيجان واردبيل، يمر بها الزاب الاعلى(معجم البلدان: 2: 15).

(9) المغلة: لم نتوفق في ضبط موقعها.

(10) رامين: لم نتوفق في ضبط موقعها.

(11) الحناية: ناحية غرب الموصل، فتحها عتيبة بن فرقد صلحاً(معجم البلدان:3: 350)

(12) باحرمي(والصحيح باجرمي بالجيم)- وقد تقدم الكلام عنها.

(13) خنيا سابور، ولعله اراد بيث شابور وهي المعروفة ببيشلبور وتعرف اليوم ((فيشخابور)) تقع محل التقاء الخابور بدجلة.

(14) دقوقا: تقدم الكلام عنها.

(15) خانيجار: تقدم الكلام عنها.

(×) انظر صورة الارض: (196- 198) وانظر ايضاً(احسن التقاسيم:140)

(1) الرستاق: كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن، كالبصرة وبغداد، وهوعند الفرس بمنزلة السواد عند اهل بغداد(معجم البلدان:1: 37- 39).

(2) الكورة: كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولا بد لتلك القرى من قصبة او مدينة أونهر يجتمع اسمها ذلك اسم الكورة، كقولهم دارا بجرد مدينة بفارس لها عمل واسع يسمى ذلك العمل بجملته كورة دارا بجرد، ونحو نهر الملك: فانه نهر عظيم

خيرات، وما يجبى منها، وهوبحث طريف، قلما نجد مثله في كتب البلدانيين الذين تكلموا عن الموصل- قال عن الموصل: وللموصل نواح عريضة، ورساتيق عظيمة، وكور كثيرة، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي إلى غير ذلك من أسباب النتاج والسائمة من الأغنام والكراع، فمن ذلك:

1- **رستاق نينوى:** ويمتد إلى رستاق المرج، وهو رستاق جليل، قريب إلى الموصل.

2- **رستاق المرج:** وهويجاور رستاق نينوى، وهوايضاً فسيح واسع، كثير الضياع والماشية والكراع، وفيه مدينة تعرف بسوق الأحد، وفيها أسواق ولها موعد لأوقات، يجتمع فيها المتاع وسائر التجارة والاكرة والأكراد، وهي تحاد الجبل على نهر يقرب منها يطرح ماؤها الى الزاب الكبير (هو نهر الخارز الذي يصب ماؤها في الزاب الكبير) وقد تقدم الكلام عن المرج.

3- **أرض حزة ورساتيقها:** وهوأقليم بينه وبين أعمال المرج الزابي الكبير، وفيه مدينة بكفر عربي[1]، يسكنها قوم من الشهارجة نصارى ذوو يسار، ومنها يمتار الأعراب، وينزل في نواحيها الاكراد.

4- **رستاق قردي:** وهو الجزيرة المعروفة بابن عمر[2]، وجبل باسورين[3]، ونواحيه إلى حدود باعيناثا[4]، إلى طنزي[1] وشاتان[2].

مخرجه من الفرات ويصب في دجلة، عليه نحوثلثمائة قرية، ويقال لذلك جميعه نهر الملك، وكذلك ما اشبه ذلك(معجم البلدان: 1: 36).

(1) يذكر عنها ياقوت في (معجم البلدان: 7: 266) انها في زمانه قرية من قرى اربل بينها وبين الزاب الاسفل.

(2) كان هذا زمن ابن حوقل، واما في العهد الاموي- كما تقدم- فكانت قرب جزيرة ابن عمر، فيظهر انها توسعت واتصلت بجزيرة ابن عمر.

(3) يقول ياقوت عن باسورين: ناحية من اعمال الموصل في شرقي دجلتها(معجم البلدان: 2: 36).

(4) يذكر عنها ياقوت في(معجم البلدان: 2: 41) قرية كبيرة كالمدينة، فوق جزيرة ابن عمر، لها نهر كبير يصب في دجلة، وفيها بساتين كثيرة، وهي من انزه المواضع، تشبه دمشق- ذكرها ابوتمام في شهره فقال:

5- **رستاق بازبدي:** وهو يقابل رستاق قردي في الجهة الغربية من نهر دجلة، ويقول عنه وعن رستاق قردي: رستاقان عظيمان متجاوران، فيهما الضياع الجليلة الخطيرة، التي تكيل الضيعة دخلاً في كل سنة ألف كر حنطة وشعيراً، وحبوب قطان.

6- **رستاق باهدرا**[3]: وهومن حد المغيثية[4] إلى الخابور[5]، ومن معلتايا[6] إلى فيشابور[7]، وهوايضاً عظيم، جليل الضياع والدخل والمرافق.

7- **رستاق الخابور**[8]: يجاور رستاق سنجار، ورستاق الحيال[1]، يرويه نهر الخابور الذي يصب ماؤه في نهر الفرات.

لولا اعتمادك كنت ذا مندوحة عن برقعيد وأرض باعيناثا

(5) بلد بجزيرة ابن عمر من ديار بكر، ويكتبها ياقوت طنزة(معجم البلدان:6: 62).

(6) قال عنها ياقوت في (معجم البلدان: 5: 216) قلعة بديار بكر، ينسب إليها الحسن بن علي بن سعيد بن عبد الله الشاتاني(513-579هـ).

(1) ويذكرها ياقوت بالذال(باهذرا) (معجم البلدان: 8: 196) ويذكرها البكري وابن خرداذبة بالدال والف مقصورة(باهدرى) (معجم ما استعجم: 4: 1278).

(2) لم نتوفق إلى معرفة موقعها، وذكر ياقوت ثلاث مواقع باسم ((المغيثة)) ولم يذكرها كما انه لم يذكر المغيثة،(المشترك وضعاً والمفترق صقعاً: 402) و(معجم البلدان: 8: 106).

(3) يراد به الخابور الذي يصب ماؤه في دجلة.

(4) معلتايا: يذكر عنها ياقوت في (معجم البلدان: 8: 98) بليد له ذكر في الاخبار المتأخرة قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل.

وتسمى اليوم قرية ((ملطاي)) وفيها كهف في سفح((جبل كاني قصاره)) المطل على روبار دهوك، وهي تبعد عن دهوك ببضع كيلومترات، في هذا الكهف منحوتات آشورية بالصخر، وللاستاذ اكرم شكري بحث عنها في مجلة(سومر: 10: 90-92).

(5) تقدم الكلام عنها.

(6) يراد به خابور الفرات.

8- **رستاق سنجار ونواحي الحيال:** وللجميع من الداخل الكثير عن سائر وجوه الغلات والفواكه اليابسة والرطبة.

9- **رستاق معلتايا:** يجاور رستاق فيشابور.

10- **رستاق فيشابور:** وهما رستاقان خطيران معدودان في نفائس الاعمال ومحاسن الكور، بكثرة الخيرات والغلات والتجارات.

المصادر

ابن ابي اصيبعة(أحمد)- 668هـ

عيون الأنباء في طبقات الاطباء- مصر

الأزدي(ابوزكريا يزيد)- 334هـ

تاريخ الموصل، الجزء الثاني، حققه الدكتور علي حبيبة- مصر 1387هـ-1967م

ابن الأثير (عز الدين)- 630هـ

الباهر في الدولة الاتابكية- القاهرة 1382هـ -1963م

أسد الغابة في أخبار الصحابة- مصر 1329هـ

الكامل في التاريخ- مصر1290هـ

اللباب في تهذيب الأنساب- طبعة المثنى

ابن الأثير(ضياء الدين- 637هـ)

الجامع المختصر في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور- بغداد 1375

آدم ميتز

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي ابوريدة

---

(7) يذكر ابن حوقل عنه(صورة الارض: 199) عن الحيال: بقرب سنجار بين شمالها وغربها، وهو واد من اودية ديار ربيعة، فيه مشاجر وضياع وكروم وخصب واب، يسكنه قوم من العرب قاطنين فيه مخفرين من بني قشير ونمير وعقيل وكلاب.

ابن الجوزي(عبد الرحمن)- 833هـ
غاية النهاية في طبقات القراء- مصر 1933م
ابن الجوزي(عبد الرحمن)-597هـ
المنتظم في تارخ الملوك والأمم- حيدر آباد 1357هـ
صفة الصفوة – حيدر آباد 1356هـ
ابن حجر العسقلاني(احمد)- 852هـ
الاصابة في أخبار الصحابة- مصر 1925م
تهذيب التهذيب- بيروت1345هـ- 1968م

ابن حزم(علي)-456هـ
جمهرة انساب العرب- مصر
ابن جبير(محمد- 614هـ)
رحلة ابن جبير- تحقيق الدكتور حسين نصار
ابن حوقل(محمد)-القرن الرابع للهجرة
صورة الأرض- طبع بيروت
ابن خرداذبة(عبد الله) 300هـ
المسالك والممالك- بريل 1889م
ابن خلدون(عبد الرحمن)-808هـ
العبر وديوان المبتدأ والخبر- مصر 1284هـ
ابن خلكان(احمد)- 681هـ
وفيات الأعيان- مصر 1310هـ
ابن الساعي الخازن (علي بن انجب- 674هـ)
الجامع المختصر- بغداد 1934م
ابن شاكر الكتبي(احمد) 764هـ
فوات الوفيات- مصر 1299هـ

ابن الخياط (احمد–1285هـ)

ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء– حققه سعيد الديوجي– الموصل 1385هـ– 1966م

ابن تغري بردي(يوسف 874هـ)

النجوم الزاهرة في ملوك مصرالقاهرة – مصر 1350هـ

المستوفي بعد الوافي– القاهرة 1965هـ

المنهل الصافي(محفوظ نسخة منه في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة)

ابن سعيد المغربي(علي بن موسى– 685هـ)

العراق والجزيرة في ابن سعيد المغربي– نشر في مجلة كلية الآداب:4: سنة 1932، نشره الدكتور محمد رشيد الفيل

ابن شداد (يوسف–632هـ)

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية– سيرة صلاح الدين الأيوبي– مصر 1346هـ

ابن شداد(محمد بن علي– 684هـ)

الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة– تاريخ لبان والأردن وفلسطين– تحقيق د. سامي الدهان– دمشق 1382هـ–1962م

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة– تحقيق: يحيى عباده دمشق

ابن الصابوني (محمد بن علي– 680هـ)

تكملة إكمال الكمال– تحقيق الدكتور مصطفى جواد– بغداد 1377هـ–1957م

ابن الطقطقي(محمد)– 709هـ

الفخري في الآداب السلطانية والدول الأسلامية – بيروت 1385هـ 1966م

ابن طولون(محمد 953هـ)

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية – دمشق 1947م

اللمعات البرقية في النكات التاريخية – حلب 1342هـ

ابن عبد ربه(احمد) 327هـ

العقد الفريد– مصر 1384هـ 1965م

ابن العبري(غريغوريوس)–685هـ

تاريخ مختصر الدول– بيروت 1890م

ابن العديم(عمر)–660هـ

زبدة الحلب من تارخ حلب– حققه سامي الدهان– دمشق1370هـ–1951م

ابن سلام (القاسم)–224هـ

الأموال: صححه وعلق حواشيه محمد حامد الفقي– مصر 1353هـ

ابن العماد الحنبلي(عبد الحق)– 1089هـ

شذرات الذهب في اخبار من ذهب– مصر 1350هـ

ابن عبد الحق (عبد المؤمن– 739هـ)

مراصد الاطلاع– بيروت

ابن فضل الله العمري(شهاب الدين)– 748هـ

التعريف بالمصطلح الشريف– مصر 1312هـ

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار– طبعة دار الكتب المصرية

ابن الفوطي(عبد الرزاق 723هـ)

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة– بغداد 1354هـ

ابن الفرات(محمد بن عبد الرحمن 675هـ)

تاريخ ابن الفرات– بيروت 1938م

ابن قتيبة الدينوري(عبد الله)– 276هـ

الإمامة والسياسة– مصر 1328هـ

الأخبار الطوال– مصر 1330هـ

المعارف– مصر 1353هـ

عيون الأخبار– مصر 1343هـ–1925م

ابن القلانسي(حمزة)–555هـ

ذيل تاريخ دمشق– بيروت 1908م

ابن كثير(اسماعيل)- 774هـ
البداية والنهاية- مصر 1348هـ
ابن النديم(محمد)-380هـ
الفهرست- مصر 1348هـ
ابن الوردي(عمر)-749هـ
تاريخ ابن الوردي- النجف 1389هـ- 1969م
ابوالفرج الأصفهاني (علي)- 356هـ
الأغاني- طبعة ساسي
ابوالفدا (اسماعيل)-732هـ
المختصر في أخبار البشر- المطبعة الحسينية
تقويم البلدان- نسخة مخطوطة في خزانة المدرسة الأحمدية في الموصل
ابو شامة المقدسي (عبد الرحمن- 665هـ)
الروضتين في أخبار الدولتين- مصر 1288هـ
تراجم رجال القرنين: السادس والسابع- بيروت
احمد تيمور باشا (1348هـ)
كتاب التصوير عند العرب- مصر 1940م
أعلام المهندسين في الاسلام- مصر 1957م
احمد عيسي بك(الدكتور)-1365هـ
معجم الأطباء- مصر 1361هـ
البيمارستانات في الاسلام- دمشق
اسماعيل الياس- 803هـ
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك بيروت 1395
ابونعيم(احمد)- 430هـ
حلية الأولياء وطبقات - مصر 1351هـ
أبويوسف(يعقوب)- 182هـ
الخراج- القاهرة 1346هـ

أحمد أمين– 1954م

ظهر الاسلام– مصر 1962م

اسحق بن الحسين المنجم– 454هـ

آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان

الاصطخري (إبراهيم)–القرن الرابع للهجرة

المسالك والممالك– مصر 1381هـ 1961م

الأيوبي محمد تقي الدين– 617هـ

مضمار الحقائق وسر الخلائق – القاهرة 1968م

الأصفهاني(محمد)– 594هـ

خريدة القصر وجريدة العصر– شعراء الشام– تحقيق الدكتور شكري فيصل، دمشق 1378هـ

خريدة القصر– تحقيق محمد بهجت الأثري– بغداد

الفتح القسي في الفتح المقدسي– مصر 1344هـ

اغناطيوس يعقوب الثالث

دفقات الطبيب في تاريخ القديس ماربهنام الشهيد– زحلة 1966م

بدران– عبد القادر

منادمة الاطلال ومسامرة الخيال

برصوم(اغناطيوس افرام الاول)

اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية– حمص 1956م

بنيامين التطيلي– 569هـ

رحلة بنيامين– ترجمة عزرا حداد– بغداد 1364هـ – 1944م

تامارا رايس

السلاجقة– ترجمة لطفي الخوري(بالاشتراك) بغداد 1968م

حاجي خليفة

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون– استانبول 1933م

حسين امين(الدكتور)
تاريخ العراق في العصر السلجوقي – بغداد 1385هـ– 1965م
حسن الباشا(الدكتور)
التصوير الأسلامي في العصور الوسطى – القاهرة 1959م

الدليمي (محمد نايف)
ديوان الموشحات الموصلية– الموصل 1365هـ– 1975م
المختار من شعر ابن دانيال(حققه ونشره) الموصل 1399هـ–1979م
الذهبي (محمد ابن احمد– 748هـ)
المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي– تحقيق الدكتور مصطفى جواد
العبر في أخبار من غبر– الكويت 1963
البشاري المقدسي(أبوعبد الله)– القرن الرابع للهجرة
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم– بريل 1909م
بديع الزمان الهمداني– 398هـ
مقامات بديع الزمان– مصر 1348هـ 1923م
الخباز البلدي(محمد)– القرن الرابع للهجرة
شعر الخباز البلدي– جمعه صبيح رديف– بغداد 1393هـ– 1973م
البندري (الفتح)
تاريخ دولة آل سلجوق– لاهور 1318هـ
البكري (عبد الله)– 487هـ
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع– مصر 1364هـ
بنيامين النطيلي (569)
رحلة بنيامين– ترجمة عزرا حداد بغداد 1968م
البلاذري (احمد)– 279هـ
فتوح البلدان– مصر 350هـ
انساب الاشراف– القدس 1936م– الخامس

انساب الاشراف– الاول– حققه الدكتور محمد حميد الله– مصر
الثعالبي(عبد الملك)– 429هـ
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب– القاهرة 1326هـ
يتيمة الدهر– القاهرة 1375هـ – 1964م
لطائف المعارف– تحقيق إبراهيم الابياري
بدران(عبد القادر)
مقاومة الاطلال ومسامرة الخيال– دمشق
الجاحظ(عمرو)– 255هـ
التبصر بالتجارة – مصر 1354هـ
البيان والتبيين– مصر
الحيوان– مصر 1323هـ
جواد علي(الدكتور)
تاريخ العرب قبل الاسلام – بغداد 1379هـ – 1950م
الجهشياري(محمد)– 331هـ
الوزراء والكتاب– طبعة الصاوي
الحسيني(علي)
اخبار الدولة السلجوقية – لاهور 1933م
الخالديان(محمد وسعيد)
ديوان الخالديين– تحقيق الدكتور سامي الدهان– دمشق 1388هـ 1969م
التحف والهدايا– القاهرة 1956م
الخطيب البغدادي(احمد)– 463هـ
تاريخ بغداد– مصر 1349هـ
الديوه جي(سعيد)
الموصل في العهد الاتابكي– بغداد 1378هـ – 1958م
بيت الحكمة– الموصل 1392هـ – 1972م
الفتوة في الاسلام– الموصل 1940م

سور الموصل– مجلة سومر، المجلد الثالث 1947م
خطط الموصل في العهد الاموي– سومر، المجلد السابع 1951م
قلعة الموصل في اختلاف العصور– سومر، المجلد العاشر 1954م
جسر الموصل في مختلف العصور– سومر، المجلد الثالث عشر1956م
جوامع الموصل– بغداد 1382هـ – 1963م
اعلام الصناع المواصلة– الموصل 1390هـ – 1970م
الزخارف الرخامية في الموصل– سومر، المجلد العشرون 1964م

الرشيد بن الزبير(القرن الخامس للهجرة)

الذخائر والتحف– تحقيق محمد حميد الله– الكويت 1959هـ

الذهبي(محمد)– 748هـ

تاريخ دول الاسلام– حيدر آباد 1364هـ
طبقات الحفاظ– مصر 1973م
ميزان الاعتدال في نقد الرجال– مصر 1322هـ

الروذراوري(محمد)– 488هـ

ذيل تجارب الأمم– مصر 1334هـ

الزركلي(خير الدين)

الاعلام

السامر(فيصل) الدكتور

الدولة الحمدانية في الموصل وحلب– بغداد 1970م

السري الرفاء (احمد) 360

ديوان السري الرفاء– القاهرة 1355

السيوطي(عبد الرحمن)– 911هـ

تاريخ الخلفاء– مصر 1383هـ – 1964م
بغية الوعاة في طبقات النجاة – مصر 1326هـ
طبقات المفسرين– مصر

زكي محمد حسن(الدكتور)

الفنون الايرانية في العصر الاسلامي– مصر 1950م
اطلس الفنون الأسلامية – القاهرة 1958م
سبط ابن الجوزي(يوسف– 645هـ)
مرآة الزمان– حيدر آباد 1951م
السبكي(عبد الوهاب– 771هـ)
طبقات الشافعية الكبرى– مصر 1324 هـ
معيد النعم ومبيد النقم– مصر 1367هـ
الشمشاطي(علي بن محمد– حوالي 400هـ)
الانوار ومحاسن الاشعار– الكويت 1397هـ– 1970م
الصفدي(صلاح الدين– 674هـ)
نكت الهيمان في نكت العميان– مصر 1329هـ– 1911م
عبدال(افرام)
اللؤلؤ النضيد في تاريخ مار بهنام الشهيد– الموصل 1951م
العزاوي(عباس)
العراق بين احتلالين– بغداد
عيسى سليمان(الدكتور) بالاشتراك
نصوص في المتحف العراقي–الثامن– نصوص عربية– وزارة الاعلام– بغداد 1975م
النعيمي (عبد القادر بن محمد– 927هـ)
الدارس في اخبار المدارس
إبراهيم فاخوري
مخطوطات المكتبة الظاهرية– الجغرافيا والتاريخ وما يتبعها – دمشق 1389هـ
ادى شير
تاريخ كلدو وآشور– بيروت 1912م
سيوفي(نقولا)– 1901م

مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل- حققه ونشره سعيد الديوه جي- بغداد 1951م

الشابشتي(علي)- 388هـ

الديارات - حققه ونشره كوركيس عواد- بغداد 1951م

الصائغ(سليمان)

تاريخ الموصل

الصابي (محمد)- 480هـ

الهفوات النادرة، حققه أحمد الجندي دمشق 1387هـ - 1967م

المختار من رسائل الصابي- بيروت 1898م

الصابي(هلال)- 448هـ

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء- مصر 1958م

رسوم دار الخلافة، حققه ميخائيل عواد- بغداد 1383هـ - 1964م

الصفدي(صلاح الدين)-764هـ

الوافي بالوفيات- اسطنبول 1931م

الصولي(محمد)- 335هـ

أخبار الراضي والمتقي- طبعة الصاوي

أخبار أبي تمام- مصر 1937م

طرازي(فيليب)

خزائن الكتب العربية في الخافقين- بيروت

العلوجي(عبد الحميد)

تاريخ الطب العراقي- بغداد 1387هـ 1967م

العمري(محمد امين)- 1203هـ

منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من ذكر سادات الموصل الحدباء، حققه ونشره سعيد الديوه جي- الموصل 1386هـ 1967م

العمري(ياسين)- 1232هـ

منيـة الأدبـاء فـي تـاريخ الموصـل الحـدباء، حققـه ونشـره سـعيد الـديوه جـي، الموصل 1955م

فؤاد سزكين

تاريخ التراث العربي، ترجمة الدكتور فهمي أبوالفضل– القاهرة 1971م

الفارقي(أحمد)– (القرن السادس للهجرة)

تاريخ الفارقي، حققه بدوي عبد اللطيف– مصر 1959م

فؤاد سفر(بالاشتراك مع محمد علي مصطفى)

الحضر– مدينة الشمس– بغداد 1974م

الفيروز آبادي(محمد)– 817هـ

البلغة في تاريخ أئمة اللغة، دمشق 1392هـ 1927م

القفطي(علي)–646هـ

أخبار العلماء باخبار الحكماء– مصر 1326هـ

أنباء الرواة على انباه النحاة– مصر 1369هـ 1950م

كحالة(عمر رضا)

معجم قبائل العرب، القديمة والحديثة– بيروت 1388هـ 1968م

الكنجي(محمد بن يوسف)– 658هـ

كفايـة الطـاب فـي مناقـب امير المؤمنين علـي بـن أبـي طالـب عليـه السـلام النجف:1356هـ

القلقشندي(أحمد)– 821هـ

صبح الاعشى في صناعة الانشا– طبع دار الكتب المصرية

نهايـة الارب فـي معرفـة انسـاب العـرب– تحقيـق إبـراهيم الابيـاري، القـاهرة 1959م

محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي– 421هـ

لطف التدبير– القاهرة 1964م

المبرد(محمد)– 285هـ

الكامل– القاهرة

المرزباني(محمد)384هـ

معجم الشعراء– القاهرة 1354هـ

المسعودي(علي)– 345هـ

التنبيه والاشراف، القاهرة 1357هـ – 1938م

مروج الذهب ومعادن الجوهر– القاهرة 1346هـ

امين خير الله سعيد

الطب العربي– بيروت 1946م

النويري(أحمد)

نهاية الارب في فنون الأدب– طبعة دار الكتب المصرية

نيبور(كارلستن– 1815م)

رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر

ترجمة الدكتور محمود حسين الامين– بغداد 1385هـ– 1965م

الوتري(احمد بن محمد– 980هـ)

روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين– مصر 1306هـ

اليونيني(موسى– 726هـ)

ذيل مرآة الزمان– حيدر آباد– 1375هـ 1955م

يشوع دناح(مطران البصرة)

الديورة في مملكتي الفرس والعرب– ترجمه ونشره الاب لويس شيخوالموصل 1939م

الوطواط(محمد)– 718هـ

عزر الخصائص الواضحة– مصر

ياقوت الحموي– 626هـ

معجم الادباء، طبعة دار المأمون

معجم البلدان- مصر 1323هـ
المشترك وضعاً والمفترق صقعاً- كوتنجن 1846م
اليافعي(عبد الله)-768هـ
مرآة الجنان- الهند 1338هـ

اليعقوبي(أحمد)- 292هـ
تاريخ اليعقوبي- النجف 1358هـ
كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق- القسم الرابع - دمشق 1927م
مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق- السنة: 30
مجلة المجلة الموصلية: السنة الاولى 1938م
مجلة الثقافة تصدر في تونس- السنة الاولى- العدد الثالث سنة 1963م
مجلة ((الجزيرة)) الموصل السنة الاولى 1365هـ 1946م
السنة الثانية 1366هـ 1947م
مديرية الأثار العامة في بغداد
مجلة سومر السنة 31- 1975م
دليل متحف دار الآثار العربية- بغداد
خان مرجان
متحف الفن الاسلامي- القاهرة 1373هـ
مجلة الاستاذ- اصدرتها دار المعلمين العالية في بغداد سنة 1955م
مجلة الكتاب المصرية- السنة السادسة- العدد السادس
مجلة المجمع العلمي العراقي
مجلة ((المجلة)) الموصلية- السنة الاولى 1357هـ 1938م

الفهرست

المقدمة	5
الموصل قبل الإسلام	7
سكان الموصل، العرب، الأكراد، الآشوريون، الجرامقة	15
اسمها	22
الموصل في عهد الخلفاء الراشدين 16– 40 هـ	25
موقعة تكريت	27
فتح الموصل– تنظيم إدارتها وعمارتها	29
ولاة الموصل في عهد الخلفاء الراشدين	33
الموصل في العهد الأموي 40– 132هـ	
اشهر الولاة الذين تولوها:	37
محمد بن مروان	39
سعيد بن عبد الملك– أعماله العمرانية	40
الحر بن يوسف، قصر المنقوشة– حفر نهر الحر	42

مروان بن محمد بن مروان: تنظيم المدينة، مد الجسر، اتخاذها قاعدة لبلاد الجزيرة، توسيع المسجد الجامع 45
الخوارج، شبيب بن زيد 46
بهلول– كثارة– الضحاك بن قيس 49
خطط المدينة: دار الامارة، توسيع المسجد الجامع 50
الأسواق 51
المساجد– الجسر – السور 53

الموصل في العهد العباسي
دور الولاة 132– 293هـ

معركة الزاب، يحيى بن يحيى العباسي، ثورة أهل الموصل 57
إسماعيل بن علي العباسي، إصلاحاته 61
مالك بن الهيثم الخزاعي 62
جعفر بن أبي جعفر المنصور، بناء قصر حرب 63

سياسة الولاة

الشدة– وثورات المدينة 63
استياء العرب من تقديم الأعاجم 65
حركات الخوارج 67
النزاع بين القبائل العربية 76
ولاة الموصل في عهد الخلفاء العباسيين 85

الدولة الحمدانية

293-381هـ

الحسين بن حمدان	89
أبوالهيجاء عبد الله بن حمدان	91
الخليفة المقتدر والحمدانيون	93
ناصر الدولة الحمداني- موقفه من العباسيين	102
الخليفة المتقي وبنوحمدان	112
ناصر الدولة أمير الأمراء	116
سيف الدولة الحمداني	119
البويهيون والحمدانيون	128
انقسام الحمدانيين	132
أبوتغلب الحمداني- ونزاعه مع إخوته	133
أبوتغلب وبختيار	136
سياسة أبي تغلب	142
نهاية الحمدانيين	143
ملحق رقم- 1- من تولى إمرة الأمراء	146
ملحق رقم- 2- جميلة الحمدانية	

الدولة العقيلية

381- 489

حسام الدولة العقيلي 152
معتمد الدولة أبوالمنيع قرواش 157
انقسام العقيليين فيما بينهم 162
قريش بن بدران 165
مسلم بن قريش 167
خطط الموصل 171
وصف توسعها وجمال دورها 173
دور الإمارة 174
القلعة، قصر جعفر بن أبي جعفر المنصور، قصر الخليفة المعتضد 176
السور، الجسر، نهر زبيدة 177
الأسواق 178
ومن دروبها 178
محلاتها 179
المساجد 181
المشاهد والمراقد 181
العلم والأدب 183
جمال لغتها 189
الموصل مركز تجمع عربي 189

عناية الحمدانيين بالأدب والعلم 190
أول دار علم في الإسلام 192
من شعراء الموصل: أعشى تغلب 193
سلمة بن الحر بن يوسف، الصقر بن نجدة الازدي
مخلد بن بكر الموصلي 194
محمد بن الحسن الهمداني، أبوحمزة الخارجي، زوجته مريم 195
أبومحمد بن رزيق، السري الرفاء، أبومحمد الموصلي
همام بن غالب الموصلي 196
السلامي الشاعر، الخباز البلدي، الخالديان، أبوالفرج الببغاء
محمد بن عطاف الموصلي، نباتة الأعور 197
أبوتمام حبيب بن اوس الطائي 198
بيت الشهرزوري، القاسم بن علي الشيباني الشهرزوري
عبد الله بن القاسم 199
المظفر بن القاسم، قاضي الخافقين، أبناء جهير:
فخر الدولة بن جهير 201
زعيم الدولة بن الجهير 201
المذاهب 201
من العلماء الذين عنوا بتفسير القرآن الكريم

النقاش الموصلي، عبد الله بن خروالاسدي 202

203

ومن المحدثين: معروف بن أبي معروف، عفيف بن سالم، المعافى بن عمران وأولاده: 205

النحويون: واشهرهم ابن جني وأولاده، ومن أخذ عنه 208

المؤرخون: أبوزكريا الازدي. 311

أبو يعلى الموصلي 213

الخالديان الشاعران، الشمشاطي 214

أبوالمعالي 215

البلدانيون

ابن حوقل الموصلي 215

اشهر علماء هذه الفترة:

حرب بن محمد الطائي، علي بن احمد العمراني، حبيب بن بهريز ومن الاطباء 216

ابن أبي الأشعث، محمد بن ثواب الموصلي، عمار بن علي الموصلي 217

علي بن عيسى الكحال الموصلي، ابن قوسين اليهودي، ايليا الطيب 218

الاقتصاد

الزراعة 221

الصناعة 222

التجارة 225

الحياة الاجتماعية:

جمال المدينة: دورها، تبريد الدور بالخيش، تزيينها بالحدائق، استعمال الثلج 231

الشطرنج، الغناء، حمام العليل 232

عين كبريت، عين الدير، مشهد النبي يونس، العناية بالخيول العربية 233

حلبات السباق، الصيد 234

ألعاب الفتوة، الحمام الزاجل 235

بصب الخيام في الربيع، الأديرة، مقصد الشعراء وأهل الفتوة 236

الدير الأعلى، دير الشياطين 238

دير سعيد 239

دير ميخائيل، دير متي 240

دير برقانا 242

الدور السلجوقي
495-521هـ

وضع البلاد على عهدهم 249

الولاة السلاجقة 251

اشهر الولاة في الموصل 253

آق سنقر الحاجب 257

عماد الدين زنكي، حياته قبل الاستقلال 259

ما كانت عليه البلاد 264

فتح بلاد الجزيرة 266

نزاعه مع دبيس بن صدقة 268

استيلاؤه على حلب- وعلى حصن الاثارب- زحفه إلى ماردين 269

موقف عماد الدين من الخليفة والسلاجقة 271

استيلاؤه على قلاع الأكراد الهكارية 273

زحفه على شهرزور 274

زحفه على الصليبيين 275

استيلاؤه على بعرين والمجدل، فتكه بملك الروم والصليبيين 276

قتله في حصار قلعة جعبر 278

سياسته: يحسن اختيار الرجال، يجزل العطاء للمخلصين 279

منع رجال الدولة من اقتناء الأملاك، ومن إثقال الأهالي بالضيافات

شديد العناية بإخبار بلاده والدول المجاورة له 280

كثير العناية بجيشه وراحتهم وتدبير انضباطهم 281

سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي: 284

إظهار عظمة الدولة وتنظيم الجيش

قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي 288

سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود 293

عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود 297

نور الدين ارسلانشاه بن عز الدين مسعود 303

دور بدر الدين لؤلؤ– وسياسته
660 –631

عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلانشاه 309

ناصر الدين محمود بن القاهر 313

الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ 321

هجوم المغول 322

خطط المدينة 325

ما كانت عليه الموصل 327

الميدان– دور المملكة 328

القلعة 330

السور 331

أبواب المدينة 332

المساجد

الجامع الأموي– الجامع القديم	334
الجامع النوري	335
مسجد إبراهيم الجراحي المهراني	340
مسجد الخلال	
مسجد الرحماني	
مسجد عمر الملا	341
مسجد عبد الحميد	
مسجد أمين الدين ياقوت	
مسجد منصور الحلاج	342
مسجد التركماني	
المدارس	
المدرسة النظامية	
المدرسة الاتابكية العتيقة	344
مسجد زين الدين– المدرسة الكمالية–	345
المدرسة الزينية	
المدرسة العزية	346
المدرسة النورية	
مدرسة الجامع النوري	347

المدرسة الكمالية القضوية 348
المدرسة اليوسفية
المدرسة القاهرية 349
المدرسة المجاهدية
المدرسة البدرية
مدرسة ابن مهاجر 350
مدرسة أم الملك الصالح
المدرسة النفيسية 351
مدرسة ابن بلدجي
باب المسألات 352
المساجد التي درَّس فيها
مسجد العماد بن الجلادين 352
مسجد النبي
مسجد ابن بركة الكتبي
مسجد ابن الحدوس 353
دور الحديث
دار الحديث المهاجرية 353
دار الحديث المظفرية

الأربطة
رباط سيف الدين غازي 355
الرباط الزيني
رباط ابن الشهرزوري
الرباط المجاهدي 356
رباط درب دراج
رباط قصر حرب
رباط الشيخ قضيب ألبان الموصلي 357
المشاهد
مسجد النبي يونس 359
مشهد النبي جرجيس
مشهد الطرح 360
مشهد يحيى بن القاسم
مشهد الإمام عون الدين– إبن الحسن– 361
مشهد علي الهادي 362
مشهد الإمام الباهر
مشهد أولاد الحسن
الكنائس والأديرة 363

دير الجب 363

المقابر

مقبرة النبي جرجيس 365

مقبرة الجامع العتيق

تربة غسَّان

مقبرة الباب العمادي

مقبرة تل توبة 366

مقابر العلويين 367

مقبرة باب الجصاصة

مقبرة الشيخ قضيب ألبان الموصلي

ملحق رقم–3– إحصاء ما كان في الموصل من النفوس والعمارات وغيرها 368

العلم والأدب

ازدهار الثقافة العربية الإسلامية، إقبال الملوك والأمراء على الشعر والأدب والعلوم، الموصل من المراكز الثقافية في الهلال الخصيب 373

اشهر الأسر العلمية

بيت الشهرزوري

قاضي الخافقين، القاسم بن يحيى الشهرزوري، علي بن القاسم 380

أبناء يونس بن منعة

عماد الدين بن يونس 380
كمال الدين بن يونس 381
شرف الدين بن كمال الدين 382
تاج الدين بن رضي الدين، فخر الدين بن سليمان
أبناء الأثير
مجد الدين أبوالسعادات 382
عز الدين بن الأثير 383
أبناء مهاجر
علي بن علوان بن مهاجر
محمد بن علوان
أحمد بن محمد بن علوان
محمد بن مهاجر
ضياء الدين وابنه محمد 384
أبناء بلدجي
عبد الله بن محمود
عبد الدايم بن محمود
عبد الكريم بن محمود
أبناء هبل 384

علي بن أحمد بن علي بن هبل
شمس الدين بن أحمد بن علي بن هبل
أسرة النقيب 385
ضياء الدين زبد
المرتضى بن محمد بن زبد
كمال الدين حيدرة
الشعراء 388
عيسى بن عثمان البلطي
يوسف بن زبلاق
أحمد بن الحسين
محمد بن دانيال
محمد بن شقاقا
إبن مسهر 389
إبن الدهان
بوران النقاش
المذاهب
المذهب الشافعي، اشهر فقهاء هذا المذهب: 390
أبناء يونس بن منعة
أبناء المهاجر
أبناء الأثير
بيت الشهرزوري
ابن شداد الموصلي

الخطيب الموصلي وابنه
ابن أبي عصرون
ابن الحدوس الموصلي
ابن عبد السلام
ابن الصلاح الشرخاني
ابن شرفشاه 391
فقهاء الحنابلة
أبوالمحاسن الجمعي
ابن السمين
احمد بن علي
أبوالذخر خلف
ابن الوتارة
فقهاء الحنفية
أولاد بلداجي
المفسرون والقراء
أبوالسعادات بن الأثير
المعافى بن إسماعيل الموصلي
موفق الدين الشيباني
الرسعني
ابن أبي عصرون
يحيى القرطبي 393
الفخر الموصلي
شعلة الموصلي

ابن عشائر
ابن أبي زهرون
النصيبي الخرقي
ابن الشحنة
عبد الله الموصلي
الموسيقى والألحان
ابن الدهان الموصلي
الحسين بن الحسن
البرطلي الموصلي
ابن المعلم الموصلي 394
المحدثون 395
الجهني
ابن ودعان
أبوزكريا يحيى
علي بن محمد الموصلي
عبد الرزاق بن رزق الله
شمس الدين محمد بن عبد الرزاق
الدنبلي
الأطباء
مهذب الدين بن هبل الموصلي
ابن مقبل الموصلي
ابن اللباد الموصلي
كمال الدين محمد بن الحسن الموصلي

أبوالحسن علي بن الكباري الموصلي
المؤرخون 397
ابن خميس الكعبي
شعلة الموصلي
عز الدين بن الأثير
أبوالسعادات بن الأثير
ابن الحدوس الموصلي 398
ابن الشعار الموصلي
ابن باطيش
ابن شداد الموصلي
ابن أنجب
أبوالمحاسن المجمعي
البلدانيون 399
الهروي السائح
نور الدين علي بن عثمان الموصلي
ابن منظور الكموني الاسرائيلي
النحويون 400
علي بن خليفة بن المنقى
ابن المبارك النحوي
صائن الدين النحوي
دهن الخصا
ابن الخباز
أبوالبقاء الصائغ

ابن الدهان الموصلي
الصناعات
صناعة النسيج– نسيج القطن 403
المحررات 405
المنسوجات الصوفية 406
التحف المعدنية 407
زخرفة الرخام 411
أعلام المزخرفين 411
الزخارف الجبسية 414
زخرفة الكتب– أعلام الخطاطين والمزخرفين 416
زخرفة الخشب 419
الزخارف الاجرية 421
الزراعة والتجارة
الزراعة 425
التجارة 427
الجيش 433
البريد 437
الحالة الصحية 439
الحالة الاجتماعية 441
المراوح، الثلج، الطيور، المتنزهات، الشواريق، التماثيل المتحركة، 446
ألعاب الفتوة 447
العدو– اشهر السعاة والعدائين 448
الاحتفال بعيد الأضحى والفطر 449

الاحتفال بيوم ولادة الرسول– صلى الله عليه وسلم–
ما فعله بدر الدين لؤلؤ 450
الاحتفال باستقبال الحجاج
الطرق الصوفية
أشهر مشائخ ذلك العصر 452
عدي بن مسافر الهكاري 453
قضيب ألبان الموصلي
عبد الملك بن حماد بن دباس
عمر بن محمد الملا
محمد الغزلاني
أحمد الغزلاني
الشيخ عمر السهروردي النسائي– شيخ الطرق الصوفية
الملاحق
ملحق رقم– 4– بدر الدين لؤلؤ 457
ملحق رقم– 5–أعمال الموصل في العهد الأموي 458
ملحق رقم– 6– أعمال الموصل في عهد العباسين 459
ملحق رقم– 7– أعمال الموصل في القرنين الرابع والخامس للهجرة 461